الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الإخوة متوري – قسنطينة 1–

كلية الآداب واللغـات

قسم الآداب واللغة العربية

الرقم الترتيب 73/DS/2018

الرقم التسلسلي 09/LAR/2018

عنوان الأطروحة:

إستراتجيات الخطاب لأهل الكتاب في القرآن الكريم

– دراسة تداولية–

أطـروحة أعدّت لنيل شهـادة الدكتـوراه

تخصص: لغويـات

إعداد الطالب:

موهوب أحمد

إشراف الأستـاذ:

أ.د/ صالح خديش

لجنة المناقشة:

أ. د زين الدين بن موسى	جـامعة الإخوة منتوري قسنطينة 1	رئيسـا
أ. د صالح خديش	جـامعة عباس لغرور خنشلـة	مشرفا ومقررًا
أ. د زهيرة قـروي	جـامعة الإخوة منتوري قسنطينة 1	عضـوا
أ. د زهيرة بولفوس	جـامعة الاخوة منتوري قسنطينة 1	عضـوا
أ. د بوزيد مومني	جـامعة محمد الصديق بن يحي جيجل	عضـوا
أ. د رزيق بوزغاية	جـامعة العربي التبسي تبسـة	عضـوا

السنة الجامعية: 2016م –2017م

1437هـ – 1438هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله الذي أعجز بكتابه البلغاء، وجَعَلَ القرآن نُورًا هَادِيًا، ورُوحًا سَارِيًا، معجزة خالدة، وحجة ثابتة، كما جعله نجاة الغافل والكافر، ومصباح المؤمن والجاهل، لمن اعتصم وعمل به، وآمَن وتَمَسَّكَ بحبله وتخلَّق بأخلاقه، والصلاة والسلام على أفصح الفصحاء، وأبلغ البلغاء، وعلى من كان خُلقُه القرآن سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إنَّ أشرفَ علم هو علم كتاب الله تعالى، وأكثر ما يقرّب إلى الله الاشتغال به، والتفكير فيه، فلا تنقضي عجائبه، فكم من عالم منذ – نزول القرآن الكريم إلى اليوم — قد صَرَفَ جل عمره في خدمته، والإرتشاف من بحوره، فتكاثرت الأسفار في كل فن من فنونه، ومازال يكشف كل يوم عن جديد و يأتي بعجيب.

القرآن الكريم معجزة من معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام اللغوية والمعنوية، بحيث عجز الإنسان بما تَوصَّلَ إليه من علم ولغة وثقافة وفن وإبداع من الإتيان بمثله، فهو المعجزة الخالدة على مَرِّ الزمان، بَهَرَ فُحُول البلغاء وأمراء البيان، وتنوَّعت أساليبه الجمالية بمقاصد التأثير والإقناع والإفهام، فوجوه إعجازِهِ متعدِّدة الفنون، ومتنوِّعة المناحي، في جميع مجالات العلوم والحياة، ففيه ما فيه من الإعجاز العلمي والتشريعي والأخلاقي والنفسي والاجتماعي والحضاري ...، في مقدِّمتِها الإعجاز اللغوي والبلاغي، الذي بَهَرَ عُقُول أئمة اللغة والبلاغة والبيان، وأَخَذَ بمجامع قلوب كبار الأدباء في كل العصور والأصقاع، وأَقَرَّ الجميع بإعجاز القرآن الكريم، وبراعة إيجازه ونظمه الرفيع، وشهدوا بأنَّه ليس ولا ينبغي أن يكون كلام مخلوق: « قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ».[1]

القرآن الكريم رسالة سماوية جديدة، نُزِّل على لسان رسول الله عليه الصلاة والسلام لترسيم دعوته وتثبيتها ومسايرة مسيرته في الدعوة، فهو خطاب موجَّه للنَّاس جميعا على اختلاف أشكالهم واعتقاداتهم، كان الهدف الأسمى منه هو التخلي عن بعض المعتقدات، والتمسك بالدين الإسلامي كديانة وعقيدة جديدة، ممَّا جعله خطاب خاضع لكلِّ الدِّراسات العلمية المحيطة بالإنسان، بحيث كانَ سَبَبًافي تطَوُّر مختلف العلوم بمختلف أنواعها، وتحرُّر الإنسان وفكِّه لقيود العبودية .

[1] سورة الإسراء: الآية 88.

من بين الدِّراسات التي لها علاقة مباشرة بالخطاب في شكله العام، الدِّراسات الوظيفية التداولية بإعتبارها تهتم بكيفية استعمال المخاطِب للغة، أي دراسة البُعد الإستعمالي للغة، وما ينتج عنه من إنجاز فعلي للكلام، فكانت أفعال الكلام والحجاج من أهم قضايا البحث التداولي، والخطاب القرآني خِطَابٌ يتميَّز بمعجزة بيانية حجاجية، الغاية منها تدعيم الدعوة المحمَّديَة، وتكريس عقيدة التوحيد، ومواجهة المعتقدات الخاطئة بمختلف أشكالها، ممَّا يستدعي تقديم حجج متنوعة ومدعِّمة لهذا الأمر، قصد التأثير على المتلقي وسلوكه، ولفت إنتباهه إلى مقاصد تلك الحجج ونتائجها وأبعادها، وهي حُجَج وَرَدَت على أشكال مختلفة و متنوعة، تنحصر حول أساليب وآليات لغوية وبلاغية حجاجية، مباشرة وغير مباشرة، ظاهرة ومضمرة، لتُأَكِّد قضية ما أو تنفيها.

خطاب أهل الكتاب من الخطابات القرآنية، التي خص بها الله عزَّوجل على لسان أنبيائه فئة معينة من الناس تحمل معتقد معيَّن، والتي وَقَعَ فيها الحجاج والجدال والإستدلال والبرهان، باعتباره من الخطابات التي تنَاولَت قضية هامة من قضايا القرآن الكريم، وأَخَذَت مساحة كبيرة فيه، بنوعيه المكي والمدني، وأيضًا المباشر وغير المباشر، يبرز فيه بشكل عام، موقف أهل الكتاب من أنبيائهم، وكتبهم، والدعوة الإسلامية، والرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه، وأيضا موقف الأنبياء والرسل منهم.

لقد كان الهدف الأساسي للخطاب القرآني، هو محاولة التأثير فيهم وإقناعهم بِمَدَى قيمة الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية، لما تَحْمِلُه من أبعاد خلقية وتربوية وعقائدية وتشريعية، تنفعهم في دنياهم وآخرتهم، جَاءَت طريقة مخاطبتهم بصفة مباشرة وغير مباشرة من جهة لقصد التقرُّب إليهم واستعطافهم والتلطُّف معهم، للاستحواذ على قلوبهم وعقولهم وأفكارهم، لأجل التخلِّي عن معتقداتهم الخاطئة، ومن جهة أخرى اِسْتَعْمَلَ معهم خطاب التوجيه والإرشاد والنصح، وأيضًا التهديد والوعيد، للتأثير فيهم وفي مشاعرهم فكَانَ ردُّ أغلبهم التعنُّت والإنكار والافتراء، واستبدال الحق بالباطل، والكفر أو الشرك بالله عزّوجل وعبادتهم للعجل والأصنام والأوثان، وعدم التذكير بالنِّعم التي أنعمها الله عليهم ...، فلم تؤمن إلا فئة قليلة منهم.

خاطبهم الله عزَّوجل على لسان أنبيائه بشتى صيغ الخطاب وأنواعه، فَخَاطَبَ اليهود كما النصارى، أو بصيغة (ياأهل الكتاب) قاصدًا أحدهما، أو(اليهود والنصارى) مجتمعين، حسب السياق ومناسبته، كما خاطَب علماءهم أيضًا بصيغة (يا أيها الذين أوتُوا الكتاب).

إختيار مدونة البحث (الخطاب القرآني الموجَّه لأهل الكتاب)، هو اختيار مقصود لمحاولة معرفة نوع الخطاب الموجَّه إليهم وإستراتيجياته، ومعرفة المميِّزات التي تُمَيِّزُهُمْ عن باقي الفئات الاجتماعية الأخرى من خلال العودة إلى تاريخهم الطويل، سواءًا مع أنبيائهم والرسول عليه الصلاة والسلام، لأخذ صورة عن أخلاقهم ومعتقداتهم وأفكارهم، ومعاملتهم للأنبياء والرسل، التي كانت في مجملها استهانة واستهزاء بهم، هذه السِّمات التي يحملها أغلبهم، والتي وصَفَها لنَا القرآن الكريم بمختلف الصُورِ والأساليب، هي الدافع الأساسي الذي يحملنا إلى خوض مجال البحث فيه، مع الالتزام بما هو موجود في النص القرآني، دُونَ الخروج عنه، ومع الاعتماد على أكبر عدد ممكن من كتب التفسير المتاحة.

إن البحث التداولي من البحوث اللسانية الحديثة، يهتم بدراسة كيفية استعمال اللغة، أي الاهتمام بالجانب الإستعمالي للغة، انطلاقًا من مستوياتها، والإطار السياقي الخارجي للخطاب، وهي دراسة تنطلق من معطيات عدة تتعلق بالتاريخ الإسلامي، والسيرة النبوية، وأسباب النزول، وأقوال الصحابَة رضوان الله عليهم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ....

زاوية النظر إلى أهل الكتاب في القرآن الكريم، من الناحية التداولية لا تخرج عن الإطار التفسيري لسور وآيات القرآن الكريم، فهي دراسة تتمحور حول أهم الإستراتيجيات الخطابية في خطاب أهل الكتاب (اليهود والنصارى) التي تهدف إلى التأثير فيهم وإقناعهم، من خلال مقارنته بأهم الأفكار التداولية، واستنباط أهم الأساليب الحجاجية اللغوية منها والبلاغية المستعملة لتحقيق مقاصد خطابية قرآنية.

لقد كانت الرغبة في تناول هذا الموضوع كبيرة، كونه موضوع متَّجِهًا إلى كتاب الله عزوجل والتلذُّذ بما يحويه من معان ودلالات، من خلال معرفة الصورة الحقيقية لأهل الكتاب، جاء بعد اطِّلاعي على دراساتٍ سابقة التي وجهتني بدورها إلى اختيار هذا الموضوع: "خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم- دراسة تداولية-"

وهو موضوع غير متناول تداوليًّا إلاَّ مَا جَاءَ في بعض قضاياها في بعض كتب النحو والبلاغة والفلسفة والدين، واللسانيات الحديثة، وهي المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذا البحث، أهمها كتاب:" إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية " لعبد الهادي بن ظافر الشهري.

منهج الدّراسة في هذا البحث، منهج وصفي تحليلي، كسبيل لتناول الموضوع، قصد اكتشاف الأبعاد الخطابية والحجاجية، التأثيرية منها والإقناعية للخطاب، لكون هذا المنهج أقرب إلى استيعاب هذا النوع من الدّراسات بطريقة موضوعية وعلمية.

فالدِّراسة أهميتها تتمحور حول خدمة القرآن الكريم، وإبراز حقائق الإعجاز اللغوي بكل مستوياته، وإضافة دراسات قرآنية متخصِّصة للمكتبة العربية، ومحاولة وضع مقارنة إصطلاحية لبعض المصطلحات الخطابية والتداولية، بما يتناسب وقداسة القرآن الكريم، كما ستفتح هذه الدِّراسة الشهية لدراسات أخرى تتعلق بفئات أخرى في القرآن الكريم، أو في الحديث النبوي الشريف.

وإِّتساقًا مع منهج الدّراسة وغايتها، إقْتَضَتْ قِسْمَتَهَا على أربعة فصول مسبوقة بتمهيد، فضلاً عن المقدمة و الخاتمة.

ففي المقدمة تضمن الحديث حول أهمية البحث وأسباب اختياره، والدِّراسات السابقة مع إبراز أهم محاوره والتعريف بفصوله ومباحثه، ثم الإشارة إلى منهج البحث ومصادره، وفي التمهيد تطرقت إلى موضوع اللغة وأهم وظائفها الأساسية والثانوية مع تحديد مسار الدِّراسات اللسانية الحديثة انطلاقًا من أفكار (دي سوسور) وصولاً إلى الدِّراسات اللسانية الوظيفية التداولية بصفة مختصرة.

أمَّا في الفصل النظري الأول فقد خصِّصَ لتحديد مفهوم الخطاب وأهم عناصره، وعلاقة الخطاب بالنص، وتحديد مفهوم الإستراتيجية الخطابية، ومعايير تصنيفها، وفي المبحث الثاني من الفصل تطرَّقَ فيه إلى موضوع السياق والتفاعل ومقاصد الخطاب القرآني، وأيضًا إلى متلقي الخطاب بين التفسير والتأويل.

أمَّا في الفصل النظري الثاني فقد كانَ عبارة عن محاولة لتحديد لمفهوم التداولية، ومسارها الفلسفي التاريخي، وإبراز أهم قضاياها، ثم التعريف بأهل الكتاب في المبحث الثاني، وخصوصية خطابهم ومميِّزاته، والتمييز بين الخطاب المكي والمدني الخاص بهم، وأيضًا المباشر منه وغير المباشر، وَبَعدَها تسليط الضوء على أهم مواقفهم المتفاوتة والمتباينة من الخطاب الموجه إليهم.

في الفصل الثالث كانَ عبارة عن فصل تطبيقي لأهم الإستراتيجيات التلميحية والتوجيهية في خطاب أهل الكتاب، من خلال أولاً التعريف بالإستراتيجيتين وتحديد أهم الوسائل والآليات اللغوية والبلاغية والمنطقية المستعملة فيها، ثم وصف أهم الإستراتيجيات الواردة فيها وتحليلها.

الجانب التطبيقي أيضًا كانَ السائد في الفصل الرابع، كونه خُصِّصَ لأهم إستراتيجية مستعملة في هذا الخطاب وهي الإستراتيجية الحجاجية والإقناعية في خطاب أهل الكتاب، من خلال الوصف والتحليل بعدَ تحديد أهم الآليات المختلفة المستعملة لإحداث التأثير والإقناع في المتلقي.

أمَّا الخاتمة فقد كانت عبارة عن تلخيص لأهم النتائج في البحث، وأهم التوصيات، وقد تنوَّعَت مصادر البحث ومراجعه نظرًا إلى تنوع الفصول والمباحث، وتوزعها بين الخطاب وعناصره الأساسية والخارجية وموضوع التداولية وأهم قضاياها، وأيضًا أهل الكتاب، وما يتطلبه من كتب في التفسير والحديث، فهذه النقاط تحتاج إلى مراجع ومصادر، في مقَدِّمَتِها كتب التفسير قديمها وحديثها، ثم كتب النحو واللغة قديمها وحديثها، وكتب اللسانيات العربية منها والغربية.

هذا البحث صادف بعض الصعوبات والعراقيل التي يصادفُها كل باحث، إلاّ أنّهُ تمَّ تجاوزها وتفاديها بحول الله وقدرته، ولم يبقى إلاَّ أن أشكر كل من سَاهَمَ من قريب أو من بعيد في إنهاء هذا البحث.

تمهيد

تمهيد:

تعتبر اللغة من أرقى وسائل التعبير والإتِّصال بين الأفـراد، كونها منظومـة إجتماعية تتجسد في إنتاجات فردية بأشكال مختلفة، كما أنَّها عبارة عن نظام إجتماعي ثابت، تسير وفق قواعد نحوية وتركيبية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمعنى، فالمتكلِّم يتكلم لأنَّه ببساطة يفكر ويشعر ويُحُّس، يُجسِّد هذا التفكير والشعور بواسطة الكلمات ويُبَلِّغُهَا للمتلقي عن طريق وحدات دالّة وإشارات لغوية أساسية مقرونة بمعانٍ ترافقها.

الوظيفة الأساسية للغة هي إيصال المعلومات للطرف الآخر، والتعبير عن ما يَحُسُّه المتكلِّم ويرغَب فيه، فهذه العملية تشترط وجود طرف آخر وهو السَّامع أو المتلقي، حتَّى تكون وسيلة من وسائل الإتِّصال بين مرسل الخطاب ومستقبله، فالعلاقة التي تجمعهما هي إتِّصالية وتعبيرية، بوحدات لغوية تركيبية، تحمل دلالة وغرض أو قصد معين« عن طريق مخاطبة ومفاعلة بين إثنين أو أكثر، يُخَاطِب الأول فيجيب الثاني »[1]، ولا يتحقَّق التواصل والتفاهم بينهما إلاَّ بوجود نفس الخطاب اللغوي بينهما، والذي اصطلح على استعماله قوم أو مجموعة بشرية معينة.

عملية الإتَّصال بالمتلقي هي عملية نفسية ذهنية، لأنَّ المرسل يملك أغراضًا و مفاهيم في ذهنه ونفسه يحتاج ليعبِّر عنها وإيصَالها لغيره، بألفاظ وكلمات راسخة في نظامه اللغوي، فيترجم هذه المعاني إلى ألفاظ بعد عملية الإختيار والتركيب، ليصل الخطاب إلى المتلقي، وهو بدوره يقوم بعملية مماثلة في هذا.

إضافة إلى وظيفة اللغة الأساسية، نجد وظائف أخرى، حدَّدتها وأضافتها الدِّراسات اللسانية الحديثة خاصَّة، لها علاقة مباشرة بالجانب النفسي والإجتماعي والتربوي، من خلال ما تؤديها الأصوات من وظائف، والدليل اللغوي، وعناصر الخطاب الأساسية في الإتِّصال المباشر بين المتكلم والسامع، وعناصر اللغة داخل التركيب إنطلاقًا ممَّا حدده (دي سوسور) في كون "اللغة نتاج إجتماعي"[2] وأنها نظام من العلامات، مرورًا إلى ما أسفرت عنه الدِّراسات اللسانية التداولية التي تدرس اللغة من جانبها الإستعمالي، النفسي والإجتماعي، أو الحوار والتفاعل بين المتخاطبين.

---

[1] خوله طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، ب ط، 2000م، ص27.

[2] Ferdinand de Saussure: cours de l'linguistique générale, Edition préparé par –Tullio de Mauro, Éditeur: payot.1993.p21.

إذا كانت اللغة عند (دي سوسور) هي نظام من العلامات، فهي عند أقطاب النّزعة الوظيفية نظام من الوظائف، ونظام من وسائل التعبير، تخدم غرض التواصل المتبادل، بحيث ركَّزوا على الجانب الوظيفي للغة لأن نظرتهم للغة قد إنبثقت من فكرة أنها أداة أكثر منها موضُوعًا، فاهتمت بالجانب العملي الحاصل لها في الكلام. فمنظور الإتِّصال الوظيفي يقوم على عناصر (المتكلم والسامع ونص الخطاب)، وكل تنوع في هذه العناصر يُقَدِّم وظيفة معينة، كما يرتبط كل عنصر بوظيفة من الوظائف على الأقل، كالوظيفة الشارحة وظيفة الفهم والوظيفة الإتِّصالية والجمالية لغيره من الناس[1]، وسُميت هذه الوظيفة بوظيفة التبليغ والتواصل بين أفراد المجتمع مع وجود وظائف أخرى ثانوية إلى جانبها، كوظيفة التعبير عن الأفكار، والتعبير عن المشاعر دُونَ حاجة إلى التواصل، والوظيفة الجمالية في النصوص الأدبية وغيرها[2]، ويعدُّ هذا امتدادا لنظرة (دي سوسور) إلى اللغة بعدِّها نتاج إجتماعي في شكل تواضعات لتسهيل التواصل.

فالبنية اللغوية هي نسيج من المتعلِّقات أو الوظائف، والوحدة اللسانية تستمدُّ قيمتها من العلاقات التي تربطها بالوحدات الأخرى كما يرى (هيلمسليفHjelmslev)[3]، بحيث نجده يميِّز بين التعبير والمحتوى، وبين الشكل والمادة في البنية اللغوية، ممَّا يجعل الوظيفة تتحدَّد من خلال العلاقة بينهما، كما نجده استبدل ثنائية اللغة والكلام بثنائية أخرى أطلق عليها النمط والنص أو الإستعمال.

العملية التواصلية تقتضي إتِّصال المضمون بالتعبير، والوظيفة تتحدَّد من خلال تلك العلاقة، أي بين الوحدات الصوتية، وبين الوحدات النسقية النحوية والمعجمية، فوظيفة البنية اللغوية تكمن في هذا النسق النحوي المعجمي.

تتعدَّدت وظائف اللغة بتعدد زوايا النظر إليها، رغم الإجماع على أنَّها أداة إتِّصال في الحياة الإجتماعية، وأن الضَّوابط والأعراف والتقاليد الإجتماعية تتحكم في اللغة [4]،فمنهم من إقتصرت دراسته في إطار سياق معين ك (فيرثFirth) ومالينوفسكي Malinofski، والبعض الآخر ركَّز

---

[1]Andrè Martinet: Elèment de linguistique générale, armand colin, paris -, 1970, p112.

[2]Andrè Martinet :la linguistique synchronique, etude et recherche, press - Universitaire de france, paris, 1974, p09.

[3] Louis Hjelmsliv: essais l'inguistiques les idè de minuit, paris, 1971, p79

4 زكريا شعبان شعبان: اللغة الوظيفية والاتصال، عالم الكتب الحديث، إربد،ط1، 2001م، ص26.

في دراسته على الجوانب التطبيقية للغة، من خلال ربط الوسط اللغوي بالمعنى اللغوي مثل (هاليدايHalliday) الذي صنَّف وظائف اللغة إلى سبع قنوات أساسية تتمثل في:

- الوظيفة الأدائية (العملية): تلبي الحاجات العملية الدنيا.
- الوظيفة التنظيمية: وتعمل على التأثير في سلوك الآخرين.
- الوظيفة التفاعلية: وتعمل على الإنسجام مع الآخرين.
- الوظيفة الشخصية: والتي نعبر من خلالها عن أنفسنا.
- الوظيفة الخطابية الإستكشافية: والتي نستخدمها في استكشاف العالم من حولنا.
- الوظيفة التخيلية: ونستخدمها لبناء العالم الخاص بنا.
- الوظيفة المعلوماتية الإتِّصالية = والتي ننقل من خلالها ما نريد نقله للآخرين[1].

وهناك جانب آخر من الدِّراسة الوظيفية، نلتمسه من خلال ما قَدَّمَتهُ أقطاب اللسانيات البنيوية الأمريكية والوظائف اللغوية التي حددها (بوهلر) خاصَّةً، كرد على التصور التقليصي لَدَى البنيويين في الجانب التبليغي للغة، بحيث إقترح في نموذجه التبليغي ثلاث وظائف، وذلك انطلاقًا من تصوره للدليل اللّغوي بوصفه رمزًا يمثِّل العالم الخارجي يضطلع من حيث هذه الحيثية بوظيفة التمثيل، ولما كَانَ الدليل متوقفا على استخدام المرسل إليه فهو يعُبِّر بشكل من الأشكال عن جوانبه يضطلع بوظيفة الإبانة عن الأغراض، وأخيرًا فإنَّ استخدام هذه الأدلة ليس مسعى مجانيا لأن المرسل يمارس من خلال هذا الإستخدام التأثير على المرسل إليه، ويصبح الدليل إشارة موجهة إلى سلوك المرسل إليه، وتتحقق آنذاك وظيفة النداء[2].

فوظيفة التمثيل: هي الوظيفة التي تتجه إلى سائر الموجودات، إلى شيء غير المتكلم والمخاطب.

وظيفة التعبير: هي التي تتجه إلى النفس أي المتكلم (اللغة الشعرية الغنائية).

وظيفة النداء: هي التي تتجه إلى المخاطب (المرسل إليه) مثل لغة الأمر.

---

[1] زكريا شعبان: اللغة الوظيفة والإتِّصال، ص 128.

[2] الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1992، ص13.

وهذه الوظائف يمكن أن يتزامن وجودها في صلب نشاط لغوي واحد، وبها يكافح (بوهلر) من أجل لسنيات ديناميكية، ولسنيات النشاط اللغوي، حيث تنصرف مهمة اللساني إلى دراسة الإستعمال البشري الخاص بالدليل[1]، وبالتالي تتضح وظائف اللغة عند (بوهلر)، إنطلاقًا من تصوره للدليل على النحو التالي:

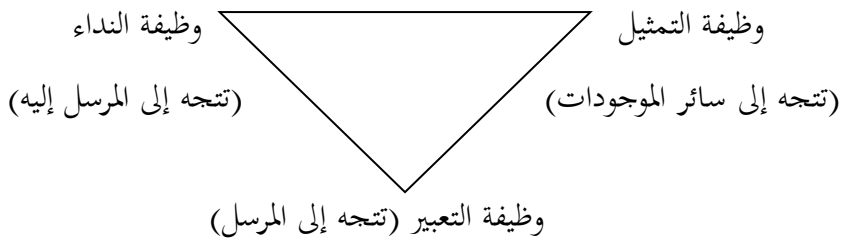

إضافة إلى الوظائف اللغوية التي إقترحها (بوهلر)، هناك تصنيف آخر لا يقل أهمية في الدراسات اللسانية الحديثة، وهو التصنيف الذي اقترحه (رومان جاكبسون R.Jakobson) في نظريته (وظائف اللغة) من خلال اهتمامه بالبعد التبليغي للغة، وهي القضية التي تجاهلها (دي سوسور) في كتابه (دروس في اللسانيات العامة)، وإعادة اكتشافه لأعمال (بيرس piers)، بحيث ساهم جاكبسون كثيرا في توسيع نظرية الدليل، ونموذجه التبليغي الذي يميز بين ستة وظائف بستة عناصر، إستلهمها من نظرية الإتصال التي ظهرت لأول مرة سنة 1948م، ومفادها أن عملية الإتصال تتطلب ستة عناصر أساسية[2]:

- المرسل
- المرسل إليه
- الرسالة
- قناة الإتصال
- السياق
- شفرة الإتصال

[1] الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص14.

[2] أحمد مومن: اللسانيات، النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2005م، ص 148 .

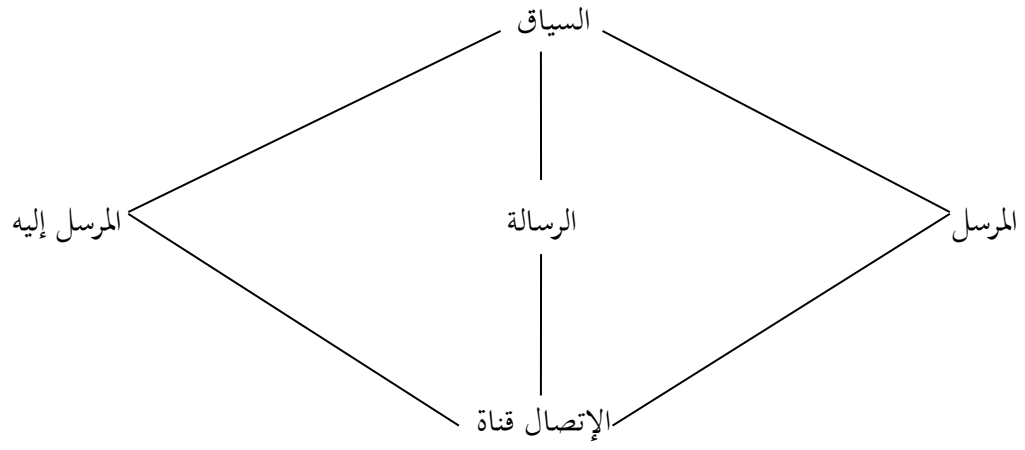

شفرة الإتصال (اللغة)

فمن خلال هذه العناصر صاغ (جاكبسون) نظريته الشهيرة في وظائف اللغة، بحيث توصَّل إلى أنَّ كل عنصر من العناصر الستة يولد وظيفة في الخطاب، يميزها نوعيا عن الوظائف الأخرى، تكون عملية التخاطب (الإبلاغ) تأليفا لجملة هذه الوظائف لبروز إحدَاها، فتكون بنية الكلام مصطبغة بسمات الوظيفة الغالبة وتتمثل هذه الوظائف السّتة من خلال عناصرها الخطابية في:

– المرسل: يولد الوظيفة التعبيرية، وتُسمَّى أيضًا الوظيفة الإنفعالية، وهي مركَّزة على نقطة الإرسال، فهي وظيفة التعبير عن عواطف المرسل ومواقفه إزاء الموضوع الذي يعبِّر عنه، ويتجلى ذلك في طريقة النطق مثلا أو في أدوات لغوية تفيد الإنفعال كالتأوّه والتعجب وغيرها.

– المرسل إليه: تولد عنه الوظيفة الإفهامية، وتظهر في صيغة الدعاء والأمر والنهي ...إلخ.

– السياق: يولِّد الوظيفة المرجعية، وهي الوظيفة المؤدية للإخبار باعتبار أن اللغة فيها تحيلنا إلى أشياء وموجودات نتحدث عنها وتقوم اللغة بوظيفتها الترميزية.

– الصلة: وتولد الوظيفة التنبيهية، وهي تكمن أثناء التواصل، وذلك في النظر بصلاحية القناة أو بنية المتلقي في إقامة الإتِّصال، أو تقوية الصلات الإجتماعية، وذلك كعبارات التحية، والترحيب وتبادل المشاعر، ولفت انتباه المرسل إليه.

– شفرة الإتِّصال: تولد وظيفة ما وراء اللغة، حيث التركيز على اللغة المستعملة ، أي النظام السيميائي للموظف بحيث تصبح اللغة موضوع الخطاب، فالهدف من الرسالة توضيح شفرة الإتِّصال أو شرح بعض المفردات.

– الرسالة: عنها تتولَد الوظيفة الشعرية حيث التركيز على الرسالة في حدِّ ذاتها، وتعني بالجانب المحسوس للأدلة ، أي بالدّال في اصطلاح (دي سوسور) والتعبير في اصطلاح (هيلمسليف)، إذ لا تستعمل

الأدلة لمعناها أو مدلولها فحسب، بل أيضًا لصورتها الصوتية أو الخطية، أي اللغة كغاية أكثر ممَّا هي وسيلة مثل ما هو في القصائد.

فإذا كانَ الخطاب ينظر إليه إلى السياق، فالوظيفة إفهامية، مرجعية شعرية، وإذا كَانَ الخطاب ينظر إليه من خلال التعبير عن هيئة المرسل، بالنظر إلى ما قاله، فالوظيفة تعبيرية، وإذا كانَ الخطاب يعتمد على اللغة أكثر من العناصر الأخرى، فتنتج من خلاله وظيفة ما وراء لسانية، أما إذا كان الخطاب يشير إلى السياق فينتج من خلال ذلك الوظيفة التنبيهية[1].

وبذلك يتضح مخطط (رومان جاكبسون Roman Jakobson) على النحو التالي[2]:

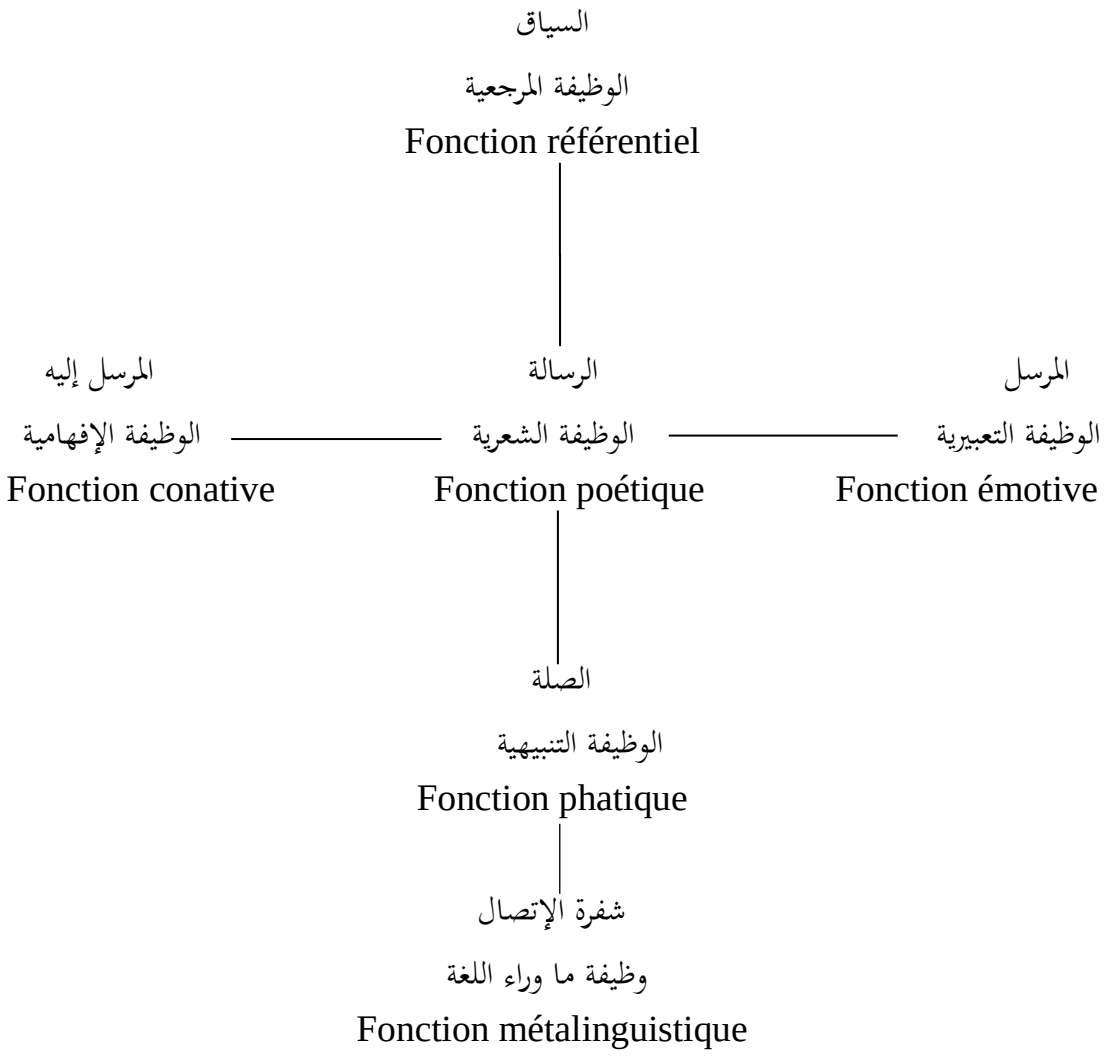

[1] Julia kristiva: le langage cet inconnu, une initiation à la linguistique, èdi du seul، 1981,p285.
[2] Raman Jakobson : Essais de l'inguistique générale, tra/Nicslas Ruwet, édi de minuit, 1963, p 220.

من خلال هذا التصنيف يتبيَّن أن (جاكبسون) قد وضَعَ أيضًا تصنيف النصوص والخطابات، بالنظر إلى الوظيفة المهيمنة في النص، فمن الصعب إيجاد نص أو خطاب يحمل وظيفة واحدة من الوظائف المقترحة، لأن الخطاب ينتقل أحيانا من مجال إلى مجال في خطابه، لذلك فهو يحمل على الأقل وظيفة أو وظيفتين في النص.

اللغة من منظورها التداولي لها وظيفتين رئيسيتين، حددها (براون ويول) وهي: (الوظيفة التعاملية والوظيفة التفاعلية)،[1] التي تعتبر اختزال لتصنيفات (جاكبسون) مرتبطة بمقاصد المتكلم، بوضعه الإجتماعي وأهدافه، فالمخاطب يؤدِّي وظيفة تعاملية من جهة، ووظيفة تفاعلية من جهة أخرى.

تتجسّد الوظيفة التعاملية من خلال ما تقوم به اللغة من نقل ناجع للمعلومات، تبرُز من خلاله قيمة الإستعمال اللغوي، فيركِّز المتكلّم جهده نحو بناء الخطاب، ليستطيع المخاطَب أن يأخذ منه المعلومات الصحيحة والدقيقة وتعدُّ هذه اللغة إحدى مزايا اللغة الطبيعية التي تمكِّن الناس من تطوير ثقافاتهم انطلاقًا من هذه المعلومات المتناقلة ومن تحقيق التواصل فيما بينهم سواء كان ذلك بغرض التوجيه أو التعليم أو غيره، أمَّا الوظيفة التفاعلية فهي التي يقيم الناس بها علاقاتهم الإجتماعية، ويحقَّقون لأنفسهم غاياتها، وتتمثَّل في قدر كبير من المعاملات اليومية التي تحدث بينهم.

الدّور الرئيسي للغة في الخطاب هي التعبير عن المقاصد التي ينويها المخاطِب، لكن قد يخرج دورها إلى إقامة بعض العلاقات وتثبيتها مع المتلقي، فقد يقتصر على ذلك وقد يتجاوز دورها إلى التأثير عليه نفسيا وعقليا أو تنبيه وتوجيه في بعض السياقات، فاللغة لا تكتفي بأداء وظيفة تواصلية، أو مرجعية أو تعبيرية، بل تؤدي وظيفة التفاعل مع الآخر والتأثير عليه، وهي وظيفة تداولية تختلف باختلاف المقاصد والأهداف، التي من أجله يسوق المتكلّم خطابه، واختيار الإستراتيجية الخطابية المناسبة، التي تتضح بدورها من خلال الإعتماد على بعض الآليات والأساليب.

المخاطِب يتعامل ويتفاعل من خلال خطابه مع المخاطَب، قصد التعبير عن مقاصد معينة وتحقيق أهداف محدّدة تظهر بصورة مباشرة من شكل الخطاب، أو تكون مضمرة لا تظهر، فيَصبحَ الجانب الشكلي للخطاب يحمل مدلولات وفق معطيات سياقية، وعلاقات تخاطبية، وإفتراضات مسبقة، التي يدركها المتكلم أو يفترض وجودها، يعتمد عليها المخاطب لبناء خطابه، على الشكل

[1] ج ب براون، ج يول: تحليل الخطاب، تر/ محمد لطفي ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، الرياض، دط، 1997م ص02-03.

الذي يفهمه المخاطَب، حتى يستنتج المقاصد من خلالها، بحيث يسعى الباث إلى انتهاج استراتيجيات معينّة، بأنساقٍ وأدوات لغوية معينة، تمنحها قيمة لغوية صالحة للدراسة والتحليل، في صوّر مختلفة ومتنوعة من الخطاب، تجسّدها الكفاءة اللغوية والذهنية، والحالة النفسية للمتكلّم، وهي كفاءة تداولية خاضعة لجملة من التأثيرات والعناصر السياقية، فيصبح الخطاب عبارة عن قالب من الإجراءات النظرية والتطبيقية، يقابلها قدرة المتكلّم الفكرية والذّهنية، وأيضًا التّجسيد والإنجاز الفعلي للغة، باعتبارها طريقة مثلى للرفع والإرتقاء بالخطاب، وسبيل سليم وفعال في تحقيق ما يريده المخاطب من خطابه.

في الخطاب اللغوي نرسم عدة وظائف مختلفة، حسب زاوية النظر والدّراسة، لكن الوظيفة التداولية هي وظيفة نستنبطها من خلال مجموعة من العوامل المكوّنة لها، كالأدوات والأساليب اللغوية، ومقاصد المتكلّم وأيضًا ظروف إنتاج الخطاب، والسياق بعناصره المتعدّدة.

إستراتيجيات الخطاب، أمرًا ضروريًا بالنسبة لمنتج الخطاب، فهي مجموعة من السبل والطرائق التي توصل مقاصد المتكلّم إلى السامع، وفهمها أو تحليلها أمر ضروري أيضًا بالنسبة إلى السامع لمعرفة مقاصد المتكلم، ممّا يستدعي شرط القدرة التواصلية والكفاءة التداولية للطرفين (المتكلم والسامع)، الأول لبناء خطاب لغوي تداولي يحمل مقاصد وأهداف معيّنة، مبني على طرق وإستراتيجيات محدّدة، والثاني لفك رموز هذا الخطاب اللغوي التداولي، ومعرفة نوع الإستراتيجيات المستعملة فيه، المبنية على أساليب وأدوات وحجج لغوية وبلاغية ومنطقية.

محلّل الخطاب أمام معادلة متشعِّبة من المعطيات الداخلية والخارجية حتى يصل إلى تحليل دقيق وحديث للخطاب تتعلَّق بالخطاب وعناصره، والسّياق ومقاصد الخطاب وإستراتيجياته، واللغة المستعملة فيه ... فيجب معرفة معانيها أوّلاً، والعلاقة الموجودة بينها ثانيا، حتَّى يتمكَّن من تحليل أي صنف من أصناف الخطابات.

الفصل الأول

- الفصل الأول-

- الخطاب: (العناصر، الإستراتيجيات، والمقاصد)-

-المبحث الأول: الخطاب وإستراتيجياته:

1- مفهوم الخطاب: أ- لغة.

ب- المصطلح في التراث العربي.

ج- المصطلح في العصر الحديث.

2- عناصر الخطاب: أ- المخَاطِب.

ب- المخاطَب.

ج- الخطاب.

3- بين الخطاب والنص.

4- الإستراتيجية الخطابية : أ- مفهوم الإستراتيجية.

ب- معايير تصنيف إستراتيجيات الخطاب.

-المبحث الثاني: السياق والتفاعل الخطابى ومقاصده.

1- السياق الخطابي.

2- التفاعل الخطابي.

3- مقاصد الخطاب القرآني.

4- متلقي الخطاب بين التفسير والتأويل.

- المبحث الأول-

- الخطاب عناصره وإستراتيجياته-

1- مفهوم الخطاب: أ- لغة.

ب- المصطلح في التراث العربي.

ج- المصطلح في العصر الحديث.

2- عناصر الخطاب: أ- المخاطِب.

ب- المخاطَب.

ج- الخطاب.

3- بين الخطاب والنص.

4- الإستراتيجية الخطابية:

أ- مفهوم الإستراتيجية.

ب- معايير تصنيف إسترتيجيات الخطاب.

يتأسَّس الخطاب علي جملة من العناصر، فهناك المخَاطِب والمخَاطب ونصّ الخطاب وسياقه، ولا يمكن إدراك معنى هذا الخطاب وأهدافه إلاّ بدراسة هذه العناصر وتحليلها، للكشف عن أدوارها الظاهرة والمضمرة في إنشاء الخطاب نصًّا وتأويلاً، ومن هنا تأتي أهميّة الدراسة التداولية في محاولتها بحث هذه العناصر ودراستها في ضوء سياقات إنتاج النّص وتلقيه، وصولاً إلى فهم مراد النص ومقاصده الدلالية والحجاجية والتأثيرية، ولأن القرآن الكريم نص تداولي بإمتياز، فقد انطلقت هذه الدراسة مستعينة بما يقدِّمه الدرس اللساني التداولي لِمحاولة الكشف عن مكونات التداولية في القرآن الكريم نصًّا وتفسيرًا.

1- مفهوم الخطاب:

أ- لغة: تخرج من المادة الأصلية لكلمة (خطاب) إشتقاقات متنوعة تحمل دلالات متكاملة، جاء في (لسان العرب): (خ ط ب) الخطب: الشأن، أو الأمر صغر أو عظم، وقيل هو بسبب الأمر يقال: ما خطبك؟ أي ما أمرك؟ ... الخطاب والمخاطَبة: مراجعة الكلام، وقد خَاطَبَهُ بالكلام مخاطبةً وخطابًا وهما يتخَاطبَان، قال الليث: والخُطبة: مصدر الخطيب... والخُطبة مثل الرسالة، التي لها أول وآخر...والمخاطبة مُفَاعلة من الخطاب والمشاورة... وفصل الخطاب: أن يحكم بالبينة، أو اليمين وقيل: أن يفصل بين الحكم وضده، وقيلَ فصل الخطاب: الفقه في القضاء"[1].

فالخطب (بسكون الهاء) هو الأمر أو الشأن، نقول: ما خطْبُك: أي ما أمرُك، والخطبة صادرة عن خطيب لها بداية ونهاية، وهي مثل الرسالة موجَّهة إلى مخاطبين، والمخاطبة هي مراجعة الكلام، والمحاورة والمشاورة بين طرفين أو أكثر، وهناك أيضًا إعمال ذهن في الخطاب، للوصول إلى التمييز بين الحق والباطل وفهم القضاء.

يرى الباحث التونسي (المختار الفجاري) إلى أنّ أهم معاني كلمة (الخطاب) في أصوله العربية تتمثل في:

- الشأن والغرض: وللدلالة على ذلك في هذه المادة يختص به المصدر المشتق منها (خطْب)، والخَطْب تردّد في القرآن الكريم خمس مرات موزَّعة على خمس سور، ففي سورة (يوسف) عليه السلام يقول الله

[1] أبو الفضل جمال الدين إبن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دط، دت، ص360/1 مادة (خ ط ب)

تعالى :« مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسَفَ عَنْ نَفْسِهِ»[1]، وفي سورة القصص سأَلَ (موسى) عليه السلام، لما وَرِدَ مَاءَ مدين، المرأتين اللتين وجَدَهُمَا تذودانِ عن السقي فقال: «ما خطبكما»[2].

– حامل الشأن أو غرض: والدلالة على ذلك في هذه المادة تشترك فيها الأفعال: خطْب وخاطب والمصادر المشتقة منها، وفي القرآن الكريم، ذكرَ الفعل (خاطب) مرتين في كل من سورتي (الفرقان وهود)، ويقصد به الكلام، كقوله تعالى:« وأصْنَعِ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذينَ ظَلَمُوا إِنَّهم مُغْرَقُونَ»[3]، كَمَا وردت الآية في سورة (ص) مع إضافة شيء جديد وهو فَصْلَ الخِطابِ، وذلك في قوله تعالى:« وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ»[4].

– والمعنى الثالث: يعني إنجاز الشأن والغرض، ففي حديث الحجاج: (أمن أهل المحاشد والمخاطب... أرَادَ أنت من الذين يخطبونَ الناس ويحثونهم على الخروج والإجتماع للفتن)، فللخطاب إذن قدرة تعبوية، وسلطة مؤثرة على السامعين، لهذا فهو يقترن دائما بالسلطة[5].

وفي مقاييس اللغة:".....يقال خَاطَبَهُ يُخَاطِبُهُ خِطَابًا، والخطبة من ذلك"[6]، أما في أساس البلاغة للزمخشري:" ...خَاطَبَهُ: أحسن الخطاب، وهو مواجهة الكلام"[7]، ونجده في تاج العروس للزبيدي:" الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا، وهما يتخاطبان"[8].

---

[1] سورة يوسف: الآية 51.

[2] سورة القصص: الآية 23.

[3] سورة هود: الآية 37.

[4] سورة (ص): الآية 20.

[5] المختار الفجاري، تأصيل الخطاب في الثقافة العربية، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، ع:100، 1993م ص31.30.29.

[6] أبي الحسين بن فارس بن زكريا: مقاييس اللغة، تح/عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دط، 1979م، ص198/2 مادة(خ ط ب).

[7] جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تح/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت،ط2، 2010م، ص255/1.

[8] محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح/ علي هلالي، مطبعة حكومة الكويت، دط، 1996م، ص375/2-376.

من خلال التعريفات المتقاربة لمادة (خ ط ب) نجد: خطاب، وخطب، وخطبة، ومخاطبة ... في مجملها تعني: الشأن والأمر مع حملها أو إنجازهما، ومراجعة الكلام، كما يمثِّل رسالة، وأيضًا مفاعله بين طرفي الخطاب أو أكثر مع الإقناع والتأثير، فهناك حوار وتفاعل وإعمال للفكر والذّهن بين المتخاطبين.

فهذا التحديد للمادة الأصلية، يبيِّن الدَّلاَلات المتنوعة لها، ودور الخطاب وعناصره في المفاعلة والتأثير والإقناع بينها، وإعمال الذِّهن والفكر، والوصول إلى الغرض أو القصد منه، لأنَّ الخطاب رسالة موجَّهة بالأساس لهذا الغرض من المخَاطِب إلى المخَاطَب فردًا أو جماعة.

ب- المصطلح في التراث العربي:

المتتبِّع لمسار تحديد مصطلح الخطاب، يجده قد حُدِّدَ من عدة زوايا مختلفة، داخلية تتعلق بالبنية والتركيب وخارجية تتعلَّق بالدّلالة والقصد والفائدة، كونُه عنصر أساسي في عملية التخاطب بين طرفيه (المتكلم والسامع)، وهذا ما يطرح إشكالاً واضحًا في أغلب الدِّراسات القديمة والحديثة، العربية منها والغربية، فهناك من ينظر إليه من زاوية الفصاحة والبلاغة والإفهام، ومحاولة مقارنة الخطاب البشري بما يتمَيَّز به الخطاب القرآني، وهذا ما نجده عند العرب (علماء الأصول والبلاغة)، وهناك من ينظر إليه من زاويته التركيبية والدلالية، والفائدة والإقناع، التأثير والتفاعل وصولاً إلى التصوّر التداولي للخطاب، وهذا ما نجده عند الغربيين.

المقصود بالخطاب في التراث العربي منحصرًا في الفصاحة والبلاغة والإفهام، مع إبراز عناصره، ومقارنته بالخطاب الذي أبهر العقول والقلوب (الخطاب القرآني)، فكانت فكرتهم أنَّ الخطابات البعيدة من الخطاب القرآني بفصاحته وبلاغته وإعجازه، لا يمكن أن نصطلح عليها بالخطاب، رغم أنَّه يستحيل مقارنة خطاب الخالق عن المخلوق، لوجود فارق كبير بينهما في كامل مستوياته.

لذلك يقول (محمد بن الطيب الباقلاني) في كتابه (إعجاز القرآن): "من كَانَ يعرف وجوه الخطاب، ويصرف في مصارف الكلام، وكَانَ كاملاً في فصاحته، جامعًا للمعرفة بوجوه الصناعة لو أنَّه أحتج عليه بالقرآن"[1].

[1] أبو بكر محمد بن الطيب البقلاني، إعجاز القرآن، تح/ السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط3، دت، ص24.

فالخطاب يطلق فقط على الكلام الرفيع من جميع مستويَاتِه، الذي يُمَيِّزُهُ عن الكلام العادي في تركيبه ودلالته، ومقارنته بكلام الله عزَّوجل المعجز والفصيح، وهو الخطاب الذي لا يقبل المقارنة مع الخطاب البشري العادي أو غير العادي، لاستحالة وصوله إلى هذه القمة في البنية والتركيب والدلالة والإنسجام ....

وبَعْدَهَا إنتقل الإهتمام إلى دور الخطاب وعناصره في الإفهام، فهو رسالة موجَّهة إلى المخَاطَب قصد إفهامه، إذا كان مهيئ له، وحتَّى يتحقَّق هذا القصد، ينبغي للكلام أن يكون واضحًا ومضبوطًا ومتواضعًا، لتتحقَّق عملية الإتِّصال والإفهام، يقول (زكريا بن محَمَّد الأنصاري) في كتابه (الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة: "الخطاب: توجيه الكلام نحو الغير للإفهام"[1].

ونجده عند (إبن حزم الأندلسي):" اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"[2] فمتى تحقَّقت فائدة الفهم تحقَّقَ الخطاب.

وما يدلُّ على أنَّ القدماء من العرب، قد تطرَّقُوا أيضًا إلى قضية عناصر الخطاب وعملية الإفهام بينهما، ما إنْفَرَدَ به (إبن فارس) في باب سمَّاه: (باب الخطاب الذي يقع به الإفهام من القائل والفهم من السامع)، بحيث يقول في معناه: "يقع ذلك بين المتخاطبين من وجهين: أحدهما الإعراب، والآخر التصريف، هذا فيمن يعرف الوجهين، فأمَّا من لا يعرفهما فقد يمكن القائل إفهام السامع بوجوه يطول ذكرها من إشارة وغير ذلك، وإنَّما المعوَّل على ما يقع في كتاب الله عزَّوجل من الخطاب أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيرهما من الكلام المشترك في اللفظ"[3].

---

[1] زكريا محمد الأنصاري: الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تح/مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان،ط1 1991م، ص68.

[2] أبو محمد علي بن حزم الأندلسي: الإحكام في أصول الأحكام، تح/أحمد محمد شاكر، مطبعة العاصمة، القاهرة،ط2، دت، ص166/2.

[3] أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: الصاحبي، تح/السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي، القاهرة، دط، دت، ص309.

فالخطاب بمفهومه العربي القديم، هو الكلام الفصيح والبليغ، القريب من خطاب القرآن، من حيث بنيته وتركيبه ودلالته ومقاصده، وهو الخطاب الذي يسعى إلى إفهام السامع، ويحقِّقُ مقاصد المتكلِّم، هذا يعني أنَّ كل كلام يتميَّز بهذه الصفات يحق لنا أن نصطلح عليه بالخطاب، فلا خطاب بدون هدف، أو إفهام السامع أو تحقيق منفعة معيَّنة للمرسل والمرسل إليه، منفعة الإفهام والفهم.

هذا المفهوم لا يختلف كثيرًا عن المفهوم العربي والغربي الحديث، غير أنَّ هذا الأخير أكثر عمقا ودراسة، بعد ظهور دراسات لسانية حديثة، ونظريات دلالية مختلفة، بحيث سَاهَمَت في تحديد مصطلح الخطاب بصورة أوسَع، فإنتقَلَ من مفهومه الضيِّق إلى ما هو أشمل، فأصبح يُنظر إليه على أنَّه وسيلة لتحقيق الفائدة، والتأثير أو إقناع السامع، والتفاعل معه .... يحمل وظائف تختلف باختلاف الخطاب والسياق والمقاصد.....

ج- المصطلح في العصر الحديث:

مصطلح الخطاب ترجمة لكلمة Discours الفرنسي، مشتق من الفعل Discrure اللآتيني الأصل الذي يعني: الجري هنا وهناك، كما أنَّ كلمة الخطاب تعبِّر عن الجدل والعقل أو النظام[1]، والترجمة الشائعة لها هي (الخطاب)، الذي يعني اللغة المستخدمة أو إستخدام اللغة، لا اللغة باعتبارها نظامًا مجرَّدًا، ويأتي الخطاب ترجمة للكلمة الروسية (Slave)، التي تعني كلمة واحدة أو طريقة في إستخدام الكلمات توحي بدرجة ما من السلطة[2]، وتبقى دلالة الأصل اللغوي لكلمة خطاب في التراث الغربي تحمل معنى الجري ذهابًا وإيابًا، وأنه فعل يتضمن معنى التدافع، الذي يقترن باللفظ اللغوي، وإرسال الكلام والمحادثة الحرة والإرتجال.

مصطلح الخطاب من المصطلحات التي تتقاطع معه دلاليًا مصطلحات أخرى، كالنَّص والكلام والقول، وهي إشكالية يواجهها النقاد في تحديد مصطلح الخطاب تحديدًا دقيقًا، لكن يبقى الخطاب عبارة عن إنجاز لغوي نجد فيه الربط بين بنيته الداخلية وظروفه المقامية، أيضًا بين مقالِه ومقامِه، ومستعمليه، من متكلِّمٍ ومُخاطَب، أي أنَّ البنية اللفظية للخطاب خاضعة لوظائف المقام وظروف

[1] الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة والفنون، الكويت، دط، 2000م ص89-90.

[2] محمد عناني: المصطلحات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط3، 2003م، ص20،21.

التَّواصل، وأنَّها لا يمكن أن تتحدَّد إلاَّ وفقًا لهذه الظروف، فيمكن تصنيف أنواع الخطاب من حيث الغرض التواصلي، كما يمكن تصنيف الخطاب، من حيث نوع المشاركة، إلى حوار ثنائي أو جماعي، وقد تكون المشاركة مباشرة بين المتخاطبين أو غير مباشرة، فتعدُّد دلالات الخطاب بتعدُّد إتجاهات ومجالات تحليله، وعلى هذا الأساس تتداخل التعريفات أحيانًا، أو تتقاطع وأحيانًا يكمِّل بعضها البعض، ولكي يتم تحليل الخطاب يجب أوَّلاً تحديد المجال الذي ينتمي إليه.

أغلب التعريفات التي كانت تصب حول الخطاب، كانت عبارة عن تصورات تركيبية لَهُ ثم دلالية، وبعدها يأتي التصور التَّداولي، من خلال أوّلاً مقارنته بالجملة، فكل ما يفوق الجملة هو خطاب عند بعض الدَّارسين وثانيًا من خلال مقارنته بالنص، أو المطابقة بينهما، فمن بين التعاريف التي تنطلق من هذا التصور ما جاء في قاموس اللسانيات لـ : (جون دي بوا Jean Dubois)" الخطاب وحدة تُساوِي أو تَفُوقُ الجملة، وهي تتكون من سلسلة تُشَكِّلُ رِسَالَة لها بداية ونهاية"[1].

وهناك من ربط الخطاب بالقول، رغم أنَّهُ لا يتَّفِق معه، فالقول يعرِّفُه (إبن جني):" أنه كل لفظ مُدِل به اللسان تامًّا كان أو ناقصًا، فالتام هو المفيد، أعني الجملة ومَا كَانَ في معناها، من نحو: صهٍ، وإيهٍ، والناقص ما كانَ بضدِّ ذلك، نحو: زيد، ومحمد، وإن، وكان أخوك، إذا كانت الزمانية لاَ الحديثة، فكل كلام قول، وليس كل قول كلاما"[2].

فالقول فيه من العموم ما لَيسَ في غيره، فهو:" يَعُمُّ الجميع، والمراد أنَّه يقع على الكلام أنَّهُ قول، ويقع على الكَلِم والكلمة أنه قول"[3].

وهناك من عرَّفَ الخطاب على أساس أنه منطوق، أو مجموعة المنطوقات، وهي الوحدة الأولية للخطاب، وهي إشارة إلى ميدان الخطاب، والممارسة الخطابية، والتشكيلية الخطابية، فيُنظر إلى الخطاب المباشر بين المخاطِب والمخاطَب الذي يُجَسِّدُهُ النطق بالكلام، دُونَ الخطاب المكتوب، يُعرِّفُه (ميشال

[1]-Jean Dubois: Dictionnaire de l'inguistique,larsusse, paris,1er èdition, 1973, p156.

[2] أبي الفتح عثمان إبن جني: الخصائص، تح/محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1986م، ص18/1.

[3] بهاء الدين عبد الله بن عقيل: شرح إبن عقيل على ألفية بن مالك، تح/ح.الفاخوري، دار الجيل، بيروت، دط، 2003م، ص14.

فوكو): "هو أحيانًا الميدان العام لمجموع المنطوقات، وأحيانًا أخرى مجموعة متميِّزة من المنطوقات، وأحيانًا ثالثة ممارسة لها قواعدها، تدل على دلالة وصف لعدد معين من المنطوقات وتشير إليها"[1]، كما يعرفه في موضع آخر بقوله: "مجموعة من المنطوقات بوصفها تنتمي إلى ذات التشكيلة الخطابية، فهو ليس وحدة بلاغية أو صورية، قابلة لأن تتكرر إلى ما لا نهاية، يمكن الوقوف على ظهورها وإستعمالها خلال التاريخ، بل هو عبارة عن عدد محصور من المنطوقات التي تستطيع تحديد شروط وجودها"[2]، فالخطاب عبارة عن مجموعة متناهية من المنطوقات التي من خلالها يشكل الخطاب، بعمل ميزة معينة، وقد يكون مضبوط بضوابط معينة، وهي ممارسة يمارسها الناطق تجاه السامع من أجل تحقيق من ورائها أغراض معينة.

عند النظر إلى الخطاب من ناحية كلامية، نجده في موقع الوسط بين اللغة والكلام، فهناك شبه تعارض بين الكلام والخطاب كحرية نسبية، واللغة كشفرة منسجمة، فإن أكثر ما يميِّز الكلام أنَّه:" كل لفظ مستَقِلّ بنفسه مفيد لمعناه، وهو الذي يُسمِّيه النحويون الجُمل، نحو، زيد أَخُوكَ، وقامَ محمد، وَضَرَبَ سعيد، وفي الدَّار أبوك وصه، ومه، ورويد، وحاء وعاء في الأصوات، وحسِّ، ولبِّ، وأف، وأوه، فكل لفظ إستقل بنفسه، وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام"[3]، وبتعبير بعض النحاة:"ما أفَادَ فائدة يحسن السكوت عليها"[4].

فالكلام الذي يكون بين طرفين أو أكثر، مع جملة لفائدة، وخضوعه للتواضع والضوابط نصطلح عليه بخطاب موجَّه لغرض معين.

الخطاب بشكل عام، بمفهوميه القديم والحديث، يبقى عبارة عن بنية لغوية تركيبية، منطوقة أو مكتوبة، يحمل أهداف متفاوتة ومتنوعة، كالتواصل مع الطرف الآخر، وإفهامه، أو إقناعه والتأثير عليه، قصد الوصول إلى مقاصد مسطَّرة وحمل منفعة متبادلة.

---

[1] ميشال فوكو: حفريات المعرفة، تر/سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1ن، 1968م، ص78.

[2] المرجع نفسه: ص111.

[3] أبي الفتح عثمان إبن جني: الخصائص، ص18/1.

[4] بهاء الدين بن عقيل: شرح إبن عقيل على ألفية بن مالك، ص12.

لكن يبقى الخطاب تُشَارِكُه عناصر أخرى ضرورية، بدونِهَا لا يكتمل الخطاب، ولا تتحقَّق عملية الإتِّصال حتَّى، تتعلق بمرسل الخطاب، ومستقبله، والسياق اللغوي وغير اللغوي الذي يجمعهما، إضافة إلى عوامل وظروف أخرى داخلية وخارجية تُسَاهم في تحديد لون الخطاب.

2- عناصر الخطاب:

العملية التواصلية والتخاطبية عملية مشتركة بين عناصرها، لاَ تتحقَّق إلاَّ بوجودها، وإذا غَابَ عنصر منها غاب التواصل والتناسق والتفاعل، لأنَّها عملية تنطلق من المتكلم أو الكاتب، إلى السامع أو المتلقي، من خلال خطاب يجمعهما وفق سياق معيَّن، وكل عنصر من هذه المجموعة مشروط بوجود عنصر آخر، ولا يكتمل عمل المخاطِب ولا يتحقَّق الخطاب، وبالتالي الفائدة والمنفعة إلاَّ بوجود طرف آخر يستقبله، كَمَا يتَوجَّب في عملية التواصل، إستعمال رمز لغوي موحَّد بين الطرفين، ومحاولة لفت إنتباه المتلقي من المخاطِب، حتّى يتحقَّق من سلامة خطابه، مع مراعاة ظروف إنتاجه، ففي غير هذا كلِّه لا تنجح العملية التواصلية التخاطبية.

في المنظور التداولي لأطراف التخاطب، تُعْتَبَرُ جميعها هامة، كون الفعل التداولي لا يتجلَّى إلاَّ بوجودها، من بين هذه الأطراف نجد:

أ- المخاطِب:

الخطاب لا يأتي من العدم أو من لا شيء، بل يخرج من المخاطِب، فمن دونه لا يَتكوَّن الخطاب ولا يُنتَج، فهو عنصر أساسي في ذلك، بحيث لا يمكننا معرفة الخطاب دون معرفة صاحبه، وعناصر قُوَّتِه وضعفه، التي تظهر من خلال جملة من العوامل تجعل عمله ناجح أو العكس، ففي داخله رصيد لغوي وفكري، أفكار ومعاني وهدف يجب أن يُحسن التعامل معها، وفق ما يتطَلَّبُه المقام.

الإنسان عادةً لا يتكلم ولا يكتب إلاَّ إذا كَانَ من وراءِه هدف ومغزى، أي مثير يُحفِّزُه، كأن تكون فكرة، أو خاطرة، أو يستمع إلى سؤال يدعوه إلى الإجابة، فيتوسَّل باللغة لكونها علامات متواضعًا عليها تُحَقِّقُ رغبته في توصيل الكلام إلى الآخرين[1]، وحتى تتحقَّق هذه الرغبة يسعَى المخاطِب إلى رصيده اللغوي ليختار من اللغة وبدائلها الممكنة مما يؤدِّي غرض رسالته، أي ما يحقق الإفادة التي لا

[1] محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط2، 2007م، ص152.

تنشأ إلا باختيار ما يصلح الخطاب[1]، لأن المخاطِب أمام مثير أو رغبة، لكنَّه في المقابل أمام معاني وأفكار وألفاظ في ذهنه، فما عليه سوى أن يختار ويقوم بعملية التركيب، والإختيار هنا ينحصر في الألفاظ التي تكون مناسبة لتلك المعاني تؤدي دورها في الخطاب، حتى يستطيع حمل فائدة، هذه الإفادة التي لا تحصل أيضًا إلا بالإحالة إلى نظام مشترك بينَ المخاطِب والمخاطب، سواءًا في استخدام نفس الرمز اللغوي، أو في نظامه وقواعده، لذلك فالعملية التواصلية تقوم على مبدأ (الإختيار والتركيب)، تُساهِم إلى حدٍّ بعيد في بيان قدرة المتكلّم التداولية في ذلك.

المرآة التي تعكس الصورة الحقيقية للمخاطِب هي الخطاب، من خلال منطلقاته وأهدافه، والأثر الذي يتركه في المخاطَب، ومدى براعته وعبقريتِه التداولية في تكوين هذا الخطاب، بَعدَ جمع مفاهيم وتصورات حسِّية شعورية ونقلها عبر أداة أو وسيلة لغوية، الغاية منها هي التأثير في أسلوب الخطاب بمنحها نوعا من التعبير، فهنا يتجلَّى الفعل الخطابي التداولي.

المخاطِب يُنظر إليه من عِدَّة زوايا تحيط بخطابه، انطلاقًا من شخصيته، وكفاءته ومقاصدِه، لأنَّ الخطاب يُجَسِّد شخصية صاحبه، من جانب ثقافته وعلمه وتجاربه، وحالته النفسية والإجتماعية أثناء فعل التخاطب وإفتراضاته للمخاطَب، وهذه كُلُّهَا عوامل تؤثر في المخاطب وخطابه، لا يمكن إغفالها لإدراك دلالة الخطاب ومقاصده[2].

نجاح الخطاب وبلوغه غايته المرجوة تتوقَّف على قدرة المخاطِب في إستعمال اللغة، وإنتاج عبارات متنوعة في عدد كبير من المواقف التواصلية، من خلال معارف مختلفة، لبناء خطابات لغوية، وفق مُحيط يحُيط به، ووفق مواقف تواصلية مميَّزة قصد تحقيق أهداف معينة، والمقاصد التي يرجو تحققها من خطابه، لأن لكل غاية خطاب، ولكل هدف وسائله اللغوية وبنيته الخطابية التي تُمكِّن المخاطب من بلوغ غايته.

[1] محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة العربية: ص152.
[2] المرجع نفسه: ص154.

فالمخاطِب أمام جملة من العناصر، التي من خلالها تُمَكِّنُه من إنجاح الخطاب، بدءًا من الغاية أو الهدف، مرورًا بالإختيار والتركيب، وصولاً إلى شخصيته وكفاءته، وقدرة توظيف وإستعمال ما لديه، إنتهاءًا إلى تحقيق مقاصده:

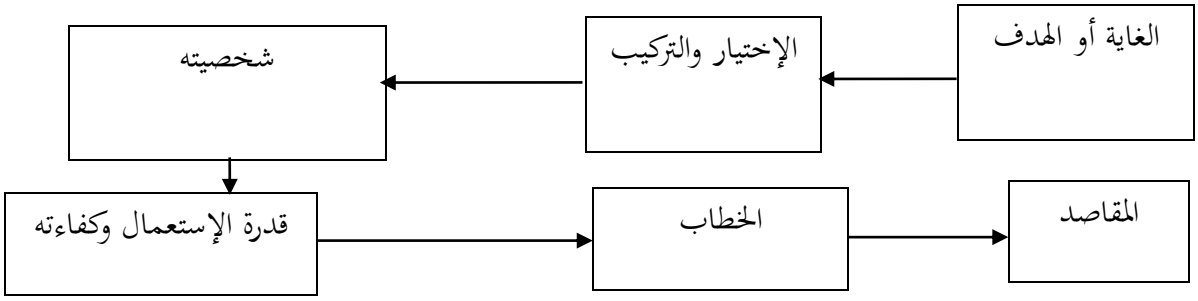

صاحب الخطاب في موضوع هذا البحث، هو المخاطب الإلهي سبحانه وتعالى، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عن طريق أو على لسان أنبيائه ورُسُلِه، مُخاطِب يختلف تمامًا عن المخاطِب الإنساني، لما بين الخالق والمخلوق من فروقٍ ظاهرة، لذلك لا يمكن مقارنته مع باقي المخاطبين الآخرين، لقوله تعالى:« لَيسَ كَمِثْلِهِ شيء»[1]، فهو خطاب لاَ يُقَارَن وَلَا يُمَثَّل أَو يُشَبَّه مع غيره من الخطابات.

شخصية وكفاءة الخطاب القرآني ثابتة وقارَّة، فالله يتصف بصفات الكمال في كل شيء، خالي من العيوب فلا تجديدٌ لخطابه أو تغييره، لأنه مختلف عن الخطاب البشري لفصاحته وبلاغته وبيانه، يقول تبارك وتعالى:« وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ الله لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلاَفًا كَثِيرًا »[2].

كلام الله عزَّوجل كلام مقدَّس موجَّه إلى الإنسان عُمُومًا، قصد الإفهام والإقناع والتأثير والإرشاد والنصح، بحيث لا ينفي صفة التداولية فيه، بالنظر إلى مكونات الفعل التداولي، من خطاب ومخاطَب، وسياق، ومناسبة نزول الآيات الكريمة، وأيضًا المقاصد التي يهدف إلى تحقيقها، لأنَّ لكل خطاب غاية يسعى لتحقيقها، وغاية القرآن الكريم في مجملها تخص الإنسان كفرد، في عبادته ومعاملته، كما تخص جماعة من الناس في معتقداتهم وديانتهم، كأهل الكتاب الذين خاطبهم الله تبارك وتعالى في أكثر من آية، بصفة مباشرة أو غير مباشرة بلسان أنبيائه (موسى وعيسى) عليهما السلام، أو بلسان رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

[1] سورة الشورى: الآية 11.

[2] سورة النساء: الآية 82.

أهل الكتاب عنصر ثانٍ من عناصر المكوِّن التداولي في الخطاب الإلهي، فهو مستقبل هذا الخطاب ومتلقيه، يتوجَّب عليه الإلتفات والإصغاء إليه، حتَّى يتَمَكَّن من تفكيكه والتفاعل معه، والتأثير بمحتوياته، على حسب مستواه ومكانته، دُون إنقاص أو زيادة لشكله ومضمونه، لأنَّهُ خطاب لا يقبل التغيير أو التحريف، ورسالة ليست كباقي الرسالات، لما تحمل من مواعظ وعبر، وأفعال كلامية مباشرة، كالأمر والنهي والإستفهام والنداء...تجعل الفعل التداولي فعلاً يحمل في طياته أغراض ومقاصد في أغلبها تخصُّ مواضيع الكف عن الكفر بالله وبآياته والشرك به، والغلو في الدين، وكتمان الحق وإظهار الباطل، وإبراز معتقداتهم وتصوراتهم الخاطئة، ومكائدهم ومواقفهم عبر التاريخ مع الله عزَّوجل وأنبيائه...

ب- المخاطَب:

المتلقي أو المخاطَب عنصر أساسي في العملية التخاطبية، فمن غير الممكن للمخاطب أن ينجز خطاب إذا كَانَ الطرف الثاني غير موجود أو غائب أو مجهول، أو ليس في أتِّم الإستعداد لإستقبال الرسالة الموجَّهة إليه، فوجود الخطاب يستدعي منطقيًا وجود مرسله ومستقبله، أي محلِّل الخطاب أو المرسل إليه، الذي أصبح محل إهتمام الدِّراسات اللسانية النقدية الحديثة، وإهتمام علم التخاطب لفهم الفعل التخاطبي كونه أحد عناصره، فلم يعُد التركيز على النص والخطاب أو الجملة فحسب كما كَانَ سائدًا في السابق، وإنما أصبح للمتلقي نصيب وافر عند أصحاب نظريات التلقي وجمالياته.

فَكَمَا للمخاطِبِ دور في الفعل التداولي، أيضا نجده عند المخاطَب، لأن الخطاب عبارة عن بنية تركيبية لغوية دلالية تحمل أبعاد ومقاصد معينة، من خلاله تتضح مهمة المخاطَب في مدى قدرته وكفاءته الذهنية واللغوية في فهم نص الخطاب وكشف دلالته التأويلية، ومقاصده المعلنة والمضمرة، أيْنَ يُمَيِّز فيه بين القارئ الحقيقي والمثالي، الذي من المفروض أن يكون أعلى كفاءة من المرسل نفسه، وإبراز مدى فشل المخاطِب في خِطابهِ.

المخاطب المقصود في موضوع البحث ليسَ فردًا واحدًا، وإنَّما عبارة عن جمهور من المتخاطبين، وهم أهل الكتاب (اليهود والنصارى)، أرادَ بهم الله عزَّوجل هدايتهم وتقويم سلوكهم وإعادتهم إلى طريق الحق، بما يعلمه من حالهم التي رُوعِيَت في هذا الخطاب، فهو يشملهم بالخطاب تارةً بصيغة

(ياأهل الكتاب)، أو بصيغة (ياأيها الذين أُوتُوا نصيبًا من الكتاب) قاصدًا علماءهم، أو (الذين هادوا)، أو بوصف النصارى من جهة واليهود من جهة أخرى..، وإذا جَاءَ الخطاب بأسلوب شامل لعلمائهم وعامتهم صرف إلى طائفة من الطائفتين ما هو لائق بها[1]، وهذا التحديد لا يشمل خطابهم كله، فهناك ما لا يحدَّد إلا بأسباب النزول، لأن تحديد المخاطَب في الآيات المنَزَّلة يسهم كثيرًا في تحديد غايات وأهداف الخطاب، ويجعل العملية الإتِّصالية أكثر فاعلية، وهو دليل على الإهتمام بالمخَاطَب المحدَّد، مِمَّا يجعله جزءًا من دلالات الخطاب، لأنَّ الخطاب موجَّه إليه ويجب أن يتمثله منهج حياة شاملة عقيدة وعبادة ومعاملة[2].

إن معرفة الخطاب الإلهي، المكي منه والمدني، وأسباب نزول الآيات، دور وفائدة كبيرة في معرفة نوع المخَاطَب لأنَّ الله يتعالى أن يخاطب خطابًا أو يرسل رسالة لا توجب فائدة لمن خوطب أو أرسلت إليه[3]. فمعرفة كل ما حول الخطاب من ظرف وحال ومقام، يساعد في فهم الخطاب وتفكيكه والوصول إلى مقاصده، ولا يتحقق ذلك إلا بالعودة إلى الخطاب نفسه، مكان وسبب نزوله، حتى يتمكن المخَاطِب من فهم الخطاب الموجه إليه خصِّيصًا، لأن وظيفة المخَاطَب هي معرفة ما يريده المخاطب من خلال ما يصل إليه من دلالات الخطاب، ومن ثم إتخاذ موقف إيجاب أو سلب.

موقف أهل الكتاب من الخطاب الموجَّه إليهم كان في الغالب سلبي، وهذا لا يعود إلى عدم قدرة الخطاب على الإقناع والتأثير، وإنَّما لإتِّخاذ المخَاطَب موقفًا متصلِّبًا وابتداءًا، لكن لحسن الحظ لم تكن هذه المواقف المتصلبِّة عند جميع المتخاطبين، فقد كانت ردود فعل إيجابية من بعضهم وإن كانت قليلة، هذا ما أشارت إليه بعض الآيات القرآنية في أكثر من مناسبة، رغم أنَّ هدف الخطاب واضحًا في مراده من أهل الكتاب (المخَاطَب)، التأثير فيهم وإقناعهم بصدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وهدايتهم إلى الحق الذي يجدونه عندهم في التوراة والإنجيل، لكنهم يظهرون بغير ذلك.

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت، لبنان، ط2، 2000م، ص434/1.

[2] محمد بن عبد الله العبيدي: دلالة السياق في القصص القرآني، إصدارات وزارة الثقافة، صنعاء، ط1، 2004م، ص238

[3] محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل أي القرآن، تح/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م، ص18/1.

الخطاب الموجَّه لأهل الكتاب يختلف عن الأنواع الأخرى من الخطابات في القرآن الكريم، لأنَّه يشمل اليهود والنصارى، مِمَّا يستدعي وجوب معرفة الخطاب ووجهته بالتحديد، هل إلى طائفة معَّينة أو إليهما معا أو لعلمائها؟.

لمعرفة ذلك ينبغي العودة إلى ظرف الخطاب وزمانه، هل هو في مكة أو في المدينة؟، وعلى من نُزِّلَت هذه الآيات، هذا يُحِيل المخَاطَب على عملية البحث والتفكيك والتحليل، خاصَّةً إذا كانَ الخطاب عام بصيغة (ياأهل الكتاب)، هل المقصود اليهود أو النصارى، أو موجَّهًا إليهما معًا؟.

لمعرفة معاني ودلالات الآيات والخطابات، على المخَاطَب الغوص في محتواها والعودة إلى مرجعيتها، أي مرجعية الفعل والحدث والمناسبة الذي نتج من خلاله الخطاب، فالمخَاطَب لا يتوقَّف فقط في تلقي الخطاب، وإنَّمَا في تفكيكيه ودراسته من مختلف جوانبه لمعرفة مقاصده الحقيقية.

ج- الخطاب:

الخطاب من العناصر الأساسية الأخرى والضرورية في عملية التواصل اللغوي، تلك العملية التي لا تتمّ إلاَّ به من خلال إنجاز سلسلة من الجمل منطوقة كانت أو مكتوبة، تَنتُج من فرد أو جماعة معيَّنة، فالخطاب بوجهه اللغوي الشكلي، أو غير اللغوي الذي تحكمه بعض المرجعيات والثقافات من عادات وتقاليد وأعراف، يُنظِّم وفق قواعد وضوابط لغوية، ووفق منهجية وإستراتيجية تخاطبيه هادفة، فهو مجسِّد فعلي لهذه الإستراتيجية، والتي كانت في متخيِّل أو ذهن المرسل مُسَبَّقًا.

الخطاب عبارة عن رسالة موجَّهة، والغاية منها تحقيق المنفعة والفائدة، والوصول إلى هدف معيَّن من ورائها الفائدة أوَّلاً بالنسبة للمرسل لأنَّه في انتظار محصول ينبغي الوصول إليه، مِمَّا يجعله يرسم إستراتيجيات مختلفة بآليات وأساليب متنوِّعة، وفائدة أخرى من جهة المتلقي لأنَّه مُطالب بفك رموز الخطاب، ومعرفة مقاصده وبالتالي الإستفادة من جهتين، معرفة محتوى الخطاب، والجانب السلوكي الإجتماعي للمرسل، مما يستوجب منه معرفة أهم الإستراتيجيات المنتهجة، وأهم الآليات والأساليب الحجاجية المنطقية المستعملة.

الخطاب باعتباره عنصر هام، لا يمكن الإستغناء عنه في العملية التواصلية، فهو من جهة أخرى مقيَّد بظروف إنتاجه، وعناصره، والسلوك النفسي والإجتماعي والسياقي، مِمَّا يُؤثِّر سلبًا أو إيجابًا بالجانب اللغوي للخطاب وإنتاجه.

الخطاب في موضوع البحث هو الخطاب القرآني، بكل ما يحملُه من مميِّزات عامة، وخطاب أهل الكتاب بكل ما يحملُه من مميِّزات خاصَّة، فهو خاص بفئة اليهود والنصارى، فئة سَايَرَت فيه دعوة الأنبياء والرسل إلى الإعتصام بحبل الله والدخول في دينه، وترك معتقداتهم، خطابٌ لهم لما قبل وأثناء الدعوة المحمَّدية، وهي حقبة زمانية ميَّزتها ظروف سياقية مغايرة وأطراف تفاعلية مختلفة، ومحيط مُتباين، يجمعها هدف واحد هو الإيمان بالله وأنبيائه ورسله وكتبه، مِمَّا جعل خطاب أهل الكتاب خطاب يتميَّز بالتبسيط والتفصيل، والتوجيه والتلميح، بآليات وأساليب وأشكال حجاجية ومنطقية، للوصول إلى هدف الرسالة السماوية الخالدة.

3- بين الخطاب والنص:

النص والخطاب من المصطلحات اللغوية التي اختلف فيها علماء اللغة، بين من فرَّق أو وحَّد بينهما، فمنهم من يرى عدم وجود فرق بينهما، والبعض الآخر يعتبر أن النص غَير الخطاب، لأنَّ النص وثيقة مكتوبة والخطاب منطوق، أي يتمُّ التواصل به شفويًا، والنص عبارة عن وحدات تبليغية متماسكة من حيث التركيب البنائي وهو سلسلة من الجمل، مترابطة ومنسجمة فيما بينها، خاضع لضوابط لغوية، أما الخطاب فهو رسالة موجَّهة من المرسل إلى المرسل إليه تحمل قصد وفائدة معينة، وبالتالي فهو عملية معقَّدة من التفاعل اللغوي بين منتجه ومستقبله.

الخطاب على عكس النص يقتضي مُخاطِبًا ومخاطَبًا، وظروف تخاطب، وعناصر تُميِّزهُ عن النص كالملفوظ والسياق مثلاً، وأن الخطاب يبقى مقيَّد بظروف إنتاجه، لذلك فالتفريق بينهما كالآتي[1]:

الخطاب Discours= النص texte + ظروف الإنتاج (السياق)condition de production-

النص texte = الخطاب Discours - ظروف الإنتاج condition de production-

فالنص بنية مركبَّة مكتوبة، مغلقة لها بداية ونهاية، صاحبُه قد يكون غائبًا، أمَّا الخطاب فهو شفوي، موضوعه مفتوح وآني، موجَّه من متكلِّم إلى سامِعٍ معيَّن، نَجِدُهُ مُبَاشَر، فيه ما فيه من الطلب والتوجيه، والتنبيه، وغيرها من الأساليب الإنشائية، تجعل منه خطابا حواريًّا تفاعليًّا بين أطرافه، فالخطاب كلمة تُستخدم للدلالة على كل كلامٍ متّصل إتِّصالاً يمكنه أن ينقل رسالة كلامية من المتكلم

[1] Jean Michel Adam, Eléments de linguistique textuelle, Théorie et pratique de l'inguistique textuelle, Mardaga,1990, p22, 23.

أو الكاتب، وليس كل خطاب نصا، وإن كانَ كل نصٍّ بالضرورة خطابًا فالكلام المتصل خطاب، ولكن لا يكون نصًّا إلاَّ إذا اكتمل ببداية ونهاية، وعبَّر عن موضوعه ببناء متماسك ومنسجم[1].

يكون الإهتمام بالجانب الشكلي والخيالي في النص أكثر ممَّا هو في الخطاب، فصاحب النص يلقي رسالته على القارئ والتأثير فيه مستعملاً مختلف الوسائل الإبداعية والفنية المختلفة، اللغوية منها والمجازية، قصد ربح القارئ والتأثير فيه فنجد أغلب النصوص تطغى عليها الوظيفة الجمالية والشعرية، بإختلاف الخطاب الذي تكون غايته منحصرة في خطاب المتلقي ولفت إنتباهِهِ والتأثير فيه، يهتم بالمضمون أكثر من الجانب الشكلي لأنَّ الغاية هو تحقيق الفائدة، فالنص بنيته عميقة، مظهره مظهر تجريدي، والخطاب بنيته سطحية مظهره حِسِّي يجسِّد وحدة لسانية تتجلَّى في ملفوظ لغوي[2].

تجمع النص والخطاب علاقة تواصلية، بالكتابة أو المشافهة، أنُتج كل واحد منهما لِقصدٍ أو هدف معيَّن الأول يطلق عليه بشكل مطلق، في حين أنَّ الخطاب يُطلق عليه بشكل خاص، والمتلقي فيه محُدَّد، وخطابه مباشر.

القرآن الكريم ليس كتاب فيه مجموعة من النصوص، يفهمها البعض ويجهلها الآخر، بل هو كتاب مفتوح لجميع الفئات والناس، التي تقف حائرة ومنبهرة وخاشعة لهُ كَأَنَّهُ يتجدَّد كل يوم، وأيضًا جمع من النصوص يميِّزها الترابط والإتِّساق والإنسجام، تحمل معاني وأغراض موجَّهة للمخاطَب، تبُطِل ما يَقُومُ به أو تُدَعِّمُهُ أو تحيلُه إلى طريق سليم، كما تحتفظ بكامل فعاليتها التوجيهية النافذة عبر الزمان والمكان بالنسبة لكل موقف إنساني، إجتماعيًا أو تاريخيا، يحتوي على عناصر الموقف الأساسي الذي كان سببا في النزول ،"فالخطاب هو مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة، أي أنه تتابع مترابط من صور الإستعمال النصي، يمكن الرجوع إليه في وقت لاحق "[3].

الرّجوع إلى القرآن الكريم، ليس الرجوع من أجل مراجعة النصوص، ولكن للتدبّر في آياته البيِّنات وعلى خلاف النص الذي يتجمَّد في قالبه، فإن الآيات حيّة ودائمة، تستدعي القراءة المستمرَّة

---

[1] خلود العموش: الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، مثل من سورة البقرة، عالم الكتب الحديث إربد، الأردن، ط1، 2008م، ص21.

[2] المرجع نفسه، ص24.

[3] روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، تر/ تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998م، ص06.

والمتجدِّدة لتكون موضع التدبر، لأهل القلوب والأبصار، فالنص عبارة عن خطاب تمَّ تثبيته بواسطة الكتابة، وهو قول مكتفٍ بذاته مكتمل في دلالته، كيانُه مغلق، لكن حركتُه ليست مغلقة.

نصوص القرآن الكريم إن هي متناهية ومحدَّدة على مستوى اللفظ، فهي ليست كذلك على مستوى المعاني وتفرّعاتها، فالقرآن الكريم يتميَّز بالإطلاقية التي تجعل الإحاطة به أمرًا مستحيلاً في جميع الأوقات، يُعطي لكل زمان ومكان ما لم يُقدَّم فيه من قبل، بخلاف النص البشري فهو محدود المعنى واللفظ.

بالنّظر إلى أغلب مواضيع أهل الكتاب في القرآن الكريم التي خصَّهُم بها، نجدُها موجَّهة إليهم بأساليب إنشائية كثيرة ومتنوِّعة، وبصُوَرٍ حجاجية وإقناعية مختلفة، من الله عز وجل مباشرةً إليهم، أو عن طريق أنبيائهم، على إختلاف الزمان والمكان، فهو خطاب يخصُّهم دون غيرهم دلَّ هذا عند مناداتهم، أو أمرهم ونهيهم، أو استفهامهم، وبيان جزائهم وعاقبتهم، كما دلَّهُ الحوار والتفاعل بينهم وبين أنبيائهم (موسى وعيسى عليهما السلام)، ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، بحيث جَاءَ كل خطاب من هذه الخطابات بمقاصد وغايات كالإيمان بالله وعدم الشرك به أحد، وتذكير النعم، والوفاء بالعهد، والإيمان بالرسل والأنبياء، وبالكتب السماوية.....

الخطاب أو الخطابات هي إنجاز للأفعال اللغوية في الأساس، الغرض منها يختلف من خطاب لآخر، ومن مقصد إلى مقصد، فقد يكون الغرض منه التأثير أو التنبيه أو التوجيه، أو الإنكار والتوبيخ، أو التعجب وغير ذلك فكيفية إنجاز هذه الأفعال، وطريقة توظيفها في السياق، هو ما يستدعي دراسة تداولية للغة في الإستعمال، من خلال دراسة كيفية إنتاج وتوليد الخطاب، الذي يتم وفق مراحل هي:

- إدراك السياق الذي يجري فيه التواصل بكل أبعاده.
- تحديد العلاقة بين السياق والعلامة المستعملة ليتم إنجاز الإستراتيجية التخاطبية الملائمة.
- التلفظ بالخطاب[1].

[1] عبد الهادي بن طافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان ط1، 2004م، ص63.

تواصل المتكلم مع غيره، تستوجب إمتلاك كفاءة ذهنية، ولغوية، تُساوي أو تفوق كفاءة السامع، ليتمكن من تحقيق غايته، أي الكفاءة التداولية La Compétence pragmatique وهي القدرة على استخدام اللغة في سياقاتها الفعلية التي تتجلَّى فيها، أو هي المعرفة المتطلبة لتحديد ما تعنيه الجمل أو التراكيب عندما نتكلم بها بطريقة ما في سياق معين.

عناصر السياق لها دور كبير في تحديد إستعمالات اللغة، إلى جانب تحديد مقاصد المتكلم، وبالتالي تحديد دلالة الخطاب، فقد تختلف مقاصد المتكلم عن دلالة الخطاب الحرفية الشكلية، بغض النظر عن السياق وظروف إنتاج الخطاب، ممَّا يولِّد معنى حرفي ظاهر، ومعنى تداولي يستدعي كفاءة عالية، أي المعنى اللغوي، والمعنى المقصود، المستعمل في ظل عناصر السياق، لِمَا لهَا من فعَّالية في تحقيق مقاصد المتكلم حَدَّدَهَا الفيلسوف اللغوي (طه عبد الرحمن) بـ":

- العنصر الذاتي: يشمل معتقدات المتكلم + مقاصده + إهتماماته + رغباته.
- العنصر الموضوعي: يشمل الوقائع الخارجية (الظروف الزمانية والمكانية) .
- العنصر الذواتي: يعني ما بين ذوات المتخاطبين من معارف مشتركة (إجتماعية، ثقافية وتاريخية) أو ما يُسمَّى بالأرضية المشتركة، وهي معرفة معقدة التركيب"[1].

فالسياق له دور كبير في دراسة وتحليل القول أو الخطاب، هذا الدور أدركَهُ علماء اللغة قديمًا وحديثًا، لمكانته الكبيرة في تحديد المعنى وتوجيهه توجيهًا دقيقًا، فنجده يستعين به كل لغوي ومفسِّر، ومحلِّل خطاب، في مسائله اللغوية أو التفسيرية، "فَلاَ نَجِد مُفَسِّرًا ولاَ أصوليًّا ولاَ لغويًّا إلاَّ ويعتبر السياق في كل إجراءاته وتطبيقاته وعيًا منه بما يكون لعناصر السياق من دور في إضاءة مجاهل نصِّه الذي هو مجمع أقوال طبيعية لرفع غموضه"[2] فالسياق له أثر كبير على مقاصد المتكلم، وأيضا على تحديد هوية العبارة.

[1] طه عبد الرحمان: الدلاليات والتداوليات، أشكال الحدود، سلسلة ندوات ومناظرات، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ط1، 1984م، ص302.

[2] إدريس مقبول: الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبوية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2006م، ص306.

4- الإستراتيجية الخطابية:

يستعمل المتكلم بصفة عامة اللغة كوسيلة هامة لتحقيق أغراض وأهداف معينة في وسطه الإجتماعي، بحيث يسعى إلى ممارسة أفعال كثيرة من أجل ذلك، غير أنَّ هذه الأهداف لا يمكن تحقيقها خارج منظومته الإجتماعية بل يساعده على ذلك سياق المجتمع الذي ينتمي إليه، مِمَّا يجعله يتَّخِذ سُبُلاً مختلفة ومتنوعة وطرق محدَّدة، تساعده على مراعاة الظروف التي تُحِيطُ به، وبالسياق الذي هو فيه، كَمَا تُسَاعِدُهُ على بلوغ هَدَفِه.

السبل والطرق التي يتَّخذها المخاطِب عبارة عن خطة ذهنية ومادية يصنعها للوصول إلى الهدف، فالخطاب تتحكَّم فيه عدة قضايا ومراحل ومرجعيات تكوينية، فهو لاَ ينشأ من العدم، بل من مرجعية ثقافية ولغوية ورصيد فكري ولغوي، وعادات وتقاليد وأعراف اجتماعية، مرورًا بقواعد وضوابط لغوية ومنطقية، وأيضا بالكفاءة اللغوية والقدرة التواصلية، حتى يصل إلى عملية الإختيار وتركيب الخطاب وبالتالي الخطة أو (الإستراتيجية) التي يراهَا مُنَاسبة له، فالخطاب قبل أن يرسم (الإستراتيجية المناسبة) يمر عبر عدَّة مراحل لأنَّها هي التي تتحكم فيه وفي خطابه، كما للسياق دور في اختيار الإستراتيجية المناسبة وتحقيق الغرض المراد.

أ- مفهوم الإستراتيجية:

مصطلح الإستراتيجية من المصطلحات الدخيلة، الذي يُستعمل في ميادين معرفية وحضارية مختلفة، مِمَّا جَعَلَه يحمل قدرًا من اللّبس، وعدم تحديده تحديدًا دقيقًا[1]، فالإستراتيجية إصطلاح عسكري، وهي علم وفن ينصرفان إلى الخطط والوسائل التي تعالج الوضع الكلي للصراع .... من أجل تحقيق هدف السياسة[2]، فهي مقترنة بالخطة العامة التي تعتمد على وسائل وتقنيات معينة، لغاية تحقيق هدف يحمل أهمية قصوى، ويعرفها الفيلسوف (ميشال فوكو) بـ:" تستعمل كلمة الإستراتيجية عادة بثلاث معانٍ:

[1] جمعان عبد الكريم: إشكالات النص، النادي الأدبي بالرياض والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2009م ص173.

[2] المرجع السابق نفسه: ص173، نقلا عن: الهيثم الأيوبي وآخرون، الموسوعة العسكرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981م، ص66.

1- للتدليل على اختيار الوسائل المستخدمة للوصول إلى غاية معينة، والمقصود بذلك هو العقلانية المستخدمة لبلوغ هدف ما.

2- للتدليل على الطريقة التي يتصرَّف بها أحد الشركاء في لعبة معينة، تبعًا لما يعتقد أنه سيكون تصرف الآخرين، ولما يخال أن الآخرين سيتصوَّرون أنه تصرفه هو، باختصار: الطريقة التي نحاول التأثير بها على الغير.

3- التدليل على مجمل الأساليب المستخدمة في مجابهةٍ ما لحرمان الخصم من وسائله القتالية وإرغامه على الإستسلام[1].

فالإستراتيجية بشكل عام هي رسم صورة عامة للخطة المنتهجة، كالوسائل المستخدمة، والطريقة المنتهجة قصد التأثير على الآخر وتحقيق الهدف، فهي كل فعل قصدي منسق للوصول إلى هدف معين[2]، لتحقيق ذلك ينبغي من وجود خطة في المقام الأول للوصول إلى الغرض، وهي على بعدين: أولهما البعد التخطيطي، وهذا البعد يتحقق في المستوى الذهني، وثانيهما البعد المادّي الذي يجسّد الإستراتيجية لتتبلور فيه فعلاً، ويرتكز العمل في كلا البعدين على الفاعل الرئيسي فهو الذي يُحلِّل السياق، ويخَطِّط لفعله، ليختار من الإمكانيات ما يفي بما يريد فعله حقًّا، ويضمن له تحقيق أهدافه[3].

تعتبر الإستراتيجية الخطابية تلك العملية التي يستعملها الإنسان لتحقيق أفعال داخل محيطه الإجتماعي، بحيث يسعى من خلالها المرسل إلى إختيار أنسب الألفاظ والعبارات والكلمات، لأنسب سياق، فهو لا يستطيع أن يرسم إستراتيجية معينة دُون أخد بعين الإعتبار السياق، أو اختيار الكلمات المناسبة له، وحسن توظيفها وإستعمالها، أو دُون إحترام مبادئ إنتمائه الإجتماعي، والمعارف المشتركة بين أفراد مجتمعه اللغوية منها والمعنوية.

الإستراتيجية الخطابية تتحدد قبل ترسيمها في الواقع، أي أن يخطِّط المتكلم ذهنيًّا قبل أن ينجزها فعليًّا، فيختار الإستراتيجية المناسبة للمقام المناسب قبل أن تكون مجَسَّدة في صورتها الشكلية، لأن الهدف من الخطاب ينطلق من خلال ما يتصّورهُ الذّهن، والأبعاد التي يريد الوصول إليها، ثم يضع

---

[1] المرجع السابق نفسه: ص173.

[2] Patrick charaudeau- Dominique Maingueneau: Dictionnaire Danalyse du Discoure, seuil,paris, 2002, p548.

[3] عبد الهادي بن طافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، ص53.

الكلمات المختارة على ذلك التصور المختار، حتى تصبح قالب لغوي متين ومنظم يحمل أبعاد تداولية، وحتّى يتمكَّن المتكلِّم من المرور بكلِّ المراحل الذهنية والنفسية والثقافية وأيضًا اللغوية، عليه أن يتمتَّع بكفاءة لغوية وتداولية، تمُكِّنه من إستعمال اللغة إستعمالاً دقيقًا يتناسب والسياق.

فالإستراتجية الخطابية تعدَّدَت تعاريفها وإستعمالاتها، غير أنّ هذه الإستعمالات تتمحور حول ما يراه الأستاذ (باتريك شارودو ودومينيك مانقونو) بـ:

- أن الاستراتيجيات هي ما يتركه الفاعل من أثر، فردًا أو جماعة، من خلال إختيار عدد معتبر من العمليات اللغوية ،بطريقة مباشرة أو غير مباشرة (شعورية أو غير شعورية).
- تتحدد الإستراتيجية من خلال بعض القواعد أو المعايير والمواصفات، بحيث لا تتضح إلا بالنظر إلى هذه الجوانب المتعلقة بها.
- الإستراتيجية خاضعة لضوابط نفسية إجتماعية، كالهدف، والمقام، والغاية، وباقي الشروط الأخرى التي يجب أن تتوفر في الطريقة المتبّعة، لمعرفة وحساب وتقدير، نوع الطريقة المتبعة[1].

الإستراتيجيات الخطابية هي الأثر الذي يتَّضح بعد عمليات لغوية ،لها علاقة مباشرة بالحالة النفسية الإجتماعية للمتكلِّم، والسياق الذي يتواجد فيه، مع الهدَف المسَطَّر، والسبيل المنتهج لتحقيقه، مع كفاءة لغوية تداولية وقدرة تواصلية.

المتكلِّم بإعتباره مُرسِلاً وطَرَفًا فعالًّاً في الخطاب، ينبغي أن يتمتَّع بمعرفة سليمة للغة التي يُوَظِّفُهَا، أي معرفة القواعد التي تحكمها(الصرفية منها والنحوية والتركيبية والدلالية)، حتَّى يتمكَّن من صياغة وتركيب جمل وخطاب بصياغة جيِّدة، تمكِّن المتلقي من الوصول إلى دلالاته ومقاصده، فالكفاية اللغوية بالنسبة للمخاطِب هي مدى معرفته لكيفية تركيب الجمل بصياغة صحيحة[2].

مهمة المخاطب ووظيفته هي إقناع المتلقي والتأثير فيه، تجعله يسعى إلى إختيار طريقة لأجل بلوغ ذلك، أي الطريقة المثلَى بجميع ما تتطلبه من شروط داخلية وخارجية، وإمكانات لغوية وغير لغوية، والملكة أو الكفاءة للدلالة على القدرة (La compétence)، هو مصطلح قام بتحديد مفهومه (تشومسكي Chomsky) للدلالة على القدرة التي يتمتّع بها الناطقُون بلغة ما والتي تمكِّنُهُم

1 -Patrick charaudeau- Dominique Maingueneau: Dictionnaire D'analyse du Discours, p548-549

[2] محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، ص148.

من إنتاج وفهم عدد لا متناه من الجمل[1]، فالملكة هي تلك الملَكة الخطابية التي تأتي للدلالة على القدرة، يتوجب على الفرد أن يتمتَّع بها لإنتاج ملفوظات تنتمي إلى تشكيلة خطابية محدَّدة، أي تحسين استعمال اللغة بكيفية مناسبة تتماشى والمقامات والأحوال المتنوعة[2].

فالملَكة أو الكفاءة الخطابية، منها لغوية وأُخرى تداولية، الفرق بينهما أن الأولى هي كل ما يحتويه المعجم اللغوي للمخاطِب من ألفاظ وكلمات وقواعد وتراكيب تساهم في بناء الخطاب، وإختيار الإستراتيجية المناسبة وتوظيفها أحسن توظيف، أمَّا الكفاءة التداولية هي النسق الذي يتعدَّى النسق الطبيعي، وهي ليست نسقًا بسيطًا، بل هي أنساق متعدِّدَة ومتآلفة، إذ تتألَّف القدرة التواصلية لدى مستعمل اللغة الطبيعية من خمس ملكات على الأقل وهي: (الملَكة اللغوية، والملكة المنطقية، والمعرفية، والإدراكية، والإجتماعية)[3]، فإنتاج الخطاب وفق هذه الملكات المتنوعة يُساهم في توليد خطاب بكفاءة تداولية، فالكفاءة اللغوية غير كافية لتحقيق عملية تواصلية مناسبة للسياق بالرغم من كونها أساسًا فيها، بل يجب أن تدعّم بالكفاءة التواصلية، فكل كفاية لها دور تُؤَدِّيه، تخص كيفية الإستخدام السليم للخطابات الناتجة عن تطبيق تلك القواعد، أي وضع الخطابات المختلفة في السياقات المناسبة، فهي متكاملة من حيث المهام.

تعتبر الإستراتيجية الخطابية كنتيجة لَما تُقَدِّمُه الكفاءة التداولية فبينهما علاقة متينة، مِمَّا يُبَيِّن قدرة المخاطِب التواصلية، من خلال معرفته للقواعد التداولية والتركيبية والصوتية والدلالية، وحسن الإنجاز في طبقات مقامية معيَّنة، قصد تحقيق أهداف تواصلية محددة[4].

الخطاب عبارة عن بنية لغوية مركَّبة، تتجسَّد وفق مستويات لغوية صوتية ومعجمية وصرفية وتركيبية فالمتكلّم يختار الطريقة أو الإستراتيجية الخطابية المناسبة إنطلاقًا من هذه البنية التي يملكها،

---

1 دومينيك مانقونو: المصطلحات المفاهيم لتحليل الخطاب، تر/ محمد يحياتن، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2008م ص23.

2 المرجع نفسه: ص24.

3 عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص57.

4 المرجع نفسه: ص61.

وإنطلاقًا من كفاءته التواصلية والتداولية، وفقًا لما يقتضيه السياق، من أجل تنفيذ إرادته، والتعبير عن مقاصده، مِمَّا يؤدِّي إل تحقيق أهدافه وفق ما يبينه المخطط التالي:

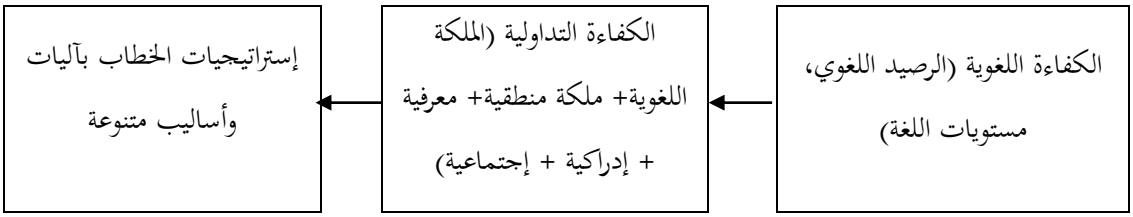

ب- معايير تصنيف استراتيجيات الخطاب:

الإستراتيجية الخطابية طريقة من بين الطرق التي يختارها المتكلم للوصول إلى غاية أو هدف معين، إستراتيجية تدور في فلك مجموعة من العناصر اللغوية وغير اللغوية، سَاهَمت في تكوينها ورسم أبعادها، فهي عملية تتحقق بوجود أطراف مشاركة فيها، ولغة تتواصل بها، ونهاية تريد الوصول إليها، تدور في فضاء داخلي وخارجي يتأثَّر بشكل مباشر أو غير مباشر في الخطاب بصورته الهادفة، إلى تحقيق غاية، رَسَم لهَا المخاطب منهجية معيَّنة لتحقيقها.

يختار المتكلم إستراتيجية خطابه وفقًا أو تبعًا لدواعي السياق والهدف أو القصد، بحيث تصبح معايير تصنيف إستراتيجيات الخطاب إنطلاقًا من تعريف الخطاب بأنه كل منطوق موجَّه به إلى الغير للتعبير عن قصد المرسل وتحقيق هدفه، إذ يتركب هذا التعريف من محاور ثلاثة:

- أن الخطاب يجري بين ذاتين.
- يعبر به المرسل عن قصده.
- أنه يحقق هدفا[1].

هذه المعايير (العلاقة بين طرفي الخطاب، وشكله، وهدفه) هي معايير من خلالها يتم تصنيف الإستراتيجية التي ينتهجها المرسل في خطابه، فالإستراتيجية الخطابية لها علاقة مباشرة بين معطيات إنتاج الخطاب المتمثِّلة في السياق، والعلاقة بين المتخاطبين والتفاعل بينهما، وعلاقة الخطاب بالمخَاطِب وكلّ ما يحُيط به، حتَّى يتمكَّن المتلقي من معرفة الأساليب والآليات اللغوية والمنطقية المستعملة،

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص86.

والآليات الحجاجية والإستدلالية والمستلزمات الحوارية وغيرها، وعليه يغدو من المسلمات البديهية في الخطاب ما يلي:

- مسلمة الحوارية، ومقتضى هذه المسلمة أن لا كلام مفيد إلا بين إثنين، لكل منهما مقامان هما مقام المتكلم ومقام المستمع.

- المسلمة التي تقول: إن علامة الخطاب الرئيسية هي اللغة الطبيعية.

- إن إنتاج الخطاب يكون بقصد ما، ولهدف معين، يسعى المتكلم إلى تحقيقه.

- إن الدلالة المباشرة هي دلالة الخطاب الرئيسية على قصد المتكلم، وتبعًا أو وفقًا لهذه المسلمات يستطيع المنتج أن ينتج خطابه حسب إستراتيجيات متفاوتة، بل وكثيرة، ولكنَّه يعمد إلى إختيار إستراتيجية معيَّنة مراعاة لعناصر السياق، ومن المهم معرفة كيفية فعل هذه المسلمات لتصبح معايير تستحق من مرسل الخطاب أخدها بعين الإعتبار[1]:

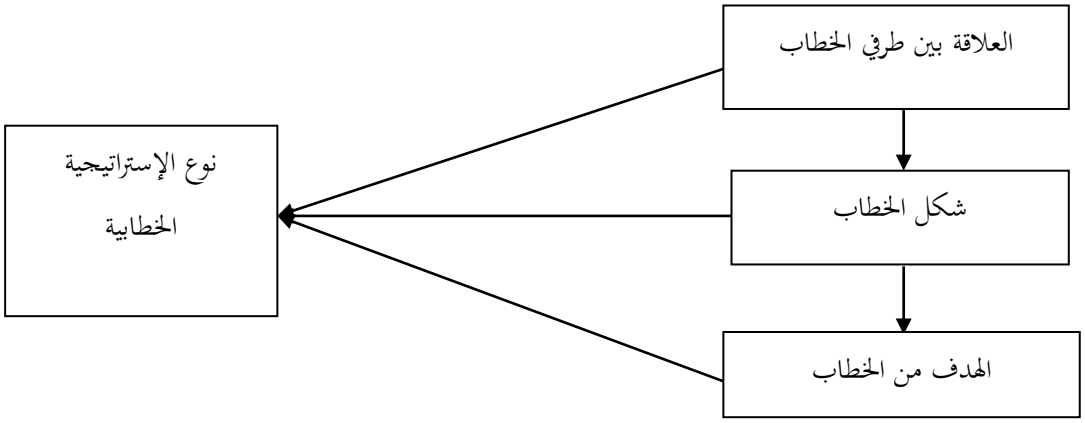

أ- العلاقة بين طرفي الخطاب:

المخاطب يتعامل مع خطابه، مع المرسل إليه، بإحدى حالتين عامتين أو معيارين إجتماعيين وهما إما:

- تقريب المرسل إليه أو التقرب منه.

- أو عدم الإكتراث بذلك في خطابه[2].

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداوليةّ، ص87.

[2] يوسف نغزاوي: الوظائف التداولية وإستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2014م، ص190.

ينُتَجُ الخطاب من خلال علاقة إجتماعية مسَبَّقة مع الآخر (المتلقي)، ومن المعارف المشتركة التي تجمعهما، أي من لغة مشتركة وعادات، وسياق داخلي وخارجي، هذا ما يجعل المخَاطِب يختار الإستراتيجية، المناسبة للمقام الذي هو فيه، والآليات والأساليب اللغوية المنطقية والإستدلال، والآليات الحجاجية المختلفة لتلك الإستراتيجية.

يختلف الخطاب من طبقة إجتماعية إلى أخرى، باختلاف المقام، كما تختلف اللغة بين إستعمالها في تلك الطبقات ومخاطبتها، وبالتالي الإستراتيجية وآلياتها تختلف أيضًا، فاختيار الإستراتيجية دُون الأخرى سببه الرئيسي السياق، وعلاقة المتخاطبين داخله وخارجه، إضافة إلى علاقة أحدهما بالآخر، ومساهمته إلى حدٍّ كبير في تحديد نوع الإستراتيجية، إلى جانب المعارف المشتركة، وافتراضات المتكلِّم مسبَّقًا.

أما إذا كانت العلاقة بين طرفي الخطاب غير موجودة سَلَفًا، فإنّ المخاطب يسعى إلى إضافة هدف آخر، وهو إقامة علاقة تخاطبية بينه وبين المتلقي، باستعمال إستراتيجية معيّنة لتقريبه إليه، والتفاعل معه وتوجيهه، فنجده يستعمل آليات وأدوات لغوية كالنهي والإستفهام والأفعال اللغوية الصريحة والمباشرة لتحقيق ذلك ....

فمعيار التقرّب من المرسل إليه أو عدم الإكتراث بذلك في الخطاب يُمثِّل إستراتيجية خطابية معينة لتقريبه إليه تُعنى بتجسيد هذا المعيار الإجتماعي لُغويًّا من خلال أدوات معيَّنة، وآليات مختارة، وهاتان الإستراتيجيتان هما:

- الإستراتيجية التضامنية.
- الإستراتيجية التوجيهية[1].

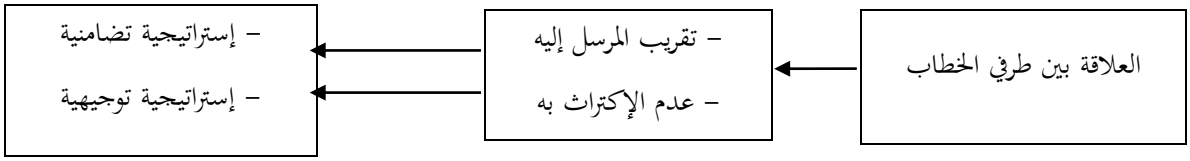

[1] المرجع السابق نفسه: ص190.

ب- شكل الخطاب:

الخطاب يأخذ شكلاً لغويًّا معيَّنًا من المخاطب يحمل معنى، هذا المعنى هو قصد المخاطِب المعبَّر عنه في الخطاب بألفاظ وأدوات لغوية متعارف عليها، وفق سياق محدد، فيكون فيه المرسل مُخْبِرًا عن خبر ما، أو طالبا لشيء ما، أي إنجاز فعل خبري أو طلبي، بطريقة أو إستراتيجية مباشرة، أو غير مباشرة (تلميحية).

فالإستراتيجية المباشرة هي التي يتوخَّاها ليدل على قصده، أو ينجز بها فعله اللغوي من خلال دلالتها الحرفية في حين يتجاوز دلالة الخطاب الحرفية في الإستراتيجية التلميحية، وتتجسَّد في هاتين الإستراتيجيتين من خلال أدوات لغوية، وآليات معينّة يعمد المرسل إلى إنتقائها وتوظيفها[1].

إذا كانت الإستراتيجية المباشرة هي التي يتطابق فيها القصد مع دلالة الخطاب الحرفية، فهذا لا يعني أنها تحظى بالأولوية دائمًا في الإستعمال على الإستراتيجية التلميحية، فقد يفضّل المرسل إستعمال الإستراتيجية التلميحية دون المباشرة في سياق ما، مع أنه قد يتخلّى عن التعبير بها في خطابه، فينحو نحو إستبدالها باستعمال الإستراتيجية المباشرة شيئا فشيئا حتى يصرح بقصده[2].

شكل الخطاب قد يكون مطابقًا للمعنى ظاهريًّا، وقد يكون غير مطابق له، مِمَّا يُحيلُه إلى معنى غير مباشر باطنيُ يمثِّل قصد المرسل، فإستراتيجية الخطاب تتحدَّد من خلال دلالة الشكل على القصد، التي تكون إما صريحة أو ضمنية:

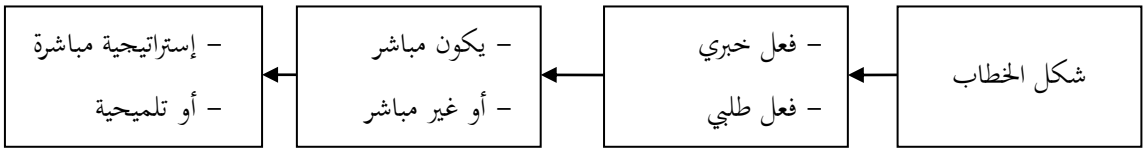

[1] عبد الهادي بن طافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص117.

[2] يوسف نغزاوي: الوظائف التداولية وإستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ص191.

ج- هدف الخطاب:

يختلف الخطاب باختلاف هدفه، فقد يكون الخطاب للإخبار أو الطلب، أو لإقامة علاقة مع المرسل إليه، أو التأثير فيه وإقناعه، ممَّا يجعل تفاوت نسبة استعمال الأدوات والآليات اللغوية المنطقية والحجاجية، كالتكرار والإصرار والإلحاح مثلا، أو التأكيد .....، بحيث يساهم في التأثير على نوع الإستراتيجية المختارة، فلا وُجُود لخطابٍ دُونَ هَدفٍ، لكن هذا الهدف تتحكَّم فيه جملة من العناصر السياقية، تساعد المرسل على اختيار الألفاظ المناسبة تعكس نوع الهدف وأهميته، فكلّما كان الهدف أكثر أهمية كان الخطاب أكثر برهانًا واستدلالاً وحجاجًا، وأيضا أكثر إستعمالاً وتَنوُّعًا للحجج اللغوية والبلاغية والمنطقية، فالإستراتيجية الحجاجية الإقناعية على سبيل المثال تحتاج إلى الإهتمام أكثر من الإستراتيجيات الأخرى (التضامنية والتلميحية والتوجيهية)، لأنَّ الهدف يختلف بينهما، رغم كونها عبارة عن صُوَر حجاجية أيضًا، فهدف الإقناع يختلف عن هدف التوجيه والتلميح، فمهمة الإقناع مُهِّمَة صعبة على المخاطب تَجْعَلُه يستعمل مختلف الحيل الحجاجية المتنوعة للإقناع المرسل إليه، فالهدف له دور كبير في انتقاء الإستراتيجية التي تعكس قيمة الهدف في حدِّ ذاته:

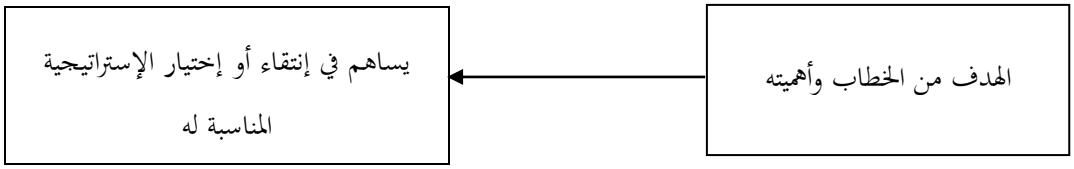

العلاقة بين طرفي الخطاب وشكل الخطاب وهدفه، هي عناصر سياقية، تُساهِم إلى حدٍّ بعيد في التأثير على الخطاب وإستراتيجيته، كون هذه العناصر لها علاقة مباشرة في المسار الذي سيتَّخِذه المخاطِب في كلامه.

عند مقارنة هذه المعايير والعناصر بخطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم، نجد أن العلاقة بين طرفي الخطاب علاقة قديمة قدم الدِّيانات، بين الأنبياء (موسى وعيسى) عليهما السلام، باليهود والنصارى، وعلاقتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم، تتجَسَّد هذه العلاقة من خلال الحوار والتفاعل بينهم، وخطاب الأنبياء والرسول الكريم لهم، ومخاطبتهم أيضًا للأنبياء، والسياق الإجتماعي السائد بينهم، وهذا ما تُبرِزُه أسباب نزول الآيات في القرآن الكريم.

أما شكل الخطاب، فهو ممزوج بين المباشر وغير المباشر، الصريح والضمني، وأمَّا الهدف من الخطاب، فهدفه واضح وجلِّي، وهو من أكبر الأهداف التي عرفتها البشرية ، فهو خطاب عام

وشامل، يدخل ضمن الدعوة إلى إتِّخاذ الدِّين الإسلامي ديناً جديدًا لهم، والإيمان بالله، وعدم الشرك به أحد، وبالأنبياء والكتب واليوم الآخر...:

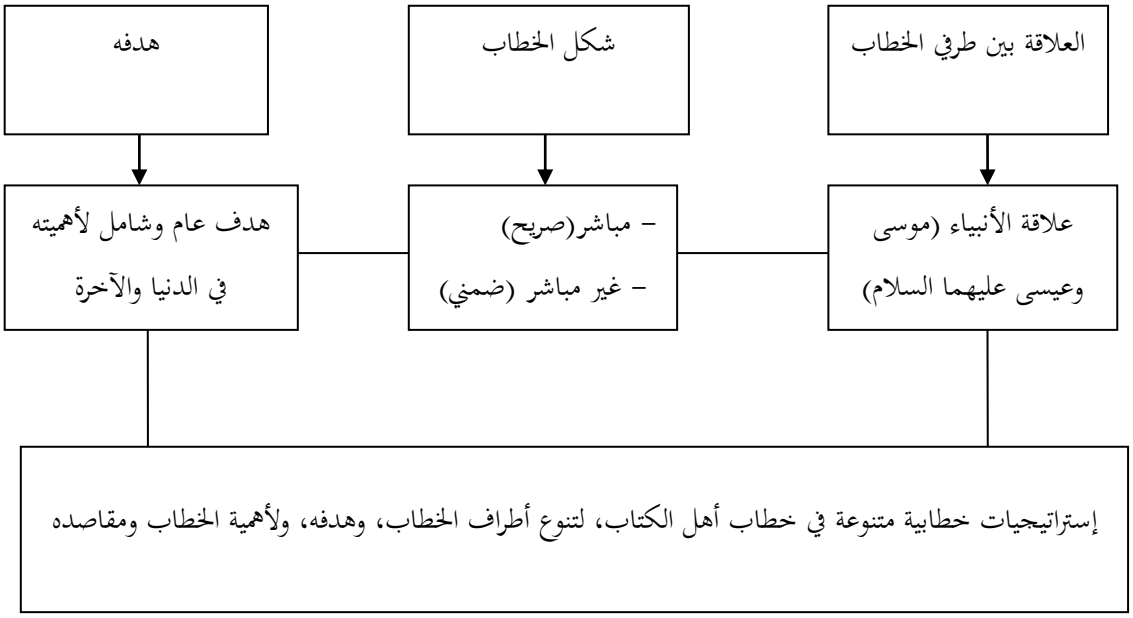

- المبحث الثاني-

- السياق والتفاعل الخطابي ومقاصده-

1- السياق الخطابي

2- التفاعل الخطابي

3- القصد والخطاب القرآني

4- متلقي الخطاب بين التفسير والتأويل.

الخطاب بنية لغوية تركيبية ودلالية تحمل معنى ظاهر ومُضمر، تَحكُمُه بعض من السياقات الخارجية المحيطة به والتي لها تأثير في تكوين الخطاب وفي إفهامه أو فهمه، تتعلق بزمان ومكان الخطاب، وحالة المخاطب النفسية والإجتماعية والأخلاقية، وكفاءته الإستعمالية والتواصلية، وتفاعلة مع الآخر وإفادته وتحقيق مقاصده فالسياق والتفاعل الخطابي ومقاصده من العناصر الهامة التي لها مكانة دائمة في كل الخطابات والنصوص، منها الخطاب القرآني الذي يحمل مقاصد عامة، وأخرى خاصّة ،لها علاقة بالسياق والفترة الزمنية ومكانها ،ومدى التفاعل الموجود فيه، الناتجة عن المتخاطبين المشاركين، وأهمية تلك القضايا والمواضيع بالنسبة إليهم، فما المقصود بالسياق والتفاعل وعلاقتهما بمقاصد الخطاب القرآني؟.

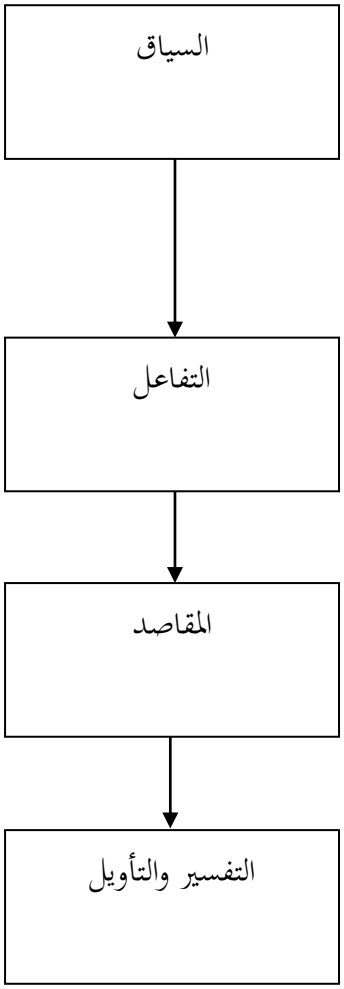

1- السياق الخطابي:

الخطاب عبارة عن قالب لغوي يحمل مقاصد معيّنة، أنتج وفق إطار زماني ومكاني معيّن، تحاط به جملة من العوامل الداخلية والخارجية التي تُساهم في التأثير على دلالة الخطاب، وإقناع المتلقي وإفهامِه، عوامل تتعلّق بعناصر الخطاب، أي بشخصيات المتخاطبين وحالتهم النفسية، وإطارهم الإجتماعي، باعتبارهما كائنان يتحاوران في زمان ومكان معين تحت ظروف سياقية تساهم في التأثير على العملية التخاطبية.

فالخطاب ينتج وفق سياق لغوي معين، وبلغة مشتركة، وبدلالات ومعاني لغوية واحدة، بحيث تكون متوافقة مع ما يفهمه المخاطَب، لأنّ الكلمة تحمل معنى خارج السياق، ومعاني في سياقات مختلفة، والمقولة لا تتحدّد معانيها ومقاصدها إلاّ في ظلّ السياق النَصّي الذي وردت فيه، فمعرفة اللغة المستعملة، ودلالاتها يُساهم كثيرًا في فهم وتفكيك الخطاب، والمعنى لا ينكشف إلاّ من خلال تسييق الوحدة اللغوية، لذا فدراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي تَرِدُ فيها، وإبراز الدّور الذي تؤديه الكلمات في السياق، والطريقة التي يتم استعمالها وتوظيفها.

كما أنّ للمتخاطبين اعتقادات وأعراف مشتركة بينهم، فالخطاب ينبع من خلال هذا الإعتقاد والمعرفة المرجعية التي يتواصل بها المتخاطبين، فهذا الإطار الثقافي يُمثِّل للمتخاطبين مرجعية التفاهم والتواصل[1]، فالسياق الثقافي هو المعين على فهم عبارات مرتبطة بالحياة الإجتماعية، وبثقافة المجتمع الدينية أو السياسية.

يحتل السياق دور مُهم في الأقوال والأفعال التي لا يستقيم فهم مقاصد الخطاب إلاَّ به، ولا تتحدَّدُ معاني الكلمات والخطابات بدون تكييف مع السياق، فالخطاب عند تكوينه يكون مقيَّد بالسياق، فهو شرط لمعرفة مضمونه، كَمَا صارَ من اللازم في عمليات التفسير والتأويل من ضبط السياق كلاميًّا ومقاميًّا، وذلك بتحديد ملابساته وأطرافه ومفرداته من السوابق واللواحق، بحيث تكون في جُملتها خدمة للمعنى والإفادة والمقاصد وبدون السياق تبقى الوحدة اللغوية تحت معاني وإحتمالات كثيرة إذا لم تكن مربوطة بقرينة أو أثر دال، والسياق في حاجة إليه كل مفسِّر لغوي في إجراءاته وتطبيقاته نَظَرًا لدور عناصر السياق في إضاءة مضامين الخطاب ورفع غموضه.

[1] نصر حامد أبو زيد، النص. السلطة. الحقيقة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط2، 1997م، ص98.

قبل نزول القرآن الكريم كَانَ العرب يتميَّزون بالفصاحة والبلاغة في الشعر والنثر، خاصَّةً منها لغة قريش التي نزل بها القرآن، ولم يكن للعرب قبل الإسلام خلوا من الثقافة، والفكر والمعتقدات، والدليل على ذلك لغتهم التي بلغت مبلغ الإتقان والإتِّساع والغِنَى، قبل زمن نزول القرآن وأثنائه وبعده، لكن تبقى اللغة العربية هي لغة القرآن، نُزِل بلغة العرب ألفاظًا ومعنًى، وبأساليبها النحوية والبلاغية، فلفهم وبلوغ مقاصده يجب التمكن من لسان العرب.

إن ثقافة عرب قريش أهَّلَتهم ليكونوا على قدر التخاطب الإلهي فَأُنزِل القرآن منهم وإليهم، وظَلَّ النبي صلى الله عليه وسلم سنوات، وهو يرجوا إيمانهم، والقرآن يخاطبهم، يلوِّن في خطابه تصعيدًا وتهديدًا ووعيدًا وجدالاً وَوَعْدًا وتنديدًا، ولم يكونوا رجاء دعوته، ومقصد رسالَتِه، لانصرف عنهم إلى سواهم، ولم يصبر عليهم هذه السنوات التي زادت على عشر، قبل أن تتوجَّه دعوة الإسلام والقرآن لسواهم من عرب الجزيرة.

إن السياق الثقافي والفكري للعرب، يمثِّل إطار أديانهم وثقافاتهم وسياساتهم، وحياتهم الإجتماعية، والعرب لم يكونوا صنفًا واحدًا، وأمة على عقيدة ناظمة لهم جميعًا، كما أن غير العرب مِمَّن ساكن العرب كانُوا جزءًا من السياق التداولي العام، فعقائد العرب وألهتهم، واليهود وكتبهم، وأتباع المسيح على إختلاف مذاهبهم وآرائهم شكَّلت بمجموعها مرجعيات تداولية إمَّا لتبنِّيها والبناء عليها، أو لتجاوزها وتفكيكها.

الحقيقة أن الكشف عن موروث العرب من المعارف والخبرات يساهم في تفسير سيرورة الدعوة الإسلامية ورحلة النص القرآني تشكُّلاً، ومن بعد ذلك تأويلا في الآفاق.

القرآن الكريم عَرفَ دعوة سرية ثم جهرية في مكة، فنجد سياق من التخاطب مع من آمن من قريش، وهم القلَّة، وتخاطب مع من كفر من قريش وهم الكثرة، أمَّا في المدينة توسَّع نطاق سياق التخاطب لوجود خطاب جديد هم أهل الكتاب (اليهود والنصارى)، إضافةً إلى بداية التحول نحو بناء الدولة، أي انتقال الإسلام من الدعوة إلى الدولة، وما يترتَّب على ذلك من سياقات تداولية تختلف بإختلاف مسار الدعوة.

فليست اللغة وَحْدَهَا ما يتوصل به فهم الخطاب القرآني عمومًا، وإنما يشاركها عوامل أخرى، تعمل على التعميق فيه وكشف دلالاته، التي تعتبر آليات المفسِّر المهمة، لبلوغ غايته في فهم معنى ذلك الخطاب، وإزالة الإشكال، الذي يعترضه بفقد هذه الآلية.

تتفرَّع هذه العوامل إلى مفاهيم متعدِّدة، تتوسَّع على الزمان والمكان، وأسباب النزول، لأن الأمر الذي يدعو المتكلم إلى تقديم صياغته على وجه معين، إما أن يتَّصل بزمن هذه الصياغة فيسمى (الحال)، وإمَّا أن يتَّصل بمكانها أو محلها فيسمى (المقام)، فلكل خطاب لابد له من بعد زماني، وبعد مكاني يقع فيه، ومن هنا ارتبطت فكرتا الحال والمقام بالخطاب، واختلاف الحال والمقام يؤدِّي إلى اختلاف صوَر الخطاب[1]، فموضوع الخطاب والمكان والزمان والكيفية في القول وداعي القول وغير ذلك من العناصر "تؤثِّر تأثيرًا مُباشرًا في كيفية القول وتركيبه ومعانيه والغرض منه.

إنَّ من الصحابة من حرص منذ الوهلة الأولى لنزول القرآن الكريم على رصد السور والآيات القرآنية وتتبعها من حيث مكان نزولها وزمانه، وسببه، كون القرآن الكريم نُزِّلَ مُفَرَّقًا حسب الوقائع والأحداث[2]، فالصحابة رضوان الله عليهم، ما أن تنزل آية إلاّ ويَعْلَمُون في من نُزِلَت وأَينَ نُزِلت ومناسبتها، وتبعهم في ذلك من خلفهم من علماء الأمة، الذين حَرصُوا على جلاء المعنى وإزالة الإشكال في الآيات بكل ما يتعلَّق بها ويعمل على تفسيرها، يقول (الإمام الشاطبي): إنَّ علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز القرآن، فضلاً عن معرفة مقاصد كلام العرب، إنّما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال: حال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو المخاطب، أو الجميع، إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، ومخاطبين، وبحسب غير ذلك ...، وعمدتها مقتضيات الأحوال، وليس كلُ حال يُنقلُ، ولا كل قرينة تقترن بنفس الكلام المنقول، وإذا فات نقل بعض القرائن الدّالة فات فهم الكلام جملة، أو فهم شيء منه[3]، فمن وسائل جلاء معنى الخطاب القرآني بوجه عام ومعنى الخطاب الموجه لأهل الكتاب بوجه خاص هو معرفة أسباب نزول الآيات، وأيضا زمان ومكان نزولها حتى

[1] محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1984م، ص229.

[2] عبد الرحمان إبن خلدون: المقدمة، تح/عبد السلام الشدادي، بين الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، ط1، 2005م، ص363/3.

[3] أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، دار الفكر العربي، ط2، 1975م، 347/3.

تتحدَّد الوجهة الخطابية بالتحديد والحدث، حتى يتمكَّن المتلقي بصفته مُحلِّل الخطاب من الوصول إلى معاني ومقاصد الفعل التداولي.

فلفهم الخطاب القرآني عُمومًا، والخطاب الموجَّه لأهل الكتاب خصوصًا، لا يكفي الوقوف عند المستوى الداخلي للغة فحسب، من خلال بنيته الصرفية والدلالية والنحوية والمعجمية، وإنَّمَا تُشاركُهُ عوامل أخرى خارجية تعمل على كشف دلالاته ومقاصده، كالزمان، وأسباب نزول الخطاب، أي معرفة حال ومقام الخطاب، فكل خطاب ولَهُ زمن ومكان صياغته، مِمَّا يؤثِّر تأثيرًا مُباشرًا في معرفة كيفية إستعماله وتركيبه ومعانيه والغرض منه، خَاصَّةً وأنّ القرآن الكريم نُزِل في بيئة معينة، في فترة ومكان محدَّدين، مُخَاطِبًا نوعًا من المتلقِّين بشكل عام أو خاص، جَعَلَهُ يَنْزِلُ متفرِّقًا، يجعل من جهته المقام عامل أساسي في معرفة مقاصد الخطاب القرآني.

المقام أو السياق هو المناخ أو الجو العام الذي يتمُّ فيه الحدث الكلامي، فهو يشمل الزمان والمكان، المخَاطِب والمخَاطَب، والأفعال التي تحرِّكُهَا، ومختلف الأشياء والحوادث التي لها صلة بالحدث الكلامي، ويتَّسع السياق ليشمل المعرفة المشتركة بين المتكلم والسامع لكل ما له علاقة بفهم المنطوق، كما يتَّسع ليشمل القبول الضمني من قبل المتكلم والسامع لكل الأعراف التي لها علاقة بالموضوع والإعتقادات، والمسلمات السابقة المعتد بها من قبل الجماعة اللغوية التي ينتمي إليها المتكلم والسامع.

إن السياق الغير لغوي هو المقام في العربية، وهو الذي يندرج تحته السياق الثقافي، والسياق العاطفي، والسياق الإجتماعي...، أي مجموع الظروف أو العلاقات الإجتماعية التي يمكن أن تؤخذ بعين الإعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الإجتماعي والسلوك اللغوي، أمّا السياق اللغوي فيتمثَّل في العلاقات الصرفية والنحوية والمعجمية وهو النظم في العربية[1].

المقام بالنسبة للخطاب ثلاث مراحل: ما قبل الخطاب، وأثناء الخطاب، وما بعد الخطاب، وكل مرحلة منها ضرورية للفهم الجيد للنص، وكُلُما جهلت مرحلة إلاّ وكان ذلك على حساب فهم السامع وإدراكه.

[1] بالمر: علم الدلالة، إطار جديد: تر/صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، دط، 1995م، ص60-61.

إنّ التداولية في مفهومها الحديث هي بلاغة جديدة، والسياق هو المقام، والبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، فالتداولية مرادفة للبلاغة لها جذورًا ممتدة في تراثنا البلاغي والنحوي والنقدي...، فقد أدرَك بلغاء العربية القدامى لظاهرة السياق من خلال عباراتهم (مقتضى الحال)، التي أنتجت مقولتهم (لكل مقام مقال)، ولكل كلمة مع صاحبتها مقام، فانطلقوا في مباحثهم حول فكرة المقام وربطها بالتركيب والصياغة فربطوا الشكل أو الأسلوب اللغوي بالمقام، وأَلَحُّوا على قيمة دراسة كيفية عمل الكلمات دراسة مفصلة فأصبح معيار الكلام في باب الحسن والقبول بحسن مناسبة الكلام لما يليق بمقتضى الحال والمقام، ويجد الباحث نفسه أمام مصطلحي الحال والمقام المرتبطين بالمقال الذي هو النص أو العبارة أو الخطاب، يقول الجاحظ:" ينبغي على المتكلِّم أن يعرِفَ أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعينَ، ويبيِّن أقدار الحالات، فيجعل لكلِّ طبقَةٍ من ذلك كلامًا، ولكلِّ حَالةٍ من ذلك مقامًا، حَتَّى يُقَسِّم أَقدَارَ الكلام على أقدار المعاني، ويقسِّم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[1].

لا يمكن تجاهل المقام في دراسة اللغة، ولا يمكن إنكار أن البراغماتية هي ذلك الفرع من اللغة الذي يجب أن يتناول مساهمة المقام في إنتاج التعبير اللغوي وبنائه وتفسيره، وفكرة دراسة اللغة من جانبيهَا، جاءت من فكرة دي سوسور في تقسيم اللغويات إلى لغويات داخلية، ولغويات خارجية، الأولى بمثابة دراسة اللغة، والثانية عبارة عن دراسة العلاقات القائمة بين اللغة من جهة، وبين الدوائر المؤثِّرة عليها كحال المخاطب وحال المتكلم وموضوع الكلام....

يُعدُّ مفهوم المقام أو السياق من أهم المفاهيم التي وضعتها التداولية نصب أعين الباحثين في تحليل الخطاب تكمن أهميته في إعتباره مكوِّنًا أساسي للخطاب، فالنظر إلى الخطاب لا يكون إلاّ بالنظر إلى المقام التواصلي الذي أُنتج فيه، وإكتشاف تأثيرات المقام في تكوين وصياغة النصوص سواءًا بالنظر إلى مقتضيات المقام التواصلي أو بالنظر إلى معرفة المتكلم بالسياق، أو بالنظر إلى متلقي الخطاب، فالتداولية تعتني بدراسة الأقوال المنجزة أو الأعمال اللغوية، وبإبراز تأثير المقام فيها، يقول: (فان دايك):"إن أحد مهام النظرية التداولية هو صياغة الشروط العامة والخاصّة، المحدِّدة لإستخراج

[1] الجاحظ عمر بن بحر المعروف بأبي عثمان الجاحظ: البيان والتبيين، تح/عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر،ط1، 1960م، ص138-139.

كمال نجاح قوة أفعال الكلام، وينبغي أن تصاغ هذه الشروط في حدود مكونات السياق التواصلي وبنيانها"[1]، كما يعرّف (جون دي بوا Dubois) المقام بـ: المعطيات المشتركة، بين المتلقي والمرسل، والوضعية الثقافية والنفسية، والتجارب والمعلومات الشائعة بينهما تساهم في التأثير على السلوك الإجتماعي واستعمال اللغة[2].

للوصول إلى معنى حقيقي لكل نص أو خطاب لغوي، يجب دراسته أوَّلاً من خلال مستوياته اللغوية (الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية)، ودراسته ثانيًا من خلال مقامه وسياق الحال، ومحيطه النفسي والإجتماعي وعلاقته، باللغة المستعملة، فالمقام (contexte) هي كل الظروف الخارجية المؤثِّرة في إنتاج النص وتلقيه وإدراكِه[3]، أي هناك مؤثِّرات لها علاقة بإنتاج الخطاب، وأخرى في تلقي هذا الخطاب وفَهمِه، فهي علاقة مشتركة بين المتخاطبين وكل ما يحيط بهما أثناء العملية التخاطبية.

هناك جوانب كثيرة تُشير إلى المقام القرآني، أشَارَ إليها علماء ومفسرون في كتب علوم القرآن والتفسير، من بينها مكان نزول القرآن الكريم (الخطاب المكي والمدني) وأيضًا أسباب النزول من خلال العودة إلى الوقائع والأحداث التي كانت سبَبًا في نزول بعض الآيات عليها، فنجد مقام أثناء الخطاب عندما يكون مباشر مع أهل الكتاب بصيغة (يا أهل الكتاب، يا أيها الدين أتوا الكتاب...)، ومقام قبل الخطاب عندما يكون خطاب على لسان الأنبياء والرسل (موسى وعيسى وهارون) عليهم السلام مع اليهود والنصارى، أو الرسول عليه الصلاة والسلام معهم، ومقام بعد الخطاب عندما يكون خطاب عام، ويكون أهل الكتاب معنيين بهِ أيضًا.

فمعرفة مكان وأسباب نزول الآيات، يُساعد إلى حدٍّ كبير في معرفة نوع المخَاطَب الموجَّه إليه هذا الخطاب هل لليهود فقط أم النصارى أيضا؟، هذا لأن أهل الكتاب في مكة ليسَ كأهل الكتاب

---

[1] فان دايك: المفهوم والسياق، إستقصاء البحث في الخطاب التداولي، تر/عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2000م، 267.

2Jean Dubois: Dictionnaire de l'inguistique, Larousse, 2eme édition, paris,1989, P69.

3 Patrick charaudeau- Dominique Maingueneau: Dictionnaire D'analyse du Discours, seuil, paris, 2002 ,p 135.

في المدينة من حيث الإستجابة للخطاب، ومعرفة من ناحية أخرى المناسبة أو القرينة أو السبب، نزل على من؟، وأيضًا معرفة زمن الخطاب هل في البدايات الأولى من الدعوة التي عرف فيها أهل الكتاب مسايرة الدعوة مع الرسول عليه الصلاة والسلام؟ أو في الحقبة الأخيرة من الدعوة المدنية أي عَرَفَ فيها أهل الكتاب التعنُّت والإنكار.

القرآن الكريم نزل مفرقا بحسب الوقائع والأحداث، وسبب النزول يأتي بعد حادثة ما، أو سؤال أثاره طرف ما، ليكون ذلك سَبَبًا، في نزول قرآن بشأنه في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، أو في عهد الأنبياء الذين سبقوه، عَرَّف العلماء سبب النزول بأنَّه: ما نزل قرآن متحدِّث عنه، أو مبين لحكمه أيام وقوعه، كحادثة أو سؤال، أي هناك آيات اختص نزولها، بكونه كَانَ عقب أمور معينة، إقتضى وقوعها نزول قرآن، فهذه الأمور، التي إقتضى وقوعها نزول هذه الآيات تسمى بأسباب النزول[1]، وقد أخرج البخاري عن إبن مسعود رضي الله عنه – أنه قال: والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله تعالى إلاَّ وأنا أعلم في من نزلت وأين نزلت[2].

إحتَاجَت آيات خطاب أهل الكتاب، لمعرفة أسباب نزولها، والوصول إلى معناها، وإزالة الإشكال فيها، لخلوها من القرائن الأخرى، التي تعمل على كشف دلالاتها، وبيان المعنى المراد منها، فمن فوائد معرفة أسباب النزول إخراج الأحداث والوقائع لما يترتب عن ذلك من دلالات وأحكام، ومن فوائده أيضا تخصيص الحكم، وإزالة اللبس والغموض على الفرد أو على الجماعة، كما تساهم أسباب النزول في تنقية الخطاب القرآني من الدخيل اللغوي لأهل الكتاب المغرض، ودحض أكاذيبهم، والتدليل على القرآن وحي من الله، ومعرفة الطرف الخاص بالخطاب من خلاله، فمن فوائد معرفة أسباب النزول الوقوف على المعنى، قال الشيخ أبو الفتح التفسيري: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز[3].

---

[1] عبد الوهاب لطفي الدليمي: أسباب النزول، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، ع17، 1994م، ص447.

[2] جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تح/محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1990م، ص12/1.

[3] بدر الدين بن محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح/محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت بيروت، لبنان، دط، دت، ص22/1.

كما لمكان نزول الآيات وزمانها دور كبير في فهمها وإبراز دلالاتها ثم تفسيرها، وقد إستمدَّ العلم بمكان النزول وزمانه وقوته وأسسه من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ممّن شهدوا نزول الآيات لأنهم كانوا يتابعون مواضعها، وعدُّوا العلم بنزول القرآن وجِهَاتِهِ، وترتيب ما نزل بمكة والمدينة ...وما نزل بالجحفة، وما نزل ببيت المقدس، والطائف والحديبية، وما نُزِلَ لَيلاً ونهارًا ...من أشرف علوم القرآن[1].

فمعرفة أسباب ومكان نزول الآيات في القرآن الكريم، وفي خطاب أهل الكتاب، يُسَاهِم إلى حدٍّ بعيد في الوقوف على المراحل الهامة من دراسة الخطاب، وعناصره، ومحيطه الداخلي والخارجي، اللغوية منها وغير اللغوية، لأن معرفة سياق ومقام الخطاب من معرفتِه، وإستراتيجيات الخطاب الموجَّه لأهل الكتاب، تنطلق من السياقات والأحداث والوقائع المختلفة، بمتلقى ومخَاطِب مختلف، وفترات زمانية تتميَّز بميِّزات متفاوتة، وجل سياقات خطاب أهل الكتاب، تعكس أهمية تحليل هذا الخطاب لمعرفة مقاصده، وفق ما تقتضيه الدِّراسات اللسانية الحديثة التي تهتم باللغة المستعملة فيه.

2- التفاعل الخطابي:

الخطاب عملية تلفظية، تشترك فيه أطراف تخاطبية في ظل سياق لغوي وغير لغوي معين، كما نجده عبارة عن فعل قصدي وإنجاز تواصلي موجَّه من مرسل إلى مرسل إليه يحمل من وراءِهِ أغراض وأهداف معيَّنة، مسطَّرة من طرف المخاطِب، تجعل المخاطَب يتفاعل معه فردًا كان أو جماعة، فالتفاعل interaction عبارة عن سلسلة من الأحداث يكون فيها عدة أشخاص هم، المعنيون بوصفهم فاعلين[2]، فيظهَر بفعل إستعمال المتكلم للغة قصد التعبير وإنجاز أحداث إجتماعية وتحقيق التفاعل، من خلال التأثير المتبادل بين المرسل للخطاب ومتلقيه، يكون بالأدلة اللغوية المتعارف عليها، مُحِيطُة بشروط سياقية ومقامية، محددة في الزمان والمكان.

فالتفاعل يتَّضح من خلال ما يتلفظه المخاطِب، فهو لا يتحقق دون ذلك، ولأنَّ الملفوظ شرط حدوث التفاعل في زمان تحدِّدُه أساليب وآليات لغوية معينة، وفي مكان يُعَدُّ منطَلَقًا لذلك

[1] جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص11/1.

[2] فان دايك: علم النص، مدخل متداخل الإختصاصات، تر/محمد سعيد البحري، القاهرة، ط1، 2001م، ص120.

الخطاب، ومن جهة أخرى يكون المتلقي سَبَبًا في ظهور هذا الملفوظ، إنطلاقا من العلاقة المشتركة والتفاعل الموجود بينَه وبين المتكلِّم، وكونه شرط أساسي أيضا في نجاح الخطاب أو فشله، فهو من يُسَاير عملية تشكيل الخطاب ورسم أبعاد تقنية لَهُ، فما أن يشرع المتكلم في النطق حتى يُقَاسِمَه المخاطب دلالاته، لأنَّ هذه الدلالات الخطابية لا تَنْزِلُ على ألفاظها نُزُولَ المعنى على المفردات في المعجم، وإنما تنشأ شيئًا فشيئًا إلى تحصيل الإتِّفاق عليها بين المتكلم ونظيره المخاطب، بعد أن تكون قد تدرجت في مجاوزة إختلاف مقتضيات مقاميهما واختلاف طرق عقدهما للدلالات[1].

التفاعل ليس صورة تعكس ما يقوله المتكلِّم للطرف الآخر، أو ما يقوله السامع له، بل يتعدَّى ذلك العلاقة المشتركة بينهما ومقوماتها، فليس ما يقصده المتكلم هو المهم فحسب، وإنما ينبغي من جهة أخرى مراعاة تأويل السامع للخطاب، وما يمكن أن يفهمه، فعلى المتكلم اختيار الألفاظ المناسبة، وإستعمال لغوي دقيق، والأخذ بعين الإعتبار ردَّة فعل المتلقي وتوقع مجرى خطابه.

إن ما تتضمنُّه بحوث التفاعل دراسة القدرة التواصلية للمتخاطبين، وهي مجموع القواعد التي تمكِّن مستعمل اللغة الطبيعية من إنتاج عبارات لغوية سليمة وفهمها في مواقف تواصلية معيَّنة، قصد تحقيق أغراض معينة [2]، فالنمودج التفاعلي شرطه أن يبلُغ المتحاور درجة التفاعل حتى يتفرَّق ويخرج عن نفسه إلى الغير، قائما بكل وظائف هذا الغير، ويستوجب هذا الشرط أن يكون المتحاور قادرًا على أن يجد نفسه في ما يغايرها ولا تستقيم له هذه الحال إلاَّ إذا إقتدر على منازعة نفسه، وهدم حماها،كما ينازع الغيرُ غيرَه، وَلاَ يستبيحُ حَمَاه هذه المنازعة التي تتجَلَّى عند الغير حينَ إنتهاضه بالإعتراف على المتكلم، فتنشأ بينهما علاقات سجالية كالدفاع والغلبة والنقد والنقص، وما إليها، ولا نستغرب هده الصبغة السجالية لهده العلاقة فليس السجال أو النِّزاع عداء ولا تعديا، وإنما هو تعبير عن مبدأ المغايرة، ومبدأ الخروج عن الذات وتحقيق لهمَا، وما كان من الممكن أن تسد مسدهما في تحقيق هذه المغايرة طرق المسايرة والتسليم، لأن بهما لا تعرف إلاَّ المماثلة والمطابقة المحصلتين لمقام الذات لا لمقام الغير، ولكي تتحقق المنازعة المشروطة في المغايرة للمتحاور، كان لابُدَّ أن يساجل نفسه بالإعتراض

[1] طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2010م ص50.

[2] أحمد المتوكل: الوظيفة بين الكلية والنمطية، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، الغرب، ط1، 2003م، ص 19.

عليها ومعارضتها، والإعتراض هنا هو النهوض بمواقف خطابية متفاوتة مع مواقف الذات، والمعارضة هي هذا الإعتراض، وقد ذهب بهذا التفاوت إلى أقصاه مقيمًا (الذات والغير) طرفين متساويين في تجربة المتحاور الخطابية، وعند هذه الدرجة فحسب، يحصل التفاعل الحق[1].

فالحجاج ينبني على مبدأين معرفيين أساسيين، هما مبدأ الإدعاء ومبدأ الإعتراض، يؤديان إلى إختلاف في الرأي أو في الدعوى، ويدفَعَان إلى الدخول في ممارسة الدفاع أو الإنتصار للدعوى، وهو ما يؤدِّي إلى تحقيق نوع من التزاوج الظاهر أو المفترض (الذات الإعتبارية) للمتكلم والمخاطب، وقد ينشأ هذا التزاوج الظاهر أو الإعتباري للمتكلم والمخاطب إزدواج في مختلف أركان العملية الحجاجية، وهي حسب الأستاذ (طه عبد الرحمن):

أ- إزدواج القصد: أي حصول الوعي بالقصدين عند كل منهما.

ب- إزدواج التكلم: كما لو كان المستمع هو الذي يتكلم، أو كما لو كانَ المتكلم يحمل لسان المستمع.

ج- إزدواج الإستماع: كما لو كان المستمع يحمل المتكلم في سمعه.

د- إزدواج السياق: يحتوي سياق إنشاء القول على نصيب من سياق التأويل، كما يحمل سياق التأويل نصيبًا من سياق الإنشاء[2].

وهكذا تكمن أهمية التفاعل المباشر والتفاعل غير المباشر (الإزدواج الإعتباري) بين المتكلم والمستمع، في ضرورة الإلتزام بطبيعة الأرضية المشتركة بينهما، وهي أرضية تضم كل الإمكانات الخطابية الخاصة بمقام ما (معلومات مضمونية، وسائل ترتيبية، وإستدلالية، ووسائل تحصيلية...) تراعي إعتقادات المتكلم والمخاطب وردود أفعالهما[3]، فالتفاعل الكلامي يقتضي الحضور الفعلي بين المتخاطبين، والتبادل الفعلي بينهما في الكلام بين شخصين أو أكثر، فهو عبارة عن مشاركة في أمور عديدة بين المتفاعلين، وفي كل حَدَث حدث عندما يلتقي أطراف الخطاب وأثناء التخاطب.

---

[1] طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 51.50.

[2] عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، مقاربة معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2000 م، ص130- نقلا عن طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص265.

[3] المرجع نفسه: ص265.

التفاعل عملية شاملة لما يحدث أثناء المقابلة بين المتفاعلين من كلام وحركات وطبيعة العلاقات بينهم والوضعية التي يدور فيها الحدث وكذلك موضوعه، فهو (التفاعل) مصطلح عام تدرج ضمنه كُلّ الأفعال التواصلية المتمثِّلة في مبدأ التعاون والإتِّصال وغيرهما، ويمكن دراسة أي نوع من التفاعل في مجال تحليل المحادثة والمحاورة والخطاب.

ينحصر التفاعل الكلامي في مجالات الإتصال والأنشطة اللغوية المتعدِّدَة التي يستعمل فيها المتفاعلون الكلام وهي أنشطة إشترطت (أوركيوني) في تحليلها الوقوف على العناصر التالية:

أ- طبيعة المكان (الإطار الزماني والمكاني).

ب- عدد الأشخاص المتفاعلين وطبيعتهم ومكانتهم وأدوارهم، وطبيعة العلاقة التي تربطهم ببعضهم.

ج- الهدف من التفاعل.

د- مدَى درجة جديته وأسلوبه (هل هو جدِّي أو هزلي، صراع أو توافقي)[1].

هذه الشروط تُضاف إليها عوامل أخرى محيطة بالتفاعل الكلامي، كالحال النفسية والإجتماعية للمتخاطبين ومستواهم الثقافي والفكري، وفئة أو نوع المتخاطبين.

تلعب الأفعال الكلامية Acte language دور فعَّال في تحويل معتقدات المتخاطبين من جهة، واستمرارية الخطاب بين أطرافه من جهة أخرى، بحيث يعمد المتخاطبون إلى مجموعة من الحيل والإستراتيجيات، يعتبرها البعض ثانوية، يرى فيها البعض أساس التبادلية الكلامية، ليضمنوا استمرار الخطاب، ويضمنوا عدم انفصال الطرف الآخر عن المشاركة فيه، لأنَّ المتكلم ينطلق من كلمة أو عبارة أو فكرة احتواها كلام الآخر لصياغة كلامه بطريقة يعمل فيها على توجيه الخطاب مع ترك المخاطب في وضع يعتقد فيه أنه لم يخرج عن موضوع الحديث، والتفاعلية هذه تتوقف على مدى إدراك المتخاطبين للأرضية المشتركة بينهما[2].

إن التبادل الكلامي يتم غالبًا، في الإستعمال المتناوب للأفعال الكلامية من قبل المتخاطبين، سواء المباشرة منها أو غير المباشرة، إن الحوار كله يتوقف على التناوب المستمر لتلك الأفعال الكلامية، إذ أن

---

[1] خليفة الميساوي: الوصائل في تحليل المحادثة، دراسة في استراتيجيات الخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012م، ص55.

[2] عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2003م، ص193- 195.

إستعمال الفعل الكلامي من المخاطب يستلزم إجابة كلامية أو غير كلامية من المخاطب تحمل في طياتها فعلاً كلاميًّا، تتوقَّف صفة المباشرة فيه على رتبة المتخاطبين، وبالتالي، فالخطاب كله مجموعة من الأفعال الكلامية[1].

خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم، خطاب من الله عزَّوجل وأنبيائه إليهم، تَمَيَّزَ بالوضوح والدِّقة والبساطة كما تَمَيَّزَ بالحجاج والجدال والإستدلال، وجِّه إلى عدد من الناس تُمثِّل ديانة وتحمل معتقدات معينة (قوم موسى وعيسى عليهما السلام)، أي اليهود والنصارى، أو أهل الكتاب، تَفَاعَل معهم الخطاب في مواضيع وأمور عديدة، كما تَفَاَعَلَ هم كذلك مع أنبيائهم، ومع خطاب الله عزَّوجل لهم ، والرسول عليه الصلاة والسلام، مِمَّا جعل الخطاب يَرِدُ بِحُجَجٍ وأفعال كلامية مباشرة وغير مباشرة، فيه ما هو ظاهر، وآخر تضمَّنَهُ الخطاب، وأساليب وآليات لغوية تُبَيِّن هذا التفاعل، وأيضًا ردة فعلهم المتمثِّلة في الإفتراء والكذب، وإستبدال الحق بالباطل، وإدعائهم بالجهل، والإستهزاء بأنبياء الله ورسوله .....، فكَانَ ردُّ الأنبياء من جهتم الإنكار والتوبيخ، وإرشادهم أو توجيههم إلى الخير بلطف، وتقديم البراهين والحجج لهم، عَسَى أن يهديهم الله عزَّوجل ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

3- القصد والخطاب القرآني:

تعد المقاصد والأغراض التي آثارها كل من (أوستين Austin) و(سيرلsearle) قضية مهمة في البحث التداولي، لأنَّ اللغة في نظامها التواصلي ما هي إلاّ تحقيق لأغراضها ومقاصدها التداولية، وما التجاوزات التي يحدثُها المتكلم إلاَّ لقصد تداولي، وعليه فإنَّه لا يمكن خرق نظام اللغة إلا في الحدود المسموح بها، أي في حدود الجواز، وهو ما يدخل في حرية الإختيار في استعمال الأساليب والتراكيب التي يريد الإفصاح عنها المتكلم لتحديد مقاصده وأغراضه.

إن مفهوم القصد والمقصدية، من المفاهيم التي نجدها عند علماء النفس الظاهراتيين والتداوليين وفلاسفة اللغة وهو لَيسَ إلاَّ جزءًا من إشكالية أعم تبحثها فلسفة الفكر، وكل ألوان النشاط العلمي هذه تسعى جاهزة لاستكشاف بواعث الكلام وآلياته النفسية والجسدية، فالمقصدية بما فيها من حالات التمني والرغبة، وباعتبارها أفعالاً ذهنية، تدفع إلى الإتِّصال بالآخر ليحصل التواصل لإعلامي

[1] عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص195.

والتفاعل، ولا يتأَتَّى هذا إلا بما للإنسان من إستعدادات فطرية قابلة لأن تسعف عند الحاجة، وبما له من معارف مختزنة في الذاكرة، يتزود بالبنيات والأطر التي ينسج على منوالها ويتحرك ضمنها، وبما له من مؤهلات للتوليد والتحويل وعقد المشابهات والإرتباطات ضمن فضاء وزمان إجتماعيين ولغويين[1].

مفهوم القصد من المفاهيم الجوهرية التي إستأثرت وما تزال بإهتمام اللسانيين، وقبلهم الفقهاء والفلاسفة والمتكلمين، وعلماء البلاغة، إذ يكفي رجوعنا إلى تراث المعتزلة مثلا للوقوف على نظرات علمية لطيفة ودقيقة[2]، فهذا (أبو هلال العسكري) نجده يُمِّيز بين القصد والإرادة، فيعتبر أن القصد مختص بفعله دُونَ فعل غيره، والإرادة غير مختصة بأحد الفعلين دون الآخر، والقصد إرادة الفعل في حال إيجاده فقط، وإذا تقدمته بأوقات لم يُسَم قصدًا، ألاَ تَرَى أنَّه لا يصح أن تقول في الكلام (قصدت أن أزورك غَدًا)[3]، كما يفرِّق بين القصد والنحو، "إذ النحو قصد الشيء من وجه واحد، يُقَال نحوته: إذ قصدته من وجه واحد والناس يقولون: الكلام في هذا على إنحاء، أي على وجوه، ورُوي أن أبي الأسود عمل كتابًا في الإعراب وقال لأصحابه: إنحو هذا النحو أي: إقصدوا هذا الوجه من الكلام، فَسُمِّيَ الإعراب نحوًا، وناحية الشيء: الوجه الذي يقصد منه، وهي فاعلة بمعنى مفعولة أي: هي منحوة"[4]، ويذهب (طه عبد الرحمن) إلى القول بأن الأصل في الكلام القصد[5]، فلا حديث عن الكلام إلاَّ مَعَ وجود القصد، وعليه فالمتكلم لا يتكلم مع غيره إلاَّ إذا كَاَن لكلامه قصد، وهذا القصد مُحَدَّد عند المتكلم ثابت لا يتغيَّر، بحيث يتَّخذ من الوسائل الكلامية والمقامية ما يعيق المخاطب على إدراك ما يريد، لذا يقول (طه عبد الرحمن): إعلم أن دلالة العبارة هي إستلزام القول للمعنى من سياقه"[6]، ويعني ذلك أن استعمال اللغة منوط بِمَا تَعَارفَ عليه أبناؤها في ألفاظها وتراكيبها ودلالاتها

---

[1] مفتاح محمد: النص من القراءة إلى التنظير، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2000م، ص100.

[2] إدريس مقبول: الأسس الإيستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبوية، ص356.

[3] أبو الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: الفروق اللغوية، تع/محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط3، 2005م،144.

[4] المرجع نفسه: ص145.

[5] طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998م، ص103.

[6] المرجع نفسه: ص103.

وما تقتضيه مقامات الكلام وأعراف الناس وأحكام الشرع أي أن دلالة الكلام لا تتم بقصد المتكلم وحده، وإنَّما بتوافق القصد مع المواضعة أو الإصطلاح:

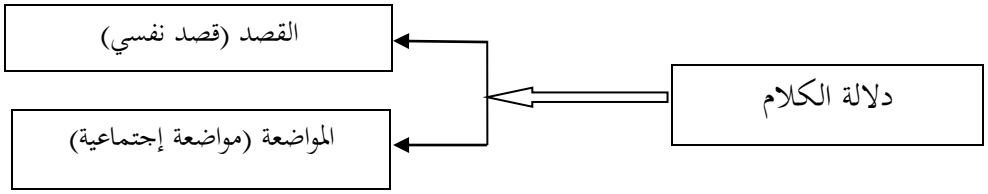

فالقصد والمواضعة من الأركان الأساسية التي تقوم عليها النظرية المقامية العربية عامة، ونظرية أفعال الكلام خاصّةً، وليس بغريب الأمر أن يقيم (إبن خلدون) حدّ اللغة عليهما بحيث يقول:

"إعلم أن اللغة في المتعارف عبارةُ المتكلِّم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني فَلاَ بدَّ أن تصيرَ مَلَكَةً مقرَّرة في العضو الفاعِل لها وهو اللِّسَان، وهو في كلِّ أمة: بحسب إصْطِلاَحَاتِهْم وكانَت الملكَةُ الحَاصِلَةُ للعرب من ذلك أحسَنَ الملكَات وأَوضَحَهَا إبانة عن المقاصد"[1]، حيث يعقد إبن خلدون العلاقة بين الوضع وإستعمال اللغة للتعبير عن المقاصد مع توفر مبدأ الإفادة في الكلام .

لا ريب أن كل فعل يقوم به الإنسان لا يأتي إلاَّ لتحقيق هدف معين، وعليه فلا يسمي الفعل فعلاً، ما لم يصحبه القصد، والقصد يصحبه إرادة المتكلِّم، فيؤثِّر القصد بمعنى إرادة فعل شيء في الحكم على الفعل نفسه، فتصبح الأفعال تابعة للمقاصد الباطنة لَدَى فاعلها، لا تابعة لشكلها الظاهري[2]، وقد جعل كل من (أوستين وسيرل) المقاصد في التفريق بين المعنى التفسيري، معنى الكلمات في الملفوظات، وقوة الأفعال الغرضية أي النتيجة التي يقصد المتكلم نقلها، وقد ركز فلاسفة اللغة على الطرائق التي يبحث عنها لنقل مقاصده إلى المخاطب، وذلك بكل الوسائل التعبيرية والغرضية، ولكن بالقدر نفسه من الأهمية يجب أن ندرك أن فهم مقاصد الآخرين شيء مركزي لنجاح التخطيط في التفاعل[3].

[1] عبد الرحمن بن محمد إبن خلدون: المقدمة، دار الجيل، بيروت، دط، دت، ص603/1.
[2] عبد الهادي بن طافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص189.
[3] المرجع نفسه: ص190.

إن إكتشاف مقاصد المتكلّم ضروري في تحصيل عملية التبليغ والتواصل، أضف إلى هذا أنَّ التلفظ دون قصد هو ما يوازي الفعل التعبيري عند (أو ستين)، إذ قد ينطق المتكلم أصواتًا مركَّبة من مفردات لغوية ذات معان معجمية وبُنَى صرفية ومنتظمة في تركيب نحوي صحيح، ومع أنَّها ذات دلالة في ذاتها، فإنها لا تنجز فعلاً دُون قصد المتكلم، فضلا عن أن تحدد قوته، لذا إنصرف اهتمام كل من (أوستين وسيرل) في دراسة أفعال الكلام إلى الفعل المقصود بالقول، فالفعل القصدي هو فعل عقلي نفسي، الهدف منه هو ربط الحالات القصدية بالواقع عن طريق التعبير عن إعتقادات، أو رغبات، أو إحساسات، أو تخوفات، ويتعلَّق بما يريد المتكلم أن يفعله في الواقع، بصيغة أخرى فإنَّ الفعل القصدي هو الفعل الإنجازي في حالة القوة، وهو بذلك يعتبر فعلاً سابقًا على باقي الأفعال الأخرى، وهذا ما يقتضي ضرورة البحث عن المقاصد وأعراف اللغة المتواضع عليها، أي إحداث أصوات تعمل وفق هذه الأعراف بطريقة يختارها المتكلم بحيث تتناسب مع مقاصده، وينبغي للمتكلم في هذه الحالة مراعاة المخاطب أو من يشاركه في الحدث اللغوي لتمام عملية التبليغ والتواصل، فحقيقة القصد كامنة في كونه يتأسَّس على قصدين:

- أحدهما: يتعلق بالتوجه إلى الغير ⟵ من خلال إرادة توجيهية إلى غيره.
- ثانيهما: يتصل بإفهام هذا الغير ⟵ من خلال إرادة إفهام الغير.

فالمتكلِّم الفعلي والحقيقي الذي يحَقِّق عملية نجاح التواصل، أي بفضل قصده المرتبط ارتباطًا وثيقًا بإرادة حصول عملية التبليغ والإفادة.

المقاصد من جهة أخرى هي عبارة عن معاني، وما الألفاظ إلاَّ وسيلة لتحصيل المراد والمبتغى، والمعنى هو المقصود من الكلام، فالإعتناء بالمعاني من المتكلّم هو إعتناءٌ بالمقاصد في حَدِّ ذاتِهِ، غير أنَّ المعنى فيه ما هو ظاهر من خلال الألفاظ، وفيه ما هو مضمر يظهر من خلال إدراك معنى الإستعمال اللغوي وسياقه، وبالتالي فالمعنى الثاني هو الذي يقصده المتكلم من كلامه.

فالقصد بوصفه هو المحور الرئيسي الذي يتجلَّى في الإستراتيجية التلميحية ، خصوصًا عند إنجاز أفعال لغوية متعدِّدة في سياقات متنوعة للخطاب ذي شكل لغوي واحد مثل خطاب الإستفهام، إذ يمكن للمتكلم أن ينجز به أفعالاً كثيرة كالطلب والإخبار، والنفي والإنكار والتوبيخ....

إن الأصل في كل فعل كلامي هو القصد، فالأفعال الكلامية على علاقة ذاتية بالحالات القصدية من بعض الجهات، فالتمييز بين المحتوى القضوي والقوة الإنجازية، يمكن سحبه على الحالات القصدية، وإنجاز فعل كلامي بمحتوى قضوي تعبير عن حالة قصدية بمحتوى تمثيلي.

فنجاح الأفعال الكلامية يرتبط بالحالات القصدية المعبِّرة عنها، وعليه لا يمكن تصور نجاح فعل كلامي من دون مطابقته بالمعنى النفسي[1]، فالأفعال الكلامية لا تشكّل إلاَّ سلوكًا من سلوكات الكائن البشري، التي ينبغي بها تحقيق أغراضه في الحياة عن طريق التواصل بواسطتها، فهي أداة من أدوات انشغاله، عماد هذه الأفعال مكونان اثنان: المحتوى الذي تحمله القضايا من جهة، والقوة الإنجازية التي توجه من جهة ثانية، وأمَّا المستويات المكوِّنة لهذه الأفعال فأربعة: مستوى النطق، ومستوى الإنجاز، ومستوى التأثير، ورابعها مستوى القصد، وبه تكون الأفعال المؤلفة للفعل الكلامي أربعة: فعل النطق، فعل الإنجاز، فعل التأثير، فعل القصد:

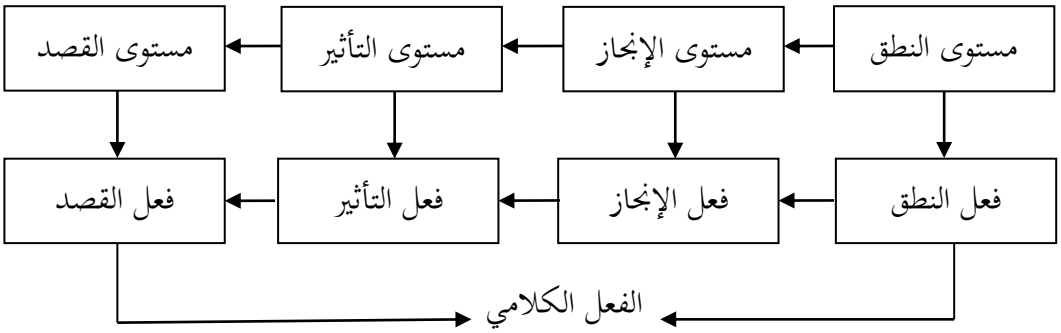

إنَّ القصد عند التداوليين مرتبط بالهدف والغاية، وهو أساس النظرية التداولية، مبني على فهم المتلقي لمراد المتكلِّم، خلافًا لمذهب علماء العربية الذين جعلوا القصد غاية المتكلم[2]، انطلاقا من اعتبار اللغة وسيلة لتحقيق غرض معين، وجعل القصد في غاية المتكلم ليس في ما يفهمه المتلقي، وفق عرف إجتماعي، ومقتضيات الأحوال، ووفق استعمال اللغة في سياق معين، فإختلاف المقاصد يترتب عليه إختلاف الأساليب والسياقات، مِمَّا يستدعي هذا تناول مقاصد الإستعمال في سياق معيَّن، يظهر من

[1] عبد العزيز بنعيش: نظرية الفعل الكلامي، مقاربة فلسفية تداولية، مطبعة أنفو، فاس، المغرب، ط1، 2013م، ص60.

[2] محمود عكاشة: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2013م، ص31.

خلاله معنى سياقي يغاير المعنى الظاهر من هنا تتضح أهمية معرفة مقاصد المتكلم، عند عدم كفاية فهم الخطاب، بمعناه الحرفي، فهناك عناصر أخرى تتدخَّل في فهم هذه المقاصد، تتمثَّل في السياق بمفهومه التواصلي.

القرآن الكريم خطاب وجِّه لعامَّة الناس، ولفئات خاصة منهم، يحمل معه مقاصد مفهومية، وأخرى تأثيرية، فأمَّا المقاصد المفهومية منها يظهر من جانبها الشكلي اللغوي عن طريق مستويات النظام اللغوي (المستوى المعجمي، والصرفي، والإشتقاقي والتركيبي) ومنها ما يظهر من خلال قرائن داخلية لفظية (كالضمير، المتصل، المنفصل، وقرائن معنوية، وقرائن سياقية)أو قرائن خارجية (كالقرائن النصية من سنة نبوية وسيرته، وأقوال الصحابة، وأشعار العرب، وأقوال أهل الكتاب) وقرائن سياقية خارجية ومعنوية كأسباب النزول، أمّا المقاصد التأثيرية فتتمثّل في المقاصد الحجاجية والإقناعية والإمتاعية (التأثير، والإقناع، والإمتاع والإبطال والإيمان....، والمقاصد الحكمية أو التقويمية كالتعظيم والتكريم والإهانة والترغيب أو الترهيب...، فالخطاب القرآني أُنزِلَ للفهم والتدبُّر، وإدراك معانيه والعمل به، وهي الغاية الأولى التي تتحقق من خلالها غايات أخرى، فالمقصد الأول للخطاب القرآني هو الفهم، ثم أثر الفهم وتأثيره، ومناطه فعل الخطاب على المخاطَب.

ليس القرآن مجرّد أقوال، بل هو أفعال كلامية بمصطلح التداوليين، فالمراد من آياته فعل مقصود ممن يقرأه فيؤمن أوّلاً أنَّهُ من عند الله، ثم يفهم عن الله مراده، ليعلم أنَّه مكلَّف بالفهم، ومن ثم العمل بمقتضى فهمه، فالقرآن الكريم جاء لتحقيق مقاصد معينَّة تتمثَّل في أفعال التكليف والإمتثال والالتزام (كمحاربة الرق والعبودية والوثنية وعبادة الأصنام، وإلغاء بعض المعتقدات، والأفكار والتصرفات...)، وأيضا أفعال الإصلاح والإرشاد والتوجيه، تحمل مقاصد تتعلَّق بالدنيا والآخرة، ومقاصد عقلية من خلال توجيه المخاطَب إلى ما هو حَسَن وقبيح، ومقاصد نفسية وروحية بفعل إرشاد المخاطَب إلى عمل الخير، وتوجيهه إلى محاربة الفساد.

مقاصد خطاب أهل الكتاب يحمل مقاصد مفهومية وتأثيرية، جاء لتصحيح إعتقادهم، وإفهامهم مبادئ الدين الإسلامي، وقيمة الشريعة الإسلامية، كما جاء لقصد التأثير فيهم، وإبطال معتقداتهم، أو إنكار وتوبيخهم لما يفْعَلون، ولقصد إيمانهم بالله عزَّوجل، وهدايتهم وإقناعهم، وخير دليل على ذلك مناداتهم بصيغة يا أهل الكتاب) أو(يا أيها الدين أُتو الكتاب) كفعل كلامي تأثيري،

الغرض منه تحقيق أهداف ومقاصد تتمثَّل في تنبيه المخاطب ولفت إنتباهه وإستعطافه، إضافة إلى أساليب إنشائية مباشرة، تَرِدُ بعد صيغة النّداء ،قصد أمرهم أو نهيهم أو إستفهامهم في أمور تخصهم، كأفعال كلامية غرضية تحمل مقاصد معينة :

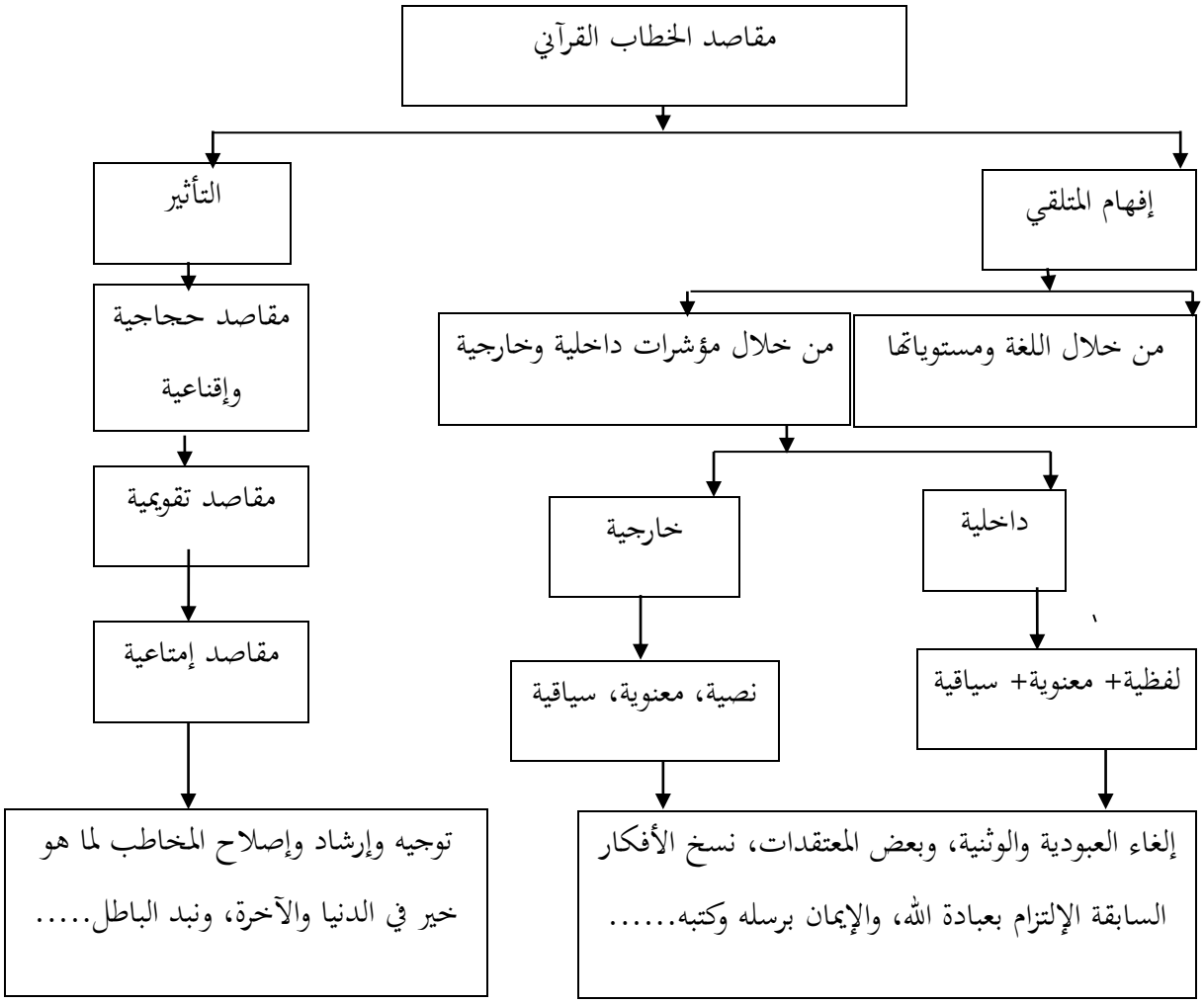

4- متلقي الخطاب بين التفسير والتأويل:

كما يختلف الخطاب عن خطاب آخر في بنيته التركيبية يختلف أيضًا دور المتلقي في فهم الخطاب بين الوقوف في تحديد معاني الخطاب من جانبه الشكلي الظاهري والتفسيري وبين الوقوف في تحديد معاني الخطاب من جانبه المضموني والباطني أو التأويلي، ممّا يستدعي الفكر الإنساني لذلك، فالتَّأويل عبارة عن ظاهرة فكرية ذات عمق بعيد في الفكر الإنساني، وقد لاَزَم الديانات السماوية المختلفة التي سَبَقَت الإسلام، وإستخدمه علماؤها لإبعاد التصوّرات التي لا تليق بالألوهية، وللتوفيق بين العقائد الدينية ومقتضيات العقل[1].

بعد نزول القرآن الكريم ،كان المفسِّر الأول له الرسول عليه الصلاة و السلام، بحيث كَانَ يبيِّن للناس ما نزل إليهم ويبلِّغهم دعوة خالقهم ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويوضح لهم معاني القرآن، وأوامره ونواهيه ، وبما أنّ القرآن الكريم نُزِلَ بلغة العرب وبأساليبهم وإستعمالاتهم، فقد فهمه كلّ من كَانَ يحُيط به وبالرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، والتفاوت في الفهم كل من كان بعيدًا عن الرسول عليه الصلاة والسلام، وعن اللغة وأساليبها، أو إنصرافهم إلى شؤونهم الخاصة، والتفاوت في الفهم ناتج أيضًا عن نظرة كل فكر إلى الخطاب، مما يؤدِّي إلي تفسير يلائم هذا التفكير والمعتقد وثقافته ومستواه العقلي.

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، بدأت تطرح قضية إختلاف مفهوم المتلقين للخطاب القرآني، وكان ذلك يزداد، بازدياد الفاصل الزمني، الذي يفصل بين المقام الأول لنُزول الخطاب، بين زمان ومقام المتلقي، ولذلك كانَ المتأخرون أكثر إختلافًا في فهم القرآن من المتقدمين.

فمنذ أن تلقى الإنسان النص الديني، وهو يلتمس الإماءات والإحاءات الخفية في عمق ذلك النص، بعد إلمامه بالدلالات الظاهرية التي يتفهمها من خلال مفردات اللغة وتراكيبها التي تنزل بها ذلك النص، فالتأويل حركة عقلية من طرف الإنسان المتلقي، تدور في مفهوم أسلوب النص المتخفي وراءَ منطوقه، إذا كان التفسير عبارة عن كشف لمعاني الألفاظ والسياقات الظاهرة للنص، فإن التأويل استشفاف للمعاني الورائية الكامنة في الإشارات الدقيقة، والمقاصد البعيدة للعبارات المكونة للنص

[1] حسين البشر علي العلو: أثر القراءات والتأويل العقيدي في القرآن الكريم، دار الكتب الوطنية، بنغازي ليبيا، طبعة2011م، ص61.

الديني، وقد عَبَّر (عبد القادر الجرجاني) عن ذلك بعبارة (معنى المعنى) وعلاقته بالمعنى من ظاهر اللفظ،" وهي أن تقول المعنى، ومعنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهرة اللفظ ،والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر"[1]، فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ.

يتمايز التأويل عن التفسير، بكونه يروم بناء مقصدية المتكلِّم ويُحدِّد أغراضه من الكلام، بخلاف التفسير الذي يقتصر على ما هو ظاهر من الخطاب، فالتأويل تفاعل معرفي، لذلك فإنه يحتوي التفسير باعتباره نظرًا في الظواهر، (فأبي هلال العسكري) يرى" أن التفسير هو.. الإخبار عن إفراد أحاد الجملة، والتأويل الإخبار بمعنى الكلام"[2]، و التأويل يحتاج لمن يتعامل به، إلى قدرة لغوية وأسلوبية، وثقافة محيطة بأحوال الخطاب القرآني وقت تنزله، حتى يكون توظيف التأويل في نطاق غير مجاوز للضوابط اللغوية والسّياقية التي يجب على المتأوّل أن يلتزمها في توجيه المعاني وإستنباطها، وحتى لا يخرج التأويل من الضرورة العقلية إلى العبث بالنص في دلالته، وهو عمل لا يقلُّ خطرًا عن العبث بحروف النص، ويجب ألاّ يؤدي التأويل إلى التحرر من سلطة النص، ولا يدفعنا إلى الخروج عن قداسة النص القرآني ،فهدف التأويل فهم أسرار القرآن، وليس القفز على النص، ويبقى التعامل مع الخطاب القرآني دائرة المقدس، ويلزم أن يكون مقصد التأويل للنص القرآني عمق فهمه، لا تغيير لمقاصده وأن نكشف أسراره لا أن نتعامل معه على أنه عمل بشري .

إنَّ إدراك المعنى المراد يتطلب معرفة واسعة للعربية وأساليبها ،والعلم بأصول الشرع وأحكامه، وغير ذلك من الشروط الواجب توافرها لمفسر كتاب الله ،لأن معرفة ما يقبل التأويل ليس بالهيّن، بل لا يستقل به إلاَّ الماهر الحاذق في علم اللغة العارف بأصول اللغة، ثم بعبارة العرب في الإستعمال، في استعاراتها وتجاوزاتها ومناهجها في ضروب الأمثال وأن لا يؤدي التأويل إلى مفسدة وسوء فهم وأن تكون فيه مصلحة محققة للمسلمين.

---

[1] عبد القادر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح/محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، ط3، 1992م، ص263.

[2] أبي هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص70.

إن الخطاب قد يكون مباشر أو غير مباشر، كما قد يكون حقيقيا أو مجازا، والتأويل يكون غالبا في الخطابات الغير مباشرة والمجازية، باعتبار أن التراكيب اللغوية تتعدد معانيها ومضامينها، بتعدد زاوية النظر إليها، إذ أنه ما من مضمون إلا ويجوز أن يأتي من فوقه مضمون غيره، وأن يأتي من فوق هذا المضمون الثاني مضمون ثالث، وهكذا من غير انقطاع [1]، كما قد يسعى المخاطب في خطاباته إلى معاني غير مباشرة، وهي التي تستفاد من التعابير اللغوية من غير أن يكون مصرحا بها في ظاهر تلك التعابير، فتصبح لها ضروبًا متعددة ومختلفة، وهي تمثل موضوعا حقيقيا للتأويل، كنموذج الاستعارة في الإستعمال المجازي مثلا يمثل داعيا حقيقيا لاشتغال التأويل، بحيث نجد المتكلم يستعير لفظ فيستعمله في غير موضعه، فيصبح هذا اللفظ في محل تأويلات متعددة .

حتى يتمكن المتلقي من التأويل عليه أن يكون أهلا لذلك، أي أن يكون عالما باللغة المستعملة، بجميع مستوياتها، وأن يتمتع بكفاءة لسانية ،تسمح له باكتشاف مؤشرات التأويل اللسانية ،وكشف الخلل الموجود في نظام اللغة، لأن لكل صوت صياغة صرفية، أو وحدة لغوية تحمل معنى محدد، وتركيب هذه الوحدات تكون عبر أساليب معينة، وكل أسلوب خصائصه، التي تجعله يحمل مقصد معين، وكل خلل في هذا النظام يخلف موضعا للتأويل، فالكفاءة اللسانية تساعد الأول على الاحتكام في خطاب المرسل، كما ينبغي أيضا للمتلقي أن يعرف السياق المقامي للخطاب، لأن معرفة ما يدور بالخطاب ومحيطه وأيضا زمان ومكانه، عبارة عن مؤشرات تدعوا إلى التأويل كلما بعثت على إلحاق متغيرات قصديه.

والتأويل يعود إلى كفاءة المتلقي الموسوعية، لأن بدون كفاءة موسوعية تكون لها علاقة مباشرة بالخطاب، يصعب تحديد موضوع التأويل، إضافة إلى كفاءة لسانية، ومعرفة السياق المقامي للخطاب، وهذا ينتج من خلال ما إكتسبه المتلقي من معارف فكرية وعملية ودينية وتاريخية، بحيث تجعله قادر على تحليل الموضوع من خلال هده التجارب والمعارف السابقة، ثم تأتي كفاء المتلقي الإستدلالية، وهي التي تحدد إذا كان الخطاب ملائم أو غير ملائم، لأن الاستدلال هو الركن الأساسي

[1] طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 23، 24.

عند المخاطب، إنطلاقا من قدرته اللسانية، ومعرفته المسبقة للمقام السياقي، ومدونته الفكرية الموسوعية التي لها علاقة بالموضوع، وصولا إلى استدلال مقاصد الخطاب إذا إستوفى معناه أو يحتاج إلى تأويل وتوضيح أكثر ممَّا هو عليه.

الفصل الثاني

-الفصل الثاني-

- قضايا التداولية وخطاب أهل الكتاب-

- المبحث الأول: التداولية مفهومها وأهم قضاياها

1- مفهوم التداولية:

أ - لغة

ب- إصطلاحا

2- مهامها.

3- أهم قضاياها: أ- أفعال الكلام

ب- التلفظ

ج- قوانين الخطاب

د- متضمنات القول

ه- الإستلزام التخاطبي

و- الحِجاج .

- المبحث الثاني: خطاب أهل الكتاب (مميِّزاته)

1- أهل الكتاب.

2- الخطاب القرآني (المكي والمدني) لأهل الكتاب.

3-الخطاب القرآني (المباشر وغير المباشر) لأهل الكتاب.

4- خصوصية الخطاب القرآني الموجَّه لأهل الكتاب.

5- موقف أهل الكتاب من الخطاب الموجَّه إليهم.

- المبحث الأول -

- التداولية مفهومها وأهم قضاياها -

1- مفهوم التداولية:

أ - لغة.

ب- إصطلاحا.

2- مهامها.

3- أهم قضاياها: أ- أفعال الكلام.

ب- التلفظ.

ج- قوانين الخطاب.

د- متضمنات القول.

ه- الإستلزام التخاطبي.

و- الحِجاج.

مدخل:

عند مقارنة اللغة بباقي الأنظمة الغير لغوية، نجدها تعتبر من بين الأنظمة الأساسية للتواصل، ما جعلها محل إهتمام علماء المنطق والفلسفة واللغة، وعلم الإجتماع، وعلم النفس وغيرهم، بحثا عن المعنى من خلال اللغة، فبفضلها تواصل وأبدع وتفاعل الإنسان مع الآخر، وبها كان للعلوم وجود، فتبدأ باللغة، وإلى اللغة تعود.

إن المنظور المقتصر على الجانب الشكلي للغة، ساهم في ظهور توجهات منطقية جديدة وغير شكلية أثرت في مناهج ونظريات الدراسات اللغوية، ففي الآونة الأخيرة تم إختراق ساحة العلوم اللغوية، بتيارات فلسفية ونفسية إتصالية، وتم تقسيم البحث اللغوي في اللسانيات الغربية الحديثة إلى نموذجين لسانيين متنافسين (المنحى الشكلي الصوري، والمنحى الوظيفي التواصلي) الذي ظهر متأخرا عن الأول بعض الشيء، وقد كانت التداولية من أسباب تعميق هوة الخلاف بين هذين التوجهين، فأصبحت محل الخلاف والتنافس بين التيارين، بل إن الكفة قد رجحت لصالح الثاني منهما، أي الإتجاه الوظيفي بدعم وتأييد من التداولية بما بثته من مفاهيم ورؤى إشتد بها عقد التيار الوظيفي الجديد، وهو درس لا يزال غزيرا حيويا منتجا يمد ساحة الدراسات اللغوية والمعرفية بأفكار ومفاهيم ورؤى جديدة، ويقيم الروابط العلمية بين فروع علمية متعددة، فمن أجل دراسة الأبعاد الإستعمالية للغة أصبح لزاما على الباحث الوعي بجوهر الخطاب التداولي وأبعاده المنهجية، وهو خطاب معرفي عام رصد مسالك الإستدلال، وطرق معالجة الملفوظات، لأنها الكفيلة بتحقيق هذه الغاية في إطار التواصل ومقتضياته التفاعلية.

التداولية هي من فروع علم اللغة، خلقت وإستقرت وتطورت من الفكر الفلسفي التحليلي، فكان للمدرسة التحليلية بزعامة (غوتلوب فريجية Gottlob Frege)، دورا أساسيا في نشأة وتكوين التداولية la pragmatique[1]، بحيث إعتبرت هذه المدرسة أن " أولى إهتمامات الفلسفة هي البحث في اللغة، وتوضيحها، وقد إعتبر فلاسفة التحليل هذا المبدأ المنهجي علامة قوة منهجهم، لذلك أنكرت الفلسفة التحليلية على الفكر الفلسفي القديم أنه لم يلتفت إلى اللغات الطبيعية، ولم يولها ما

[1] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة " الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م، ص 18.

تستحق من الدراسة والبحث فسعت إلى ردم هذه الهوة باتخاذ اللغة موضوعا للدراسة باعتبارها أولى الأولويات في أي مشروع فلسفي" [1].

البداية الأولى في تحديد مفهوم التداولية جاء على يد (موريس Morris) من خلال تمييزه لثلاثة حقول لسانية، حقل خاص بعلم النحو، الذي يدرس العلاقات بين العلامات اللغوية، وحقل بعلم الدلالة يدرس علاقة العلامات بالأشياء ، وحقل بالتداولية الذي يدرس علاقة العلامات بمفسريها[2]، وقد جعل التداولية جزءا من السيميائية، تعالج العلاقة بين العلامات ومستخدميها[3]، كما قدم (بيرس peirce) باعتباره مؤسس الدرس السيميائي إلى جانب (موريس) إضافة كبيرة في ما يخص تطور مفهوم التداولية، والسياق ، عندما ميز بين النمط والورود، فالنمط هو علامة لها كيان مجرد مثالي وتقع في اللسان، أي في الوضع اللغوي، في حين أن الورود هو الإستعمال الملموس للنمط في السياق [4].

من خلال أفكار الفلسفة التحليلية، ونظرتها إلى أهمية اللغة في الفلسفة، ظهر عدد من الفلاسفة أخذوا بنفس الفكرة منهم (فيتغنشتاين wittgenstein) و(أوستين Austin) و(سيرل searle) وآخرون من فكرة أن: " فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة، فهي التي تعبر عن هذا الفهم"[5]، فالفيلسوف (لوديفيغ فيتغنشاين) من الأوائل الذين تطرقوا إلى الجانب الإستعمالي للغة، وتطبيق الفلسفة التحليلية على اللغة، فأسس إتجاها جديدا سماه (فلسفة اللغة العادية)، وأساسها الحديث عن طبيعة اللغة وطبيعة المعنى في كلام الرجل العادي[6]، وجاء هذا بعد إهتمامه خاصة بعلاقة اللغة والفكر، باعتبارهما لا يمكن الفصل بينهما، وأن اللغة الخاصة للفرد خاضعة لقواعد وضوابط لغة مجتمعة، وقام باستبدال التواصلية محل التعبيرية، مشددا على أهمية الإستعمال، فليس الهدف الأول للغة

---

[1] المرجع السابق نفسه، ص 20.

[2] عيد بلبع: إشكالية المفاهيم السياقين الغربي والعربي، مجلة سياقات، بلنسيه للنشر والتوزيع، القاهرة، ع1، ط1، 2008م، ص 37..

[3] فرانسوازأرمينكو: المقاربة التداولية، تر/ سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، دط، دت، ص08.

[4] فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر/صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية، سوريا ، ط1، 2007م، ص 42.

[5] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 23.

[6] المرجع السابق: ص 23.

هو الفهم والتمثيل، بل هو ممارسة لتأثير فعلي للواحد في الآخر[1]، ولعل ما ميز فلسفة (فيتغنشتاين) التحليلية بحثه في المعنى وذهابه إلى أن المعنى ليس ثابتا ولا محددا، ودعوته إلى تفادي البحث في المعنى المنطقي الصارم"، [2] فالمعنى غير ثابت، يتغير ويتطور كلما تم البحث فيه، فهو خاضع لبحوث ومعاني أخرى، وخاضع لإحتمالات وقراءات وتأويلات.

من فلسفة اللغة العادية والطبيعية، نشأت (نظرية أفعال الكلام)، بعدما تبناها فلاسفة مدرسة (أوكسفورد)، ولا سيما (جون أوستين ,J.Austin)، بحيث يرى أن اللغة والفكر، شيئان متساويان، ولا يمكن الفصل بينهما، واللغة وظيفتها تأثيرية على الآخر، قبل أن تكون تواصلية للآخر"[3] كما يرى أن كل قول ملفوظ يعد عملا، وميز بين نوعين من الملفوظات، ملفوظات ثابتة تقريرية، تمثل وضعيات الأشياء، قد تكون حقيقية أو خاطئة، وملفوظات إنجازية تعارض الصدق والكذب، من خلال كتابه (How to do thing with words) أي: كيف تنجز أفعالا بالألفاظ الذي ترجم إلى الفرنسية (quand dir c'est faire)، كما يعد صاحب فكرة أو نظرية أفعال الكلام (les actes de langage)، والتي طورها فيما بعد وصنفها تلميذه (جون سيرلJohn searl) من خلال كتابه: (Les actes de langage : essai de philosophie du langage)

ويعد (أوستن) وتلميذه (سيرل) من أبرز مؤسسي المدرسة التداولية، ثم جاءت جهود الفيلسوف (بول غرايس p.Grice) في تطوير الدرس التداولي، ولا سيما في حديثه عن مبادئ المحادثة.[4]

1– مفهوم التداولية:

1– لغةً: تداولَ، دالَ يدول دولاً، إنتقَلَ من حالٍ إلى حال، وأدال الشيء جعله متداوَلاً، "وتداولت الأيدي الشيء أخذته هذه مرة وتلك مرة" وقالوا دواليك أي مداولة على الأمر، قال سيبويه: وإن شئت حملته على أنَّه وقع في هذه الحال " ومعنى (تثنية) دواليك أنه فعل من إثنين لأني إذا داولت

[1] فرانسوازأرمينكو: المقاربة التداولية، ص 22، 23.

[2] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 23.

[3] J.l. Austin= Quand dire c'est faire, introduction, traduction et commentaire par (gilles lane), Edition du seuil- paris, 1970p 13.14

[4] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 23.

فمن كل واحد منا فعل"[1]، وزيادة الألف بين الفاء والعين معناها المشاركة هنا، ويقترب بهذا (سيبويه) إلى المفهوم اللساني الحديث للتداولية باعتبارها تفاعلاً خطابياً.

2) إصطلاحًا:

التداولية من المصطلحات التي صَعُبَ ويصعُب تحديدها وحصرها بتعريف شامل ودقيق، لِسعتها وإلتقائها مع ميادين علمية وفكرية حديثة مختلفة ، ممَّا جعلَهَا تحمل مفاهيم متنوعة بتنوع العلوم التي لها علاقة مباشرة معها، فأصبحت "ملتقى لمصادر وأفكار وتأملات مختلفة يصعب حصرها" [2]، نجد تداولية لسانية وإجتماعية وبلاغية، وتداولية المناطقة والفلاسفة والأدباء، فالمفهوم اللساني يختلف عن الإجتماعي والبلاغي، أو المنطقي والفلسفي وحتى الأدبي، بحيث ساهم هذا إلى عدم إستقرار المفهوم العام والشامل للمصطلح، فصارت التداولية " تسمية غامضة دوماً "[3]، لعلاقتها مع علوم كثيرة، سَاهَمَ في كون مجال بحثها واسع وعميق، لكن رغم هذا إلا أنَّها تلتقي في نقطة واحدة تتمثل في كونها: (علم الإستعمال اللغوي) من خلال إيجاد القوانين الكلية للإستعمال اللغوي، والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي [4].

التداولية تدرس كيفية إستعمال اللغة، بدلا من دراسة اللغة، فهي بهذا تخطت الدراسة البنيوية المغلقة للغة المبنية على دراسة المستويات الصوتية والتركيبية والدلالية، أي تدرس الإستعمال اللغوي من وجهة نظر تركيبة، فهي تنطلق من التركيب اللغوي إلى السياق الإجتماعي الذي تستخدم فيه، فتدرس تلك التراكيب مع ربطها بسياقات إنتاجها ومقاصد المتكلم، كما نجد أيضًا علم اللغة الإجتماعي يشارك التداولية في إبراز أثر العلاقات الإجتماعية بين المشاركين في الحديث، والموضوع الذي يدور حوله، ومرتبة كل من المتكلم والسامع وجنسه وثقافته، وأثر السياق غير اللغوي في إختيار السمات اللغوية وتنوعاتها، ونجد علم اللغة النفسي أيضا يشترك مع التداولية في الإهتمام بقدرات المشاركين التي لها أثر كبير في أدائهم، وتحليل الخطاب يشترك مع التداولية في الإهتمام أساسا بتحليل الحوار،

---

[1] أبي الفضل جمال الدين إبن منظور: لسان العرب، مج 11، ص 252، مادة (دول).

[2]-Dominique Maingueneau = pragmatique pour le discours littéraire, nathan, paris, 2001, p01.

[3] -Dominique Maingueneau = les termes clé de l'analyse du discours, seuil, paris, 1996.p 65.

[4] محمد حسن ع العزيز: علم اللغة الحديث، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1، 2011م، ص 345.

ويقتسمان عدد من المفهومات الفلسفية واللغوية كالطريقة التي توزع بها المعلومات في جمل أو نصوص والعناصر الإشارية، والمبادئ الحوارية.

كما تشترك البلاغة الجديدة مع البلاغة الأصلية في عدة قضايا كالسياق والخطاب الغير مباشر، والتعبير المجازي، والحال، والكلام والمتكلم والسامع، والشروط التي تتحكَّمُها، بحيث كانت البلاغة العربية السباقة في إثراء هذه القضايا خاصَّةً منها المقام والحال، حَتىَّ أصبحت من المصطلحات التي تطلق على التداولية مصطلح السياقية، وظهور النظرية السياقية بمبادئها وآرائها.

توسُّع التداولية عبر مجالات متعددة تسمح بظهور مفاهيم وتعاريف متنوِّعة، ومتعلقِّة في معظمها بتلك الميادين، وبالمرجع الفلسفي اللغوي للمصطلح، أو بموضوعها، أو ما يتعلَّق بالتواصل والآداء والتفاعل بين المتخاطبين، فالتداولية هي:

-"جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات، ومستعملي هذه العلامات" [1]وهو تعريف يعود لـ (شارل موريس لـ (charles Morris) كأقدم تعريف للتداولية، بحيث يرى فيه ثلاثة أبعاد للسميوطيقا هي:

- النحو (دراسة علاقة العلامات فيما بينها في التراكيب النحوية) تهتم به علم التراكيب.

- الدلالة (دراسة علاقة العلامات بالموضوعات المعبر عنها) تهتم به علم الدلالة .

- التداولية (دراسة علاقة العلامات بالناطقين بها، وبالمتلقي، وبالظواهر النفسية والحياتية والإجتماعية المرافقة لإستعمال العلامات وتوظيفها) تهتم بها التداولية [2].

- التداولية هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم أو الكاتب، ويفسره المستمع أو القارئ، مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من إرتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة، كما تهتم التداولية بدراسة المعنى السياقي من خلال تفسير ما يعنيه الناس في سياق معين، وكيفية تأثير السياق في ما يقال، كما يتطلب أيضًا التمعُّن في الآلية التي يُنَظَّم من خلالها المتكلمون ما يريدونَ قوله وفقًا لهوية الذي يتكلمون إليه، أين، ومتى، وتحت أية ظروف؟ والتداولية أيضًا هي دراسة كيفية إيصال أكثر ممَّا يقال من خلال الطريقة التي يصوغ من خلالها المستمعون حول ما

[1] فرانسوازأرمينكو: المقاربة التداولية، ص 08.

[2] عيد بلبع: إشكاليات المفاهيم بين السياقين الغربي والعربي، مجلة سياقات، دار بلنسيه، القاهرة، ع1، ط1، 2008م، ص 37.

يقال إلى تفسير المعنى الذي يقصده المتكلم، ويبحث نوع الدراسة هذا، في كيفية إدراك قدر كبير مما لم يتم قوله على أنه جزء مما يتم إيصاله، بإمكاننا القول إنه دراسة المعنى غير المرئي.[1]

– التداولية هي دراسة التعبير عن التباعد النسبي، أي حول ما يمكن أن يحدد ما يقال، وما لم يتم قوله، ويرتبط الجواب الرئيسي بمفهوم التباعد، ينطوي القرب المادي أو الإجتماعي أو المفاهيمي على خبرة مشتركة حيث يحدد المتكلمون مقدار ما يحتاجون قوله بناءا على إفتراض قرب المستمع أو بعده.[2]

فالدِّراسة التداولية تشمل جميع أطراف الخطاب، إنطلاقًا من المتكلِّم أو المخاطب، الذي يحمل مقاصد تبليغية، ومعتقدات وثقافة معينة، يريد أن يشاركها مع المتلقي، في وقائع وظروف وأحوال محيطة بهما، تُؤَثِّر على الخطاب ودلالته، إضافةً إلى العلاقة اللغوية والفكرية المشتركة التي تجمعها، هذا ما يجعل من التداولية تتميَّز بالتصور العام والشامل لجميع أطراف التفاعل الخطابي: إلى المرسل كونه منتج للخطاب، والمرسل إليه كونه المتلقي أو المعني بهذا الخطاب، والخطاب كونه يحمل بنية لغوية داخلية، وظرف خارجي إجتماعي وثقافي ونفسي يساهم بشكل كبير في هذا التفاعل، فالتداولية بمفهومها العام " إتجاه في الدِّراسات اللِّسانية يعني بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، ويستتبع هذا التفاعل كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ وبخاصة المضامين والمدلولات التي يولِّدها الإستعمال في السياق"[3].

إن دراسة استعمال اللغة لا تنحصر ضمن الكينونة اللغوية، بمعناها البنيوي الضّيق، وإنما تتجاوزها إلى أحوال الإستعمال في الطبقات المقامية المختلفة حسب أغراض المتكلمين وأحوال المخاطَبينَ[4]، تهتم بنظام اللغة المستعمل في الواقع الإجتماعِي التواصلي، ولا يمكنها أن تكون منعزلة عن الجانب التواصلي للغة، فعلم دراسة إستعمال اللغة، علم يعنى بظواهر التواصل اللغوي المختلفة، " كما أنها أحدث فروع العلوم اللغوية، تهتم بتحليل عملية الكلام والكتابة، ووصف وظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام "[5].

---

[1] جورج يول: التداولية، تر/ قصّي العتّابي، الدار العربية للعلوم ناشئون، بيروت، ط1، 2010م ، ص 19.

[2] المرجع نفسه: ص 20.

[3] عبد الحميد السيد: دراسات في اللسانيات العربية، دار الحامد للتوزيع والنشر، ج2، ط1، 2004م، ص 119.

[4] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 28.

[5] خلود العموش: الخطاب القرائي، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، مثل من سورة البقرة، ص 28.

وجهات النظر بين الدَّارسين تميّزت بالإختلاف حول التداولية، وتساؤلاتهم عن القيمة العلمية للبحوث التداولية وتشكيكهم في جدواها، إلاّ أنَّ معظمهم يُقرّ بأن قضية التداولية هي: " إيجاد القوانين للإستعمال اللغوي، والتعرّف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي" [1]، لهذا تُعرَف بأنَّها (علم الإستعمال اللغوي)، إذ تنطلق التداولية من هدف أساسي هو:" إستثمار الممكن والمتاح من الآليات لتوصيل رسالة لغوية معينة وجعل المعني بها يعيها ويتحرّك في إطار إنجازها ".[2]

من خلال إختلاف وجهات النظر بين الدّارسين حول تحديد مفهوم دقيق للتداولية، ونظرًا لكون هذا العلم له علاقة مع أغلب العلوم الإنسانية والإجتماعية، والمفاهيم المختلفة عن تلك العلاقة، أسباب سَاهَمَت بشكل أو بأخر أيضاً في ظهور مهام ووظائف مختلفة لها ومتنوعة.

2- مهام التداولية:

إن الحقل المعرفي للبارغماتية حقل شاسع، إذ يمكن أن يضم اللِّسانيات والإجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس الإجتماعي... وتبدو المباحث البراغماتية منشغلة بكلّ ما تثيره هذه المجالات المعرفية من إشكالات وما تخوض فيه من قضايا، مِمَّا ولَّدَ إختلافات قائمة بين هؤلاء الباحثين في صلب النظرية البراغماتية سواء في طرائق البحث أو غايته إلى حدّ يبيح لنا الحديث عن (براغماتيات) لا عن براغماتية واحدة، وعمُومًا تُعرَّف التداولية " يكونها مجموعة البحوث اللسانية التي تهتم بدراسة إستعمالات الكلام وتبحث في مطابقة الأشكال الدَّالة للسياقات المرجعية، ودراسة إستعمالات الكلام كظاهرة إستدلالية وتداولية في الوقت ذاته، فهي نظام لساني فرعي يهتم تحديدا، باستعمال الكلام في التواصل.[3]

---

[1] صابر الحباشة: التداولية والحجاج. مداخل ونصوص، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2008م، ص 11.

[2] محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص175.

[3] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم (بنيته وأساليبه)، عالم الكتب الحديث إربد الأردن، ط2، 2011م ، ص 16.

– التداولية من مهامها دراسة إستعمال اللغة التي لا تدرس البنية اللغوية ذاتها، ولكن تدرس اللغة عند إستعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي بإعتبارها كلامًا محدّدًا، صادر من متكلم محدّد، وموجَّهًا إلى مخاطب محدَّد بلفظٍ محدَّد، في مقام تواصلي محدَّد لتحقيق غرض تواصلي محدَّد[1].

– من مهامها أيضًا شرح كيفية جريان العمليات الإستدلالية في معالجة الملفوظات، وبيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر، وأيضًا شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرف في معالجة الملفوظات .[2]

التداولية لها مهام ودور في كل حقل معرفي ولغوي له علاقة معها، إنطلاقًا من اللِّسانيات كأقرب حقل معرفي إلى التداولية، الفرق بينهما أن اللسانيات تدرس اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها، أما التداولية فإنها تبحث في قوانين الإستعمال اللغوي، أي دراسة شروط إستعمال اللغة وكيفية إستخدامها.

كما لهَاَ مهام ودور في حقل اللسانيات الإجتماعية، عندما تبحث عن ما يحيط بالمتكلمين ظروف تُساهم في التأثير على لغته، فتهتم بالتغيرات اللغوية، والمتكلم، ولون الخطاب اللغوي وصنعه الذي يستخدمه، والعلاقة بين الأفراد المتخاطبين، والتفاعل بينهم.

أمَّا علاقة التداولية بعلم الدَّلالة فهي علاقة مكمِّلَة، لأنَّ علم الدلالة هو العلم الذي يبحث في المعنى، أي دراسة الأقوال القابلة لحمل المعنى، أمَّا التداولية تقوم بدراسة الأقوال الحاملة للمعنى والقابلة للتواصل في موقف ومقام ملائم، إضافةً إلى كون التداولية عبارة عن بلاغة جديدة تهتم بجميع عناصر التواصل بما فيها السامع.

كمَا لَهَا دور وعلاقة كبيرة في تحليل الخطاب ودراسة النص، المنطوق منه والمكتوب، كون التداولية تنظر إليها، واللغة المستعملة فيهما، من خلال عدّة زوايا تتعلَّق بالمخاطب أو الكاتب، والخطاب أو النص، والمخاطِب أو المتلقي، وظروفهما الاجتماعية والنفسية والتربوية، ومرجعيتهما الثقافية، وأثر ذلك في التعبير عن ما يحسه ويعتقده المرسل، وتأثيره على الخطاب، وتأَثُّرِهِ على المرسل إليه.

فالتداولية علم متعدِّد المهام والوظائف، لتعدد إرتباطاته مع العلوم اللغوية وغير اللغوية المختلفة، جَعَلَهُ علم عام وشامل ومفتوح.

[1] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 26.

[2] المرجع نفسه، ص 26.

3- أهم قضايا التداولية:

1- أفعال الكلام Les actes de langage:

نظرية أفعال الكلام من أهم نظريات البحث التداولي ارتبطت بـ (جون لانجشو أوستين J.L. Austin)، من خلال فلسفته اللغوية الدلالية التي تهتم بالمضامين والمقاصد التواصلية، فوظيفة اللغة عنده ليست مجرد إيصال المعلومات أو الوصف، أو التعبير عن الأفكار والأحاسيس والمشاعر، بل هي أقوال وأفعال تصدر من معطيات سياقية، بصبغة اجتماعية، والتحليل اللغوي عنده يعتمد أساسًا على ما يقصده المتكلم، مع السياق الذي ورَد فيه الخطاب، فدلالة التراكيب اللغوية تتحدَّد انطلاقًا من اكتشاف المخاطِب لمقاصد المتكلم، كما تتحدَّد من السياق، لأنَّ الجمل تتطابق ضمن سياقات معينة، والجزء الهام من الدلالات اللغوية يستمد من السياق الذي ينتج فيه، فنجد نظريته اعتمدت على ركنين أساسين في التحليل اللغوي (القصدية والسياق)، بحيث لا تصل دلالة الكلام أو الخطاب إلاّ بعد معرفة مقاصد المتكلم، والسياق الذي وَرَدَ فيه.

وتعني نظرية أفعال الكلام بتصنيف أحداث الكلام إلى أنواع، كالتفريق بين أفعال الكلام المباشرة، وغير المباشرة، والوضعية التخاطبية، والحرفية وغير الحرفية، ودراسة طرائق نجاح تلك الأفعال، وإخفاقها، وتغير معاني الجمل تبعًا للسياق كتحوّل الخبر إلى إنشاء مثلاً.[1]

- إنّ ما يحققه المتكلم بالكلام في نظر (أوستين) يمكن تفصيله وتقسيمه إلى ثلاثة أفعال:

1- الفعل القولي أو اللغوي Acte locutoire: ويراد به "إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة"[2]، وهو الفعل الذي يشمل على أفعال لغوية فرعية، وهي مستويات اللغة، المستوى الصوتي والتركيبي والدلالي، إنطلاقًا من سلسلة الأصوات اللغوية، ومفردات اللغة وتركيبها، وما تحملها من أفعال دلالية ومعاني وإحالات محدَدَّة، فعندما نقول مثلاً:(إنَّكَ ستنهزم)، يمكن أن يكون إخبار بأنه سينهزم، أم تحذير عن عواقب عدم بذل الجهد، أم أمر ببذل المزيد من الجهد بطريقة غير مباشرة، ولمعرفة المعنى الحقيقي للجملة يجب الرجوع إلى قرائن السياق لتحديد قصد المتكلم، وغرضه من

[1] محمد محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص 35.

[2] -J.L. Austin : Quand dire c'est faire. P 109.

الكلام، فالفعل القولي Acte locutoire هو فعل التلفظ بجملة تفيد معنى إنطلاقًا من معاني ألفاظها، إنه بعبارة أخرى فعل لقول شيء ما (الفعل هنا قول).

2- الفعل الإنجازي (الفعل المتضمن في القول) Acte illocutoire: وهو الفعل الإنجازي الحقيقي إذ "إِنَّهُ عَمَل يُنْجَزُ بقولٍ ما"[1]، وهو فعل الأمر أو الاستفهام أو طلب أو تعجُب أو نداء...، فهو فعل يُنجَز عندما نقول شيئًا ما، وهذا الفعل لا يكون متحققا سطحيًا في الجملة (فالفعل هنا إنجاز).

3- فعل جعل الإنجاز (الفعل الناتج عن القول) Acte perlocutoire: فعند القيام بفعل القول وما يصحبه من فعل إنجازي متضمن في القول، فقد يكون المتكلم (الفاعِل) قائم بفعل ثالث هو: "التسبُّب في نشوء آثار في المشاعر والفكر، كالإقناع، والتضليل، والإرشاد...)[2]، فهو فعل إقناع أو إزعاج أو حمل شخص ما على كلام معين، إِنَّهُ فعل ينجز بقول شيء ما (الفعل هنا إنجاز وأثر).

ويمكن تلخيص الفعل الكلامي الكامل عند (أوستين) حسب المخطط التالي:

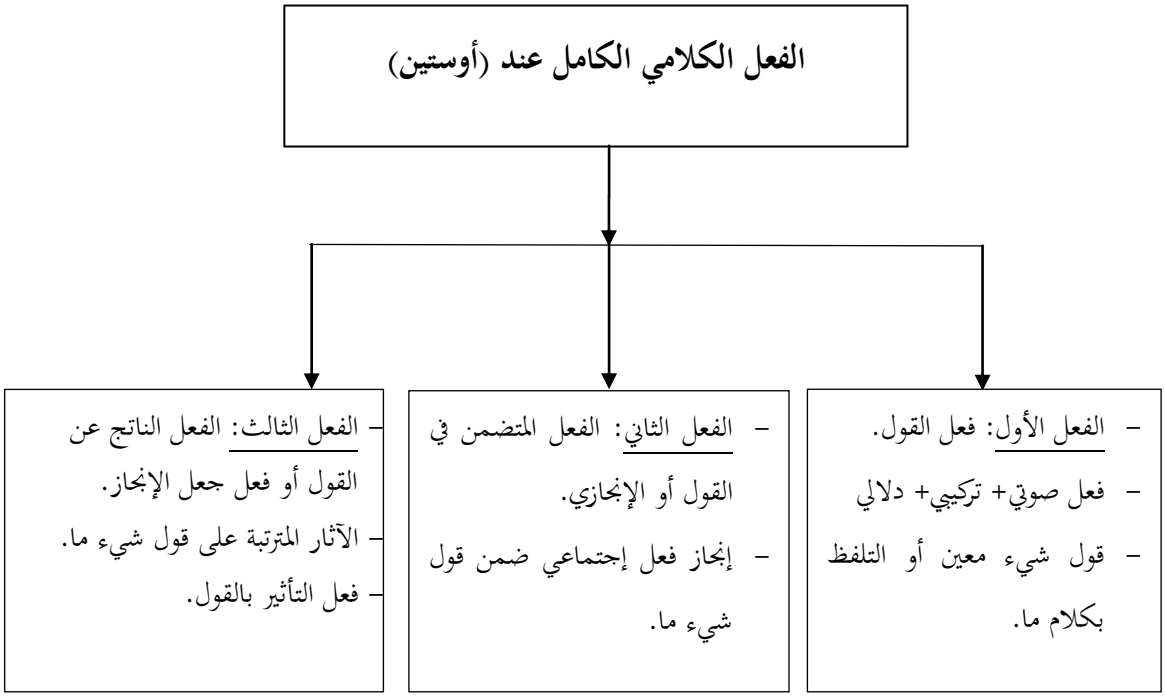

[1] Ibid : p 113.
[2] Ibid : p 114, 115.

يعتبر (أوستين) فعل القول موضوع الدراسة البنيوية والتوليدية، وأمَّا فغل الإنجاز وفعل جعل الإنجاز من مواضيع الدِّراسة التداولية، ويرى أنَّ لهذا الفعل الكلامي ثلاث خصائص هي:

- فعل دال.
- فعل إنجازي: (أي ينجز الأشياء والأفعال الاجتماعية بالكلمات).
- فعل تأثيري: (أي يترك آثارًا معينة في الواقع، خصوصًا إذَا كَانَ فعلاً ناجحًا).[1]

فالقول خاضع لنظام صوتي، وهو بدوره خاضع لنظام تركيبي، وصولاً إلى فعل حجاجي دال تأثيري على المخاطَب، ودَلالة الفعل التأثيري، دلالة يستعين (أوستين) في توضيحها بمفهوم القيمة أو القوة، أي أننا حين ننجز قولاً في حدِّ ذاته، فإننا بذلك وفي الوقت نفسه ننجز قولاً ثانيًا ذا طبيعة أخرى، من شأنه أن يقوم بالإخبار أو الاستفهام أو التحذير أو التهديد، كما أنَّ هذا الفعل التأثيري يُعرف من خلال الأثر أو التأثير في مشاعر المتلقين وأفكارهم وتصرفاتهم[2] .

إنَّ الفعل التأثيري ومَا قدَّمته نظرية الأفعال الكلامية، بوصف الحجاج كنمط له آليات من القول ذاته والإنجاز أو الأداء ثم التأثير هي عملية تتناول بالدِّراسة بعض العناصر اللغوية التي لاَ تُعرَف دلالتها المرجعية إلاّ من السياق[3]، فنظرية أفعال الكلام مرتبطة بالسياق "لأنَّه لا توجد فائدة من الحديث عن ضروب إنجاز أفعال الكلام خارجًا عن السياق المحدَّد تحديدًا اجتماعيًّا ولغويًّا، أي السياق الذي يكون فيه المخاطب حاضرًا، ويحدث تغييرًا –أيًّا كان نوعُهُ– على المخاطب طبقًا لأغراضه ومقاصده التي عليه أن يؤسِّس لها البناء الحجاجي اللاَّزم"[4]، ونجاح الخطاب تداوليًّا مرهون بسياقه المنجَز لَهُ.[5]

إنَّ خلاصة ما انتهى إليه (أوستين) هو تصنيفه للأفعال الكلامية المقصودة بالقول إلى:

1- أفعال حكمية Verdictifs: تقوم على الإعلان عن حكم تتعلَّق بقيمة أو حدث مثل: وصف، حلّل، قدر، صنّف، قوّم...

---

[1] حافظ إسماعيل علوي: التداوليات، علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011م، ص 55.

[2] محمد سالم محمد الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 183.

[3] ذهبية حمو الحاج: تداولية الخطاب، ولسانيات التلفظ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2005م، ص 128.

[4] محمد سالم محمد الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 189.

[5] المرجع السابق: ص 183.

2- أفعال تمرّسية (تنفيذية) Exécutifs: وتقوم على إصدار قرار لصالح، أو ضد سلسلة من الأفعال مثل: أمر، قاد، دافع عن، ترجَّى، طلب، تأسف ونصح.

3- أفعال التكليف Commissifs: ويلزم المتكلم بسلسلة أفعال محدَّدة مثل: وعد، تمنى، وإلزم بعقد، وضمن، وأقسم، والقيام بالمعاهدة.

4- أفعال عرضية expositifs: وتستعمل لعرض مفاهيم وتوضيح استعمال كلمات مثل: أكَّد، أنكر، أجَابَ، إعترض، وهب، مثّل، فسّر، ونقل أقوالاً.

5- أفعال سلوكية Comportatifs: ويتعلق الأمر هنا بردود فعل تجاه سلوك الآخرين واتجاه الأحداث المرتبطة بهم، إنها تعابير مواقف تجاه السلوك والمصير مثل: الإعتذار والشكر والتهنئة والترحيب والنقد والتعزية والمباركة واللعنة.[1]

هذا التصنيف يتميَّز بالتداخل بين عائلاته، وعدم وضوح حدوده، فقد يتدخّل السياق أحيانًا ليجعل من فعل الحكم فعل ممارسة أو العكس، ونفس الشيء بالنسبة للأفعال الأخرى، وهو تصنيف لم يحظ بالإجماع، خاصّةً من طرف (سيرلSearle) الذي لم يقتنع به، نظرًا للغموض الذي وقع فيه (أوستين) لأنّه لم يحدد معالم كل مجموعة، فمن مآخذ التصنيف الأوستيني أنّه يفتقر إلى اسس ثابتة وواضحة، ما عدا المجموعة الخامسة التي استعمل فيها (أوستين) مفهوم الغاية الكلامية كقاعدة لتحديدها، فأفعال الممارسة تبدو محدّدة على الأقل بمفهوم ممارسة السلطة، وأفعال السلوك تحديدها غير كاف كما ذكر بذلك (اوستين) فهي تعود إلى ما هو قبيح أو جيِّد بالنسبة للمتكلم والمستمع ليس إلاَّ.[2]

بعد فلسفة (أوستين) اللغوية والدلالية يظهر (سيرلSearle) الذي أعاد تناول نظرية (أوستين) وطوَّر فيه بعدين من أبعادها وهما (المقاصد والمواضعات)، فتصوّره للفعل غير مختلف كثيرًا لما قدمه (أوستين)، سواءًا تعلق الأمر بالمنطلقات النظرية، أو في مستوياته، فهو يرى أن المتكلم عند التلفظ بعبارة، فهو ينجز فعلاً تتزامن فيه أربعة أفعال تتمثل في:

أ- الفعل النطقي: وهو عملية إنتاج أصوات لغوية.

ب-الفعل القضوي: وهو عملية التدليل عن طريق الحمل أو الإحالة.

---

[1] ج.ل. أوستين: القول من حيث هو فعل، (نظرية أفعال الكلام)، تر/ محمد يحياتين، عالم الكتب، الجزائر، ط1، 2006م، ص: 123.

[2] عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 159، 160.

ج- الفعل الإنجازي: ويتعلق الأمر بما يفعله المتكلم، ويرتبط بالقصد، وتحدده القوة التي تعطي قيمة للفعل، ويتميز بطابع خضوعه للقواعد اللغوية.

د- الفعل التأثيري: ويرتبط بالمخاطب أكثر من ارتباطه بالمتكلم، ويتميز بطابع اللالغوية فهو رد فعل المخاطب بخصوص كلام المتكلم[1]، ويسميه (سيرل) فعل أثر التلفظ، وهو المفهوم الذي يُجسد النتائج والتأثيرات التي تحدثها الأفعال الإنجازية السابقة على أفكار ومعتقدات المستمع، فبالحجاج يمكنني أن أقنع شخصًا ما، وبالإنذار أخيفه، وبالطلب يمكنني أن اجعله يعمل شيئًا ما.[2]

ويمكن تلخيص الفعل الكلامي عند (سيرل searle) حسب المخطط التالي:

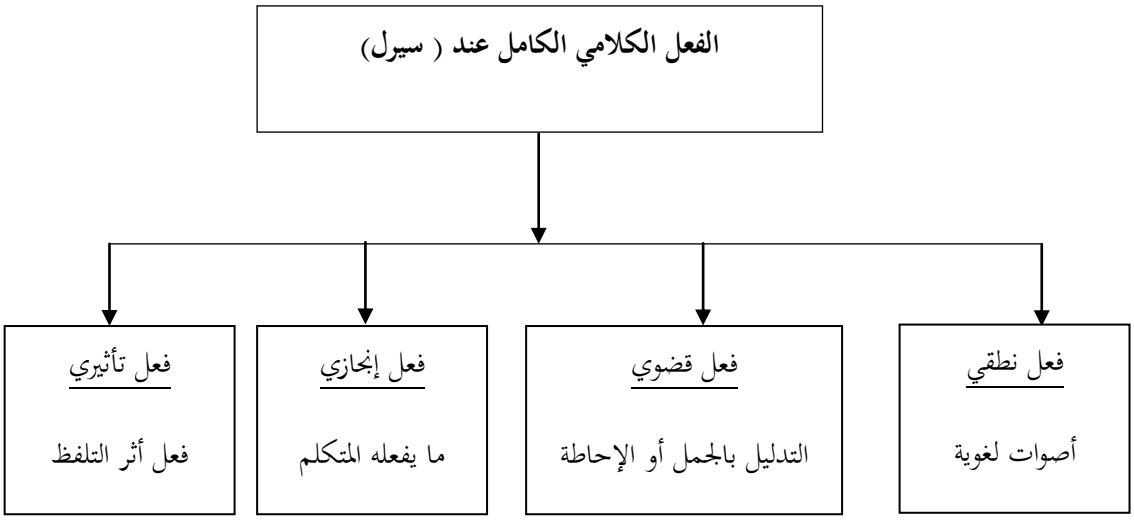

تعديل أقسام الفعل الكلامي إلى أربعة أقسام، من بين الملاحظات التي أبداها (سيرل) على تقسيم أستاذه (أوستين)، وإضافة فعل آخر وهو عملية التدليل عن طريق الحمل أو الإحالة، أي إنجاز فعل القضية أو الجملة، أو ما يطلق عليه (الفعل القضوي)، ويتمثل في الشيء المتحدِّث عنه، أي القضية موضوع الحديث.

[1] عبد العزيز بنعيش: نظرية الفعل الكلامي. مقاربة فلسفية تداولية، ص 46.

[2]John r. searle : sens et expression, études de théorie des actes de langage. traduction et préface : Joëlle proust, les édition de minuit, paris 1982. P 49.

لم يقتصر (سيرل) على قصد المتكلم فقط مقاَبلاً وحيدًا للمعنى الحرفي، ومن ثم لا يكفي الوقوف على قصد المتكلم، ولكنَّه رأى أنّ للعرف وما ينطوي عليه من عناصر تداولية أخرى أثرًا كبيرًا في تحديد المعنى، فالمعنى عنده أكبر من أمر القصد، إنّه أيضًا أمر عُرف[1].

فمن الأفكار التي بسطها (سيرل) بخصوص الأفعال اللغوية:

ب- إرتباط اللغة بالأفعال اللسانية.

ت- قاعدة التواصل اللغوي مبنية على الفعل اللغوي.

ث- ارتباط نظرية اللغة بنظرية الفعل.

ج- ارتباط نظرية أفعال الكلام بنظرية المجال الدلالي.

ح- عدم إستقلال معنى الجمل (دلاليا) عن معنى أفعال اللغة (تداوليًّا).[2]

حاول (سيرلSearle) أن يحصر أفعال الكلام الغرضية في اللغة عبر تصنيفه لها في خمسة أنماط رئيسية:

1- أفعال إعلانية Acte déclaratifs: هي الأفعال التي تساهم في إحداث تغيير ما في الأعراف والطقوس الاجتماعية مثل: أفعال إعلان الحرب، والطلاق والطرد.[3]

2- أفعال الإثبات (الممَثِّلات): Acte représentatifs: هي أنواع أفعال الكلام تلك التي تبين ما يؤمن به المتكلم أنَّه الحالة أم لا، تُمثل حمل الحقيقة والجزم والإستنتاجات مثل: كَانَ يومًا مشمسًا ودافئًا.[4]

3- أفعال تعبيرية: Acte experessifs: هي أفعال الغرض منها التعبير عن ما يُحسّه المتكلم تجاه الوقائع التي تحيط به، كرد فعل نفسي وانفعالي مثل الشكر «remercier»، والتهنئة «féliciter»، والتعزية «présenter ses condoléances»، والترحيب « souhaiter la bienvenue»...[5]

---

[1] عيد بلبع: التداولية، البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، بلنسيه للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2009م، ص 243.

[2] العياشي أدراوي: الإلتزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الإختلاف، الجزائر،ط1، 2011م، ص 89-88.

[3] John r.searle : sens et expression, p :56.57.

[4] جورج يول: التداولية، ص 89.

[5]-John r. searle : sens et expression, p 54.

4- أفعال إلتزامية (الملْزِمَات) promissifs: هي الأفعال التي تلزم المتكلِّم القيام بعمل ما في المستقبل مثل أفعال الوعود «promettre»، والضمان «garantir»... [1].

5- أفعال توجيهية (الموجِّهات) directifs: من الأفعال التي يستعملها المتكلمون، لتوجيه شخص آخر للقيام بشيء ما، تحقيقًا لما يرده المتكلم مثل: الأمر«ordonner»، والطلب «demander»، دعوة «inviter»، نصح «conseiller»...[2].

من جهة أخرى طوَّر (سيرل) شروط الملائمة عند (أوستين)، فجعلها في أربعة شروط: (المحتوى القضوي، والشرط التمهيدي، وشرط الإخلاص، والشرط الأساسي)، عكس ما يُقابلها من شروط عند (أوستين) وهي ثلاثة متمثِّلة في: (شروط تمهيدية، وشروط النزاهة، والشروط الجوهرية).

تلك الأفعال كانت لمحة حول نظرية أفعال الكلام الإنجازية، كأهم نظرية تداولية، ومَا حَدَثَ فيها من تطوّر، وهي نظرية أصولها موجودة في تقسيمات البلاغيين العرب للكلام إلى خبر وإنشاء، والفرق بينهما أنَّ علماء البلاغة والنحو نظرُوا إلى هذه الأفعال من زاويته البلاغية والنحوية، في حين أنَّ الدِّراسة اللسانية الحديثة، بما فيها التداولية نظروا إليها من زاويته الفلسفية اللغوية، مع إدخال الجانب النفسي والاجتماعي للمتكلم، وكل ما يُحيط به من أعراف وطقوس وسياق، ومعارف مشتركة.

فالبداية أو الإنطلاقة الفعلية كانت على يد (أوستين)، ثم جاء بعده (سيرل) ليدعِّم ويوسِّع من أفكار النظرية، وأضَافَ عناصر أخرى لتصنيفات (أوستين)، فَكانَ تصنيفه للأفعال الكلامية مبنية على الأغراض والمقاصد، وفكرته أنَّ القوة المقصودة بالقول المجسّدة للغرض، إنّما تتحقق في البنية اللغوية بواسطة فعل إنجازي صريح أو غير صريح، وقد دفع (سيرل) نظرية أفعال الكلام إلى أقصى حدودها الدلالية الممكنة، حيث قسَّمها إلى أفعال مباشرة وغير مباشرة.

2- نظرية التلفظ L'énonciation:

التلفظ نظرية من نظريات البحث اللساني الحديث، جاءَت لرد الاعتبار إلى عناصر بقيت مجهولة في البحث اللغوي، وجعل المتكلم فاعلاً في العملية التخاطبية، والاهتمام بالمخاطَب ومحيطِهِ الزماني والمكاني الذي يحيط بهما، وأيضًا العوامل اللغوية التي يخضعان لها.[3]

---

[1] Ibid : p 47.
[2] Ibid : p 53.
[3] ذهبية حمو: تداولية الخطاب ولسانيات التلفظ، ص 06.

تهتم نظرية التلفظ بالمتكلم وفاعليته في العملية التخاطبية، والسامع والمحيط الذي يحيط بهما، فنجدها مرتبطة بنظرية أفعال الكلام، كون المتكلم ينتج أفعالاً مباشرة وغير مباشرة، صريحة وضمنية، كما ينجز عمل لا قولي وراء تلفظه بقول، وإنجاز أثَرًا للقول، كل هذا ساهم في ظهور قضايا تداولية أخرى، كاقتضاء المعنى، والاستلزام التخاطبي، ممَّا يدل على توجه اللسانيات إلى ضربين من الانفتاح الداخلي بين مختلف فروعها، والخارجي مع القطاعات العلمية المجاورة كالمعلوماتية وعلم النفس وغيرها[1].

التلفظ هو إستعمال اللغة وتوظيفها توظيفًا فرديًا[2]، فهو استعمال فردي لنظام اللغة، مرتبط بمقاصد ذلك الإستعمال، والمقامات التي يجري فيها، كما أنَّهُ ليس مجرد نقل للمعلومات والأخبار إلى المخاطَبين، بل هو عالم يتفاعل فيه أفراد المجتمع، فتظهر فيه العلاقات بين أطراف المتخاطبين والمتفاعلين، بكل ما تحمله من أبعاد اجتماعية ونفسية، لأنَّ الخطاب عبارة عن إستراتيجية تلفظية، ونظام مركَّب من أنظمة توجيهية وتركيبية ودلالية، وهو عبارة عن برنامج تلفظ يخضع لنظام عملية التلفظ، فهو نظام القول أو الفعل ودوافعهما يعكس الوعي والسلوك الذي يوجِّه الإدارة والسلوك التواصلي.[3]

إنَّ توظيف اللغة بأساليب متنوعة ومختلفة وفق سياق معين، يستدعي تحليلاً تداوليًا خلال عملية التلفظ، لفهم قضايا النشاط التلفظي اللغوي الكثيرة منها.

فالنشاط التلفظي عبارة عن فعل يقوم به فاعل لغوي هو المتلفظ، تنعكس آثاره في الملفوظ الذي ينتج عن هذا النشاط التلفظي، والملفوظات تلمح إلى طبيعة التلفظ، لأنَّها تتكيف مع طبيعة الفعل التلفظي اللغوي نفسه، التي تتولَّد عن هذه الملفوظات، ويظهر ذلك جليًّا في البنية الداخلية لهذه الملفوظات ذاتها.

التلفظ من جهته يستدعي المتلفِّظ أو صاحب الخطاب، وأيضًا المتلقي باعتباره مشاركًا في عملية التلفظ، والملفوظ باعتباره أيضًا نتاج فعل التلفظ، وأيضًا قناة التلفظ، وهي الوسيلة التي يستعملها

---

[1] صابر الحباشة: التداولية والحجاج. مدخل ونصوص، ص 37.

[2] Émile Benveniste : problème de l'inguistique générale, édi : Gallimard ; paris ; 1974 ; p 80.

[3] عبد الواسع لحميري: ما الخطاب وكيف نحلله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، مجد، بيروت، لبنان، ط1، 2009م، ص 11.

صاحب الخطاب لإيصال ملفوظه إلى المتلقي، والنظام اللغوي المستعمل باعتباره مجموعة من القواعد الوضعية والاستعمالية، والمقام الذي جَرى فيه فعل التلفظ.

بفضل الآخر (المتلقي) أو السامع، والمقام الذي يجمعه مع المتكلِّم، وما يحيط بهما، ينتج الملفوظ وفق نظام لغوي متعارف ومتفق عليه، فهو نشاط اجتماعي أيضًا وليس فرديًا، لأنَّ الذات المتلفِّظة تُعد نتاجًا لعلاقات اجتماعية متداخلة، من خلال ربط الخبرة الداخلية بالتعبير الخارجي للملفوظ، في إطار الحدود الاجتماعية، ما يعني أن النشاط التلفظي وإن بدا أنَّه مجرَّد تعبير عن عالم المتلفظ الداخلي، إلاّ أنَّ بنيته اجتماعية[1]، والتلفظ وفقًا ل (باختين) ليس مجرد فعل أو عمل خاص بالمتلفظ وحده، ولكنَّه نتيجة لتفاعل التلفظ مع طرف آخر، هو المتلفظ إليه الذي يدمج تفاعله هو أيضًا، ويكامِلهُ مع التفاعل الخاص بالمتكلم سَلفًا.[2]

عند تحليل خطاب معين، سواءًا كان منطوقًا أو مكتوبًا، تطرح عدة أسئلة من محلِّل الخطاب، قبل أو أثناء تحليله للملفوظ، من بين هذه الأسئلة التي يطرحها: ما الذي جَعَل المتكلم يتلفظ بهذا الملفوظ بالذات؟ ولماذا اختار تلك الألفاظ المفرَدة من بين الألفاظ الأخرى؟ وما علاقة تلك الألفاظ بعضها ببعض داخل التركيب؟ وما هي الدوافع أو الظروف الملحّة التي دفعته إلى التلفظ بها، وما هي مقاصدها؟...، وللإجابة على هذه الأسئلة ينبغي على محلِّلِ الخطاب أن يحيط به من عدة مستوياته اللغوية وغير اللغوية، انطلاقًا من المتكلِّم وحالته النفسية والإجتماعية، والسياق أو المقام الذي هو فيه، ومستوى الأصوات، والألفاظ المفردة، وعلاقتها في التركيب، والضمائر والظروف، والأدوات اللغوية والأسلوبية من وصل وربط وتنغيم وغيرها، للوصول إلى مقاصد تلك الألفاظ أو التلفظ والأثر الذي يتركه في المتلقي.

إنَّ تحليل بنية التلفظ، في أي ملفوظ منجز يتضمن بالضرورة تحليل بنية الأنا المتلفِّظة في الملفوظ المنجز ذاته، بما هي علاقة مجسّدة بين من يتلفظ في الملفوظ، وما يتلفّظ فيه، وما يتلفَّظ به، وما يتلفظ له أو لأجله، وما يتلفظ إليه[3].

---

[1] تودوروف تزيتان: المبدأ الحواري، دراسة في فكر ميخائيل باختين، تر/ فخري صالح، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1992م، ص 51.50.

[2] المرجع نفسه: ص 62.

[3] عبد الواسع لحميري: ما الخطاب وكيف نحلله، ص 11.

فالملفوظ عبارة عن تتابع من الجمل المحققة، وهو كل ما يتلفظ به الإنسان منطوقًا أو مكتوبًا، فهو نتيجة لفعل التلفظ، "وهو إنجاز يتميَّز بالفاعلية والتناسق والترابط، له علاقة بنشاط إنتاجه، وعناصره، وظروفه، وتجربته اللسانية والتلفظية"[1]، لذلك يجب النظر إلى الملفوظ، بوصفه تلفظًا، أو بوصفه نشاطًا إنسانيًّا دالاًّ على المتلفِّظ في علاقته بعناصر ملفوظاته، أو بما هو فعل أو فاعلية ينجزها فاعل، من شأنه أنَّه محكوم بظروف اجتماعية، ويخضع لأوضاع وقوانين وأفكار وقيم، وسنن، ويهدف إلى تحقيق أهداف وغايات واعية، والكشف عن الكيفية التي بها يتشكَّل الفعل التلفظي، بوصفه فعلاً غير منفصل عن فاعله البشري الذي يفعل، ويعطي صفة راهنة لبنية الفعل اللغوي الذي ينجز، أي تحليل المنتج اللغوي، وعملية الإنتاج اللغوي، والاهتمام بعملية الإنجاز وسياقه.[2]

الملفوظ عملية إنتاجية من المرسل، تساهم في التأثير على المرسل إليه، يبرز هذا التأثير ويختلف باختلاف اللغة المستخدمة، واختلاف سياقه الداخلي اللغوي، والخارجي، لما للسياق من أهمية في تحديد الملفوظات وظهورها[3]، وهذا ما يتميَّز به خطاب اهل الكتاب في القرآن الكريم، بحيث نجد من جهة أساليب وآليات لغوية، تساهم في التأثير على المتلقي، ومن جهة أخرى نجد آليات تخصُّهم تحكمها ظروف مناسباتية، وأسباب نزولها، تساهم إلى حدٍّ بعيد في بيان وإبراز مقاصد الآيات ومعانيها كما تؤثر على المتلقي (أهل الكتاب) في مختلف المسائل والقضايا الدينية.

إنَّ للملفوظ شواهد، وإشارات وتلميحات، وحجج بأساليب وأدوات لغوية، تسمح للمحلل ملفوظ الخطاب الوقوف عندها، ومراعاة معطيات سياق التلفظ التداولي، وبخاصة الإستراتيجية التلفظية للمتلفظ ومقاصده المضمرة، وإدماج الظواهر التداولية في صميم الدِّراسة الدلالية اللسانية، مما يحتم على الدَّارس أو المحلل النظر إلى التلفظ بوصفه عنصرًا ينتمي إلى نسق اللغة وبنيتها.

فعند تحليل ملفوظ الخطاب ينبغي النظر إلى الألفاظ في حال التلفظ، أو الإتصال والتواصل بها والعلاقة المباشرة بينها، والنظر إلى التلفظ من خلالها، ودراسة الألفاظ من حيث هي بنية لغوية حاضرة

---

[1]-Jean-François jeandillou : L’analyse textuelle, Arman colin, paris, 1997, p 54.

[2] عبد الواسع لحميري: ما الخطاب وكيف نحلله، ص 15، 16.

[3] Dominique Maingueneau : analyser les texts de communication, armand colin, paris, 2005 ; p 05.

وفاعلة بفعل فاعل، في بنيتها الصغرى والكبرى، الداخلية والخارجية المباشرة وغير المباشرة، الصريحة والضمنية، والتركيز على الألفاظ دلاليًّا من خلال علاقتها ببعضها بعض، وعلاقتها الاستدلالية والإخبارية، بملفوظات أخرى كان يمكن أن تحل محلّها، ومستخدمي تلك الألفاظ، وكشف العلاقات القائمة بالفعل بين الملفوظات كألفاظ مفردة ومركبة، وعناصر التلفظ والعلاقات القائمة بينها، وهذا لكشف طبيعة الخطاب وإستراتيجيته، وتحليل بنيته، المعبِّر بها، أو المحيل عليها، وتحليل الملفوظ في حضوره المباشر وغير المباشر، وعلاقته بمستخدميه، والعناصر التي تحكمه ومقاصده.

إنَّ الخطاب المنطوق أو المكتوب لا يتحقَّق إلا بوجود الأنا والآخر، أي المتكلم والسامع، وبالمتكلم تتحقق الذات المتلفظة، والموجَّهة إلى الذات المستقبلة، والتلفظ هو الفعل الذي يجعل الأدلة اللغوية تتحقق من طرف متلفظ في ظروف زمانية ومكانية، في تلك الظروف يتحدَّد نوع المشاركين في التلفظ، ويتعيَّن المتلقين له، كما تساهم في الفهم الحقيقي لمقاصد الكلام وأغراضه، فالخطاب يصدر من متكلم محدد، في زمن معيّن، وفق علاقة سياقية محدَّدة، فالمقصد بدوره يتحدَّد من خلال العارِف لِتلك العلاقة التواصلية.

الملفوظ تحكمه قواعد داخلية وخارجية، تساهم إلى حدٍّ بعيد في إنتاجه من طرف المتلفظ، فهو مُحيط بسياق، وزمان ومكان، ومقام وحالة إجتماعية وسلوك نفسي تتأثر في نوع الملفوظ أو الخطاب الذي ينتجه، هذه القواعد يشير إليها الملفوظ، فنجد فيه مؤشرات لغوية وغير لغوية، منطقية وعقلية، حقيقية وخيالية، يكتشفها محلِّل الخطاب، بفعل بعض المؤشرات اللغوية، كضمير المتكلم والمخاطب والغائب التي تُساهم في تحديد مقام التلفظ والمحاورة والمحادثة، وظرف الزمان والمكان التي تحدِّدها الواصلات الزمانية والمكانية، كأسماء الإشارة، وأسماء الزمان والمكان مثل: (هنا، هناك، أمس، اليوم، غدًا، صباحًا...).

فالملفوظ نتاج يحمل علامات إنتاجه، من خلاله نصل إلى القصد الحقيقي، فهو عبارة عن شبكة لغوية تُحيلنا إلى معطيات مقامية وظرفية ومناسباتية للموضوع، ممَّا يُسهِّل ذلك على السامع أو المتلقي ومُحلِّل الخطاب في فك رموزه، هذه المعطيات داخلية تُحيلنا إلى ما هو خارجي أو ما وراء لساني، وللوصول إلى ذلك ينبغي الإلمام بتلك المؤشرات ومعرفتها، ومعرفة قوانين الخطاب التي تحكمها، والأساليب والأدوات المنتهجة فيها، سواءًا الصوتية منها أو المعجمية والنحوية والتركيبية، وكذا العُرف والواقع الاجتماعي، لأن

كل متلفِّظ يميل إلى استخدام أساليب ضمنية وتلميحية تنتمي إلى مسار معرفته وخبرته الثقافية والاجتماعية والأدائية.

3- قوانين الخطاب Les Lois de discours:

من نتائج توسُّع البحث التداولي، فتح مجال البحث على قوانين الخطاب، إلى جانب أفعال الكلام، والملفوظية، إنطلاقًا من الفكرة التي ترى أنَّ السلوك اللغوي مقيَّد بأحكام وقوانين أثناء التعامل مع الطرف الآخر في العملية التخاطبية، فيسعى للبحث حول الوسائل والآليات التي تتحكم في الحديث والحوار والتفاعل، وأيضًا الاستلزام التخاطبي، ومتضمنات القول، والمصرَّح والغير مصرح به، من خلال العلاقة التي تجمع المتحاورين أو المتخاطبين داخل المجتمع الواحد، وأيضًا الكفاءة العقلية في الاستدلال، وكفاءة الاستعمال والتوظيف، هذا السلوك اللغوي الذي ينتج من خلال عوامل زمانية ومكانية وشخصية، أضِف إلى ذلك المفاهيم المشتركة بين عناصر الخطاب في العملية التخاطبية، مما يسمح بمعرفة مقاصد اللفظ المستخدم، الذي يبدأ من خلال السياق الذي جرى فيه إنتاج الملفوظ.

فالمتلفظ ينبغي عليه أن يقف على مجموعة من القواعد أو القوانين أثناء حديثه مع غيره، وهي التي أصطلح عليها (غرايس Grice) بـ: مبدأ المحادثة أو التعاون principe de coopération والتي أعاد صياغتها (ديكرو Ducrot) بقوانين الخطاب Les lois de discoursوهي مجموعة من القوانين المكملة للقواعد التركيبية الدلالية[1]، يتمثل دورها الأساسي في فهم الملفوظات وتأويلاتها، وتمكين المتكلم من صياغة أقواله، التي قد تمكنه من عدم التصريح بها، أو أن يرغب في صياغتها على نمط يكون أكثر إبلاغًا وأحسن تأدية وأكثر إقناعًا، أي جعله يتميَّز بكفاءة تداولية وبلاغية، حتى يستطيع السامع من إدراك ما لم يرغب المتكلم في الإفصاح عنه، وهذا لأنَّ الكلام يُصاغ بوجوه عديدة ومتعددة، مباشرة وغير مباشرة، صريحة وغير صريحة.

البحث التداولي يسعى إلى معرفة الآليات التي تصاغ فيها بعض الملفوظات، أو أفعال الكلام، والإشارات، وضمائر المتكلم والخطاب، وظروف الزمان والمكان، التي لا يمكن تحديد إحالتها إلاَّ بارتباطها بمقام القول، فصيغة الأمر مثلاً قد لا تعني دائمًا توجيه السامع إلى فعل ما، فقد تحمل

[1] عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي، في ضوء النظرية التداولية، ص 99.

معنى الإخبار أو الدعاء أو المناجاة، كما أن الإستفهام بدوره قد يخرج من معناه الحقيقي إلى الإنكار أو التوبيخ أو التقرير، ممَّا يجعل الأفعال الكلامية لا تُؤدي دورها الصريح.

إنَّ كل ما يحيط بالخطاب، ومقامه، والأشخاص الفاعلين فيه، وكذا الظرف الزماني والمكاني للخطاب، يُحدِّد الصورة الحقيقية لمقصد الخطاب وحجاجيته، لأنَّ المتكلم قد يتلفظ بملفوظ، صورته الشكلية قد تختلف عن الحقيقة، فنجد في الأخير أن سياق هذا الملفوظ هو الذي يحدّد المقصد الحقيقي، والإجابات المتوالية لكل حوار بين المتحاورين تظهر من خلال ما يعتقده المتكلم ليس في ما قاله[1]، وتبعًا لهذا لن تغدو البتة قوانين الخطاب مبادئ مفسِّرة للآثار المعنوية المرتبطة باستعمال الأقوال، وإنما هي مبادئ تُفسِّر الاختلاف بين الخاصيات الحجاجية للجمل في اللغة وخاصيتها الإحالية في الخطاب.[2]

قوانين الخطاب لا تتعلق باللغة ومستوياتها، بقدر ما تتعلَّق بالقواعد والمعايير التي يجب أن يقف عندها كل متكلم أثناء حديثه مع غيره، وقد افتتح البحث في هذه القوانين الفيلسوف الأمريكي (بول غرايس) في مقاله: (المنطق والتحاور)، واعتمد على مبدأ التعاون كمبدأ أساسي في صياغته لهذه القوانين[3]، باعتبار أنَّ المتخاطبين كل واحد منهما يُظهر تعاونًا للآخر، ويسعى لنجاح المحاورة بينهما، وجعلها نموذجية، كون الخطاب تفاعل ونشاط اجتماعي بينهما، قد يكون صريح أو ضمني. تتمثل هذه القوانين في:

أ- مبدأ التعاون: Principe de copération:

يُعدُّ مبدأ أساسي للنشاط الكلامي بين المتخاطبين، يسمح للخطاب بأن يأخذ بعدًا تواصليًّا وتناوبي مستمرًا بين أطراف التواصل يسوده التفاهم والتعاون، ولكي يتحقَّق هذا المبدأ يستوجب توفُّر النزعة الاجتماعية والأخلاقية، وتغييب الأنانية أثناء التخاطب والحوار بين المتكلم والسامع، وتجمعهما

[1] Oswald Ducrot : le dire et le dit, Edition de minuit, paris, 1984, p 97.

[2] جاك موشلار، آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر/ مجموعة من الأساتذة والباحثين، دار سيناترا، تونس، ط2، 2010م، ص 212.

[3] محمود طلحة: تداولية الخطاب السردي، دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2012م، ص 120.

الفائدة المشتركة، فإذا كان للمتخاطبين فائدة في ممارستهما الكلام، فإنَّ كل طرف منهما سيجني ثمار ذلك إذا تحقّق التبادل، وعكس ذلك مآله الفشل، لذا ينبغي أن تكون العلاقة مشتركة في الربح والخسارة، ما يسمح لنا بالقول إن تبادل الكلام نشاط إجتماعي متحقِّق (comportements sociaux)[1].

هذا المبدأ يجعل أطراف الخطاب ويفرض عليهم احترام المبادئ التي اتَّفَقوا عليها وهو المبدأ التداولي الأول للتخاطب، ورد نصه في اللسانيات الحديثة عند الفيلسوف الأمريكي (بول غرايس) وذكره لأول مرة في دروسه (محاضرات في التخاطب)، ثم في مقاله الشهير (المنطق والتخاطب)[2]، ومبدأ التعاون مفاده: "ليكن إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه سياق الحوار، وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه أو الاتجاه الذي يجري فيه ذلك الحوار".[3]

لقد فرّعَ (غرايس) على مبدأ التعاون قواعد تخاطبية مختلفة قسَّمها إلى أربعة أقسام يندرج كل قسم منها تحت مقولة مخصوصة وهي: الكم والكيف والإضافة (أو العلاقة) والجهة، وهذه الأقسام الأربعة من قواعد التخاطب تتمثل في:

1- قاعدتا كم الخبر، وهما:

أ- لتكن إفادتك المخاطَب على قدر حاجته.

ب- لا تجعل إفادتك تتعدَّى القدر المطلوب.

2- قاعدتا كيف الخبر، وهما:

أ- لا تقل ما تعلم كذبه.

ب- لا تقل ما ليست لك عليه بينة.

3- قاعدة علاقة الخبر بمقتضى الحال، وهي:

أ- ليناسب مقالك مقامك.

---

[1] Catherine Kerbrat : Orecchioni : L'implicite. L'inguistique, armand colin, paris, 1986, p 197.

[2] طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م، ص 238.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص 96.

4- قواعد جهة الخبر، وهي:

أ- لتحترز من الإلتباس.

ب- لتحترز من الإجمال.

ج- لنتكلم بإيجاز.

د- لترتب كلامك.[1]

إنَّ ما يؤخذ على (غرايس) في صياغته لهذه الأحكام هو تداخلها فيما بينها وانعدام استقلالية حكم عن آخر، إذ أن الحكم الأول والثاني والرابع يمكن ضمهم في حكم المناسبة، و(غرايس) ذاته يعترف بهذا النقص، فيذهب إلى القول أنه يمكن إضافة أحكام أخرى إلى الأحكام السابقة، وهذه الأحكام قد أعيدت صياغتها على شكل قوانين، وتتجلى في:

خ- حكم المناسبة: قانون الإفادة.

د- حكم الصدق: قانون الصدق.

ذ- حكم الكمية: قانون الإخبارية.

ر- حكم البيان: قانون الشمول.[2]

ب- قانون الإفادة intérêt:

في هذا القانون يكون المتكلم مستوجب عليه إفادة السامع، فينبغي عليه أن يلتزم بهذا القانون، وهو قانون أساسي، لأنَّ أصل التخاطب والتحاور، الغاية منه إفادة السامع، سواءًا إخباره بأمر ما أو عدم إخباره، فالإفادة تتحقق في مدى نجاح العملية التواصلية، ورد فعل السامع والإستجابة للخطاب، كما قد يتم خرق الإفادة من الذين يملكون حق السلطة في الخطاب كالأستاذ أو الواعظ أو الكاتب، أن يتكلم فيما لا يفيد المخاطب لأنَّه يفترض فيهم أنهم يقولون ما هو جيد[3]، فالمتكلم في موقف قانون إفادة السامع، دون ذلك يعتبر خارق لنظام قانون الخطاب أو المحادثة.

[1] طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص238. 239.

[2] عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 103.

[3] محمود طلحة: تداولية الخطاب السردي، ص 122.

ج- قانون الصِّدق Sincérité:

المتكلم من المفترض أن لا يتلفظ إلاّ بما هو صادق، ولا يأمر إلاّ ما يرغب في تحقيقه فعلاً، ولا يستفهم إلاّ لمعرفة الإجابة من السامع، أي يوجّه الكلام فيما يراه المتكلِّم صدقًا، وما يُدركه السامع أنّه حقيقي، وأن ينقل الحقيقة كما هي في الواقع، فالصدق هو أن يعتقد المخاطب بأنه صادق في قوله سواءًا كان حقيقة أم كذبا، حتى يصبح الصدق أصلاً وعرفًا في الخطاب.

وإذا نظرنَا إلى قانون الصدق وجدناه لا يحتاج إلى علاقة دالة عليه من حيث التعابير والأساليب، وإنما الأساسي في الخطاب أن يقول المتكلم ما يعتقده صِدقًا – وهي القاعدة العامة– وأن يكون هو نفسه ضامنًا للصدق فيما يقول.[1]

ج- قانون الإخبارية informativité:

من شروط الخطاب ومبادئه، أن يخبر المتكلم شيء لا يعرفُه السامع، بحيث لا يستطيع المتكلم إخبار السامع بشيء يعرفه، فالخطاب عليه أن يكون الهدف منه إخبار المخاطَب، وهو من المبادئ الأساسية في عملية التخاطب والتواصل اللغوي، هذه العملية التي ينبغي أن تحمل معلومات مجهولة بالنسبة للمتلقي، وقانون الإخبارية الشرط الذي يخضع له الكلام، ويكون هدفه إخبار السامع، ولا يتم ذلك إلاّ إذا كان السامع يجهل ما يشار إليه[2].

قانون الإخبارية يمنع ترديد ما قيل ويعتبر ذلك حشوًا، ما عدا في بعض الحالات التي يضطر فيها المتكلم إلى إعادة الخبر لكي يربط ذهن المخاطب الشارد، أو لكي يربط ما يقول بما قال أو قيل، بسبب إطالته في الكلام، وقد تكون هناك رغبة المتكلم في أن يكون أكثر إيضاحًا في بعض النقاط التي يعتقد أنها ستكون غامضة بالنسبة للمخاطَب[3].

د- قانون الشمول Exhaustivité:

قانون الشمول، يكون كذلك إذا كان يحمل معلومة مجهولة بالنسبة للسامع، ويحمل فائدة له أيضًا، فكلما كان الخطاب أكثر فائدة وإخبار عن شيء أو قضية معيَّنة كان شاملاً، والعكس صحيح،

---

[1] طه عبد الرحمان: اللسان أو التكوثر العقلي، ص 249.

[2] -Oswald Ducrot : dire et ne pas dire ; principes de sémantique l'inguistique, Herman, 1ere édition ; paris, 1972, p 133.

[3] محمود طلحة: تداولية الخطاب السردي، ص 121.

فهو ضد المعلومة أو الفائدة الغير كاملة أو الجزئية، لأن الخطاب يصبح بذلك غير كاملاً أو شاملاً، لذا يتوجّب على المخاطِب العمل بهذا القانون، وأن يوظِّف كل ما لديه من أجل نقل معلومة كاملة إلى المخاطَب، والتي بدورها تحمل فائدة، لأنَّ الفائدة لا تتحقّق إلاّ بشمولية الخطاب وكمالِهِ[1]، وبه تتحقَّق المنفعة للطرفين، منفعة استكمال العملية التواصلية، والوصول إلى الهدف والمقاصد، ومنفعة إفادة السامع.

لقد تعززت نظريات وجهود كل من (أستين) و(سيرل) بما قدمه (غرايس) عند مرحلة التوسع والإغناء، حيث أكَّد أنَّ التواصل اللغوي يعمل على تحقيق أفعال إجتماعية، وحاول وضع أسس للتخاطب بتسطير القواعد والخطط التي تسمح بتغطية الأخبار المبلغة قصديًا، وبيّن أنّ هذا التخاطب الإنساني حوار يقوم على مبدأ أساسي وهو التعاون، ولذا وجب خضوعه لقواعد أساسية، ينبغي إحترامها من طرف المتحاورين ليكون التواصل سليمًا خاليًا من الآفات، وهو في كل هذا يركز على نظريتين أساسيتين في التخاطب، يمكن من خلالهما الكشف عن متضمنات القول وتحديدا الأفعال غير المباشرة، وهما النظرية القصدية ونظرية الإستلزام التخاطبي[2].

وقد أضاف (ديكرو Ducrot) عددا من القوانين مثل: قانون الاقتصاد، وقانون التلطيف، وقانون التسلسل، كما أضاف (مانغينو) قانونًا آخر كان قد أشار إليه (غرايس) في مسلماته التحاورية، يتمثَّل في قانون أو مبدأ الملائمة principe de pertinence، وواصل البحث في هذا القانون كل من (سبربر) و(ويلسون) رابطين إياه بمقترحات علم النفس المعرفي، حتى أصبح عندهما نظرية مكتملة لتفسير الملفوظات، ويبدو أنَّ مبدأ الملاءمة ذا صلة وثيقة بقانون الإفادة[3]، لأنّ مبدأ الملائمة يجعل من اللفظ مفيدًا، ويلائم المقام الذي هو فيه، والمتلقي هو الذي يحكم على ملائمة الملفوظ واحترامه، من خلال معارفه.

---

[1] Oswald ducrot: dire et ne pas dires: p 204.

[2] سعيد نكر: التداوليات واللغة الطبيعية، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ع:05، 2014م، ص 109.

[3] محمود طلحة: تداولية الخطاب السردي، ص 123.

4- متضمنات القول implicites:

القول فيه ما هو ظاهر، وما هو باطن خفي، فهو لا يرِدُ دائمًا صريحًا، وإنما في بعض الحالات يرد غير صريح، ممَّا يُحمِّل السامع على التفكير فيه واستنتاجه، وهذا الكلام هو متضمن في القول الصريح، حيث نجد فيه المتكلِّم يتحدث بالصريح من أجل نقل ما هو مضمر إلى السامع، فيبقى المضمر له دور هام في الحوار أو التخاطب.

التداولية تهتم بهذا الجانب من الخطابات الغير صريحة وغير مباشرة، فالقول الظاهر يتضمن قولاً آخر باطني، والمباشر يتضمن قول آخر غير مباشر، والحقيقي يتضمن قول ومعنى آخر غير حقيقين فإذا قُلنا مثلا: خالد أعزب، نكون قد أضمرنا قولاً آخر مستوحى منه هو: خالد كبير في السن، وَصلَ إلى سن الزواج ولم يتزوج.

فالتداوليون على إختلافهم يجمعون على أنَّ الإخبار لا يتمُّ بالتصريح فقط ويعود ذلك إلى وجود العديد من المحظورات التي تمنع المتكلم من التصريح، وهذه المحظورات قد يكون مصدرها المجتمع بما يحتويه من أخلاق وعادات ودين أو سياسات... وينعكس ذلك على اللغة باعتبارها وليدة المجتمع، وقد يتجلى ذلك في وجود بعض الألفاظ المحاطة بقانون الصمت يمتنع المتكلمون عن التصريح بها.[1]

متضمنات القول شكل من أشكال الأفعال المباشرة، ومعانيها الغير المصرَّح بها، كما هي شكل من أشكال الاستعارة، فعندما نقول مثلاً: (خالد خنزير) إستعارة، فالمعنى المضمر منه هو (خالد وسخ)، أو قولنا (هل سمحت لي من فضلك)، يفضي بشكل شبه آلي إلى تأويل السؤال بوصفه طلبًا، وما يترتب عن السياق وعلاقته به.

فمن خلال الملفوظ يمكن استنباط محتويات لا تشكل مبدئيًا الموضوع الحقيقي للتلفظ، ولكنها تظهر من خلال المحتويات الصريحة، وهذا هو المجال الضمني، كما يمكن التمييز بين ضمنيات دلالية وأخرى تداولية، الأول لها إرتباط بالمادة اللغوية للملفوظ، أمَّا الثانية يعتمد فيها المتلفظ المشارك إلى ربط الملفوظ بسياقه باستدعاء قوانين الخطاب أساسًا.[2]

---

[1] عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 112.

[2] دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاهيم لتحليل الخطاب، ص 71.

متضمنات القول les implicites مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيرها، ومن أهمها: (الافتراض المسبق، القول المضمر، الاستلزام التخاطبي).

أ– الافتراض المسبق pré-supposition:

في كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها، ومتفق عليها بينهم، تشكّل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية، لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة.[1]

يعتبر الافتراض المسبق أحد أبرز اشكال الضمني، فهو نتيجة للمفترض المسبق، نجده ضمن البنية اللغوية للملفوظ، وهي عبارة عن معلومات لم يُصرَّح بها، "فهو شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام، نجده عند المتكلمين وليس في الجمل"[2]، وهو "مفهوم براجماتيكي تتضمنه العبارة في المقام الذي ترِد فيه من حيث المعلومات المشتركة والمعروفة مسبَّقًا لَدَى المتكلم والمخاطب"[3]، ففي الأمثلة التالية:

- إغلق الباب
- لا تغلق الباب
- كليهما يحملان افتراض مسبق يتمثَّل في أن (الباب مفتوح)

وفي مثال آخر:– كيف حال أولادك، فالافتراض المسبق للملفوظ هو أن السامع متزوج وله أولاد وتربطهم علاقة تسمح بطرح هذا السؤال، فيجيب السامع: إنهم بخير شكرًا.

يَرَى التداوليون أن الافتراضات المسبقة ذات أهمية قصوى في عملية التواصل والإبلاغ، ففي التعليميات تَمَّ الاعتراف بدور الافتراضات المسبّقة منذ زمن طويل، فلا يمكن تعليم الطفل معلومة جديدة إلاّ بافتراض وجود أساس سابق يتم الانطلاق منه والبناء عليه، أمَّا مظاهر سوء التفاهم المنضوية تحت

[1] حافظ إسماعيل علوي: التداوليات. علم استعمال اللغة، ص 43.

[2] جورج يول: التداولية، ص: 51.

[3] شاهر الحسن: علم الدلالة السيمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، دار الفكر، عمان، ط1، 2001م، ص 176.

التواصل السيء فلها سبب أصلي مشترك هو ضعف أساس الافتراضات المسبقة، الضروري لنجاح كل تواصل لساني.[1]

فالافتراض المسبَّق لهُ دَور هام في تحديد العلاقة بين المتخاطبين، واحترام مبادئ قوانين الخطاب، وفتح المجال للسّامع في معرفة المعلومات الغير مصرَّح بها، والوصول إلى فائدة الخطاب ومقاصده.

ب- القول المضمر les sous- entendu:

القول المضمر هو نوع آخر من متضمنات القول مرتبط بالخطاب ووضعيته ومقامه، على خلاف الافتراض المسبَّق الذي يُحدَّد على أساس معطيات لغوية، تقول (أوريكيوني Orecchioni): "هو المعلومات les informations التي يمكن أن يحتويها الملفوظ، تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث contexte énonciatif)[2]، فالأقوال المضمرة على خلاف الافتراضات المسبقة، هي محتويات ضمنية تداولية، أي استنباطات مستخرجة من السياق، عن طريق المتلفظ المشارك بفضل استدلال عفوي قليلاً كان أو كثيرًا، يعتمد على مبادئ قوانين الخطاب تحكُم النشاط الخطابي[3].

ومثال على ذلك قول القائل:

- إنَّ البرد قارص.

فالسامع لهذا الملفوظ قد يعتقد أن القائل أراد أن يدعوه إلى:

- الانتظار في البيت.
- الإسراع في السير.
- الإنتظار.
- أو عدم نسيان المعطف.

بحيث تبقى نسبة التأويلات مفتوحة لتعدّد السياقات والطبقات المقامية التي ينجز ضمنها الخطاب.

---

[1] حافظ إسماعيل علوي: التداوليات. علم استعمال اللغة، ص 44.

[2]Cathrine Kerbrat -orecchioni: l'implicite, l'inguistique, p 39.

[3] دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص 119.

الفعل والتبادل الخطابي، خاضع لتعاونٍ بين المشاركين في الخطاب، وإلى قواعد وقوانين خاصَّة به، وإحترام مبادئ المحادثة الأساسية، ممَّا يسمح للمتلقي من استنتاج أقوالاً مضمرة، والقول المضمر يتصف بثلاث خصائص:

- وجود مرتبط بسياق معين.
- يفَك بفضل حساب يجريه المتلفظ المشارك.
- يمكن أن يرفضه المتلفظ ويحتمي وراء المعنى الحقيقي.[1]

5- الاستلزام التخاطبي أو (المحادثي):

نظرية الاستلزام التخاطبي أو الحواري أو المحادثي، من النظريات الحديثة، ومن أهم المفاهيم التي تقوم عليها التداوليات، وهو مفهوم ظَهَرَ مع (غرايس) الذي حَاوَل أن يضع نحوا قائمًا على أسس تداولية للخطاب، تأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد المؤسسة لعملية التخاطب.

الإستلزام شيء ينبع منطقيًا مما قيل في الكلام، أي أن الجمل هي التي تحوي الإستلزام، وليس المتكلمون[2]، فمن بين أهم مميزات الاستلزام – من حيث كونه آلية من آليات إنتاج الخطاب- أنَّهُ يُقدِّم تفسيرًا صريحًا لقدرة المتكلم على أن يعني أكثر مما يقول بالفعل، أي أكثر مما تؤدِّيه العبارات المستعملة.

نظرية الاستلزام التخاطبي جاءت بعد نظرية المعنى غير الطبيعي عند (غرايس)، والتي تمت بلورتها أساسًا كنظرية في التواصل هدفها الأساسي تقديم تصور عام عن كيفية حصول تفاهم بتجاوز المعاني الاصطلاحية المتعاقد عليها إلى معان أخرى تأتي مضافة بالقياس إليها، لذلك ميَّزَ (غرايس Grice) بين المعنى الطبيعي وغير الطبيعي، باعتباره معادِلاً لمفهوم التواصل القصدي الذي يتم فيه تجاوز المعاني الطبيعية إلى معان ترتبط أساسًا بقصدية المتكلم عن عملية التلفظ وسياقها[3].

وبَعدَ هذه النظرية طوّرَ (غرايس) نظرية ثانية حاولَ فيها وضع إطار عام لعملية التواصل بواسطة اللغة، والهدف الأساس من وراء ذلك هو ضبط الإستلزامات التي واجه فيها نوعين من الإستلزامات:

---

[1] دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص 120.

[2] جورج يول: التداولية، ص 51.

[3] عبد العزيز بنعيش: التواصل اللساني بين الاقتضاء والاستلزام، مطبعة أنفو برانت، فاس، ط1، 2013م، ص 57.

إستلزامات إصطلاحية وإستلزامات استدلالية.[1]

أثناء عملية التخاطب، وفي كثير من الأحيان، نجد معنى العديد من الجمل إذَا روعي ارتباطها بمقامات إنجازها، لا تنحصر في ما تدل عليه صياغتها الصوتية، وإنما يتعدّى ذلك إلى معاني أخرى إستلزامية، من خلال الإنتقال من المعنى الدلالي إلى معنى إستلزامي، أي انطلاقًا من المعنى الصريح وصولاً إلى المعنى غير الصريح.

لقد ميَّز (غرايس) بين القوة الإنجازية الحرفية، والقوة الإنجازية المستلزمة، امَّا الأولى فهي القوة المدركة مقاليًّا، والتي يدل عليها بصيغة الفعل، كالأمر والنهي، ويراد بالقوة الإنجازية المستلزمة، القوة الإنجازية المدركة مقاميًا، والتي تستلزمها الجملة في سياقات مقامية معينة، ولا قرائن بنيوية تدل عليها في صورة الجملة[2]، أي الدلالة الغير مباشرة، أو المعنى الغير طبيعي، وهذه الدلالة يُحدِّدُها المقام أثناء عملية التخاطب، فالمتكلم يخاطب السامع وفق مبادئ وقوانين معيَّنة، ومحيط مقامي يجمعهما، فينتج خطابًا يحمل دلالة مباشرة، كما قد يحمل دلالة سياقية أو تأويلية، فالاستلزام يأتي للبحث عن معنى المعنى لهذا الخطاب وتأويله.

(غرايس) إنطلق من تصوّر مبدأ عام مفاده أن ثمة مسلمات مسبقة تقود عملية التخاطب، وهذه المسلمات عبارة عن قواعد، يُفترض على المتخاطبين الإلتزام بها، وهي قواعد التخاطب التي تنطوي تحت مبدأ عام سمَّاه (مبدأ التعاون)، والغرض من التسليم بهذا المبدأ، والانضباط لقواعده هو الإسهام في إنجاح عملية التبادل الكلامي، وبلوغ سلوك تخاطبي يضمن حدوث التواصل بين المتخاطبين[3].

إحترام مبدأ التعاون وقوانينه، هو وصول إلى المقاصد، وتعاون بين المشاركين وفهم كل واحد منهما الآخر، وملائمة الملفوظ للسياق، فالقصد قد يكون مباشر أو غير مباشر، أو يكون ضمني، مما يسمح للسامع في البحث عن التأويلات، فالخطاب ما هو إلاّ جزء من المعنى بصورته الخارجية، والجزء الآخر أعمق يظهر من خلال السياق.

فالملفوظ يحمل معنى من خلال ألفاظه ومفرداته، أو من بنيته اللغوية بشكل عام، كما يحمل معنى استلزامي تداولي مرتبط ببنية الأقوال، وأيضًا بعملية التخاطب والسياق الذي يؤطِّرها.

---

[1] المرجع السابق نفسه: ص 58.

[2] العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص 97.

[3] عبد العزيز بنعيش: التواصل اللساني بين الإقتضاء والاستلزام، ص 60.

ظاهرة الإستلزام التخاطبي تحصل إذا تمَّ خرق إحدى قواعد مبدأ التعاون (الكم والكيف والملائمة والوجهة)، لأنها تستهدف من جهة نظر (غرايس) مبتغى واحدًا يتمثل في ضبط مسار الحوار بحيث يؤكد على أنَّ احترام هذه القواعد بالإضافة إلى المبدأ العام، هو السبيل الكفيل بجعلنا نبلغ مقاصدنا حيث يفض كل خروج عنها أو عن إحداها إلى اختلال في العملية الحوارية، وفي هذه الحالة على المحاور أن ينقل كلام مخاطبه من معناه الظاهر إلى المعنى الخفي الذي يقتضيه المقام.[1]

إنَّ الملفوظ يحمل معاني صريحة ومعاني ضمنية، فأمَّا المعاني الصريحة هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها، وتشمل (المحتوى القضوي، والقوة الحرفية الإنجازية)، والمعاني الضمنية هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخل في تحديدها والتوجيه إليها، وتشمل (معان عُرفية، ومعانٍ تخاطبية)[2]:

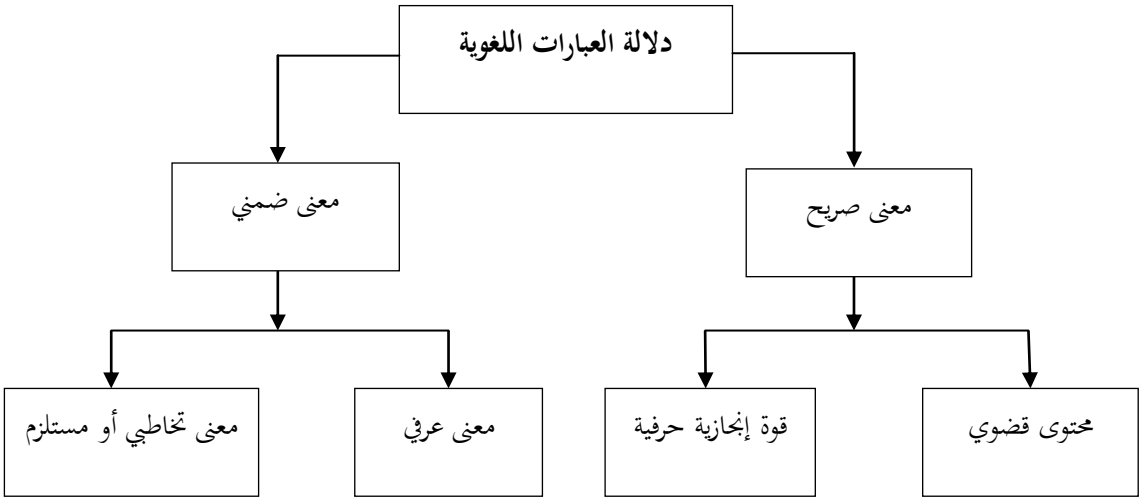

لذلك يمكن تحديد الاستلزام التخاطبي باعتباره إقصاء قول ما مدلولاً ثانيًا تاليًا لمدلول أول، لا يكون هذا القول ملائِمًا سياقيًّا إلاَّ به، بحيث يشكل المدلول الأول للقول، مضافًا إلى السياق، وقواعد التخاطب، الدَّال الأساس لمدلول المستلزم، كما يبيِّنه المخطط:[3]

[1] العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص 100.

[2] حافظ إسماعيل علوي: التداوليات، علم استعمال اللغة، ص 47.

[3] عبد العزيز بنعيش: التواصل اللساني بين الإقتضاء والاستلزام، ص 55.

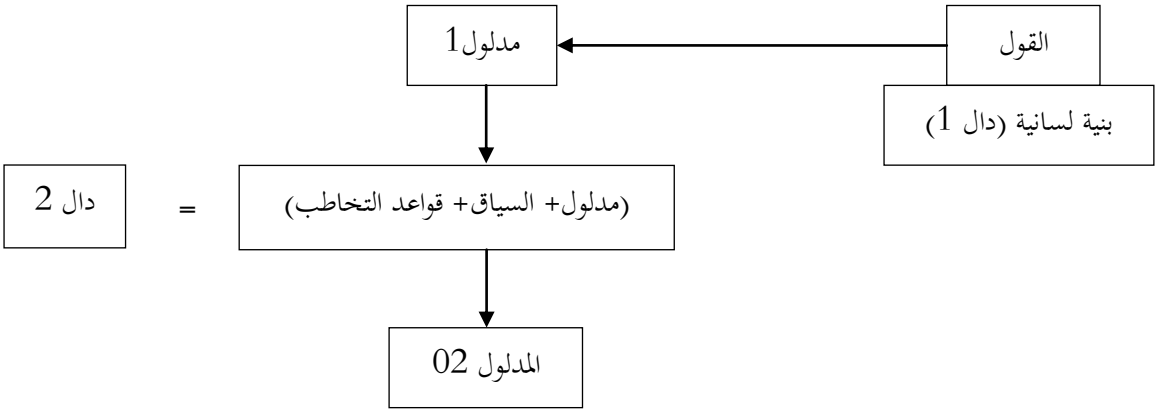

6- الحجاج L'argumentation:

الحجاج في اللغة من حاججته، أحاجّه حِجَاجًا ومحاجّة، حتى حَجَجْتُهُ، أي غَلبتُهُ بالحُجَجِ التي أدليت بها، والمحجّة: الطريق، وقيل جادة الطريق، والحُجَّة: البرهان، وقيل: الحُجَّة ما دوفِع بها الخصم، وقال الأزهري: الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجُل مِحجاج أي جَدِل، والتَّحجاج التخاصم، وجمع الحجّة حُجج وحِجاج، والحجة الدليل والبرهان، يقال: حَاجَجْتُهُ فأنا مُحاج وحجيج، فعيل بمعنى فاعل[1].

وقد ورد في أساس البلاغة (للزمخشري): حاج خصمه فَحَجَّهُ، وفُلاَن خصمُهُ محجُوجٌ[2]، فكلمة الحجاج بحكم صيغتها الصرفية تدل: على معنى المشاركة في تقديم الحجج وعلى مقابلة الحجة بالحجة.[3]

من خلال التعريفات يتبَّين أنّ الحجاج يحمل معنى الخصومة، وهذا ما دلَّت عليه الألفاظ: (غلبة، الخصم، الخصومة، التخاصم، الجدل...)، وعليه تكون الغلبة والخصومة في الخطاب للذي يظهر الحجة والبرهان أكثر من الآخر بين المتخاطبين، حتى يُبَيِّن ويُدَعِّم صحة ما يقوله، والخطاب عندما يتميّز بمظهر الخصومة والجدال، فإنَّهُ يُجسِّد صورة الخطاب الحجاجي.

لفظ الحجاج ورَدَ في القرآن الكريم أكثر من مرة، وكان أغلبها موجَّهة لأهل الكتاب (اليهود والنصارى) منها قوله تعالى:

---

[1] أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، ص 226/2-228.

[2] جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، ص 129/1.

[3] عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط2، 2007م، ص 09.

- «ياأهلَ الكِتَابِ لِمَ تُحاجُّونَ في إبراهيمَ وما أُنْزِلَتِ التَّوراةُ والإنجيلُ إلاّ من بَعدِهِ أفلاَ تعقِلونَ، هَأنْتُمْ هَؤُلاءِ حاجَجْتُمْ فيما لكُم بهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحاجُّونَ فيما ليس لكم بهِ علمٌ واللهُ يعلَمُ وأنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ»[1].

- «وحَاجَّهُ قومُهُ قالَ أتُحاجُّونِي في اللهِ وقد هداَنِ ولاَ أخافُ ما تُشْرِكونَ به إلاّ أنْ يشاءَ ربِّي شيئًا وَسِعَ ربِّي كلَّ شيءٍ عِلمًا أفَلاَ تتذَكَّرُونَ»[2]

- «وإذ يتَحاجُّونَ في النَّارِ فيقولُ الضُّعَفاءُ للذين إستَكْبَرُوا إنَّا كُنّا لكُمْ تَبَعًا فهَلْ أنْتُم مُغْنُونَ عنَّا نصيبًا من النَّار».[3]

- «والذينَ يُحَاجُّونَ فِي اللّهِ منْ بعدِ ما أُستجيب لهُ حُجَّتُهُم داحِضَةٌ عنْدَ رَبِّهِمْ وعليهِم غضَبٌ ولهُمْ عذابٌ شديدٌ».[4]

- «ألم تَرَ إلى الذي حَاجَّ إبراهيمَ في رَبِّهِ...».[5]

- «ولاَ تُجَادِلْ عنِ الذينَ يَختَانُونَ أنفُسهُمْ إنَّ الله لا يُحِبُّ منْ كانَ خوَّانًا أثيمًا».[6]

مصطلح الحجاج يُستعمل كمرادِف للجدل والمناظرة عند الكثير من العلماء المسلمين القدامى، نجد منهم (إبن منظور) الذي جعَلَ من الحجاج مُرادِفًا للجدل، وهذا ما اتَّضَحَ في قوله: "رجل محجاج أي جَدَل"، ونفس الرأي نجده عند الإمام (الطاهر بن عاشور) في تفسير (التحرير والتنوير) إذ يَرَى "أن المجادلة مفاعلة من الجدل، وهو القدرة على الخصام والحجة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك، ومنه سُمي علم قواعد المناظرة والاحتجاج في الفقه علم الجدل"[7]، جاعلاً من علم قواعد المناظرة والاحتجاج مقابلاً لعلم الجدل في الفقه، كمَا وَردَ هذا في كتب علوم القرآن ومنها كتاب: (البرهان في علوم القرآن) لبدر الدين الزركشي، وكتاب (الإتقان في علوم القرآن) لجلال الدين السيوطي، ما يُدعِّم الترادف بين اللفظين، بحيث أن هذه الكتب حين تعرض لـ (جدل القرآن) باعتباره علمًا من علومه،

[1] سورة آل عمران: الآيات 65، 66.
[2] سورة الأنعام: الآية 80.
[3] سورة غافر: الآية 47.
[4] سورة الشورى: الآية 16.
[5] سورة البقرة: الآية 258.
[6] سورة النساء: الآية 107.
[7] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج2، ج5، ص 194.

تُقيم أحد اللفظين على الآخر[1]، كما استعمل أيضًا (أبو الوليد الباجي) مصطلح الجدل بمعنى الحجاج، وسَمَّى كتابً له ينتمي إلى علم أصول الفقه بـ: (المنهاج في ترتيب الحجاج) مستخدمًا في العنوان لفظة الحجاج... لكنه في المقدمة ينعته بكونه كتابًا في الجدل، أمَّا (ابن خلدون) يُعرّف الحجاج في مقدمته على أنّه مناظرة بحيث يقول: "الجدل معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم"[2]، فجعل الحجاج والجدل مترادفين قد استمَرَ في الدِّراسات العربية الحديثة، كما هو الشأن في كتاب: (مواقف الحجاج والجدل في القرآن الكريم) للهادي حمو.[3]

إنَّ اعتبار القدماء وبعض المحدثين الحجاج مُرادفًا للجدل، ومراوحتهم بينهما في الاستعمال واستخدامهم أحدهما معطوفًا على الآخر باعتبارهما مترادفين، من شأنه أن يضيف مجال الحجاج ويغرقُهُ في الجدل، فالحجاج أوسع من الجدل، فكل جدل حجاج وليس كل حجاج جدلاً، فهو القاسم المشترك بين الجدل والخطابة، حيث إن الجدل والخطابة قوتان لإنتاج الحجيج كما يقول أرسطو.[4]

في أواخر الخمسينيات من القرن العشرين ظَهَرت دراسات بلاغية جديدة، في ظل اللسانيات التداولية، ونظريات التواصل التي ساهمت إلى حَدٍّ بعيد على إظهارها وإنجازهَا، فكانَ لأقطاب هذه الدِّراسات دعوة إلى بلاغة جديدة، بلاغة تهتم بمختلف أنواع الخطاب، والخصائص الإقناعية للنصوص، وكل ما يدور بالكلمة ويحيط بها، من سياق وإقناع وتأثير واستدلال، وكانَ هَدفُها دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة المتلقي وتقبُّلِهِ أو رفضه على ما يُعْرَض عليه من حجج ونتائج لغوية منطقية. مفهوم الحجاج في الدراسات اللسانية الحديثة أَخذتْ اتجاهًا غير الاتجاه الذي يربطه بالجدل أو المناظرة أو الخطابة، بل كَانَ في بداياته موضوع في إطار فلسفي عام، بَعدَ صدور كتابين لـ (تولمان Toulmin)، و(برلمان وتيتيكا perelman et tyteca) في اللغة أثناء الاستعمال والبلاغة الجديدة، ثُمَّ وُضعَ الحجاج في إطار لساني محض عند كل من (أوسكمبر Anxombre) وزميله (ديكرو Ducrot)، وقد حاول (ماير Meyer) أن يستثمر الجهود الفلسفية واللسانية لكل من سبقوه، في

[1] عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 13.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، تح/عبد السلام الشدادي، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء،ط1، 2005م، ص 21.22/3.

[3] عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 13.

[4] المرجع السابق نفسه: ص 17.

مجال الفلسفة بوضع الحجاج في إطار نظرية أوسع هي (نظرية المساءلة) التي شرع في وضع لبناتها الأولى في الفصل الأخير من كتابه (المنطق والكلام والحجاج).[1]

إنَّ الحجاج عند (برلمان وتتيكاperelman et tyteca) هو دراسة تقنيات الخطاب étude des techniques discursives التي تساهم في إقناع المخاطَب، وتُوسِّع أفق إقناعه بما يتلقاه[2] فالفائدة من الحجاج ان تقنع شخصًا بقضية أو تزيد من شدة إقناعه عن طريق الحجاج، لحمله إلى عمل أو تهيئته لذلك، فيكون من خطاب المتكلم لغرض إفهام السامع، والتأثير فيه، والسامع بالمقابل يحق عليه تقبلها أو إعتراضها، فَحَدُّ الحجاج أنَّهُ كل منطوق به موجَّه إلى الغير لإفهامه، دعوى مخصوصة يحقّ له الإعتراض عليها.[3] فمفهوم (برلمان وتيتيكا) يستند إلى صناعة الجدل من ناحية وصناعة الخطابة من ناحية أخرى بكيفية تجعل الحجاج شيئًا ثالثًا لا هو بالجدل ولا هو بالخطابة، إنَّه (خطابة جديدة)[4].

فالغاية من الحجاج عند (برلمان) أن يجعل العقول تذعن لما يُطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وُفِّقَ في جعل حدِّهِ الإذعان لقوة درجتها لَدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وُفِّق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة، والحجاج يتميَّز بأنَّه يوَجَّه إلى مستمع، ويعبر عنه بلغة طبيعية، وأن تكون مسلماته كونها احتمالية، أن لا يفتقر تقدّمُهُ إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة، وأن تكون نتائجه غير ملزمة (احتمالية غير حتمية)[5].

يشترط (بيرلمان) في تحديده للنظرية الحجاجية باعتبارها مجموعة من التقنيات الخطابية تجعل الذوات تؤمن بالطروحات التي تعرض عليها، أن يكون للحجاج تأثير على الغير بصحة معتقدات المخاطِب، وهو ما يخالف الصورة بالمفهوم البلاغي، التي يكمن دورها في إضفاء رونق على الخطاب، وهو ما أدَّى بـ (برلمان وتيتيكا) إلى إهمال هذه الظواهر لأنها ظواهر شكلية محضة، دورها ضعيف في

---

[1] المرجع السابق نفسه: ص 21.

[2] -Ch. Perelman, L. Olbrechts tyteca : traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, éditions de l'université de Bruscelle, 5ème édition, 1992, p 05.

[3] طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 226.

[4] عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 28.

[5] محمد سالم محمد الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 107، 108.

العملية الحجاجية، فالبلاغة الجديدة تتحدَّد انطلاقًا من تحليل التقنيات الحجاجية، هذه التقنيات تدور حول محورين هامين:

- محور الخطاب ذاته عن طريق البنى الحجاجية التي تكونه.
- محور أثر الخطاب على المستمع انطلاقًا من قصد صاحب الخطاب.

في المحور الأول تتم دراسة الحجج وتصنيفاتها، وفي المحور الثاني الوضعية التبليغية التي تشكل فعل الحجاج، ويحذِّر (بيرلمان) في هذا السياق من مخاطر عزل حلقة من الحجاج عن السياق الذي تندرج ضمنه، وانطلاقً من ذلك يمكن التمييز بين أربع تقنيات خطابية في نظر (بيرلمان وتتيكا) تتمثل في الحجج المنطقية والرياضية وطرائق الوصل والفصل.[1]

إن تيار البلاغة الجديدة يهتم بكل جوانب العملية التخاطبية، ومقامها، وآليات التحقيق الفعلي للخطاب المختلفة والمتنوعة، ممَّا يجعلها تتميَّز بالتَّوسع والشمولية في البحث البلاغي واللغوي، وانفتاحها على مختلف العلوم الإنسانية الحافة بهدف توظيف آلياتها وخطاباتها من خلال إنجاز المضامين الفعلية للخطابات المقدَّمة.[2]

يُعرِّف (ماير Meyer) الحجاج بأنَّه: دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام ومضمونه[3]، أي أنَّ الحجاج لا يقتصر على ظاهر النص وحده أو المضمون وحده، بل إلى العلاقة التي تجمع بينهما في سياق معين، مما يقتضي الوقوف عليه والبحث عن دلالة الاقتضاء للملفوظات التي ترمي إلى الإقناع أو التنفيذ.

لذلك نجد (ماير) يُقسِّم الحجاج إلى ضربين: صريح وضمني، ذلك أن طبيعته الخطابية الحوارية تجعل نصفه للمتكلم (وهو النصف المصرَّح به) ونصفه للسَّامع (وهو النصف الضمني) فتكون علاقة الضمني الصريح هي على صعيد لساني محض مندرجة حسب (بروندنير) في إطار تداولية مندمجة

[1] عمر بلخير: معالم لدراسة تداولية وحجاجية الخطاب الصحافي الجزائري، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2005م- 2006م، ص 175.174.

[2] محمد ولد سالم الأمين: حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، منشورات المركز العالمي للدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، الجماهيرية العظمى، ط1، 2004م، ص 21.

[3] عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 28.

pragmatique intégrée تجمع بين لسانيات اللغة على نحو ما هو عند (دي سوسير)، من ناحية، وبين عناصر المقام ومعطياته من ناحية أخرى وذلك وفق الرسم التالي:[1]

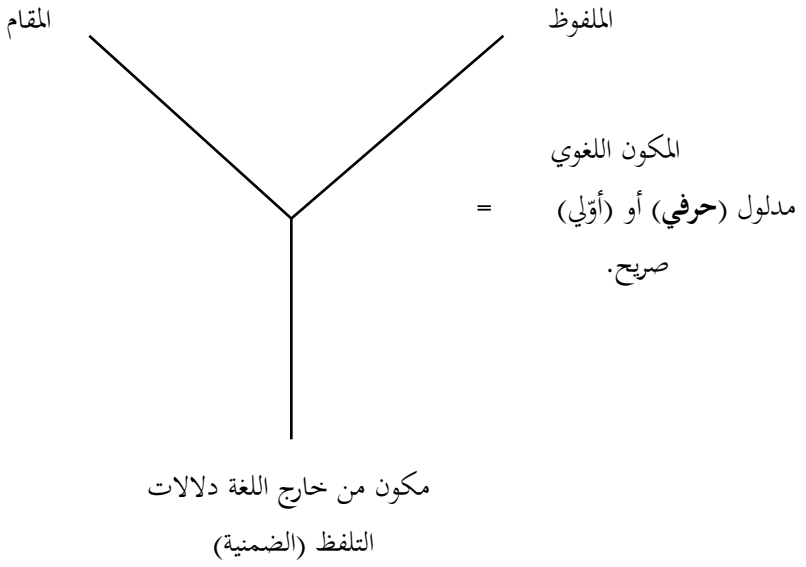

في الخطاب فيه ما هو ظاهر مُعلن، وباطن ضمني، أي بين ما يقصده المخاطِب، وما يفهمه المتلقي، وعند مقارنة هذا بهذا يصير الأمر محل استفهام، وحينها تقوم جدلية المعنى والدلالة الحاصل في الخطاب، فيصبح الأمر في حاجة إلى آليات أخرى تتجاوز ما هو لساني صرف إلى ما هو تداولي مقامي، للوقوف على المعنى الحقيقي للخطاب، ومدى كفاءة كل من المخاطب في بلوغ مقصد المتكلم، والإجراءات التي يستعملها في ذلك، فالكلام الإنساني ذو طبيعة اجتماعية نفسية، وخاضع لقوى خارجية تؤثِّر في عنصري الإلقاء والتلقي، وبالتالي في عملية الفهم والإفهام.[2]

إلى جانب النظريات المختلفة للحجاج، كالكلاسيكية، أو البلاغة الجديدة أو المنطق الطبيعي، نجد نظرية أخرى تقترن بالأعمال التي قام بها الفرنسيان (أوسكمبر وديكرو Anxombre et Ducrot) في بداية السبعينيات من خلال مؤلفهما المشترك (الحجاج في اللغة)، وهي نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية، وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما

[1] المرجع السابق نفسه: ص 38.

[2] بن أحمد عالم فايزة: الحجاج في اللسانيات التداولية، دراسة لنماذج من القرآن الكريم، مجلة الكلمة، دلتا للطباعة والنشر، بيروت، ع: 75، 2012م، ص 47.

تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها: "أننا نتكلم عامة بقصد التأثير"[1].

إنَّ موقع الحجاج في هذه النظرية تتمثَّل في العلاقة الدلالية التي تربط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن عمل المحاجة، ولكن هذا العمل محكوم بقيود لغوية، فلا بُدَّ أن تتوفر في الحجة (ق1) شروط محددة حتى تؤدي إلى (ق2)، لذلك فإن الحجاج مسجَل في بنية اللغة ذاتها وليس مرتبطًا بالمحتوى الخبري للأقوال ولا بمعطيات بلاغية مقامية، فالخطاب وسيلة الحجاج، وهو في نفس الوقت منتهى هذه الوسيلة، هذا ما جَعَل (ديكرو) يميِّز بين نوعين من الأفعال:

- الفعل الحجاجي المتمثّل في الطرف الآخر بمقتضى إصدار قول (ق1) على فهم (ق2).
- الفعل الاستدلالي الذي يعرف على أنه فعل يتوقف تحقيقه على إنتاج ملفوظ.[2]

مثال ذلك: 1- اتَّصَلَ بي أحمد ودعاني لزيارته.

2- إذن أنت هو زيد.

يُعتبر ما قَالَهُ (2) فعلاً استدلاليًا ارتبط بما قالَهُ (1).

أمَّا في الحوار التالي: 3- إنّه صغير.

4- رغم ذلك فهو قوي.

لا يوجد في قول (3) ما يشير إلى النتيجة التي توصَّل إليها (4).

ومن هنا يصل (ديكرو) إلى نتيجة مفادها أنَّ الحجاج والاستدلال شيئان مختلفان تمامًا، فالحجاج يقع على مستوى الخطاب، أمَّا الاستدلال فهو يرتبط بالمعتقدات المتعلقة بالواقع أي الطريقة التي تُحدِّد بها الوقائع.[3]

هذه النظرية تريد أن تبين أنَّ اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، وبعبارة أخرى هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها، ومن هذه الزاوية يصبح الحجاج بعدًا جوهريًا في اللغة ذاتها، مما ينتج عن ذلك أنه حيثما وُجدَ خطاب العقل واللغة فإنَّ ثمة استراتيجية معينة إليها لُغويًا وعقليًا إمَّا لإقناع أنفسنا أو لإقناع غيرنا، وهذه الإستراتيجية هي الحجاج ذاته.

---

[1] عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 30.

[2] عمر بلخير: معالم لدراسة تداولية وحجاجية الخطاب الصحافي الجزائري، ص 186.

[3] المرجع نفسه: ص 187.

دراسة الحجاج أخذت تهتم بإستراتيجية الخطاب الهادف إلى الإستمالة إستنادًا إلى أنماط الاستدلالات غير الصورية، وذلك بغاية إحداث تأثير في المخاطَب بالوسائل اللسانية والمقومات السياقية التي تجتمع لدى المتكلم أثناء القول من أجل توجيه خطابه والوصول إلى بعض الأهداف الحجاجية.[1]

تنتشر الصور الحجاجية في الخطاب بصفة مكثفة ومتنوعة، تتضح عبر مجموعة من الظواهر اللسانية الخالصة، من روابط وعوامل وكلمات معجمية، وبنيات تركيبية، بحيث أصبحت هذه المظاهر وغيرها موضوع بحث واستقصاء ضمن المنظور الدلالي والتداولي للحجاجيات اللسانية.

1- السلالم الحجاجية Les échelles argumentatives:

إنَّ العناصر اللغوية مرتبطة فيما بينها لتكوّن ملفوظ معين، يحمل معنى ظاهر أو خفي أو يحيلنا إلى ملفوظات أخرى مرتبطة به، تُبيِّنها العلاقة الترتيبية للحجاج، أو التوجُّه الحجاجي لذلك الملفوظ، مما يحمل السامع إلى وجهة ترتيبية حجاجية أخرى، انطلاقًا من الملفوظ الأول الذي هو بمثابة الحجة للوصول إلى نتيجة، فيكون الملفوظ يحمل معه قيمة حجاجية، وهي قيمة غير مقتصرة فقط عن المعلومات التي يحتويها، بل قد تحتوي الجملة على المورفيمات وتعابير أو صيغ، زيادة على محتواها الإخباري، تفيد إعطاء توجُّه حجاجي للملفوظ، وحمل المتلقي إلى وجهة أو أخرى.[2]

فالسلم الحجاجي هو علاقة ترتيبية للحجج يمكن أن نرمز لها كالآتي:

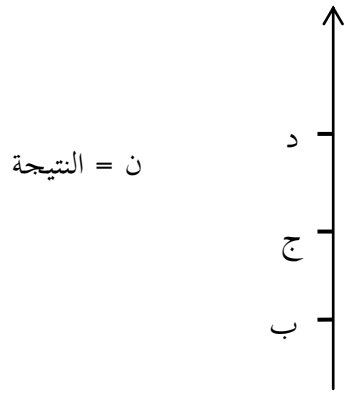

(ب) و (ج) و(د) حجج وأدلة تخدم النتيجة (ن).

[1] عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، مقاربة لغوية تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، المغرب، د ط، 2006م، ص 67.

[2] Oswald Ducrot, les échelles argumentatives, les éditions de minuit, pris, 1984, p 19.20.

فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما، علاقة ترتيبية معينة، فإنَّ هذه الحجج تنتمي إلى نفس السلم الحجاجي، باعتباره فئة حجاجية موجَّهة يتَّسم بـ:

أ- كل قول يردُ في درجة ما من السلم، يكون القول الذي يعلوه دليلاً أقوى منه بالنسبة لـ (ن).

ب- إذا كان القول (ب) يؤدي إلى نتيجة في (ن)، فهذا يستلزم أن (ج) أو (د) الذي يعلوه درجة يؤدي إليها، والعكس غير صحيح[1].

فإذا أخذنا الأقوال التالية:

-حصَل عمر على الشهادة الإبتدائية.

- حصل عمر على الشهادة الأساسية.

- حصل عمر على شهادة الباكالوريا.

- حصل عمر على شهادة الليسانس.

نجد أن الجمل الأربعة تنتمي كلها إلى نفس الفئة الحجاجية، وإلى نفس السلم الحجاجي، كما تؤدِّي وظيفة مضمرة تتمثَّل في الكفاءة العلمية لـ (عمر)، باعتباره تحصَّل على جميع الشهادات، ولكن القول (حصل عمر على الليسانس) يُعتَبر أعلى درجات السلم الحجاجي، وهي أعلى حجة تبيِّن كفاءة عمر العلمية.

فالحجج (أ)، (ب)، (ج)، (د) تخدم النتيجة (ن) = الكفاءة العلمية.

[1] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، د ط، 2009م، ص 26.

نظرية السلالم الحجاجية تنطلق من إقرار التلازم في عمل المحاجة بين القول الذي يحمل حجة (ق) ونتيجة (ن)، ومعنى هذا التلازم هو أنّ الحجة لا تكون حجة بالنسبة إلى المتكلم إلاَّ بإضافتها إلى النتيجة مع الإشارة إلى أنَّ النتيجة قد يصرَّح بها وقد تبقى ضمنية[1].

مثال ذلك: أ- ماذا تريد أن تفعل اليوم؟

ب- ألا ترى أن الطقس جميل؟

فالاستفهام في القول (ب) يمثِّل حجة لفائدة نتيجة ضمنية هي الخروج للنزهة مثلاً، وإن لم يقع التصريح بهذه النتيجة، لكن في العلاقة التي تربط القول بنتيجته سمات أساسية مميّزة، إذ هناك مجموعة من الملفوظات يمكن أن تشكِّل حججا لنتيجة واحدة تتفاوت من حيث قوتها[2]، فالوجهة الحجاجية للقول هي التي تحدِّد قيمته، باعتبارها تدعيمًا لنتيجة ما، وأن السلم الحجاجي يُبيِّن أن الحجاج لا يتحدَّد فقط بالمعلومات والإخبار، ومطابقته بما هو في العالم، بل هو رهن اختبار حجة ما بدل أخرى بالنسبة إلى نتيجة ما، فالحكم على الحجاج أساسه قوة أو ضعف بعض مكوناته بالنسبة إلى نتيجة ما، على اعتبار طابع التدرّج فيه وليس اعتبارًا للصدق والكذب.

للسلم الحجاجي قوانين ثلاثة أهمها:[3]

-قانون النفي: إذا كان قول ما (أ) مستخدَمًا من قِبَل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة، فإنَّ نفيه سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة، مثل:

أ- زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان.

ب- زيد ليس مجتهدًا، إنّه لم ينجح في الامتحان.

-قانون القلب: يرتبط هذا القانون أيضًا بالنفي، ويُعدُّ تتميمًا للقانون، ومفاد هذا القانون أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية، فإذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى في التدليل على النتيجة المضادة مثل:

أ- حصل زيد على الماجستير.

ب- لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير.

---

[1] عمر بلخير: معالم لدراسة تداولية وحجاجية للخطاب الصحافي الجزائري، ص 186.

[2] المرجع نفسه: ص 187.

[3] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 27، 28، 29.

فحصول زيد على الدكتوراه أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على الماجستير في حين أنَّ عدم حصوله على الماجستير هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على شهادة الدكتوراه.

– قانون الخفض: يوضِّح قانون الخفض الفكرة التي ترى أن النفي اللغوي الوصفي يكون مُساويًا للعبارة (moins que) فعندما نستعمل جملاً قبيل:

أ–الجو ليس باردًا.

ب– لم يحضر كثيرٌ من الأصدقاء إلى العرس.

نستبعد التأويلات التي ترى أنَّ البرد قارس وشديد في المثال الأول، أو أنَّ الأصدقاء كلهم حضروا إلى الحفل في المثال الثاني، وسيؤول القول الأول: (إذا لم يكن الجو باردًا، فهو دافئ أو حار)، وسيؤول القول الثاني: (لم يحضر إلاَّ القليل منهم إلى الحفل).

وتتجلَّى صعوبة صياغة هذه الوقائع، في أن الخفض الذي ينتج عن النفي لا يتموقع في السلم الحجاجي، ولا يتموقع أيضًا في سلمية تدرجية موضوعية يمكن تعريفها بواسطة معايير فزيائية، فلا تندرج الأقوال الإثباتية من نمط (الجو بارد) والأقوال المنفية من نمط (الجو ليس باردًا) في نفس الفئة الحجاجية ولا في نفس السلم الحجاجي.

2– العوامل والروابط الحجاجية: Les opérateurs et les connecteurs argumentatifs:

الخطاب بنية لغوية تحمل عناصر ومؤشرات لغوية تسمح وتساهم إلى حدٍّ كبير في انسجام واتساق الخطاب، وربط أجزائه بالمعنى، كما تُساهم في توجيه الحجاج الوجهة التي يُريدها المخاطِب، فهي عبارة عن عوامل وروابط حجاجية، تُمثلها بعض الأدوات والحروف، والوحدات المعجمية، والوظائف النحوية...، تتحدَّد أكثر عند تحديد قيمتها الحجاجية، فنحن أمام صنفين من المؤشرات والأدوات الحجاجية، والعوامل والروابط الحجاجية، يُعرَّف العامل بأنّهُ وظيف يكون حدُّهُ قضية بسيطة أو ذرّية، أمَّا الرابط فهو وظيف يكون حَدُّه زوجًا مرتَّبًا من القضايا.[1]

[1] جاك موشلار. أن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ص 185.

أ- العوامل الحجاجية Les opérateurs argumentatifs:

هي عوامل لا تربط بين متغيرات حجاجية، أي بين حجة ونتيجة، أو بين مجموعة حجج، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكوّن لقول ما، وتضم العوامل أدوات من قبل: ربما، تقريبًا، كَادَ، قليلاً، كثيرًا، ما، إلاّ... وجل أدوات القصر[1]، فالعوامل الحجاجية هي:(**morphème**) إذا توفَّرت في ملفوظ توجّه إمكاناته الحجاجية[2]، مثال ذلك:

أ- مدخول القطاع السياحي في الجزائر ضعيف.

ب- لا يُمثّل مدخول القطاع السياحي في الجزائر إلاّ إثنان بالمائة.

فالقيمة الإخبارية للمثالين لم تتغير بين (أ) و (ب)، لكن الذي تغيَّر هي القيمة الحجاجية للقول بعد إضافة أداة القصر (إلاّ) إلى المثال (أ)، بحيث الإمكانات الحجاجية في المثال (ب) تقلّصت أكثر.

وفي مثال آخر: أ- الساعة تشير إلى الثامنة أسرع.

ب- لا تشير الساعة إلاّ للثامنة لا تسرع.

نلاحظ أن القول الأول سليم ومقبول تمامًا، أما القول الثاني يبدو غريبًا وأكثر تعقيدًا، يتطلب سياقًا خاصًّا حتى نستطيع تأويله، وبعبارة أخرى فهو يتطلب مسارًا تأويليًا مختلفًا، فالمثال (أ) له إمكانات حجاجية كثيرة، فقد يخدم هذا القول نتائج من قبيل: الدعوة إلى الإسراع، التأخر والاستبطاء، هناك متسع من الوقت...إلخ، فهو يخدم نتيجة من قبيل: (أسرع) كما يخدم النتيجة المضادة لها (لا تسرع)، لكن عندما أُدخلَ عليه العامل الحجاجي (إلاّ)، فإنَّ إمكاناته الحجاجية تقلَّصت وأصبح الاستنتاج الممكن هو: لا تشير الساعة إلاّ الثامنة، لا داعي للإسراع.

ب- الروابط الحجاجية Les connecteurs argumentatifs :

تلعب الروابط دورًا هامًّا في الإنسجام والاتِّساق العام والشامل للخطاب، بحيث تسمح للقضايا والأفكار بأن تسير وفق تسلسل وتدرج لغوي وفكري متين، لأنَّ الروابط تربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح أو أكثر وتسند لكل قول دورًا محدَّدًا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة، ويمكن

[1] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 33.

[2] Jacques Moshler : Argumentation et conversation, élément pour une analyse pragmatique du Discoures, Hatier, Gedif, paris, 1985, p 62.

التمثيل للروابط بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لاسيما، إذن، لأن، بما أن، إذ...إلخ[1]، فالروابط الحجاجية لها بُعد تداولي حجاجي، كونها تربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر، كما أنها لها دور حجاجي للوحدات الدلالية التي تربط بينها، مثال على هذا البعد التداولي الحجاجي:

أ- لن تصل إلى القمة، فالنجاح يتحقق بالإرادة والعزيمة.

من خلال نفس الحجة نصل إلى نتيجة معاكسة:

ب- ستصل إلى القمة، لأنَّ النجاح يتحقق بالإرادة والعزيمة.

فالحجة تصلح لأن تكون للنتيجة ولضدها، وهو قول معاكس للوجهة الحجاجية، لذلك اتَّسعت إمكانات الربط بينه وبين جمل أخرى، فالنتيجة في المثال الأول (أ) تختلف عن المثال الثاني (ب) رغم وجود نفس الحجة، فالنتيجة الأولى مضادة للثانية.

وإذا أخذنا المثال التالي:

- زيد يملك إرادة وعزيمة، إذن سيصل إلى القمة.

نجده يملك حجة تتمثل في (زيد يملك إرادة وعزيمة)، ونتيجة الحجة (سيصل إلى القمة)، والروابط بين الوحدتين الدلاليتين (إذن).

وهناك أنماط عديدة من الروابط تتمثل في:

أ- الروابط المدرجة للحجج: (حتى، بل، لكن، مع ذلك، لأن...).

والروابط المدرجة للنتائج: (إذن، لهذا، بالتالي...).

ب- الروابط التي تدرج حججًا قوية: (حتى، بل، لكن، لاسيما).

والروابط التي تدرج حججا ضعيفة.

ج- روابط التعارض الحجاجي: (بل، لكن، مع ذلك).

وروابط التساوق الحجاجي: (حتى، لاسيما...).[2]

إنَّ حصر وتقييد الإمكانات الحجاجية، أو ربط الوحدات الدلالية فيما بينها يأخذ بُعدًا تداوليًا حجاجيًا كبيرًا، يظهر ذلك من خلال عدد الألفاظ والأدوات والحروف التي تأدِّي وظيفة حجاجية معيَّنة، لكن رغم وجود تلك الروابط والعوامل الحجاجية إلاّ أنّها غير كافية، فهي تحتاج إلى ضامن

[1] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 33.

[2] المرجع نفسه: ص 36.

يضمن الربط بين الحجة والنتيجة، هذا الضامن هو ما يُعرف بالمبادئ الحجاجية، وهي تقابل مسلمات الإستنتاج النطقي في المنطق الصوري أو الرياضي، هذه المبادئ هي قواعد عامة تجعل حجاجًا خاصًّا ما ممكنًا، تتمثَّل في:

أ- إنَّها مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية معينة.

ب- العمومية: فهي تصلح لعدد كبير من السياقات المختلفة والمتنوعة.

ج- التدرجية: إنها تقيم علاقة بين محمولين تدرجين أو بين سلمين حجاجيين (العمل، النجاح) مثلاً.

د- النسبية: فإلى جانب السياقات التي فيها تشغيل مبدأ حجاجي ما، هناك إمكان إبطاله ورفض تطبيقه باعتباره غير وارد وغير ملائم للسياق المقصود، أو يتم إبطاله باعتماد مبدأ حجاجي آخر مناقض له، فالعمل مثلاً يؤدي إلى النجاح، ولكنه قد يؤدي إلى الفشل في سياق آخر إذا زاد عن الحد المطلوب، وإذا نُظر إليه على أنّه تعب إرهاق وإهدار للطاقة.[1]

3- العلاقات الحجاجية:

إن الوصول إلى تحليل البنية اللغوية للخطاب، ومعرفة ما يحتويه، لا يتوقَّف فقط على تحديد أهم عناصره، والعلاقة التركيبية والدلالية التي تجمعهما، أو فك أجزاء الخطاب وإبراز أهم نقاطه من أدوات وآليات وأساليب، أو حجج ونتائج فحسب، بل يتعدَّى ذلك إلى مجال أوسع يتمثَّل في البحث عن أهم العلاقات الحجاجية والمنطقية التي تساهم في تكوين الخطاب وبنائه.

العلاقة الحجاجية مفهوم واسع وشامل، يمكن أن تربط بين حجة واحدة ونتيجة أو بين نتيجة واحدة ومجموعة من الحجج، ويمكن أن تربط بين عناصر صريحة وأخرى مضمرة، بخلاف العلاقة المنطقية التي لا تربط إلاّ بين قضايا صريحة ومتماثلة[2]، وهذه العلاقات الحجاجية تتنوّع بتعدُّد الروابط الحجاجية المعبِّر عنها، لأنها عبارة عن أدوات وآليات يستعملها المتكلم للربط بين أجزاء الخطاب، وإظهار حجة أو حجج معينة، تُأسس لعلاقة أو علاقات حجاجية معينة.

فالخطاب الحجاجي قائم على التناغم والانسجام، وضرب من الترابط بين أقسامه، ممَّا يدعونا إلى النظر في العلاقات الحجاجية، أي العلاقات بين مختلف الحجج والبراهين من ناحية، وبين هذه الحجج والبراهين من جهة، والنتائج التي يقصدها الخاطب ويقود إليها المتلقي من جهة أخرى، هذه

[1] المرجع السابق نفسه: ص 37، 38.

[2] أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، الأحمدية للنشر، المغرب، ط1، 2007م، ص 20.

العلاقات التي تُحدِّد مسار البرهنة وتعكس إستراتيجية معينة في الإقناع، اختارَها الباث دُونَ سواها لأنّه يراها كفيلة بتحقيق غاية الخطاب قادرة على تبليغ مقاصد صاحبه[1].

الحجاج يهدف إلى إنشاء علاقات معينة موجَّهة، منها ماهي تتابعية أو سببية أو اقتضاء، وأيضًا علاقة الاستنتاج، وعدم الإتِّفاق أو التناقض، وهي علاقات لها مجال خاص، تضبطها معطيات متعدِّدة ومتنوعة، منها ما يرتبط بالمرسل، وأخرى بالمتلقي، ومنها ما يرجع إلى وضعيات الخطاب ومقصديته، فالخطاب في جوهره شبكة علاقات، والخطاب الحجاجي شبكة مخصوصة من العلاقات، لكون المادة التي تقد منها كل الخطابات واحدة، وهي اللغة، واللغة ليست جزءًا لكلمات معزولة، بل هي نظام علامي يقوم على شبكة مهمة من العلاقات.[2]

أ- علاقة التتابع:

علاقة حجاجية تنتج من خلال تتابع الأحداث والوقائع، يكون فيها تطور منسجم ومتناغم فيما بينها، فالتتابع يقع على مستوى الأحداث حيث تنغرس الحجة في الواقع وتنتهي بداهة إلى الحجج المؤسسة على بنية الواقع، كما يقع على مستوى القضايا أو الأفكار، فتنتمي الحجة عندها إلى صنف الحجج شبه منطقية[3]، فالتتابع الحجاجي تتابع للأحداث والوقائع، حدث، أو واقعة وراء أخرى، تَرِدُ على شكل حجج متوالية لبيان أو إثبات ما يُقال، أو على شكل أفعال تربط بما هو قبلها، أو بما هو بعدها، عن طريق علاقة معينة، كما قد يَرِدُ عن طريق نفي قضية معينة بغرض إقناع المتلقي.

هذا النوع من العلاقات ورد بكثرة في القرآن الكريم بصفة عامة، وفي خطاب أهل الكتاب بصفة خاصة، كونه خطاب يتميَّز بالتتابع كميزة إعجازية.

ب- العلاقة السببية:

علاقة حجاجية تنتج من خلال سعي المتكلم أو المرسل في الربط بين الأحداث والقضايا برابط سببي يصل بينهما، ممَّا يجعل حدث أو بعض الأحداث سَبَبًا لأحداث أخرى، ليكون فيها الربط أوسع وأعمق وأدق من الربط بين أجزاء الكلام.

---

[1] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، بنيته وأساليبه، ص 317.

[2] المرجع نفسه: ص 317.

[3] المرجع نفسه: ص 321.

تُعدُّ العلاقة السببية من أبرز العلاقات الحجاجية وأقدرها على التأثير في المتلقي، إذ يحرص المتكلم على ربط الأفكار والوصل بين أجزاء الكلام دون الاكتفاء بتلاحق عادي بينهما، وتتابع طبيعي يجعل الأحداث والأفعال، أو الأفكار والأحكام متسلسلة متجاوبة، بل يعتمد على مستوى أعمق من العلاقة فيجعل بعض الأحداث أسبابًا لأحداث أخرى، فيصبح فعل ما كنتيجة متوقعة لفعل سابق، ويجعل موقفًا معيَّنًا سببًا مباشرًا لموقف لاحق.[1]

فهذه العلاقة من أكثر العلاقات استعمالاً بالنسبة للمتكلمين تعكس مدى قدرة المتكلم وكفاءته الحجاجية من جهة، ومدى الدور الذي تلعبهُ العلاقة السببية في تحديد طبيعة الحجج ونتائجها.

ج- علاقة الاقتضاء:

في الخطاب دائمًا ما يلجا المتكلم إلى محاولة إقناع المتلقي بقول يكون مفهومًا ومُبسَطًا قدر الإمكان في شكله ومضمونه، بحيث يعكس ظاهر اللفظ، ما هو موجود في باطنه من معنى وفق شروط موضوعية حاصلة في المقام خارج الملفوظ، فيصبح الملفوظ مُلازمًا للمعنى، أي أن تكون الحجة تقتضي النتيجة، فالاقتضاء ودلالته هي استلزام القول لمعنى تابع للمعنى العباري من غير توسط دليل، ومع توقف فائدة القول عليه[2]، فالاقتضاء يكون بإضافة معاني ضمنية لتحقيق مقصدية الكلام، فيكون الكلام عاكِسًا لمعناه ومقصده بما يتضمنه من ألفاظ وعبارات، فيكون وفق الشكل التالي:

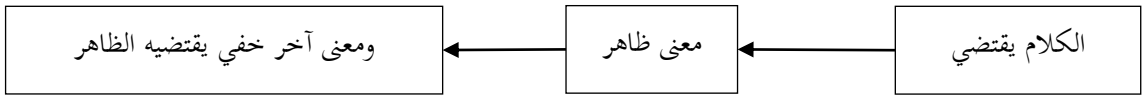

د- علاقة الاستنتاج:

هي علاقة إستنتاجية بين وحدات الخطاب، لتفسير بعض الوقائع والأحداث تفسيرًا منطقيًّا لغرض الفهم والتأويل، بتوظيف آليات عقلية منطقية، باعتبارها علاقة منطقية، وهي مما يدين بها الحجاج للمنطق، وفي جوهرها خاصية من الخصائص التي تؤكد أن الحجاج فن الإنتقال من فكرة إلى أخرى بشكل منظَّم وميسَّر، ذلك أن للقوانين المنطقية خاصية نظامية من جهة، وهي من جهة أخرى تعبير

[1] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، بنيته وأساليبه، ص 327.

[2] طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 108.

عن بعض أشكال أو عادات التفكير[1]، فالعلاقة الإستنتاجية خاصيتها هي الانتقال من المقدمات إلى النتائج بمستلزمات منطقية.

هـ- علاقة عدم الاتِّفاق أو التناقض:

هي علاقة ذات خلفية منطقية واضحة، إذ ندفع أمرًا بإثبات تناقضه مع نتيجة للخطاب، والتناقض ليس شكلي خالص في الحجاج من قبيل (أسود/أبيض)، وإنما أقصى ما نستطيع الحديث عنه انعدام التوافق بين الحجة والنتيجة.[2]

4- أشكال الحجاج:

يأخذ الحجاج أشكالا متنوعة من الحجج داخل القول الحجاجي، من أجل تمرير مواقف معينة، أو التأثير في الآخر وإقناعه، وتغيير اعتقاداته، تساهم في توظيف أساليب وآليات منطقية وغير منطقية، فعَّالة أو غير فعَّالة، موضوعية أو ذاتية، حسب الغرض والهدف منها، والنتيجة المرجوة من خلالها، هذه الأشكال تتحدَّد مقاصدها وفوائدها من خلال الرجوع إلى سياقها والموضوع الذي تدعمه أو تفنده.[3]

أ- الحجاج بالسلطة:

يظهر هذا الشكل من الحجاج عندما يسعى المتكلم إلى استعمال أدوات وأساليب حجاجية قصد فرض السلطة على المتلقي والتأثير فيه، بعد نفاذ أو عدم نجاعة الأساليب الإقناعية الأخرى، فهي سلطة من نوع خاص، تتجاذبها الموضوعية العلمية والانطباعية الذاتية باستمرار، بل إن الموضوعية قد تتنافى مع الركون إلى السلطة، وتفترض طلب المعرفة وإيصالها للآخرين عن طريق الاستدلالات المعقولة والملائمة للمجالات المعرفية التي تعالجها، لذلك فالمجال الحجاجي ينبغي أن لا يوظف كل سلطة مباشرة مادية أو معنوية، بل ينبغي أن يفتح أفاقًا للتفكير وان يقدم إمكانيات أكثر ممَّا يضع من حلول جاهزة ومفروضة، لذلك حتى تكون الحجة بالسلطة سليمة ينبغي:

- أن تدرك الحجة بالسلطة إدراكًا سليمًا.
- أن تكون للسلطة كفاءة حقيقية ومتمكنة في مجالها.

---

[1] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته وأساليبه، ص 339.

[2] المرجع نفسه: ص 344.

[3] عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ص 164.

- أن يعتبر جانب التخصص في كل مجال على حدة.
- أن يكون الرأي قائمًا على دليل يمكن تأكيده أو بالأحرى البرهنة عليه.
- أن تكون هناك تقنية وفاق ضرورية للبث في الخلافات بين سلطتين أو أكثر[1].

الخطاب القرآني خطاب إلاهي متعالي، مُوجَّه إلى فئة معينة من الناس، بصفة مباشرة في أغلب خطاباته، يتميَّز بأساليب إنشائية مختلفة في مواقف ومواضيع متنوِّعة، أغلبها جاء بصيغة الأمر والنهي، لغرض توجيههم إلى أمر ما، أو الامتناع عن القيام بفعل ما، وقصد ترغيب المتلقي أو ترهيبه، ممَّا يولِّد إستراتيجية ترغيب من خلال وصف الجزاء، أو إستراتيجية ترهيب من خلال وصف العقاب، حتَّى لا تقع معتقداتهم في مكائد الشيطان، فأسلوب التهديد والترهيب من الأساليب الحجاجية، ومن أنواع الحجج بالسلطة، وهذا ما تجلَّى في خطاب أهل الكتاب على وجه الخصوص، بحيث أمرهم ونهاهُم، ووعدهم وهدَّدهم في أكثر من موضع، قصد الرجوع عن معتقداتهم، والاعتصام بحبل الله مثل قوله تعالى:« إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ».[2]

- «إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ».[3]

ب- الحجاج بالمثل:

إنَّ المثال في الخطاب حُجَّة يقوي مزاعم الحجاج، إذ يعضد المسار الحجاجي، ويُحدِث التَّماثل بين الآلات الاستدلالية والمقاصد المآلية، كما يجعل الخطاب منغرسًا في بيئة راسخة ذات مراجع تقوِّيها وأركان تعضدها، لذلك فمخاطبة كيانات الجمهور به يضمن للخطاب النفوذ الواجب والقوة المرجوة حتى يحصل الإقتناع، ويتولَّد التَّيقن بتلك الأفكار التي صاغها المحاج صوغًا حدث عنه واقع جديد هو واقع الخطاب.

فالمثل هو وسيلة ناجعة للتعبير عن القيم والحقائق التي تختزل التجارب الإنسانية، وهو نوع من الاستدلال يقوم بنقلة نوعية من خلال الجمع بين الاستقراء والمشابهة عن طريق الحدس، حيث يستعمل كقيمة رمزية أو بمثابة مسلمات قيمية تستجيب للقضايا المطروحة، عن طريق المرور من العام إلى الخاص

[1] عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ص 164.
[2] سورة البيِّنة: الآية 06.
[3] سورة الأعراف الآية: 152.

أو العكس، بهدف التدليل على قضية ما أو المساهمة في تأسيس قاعدة خاصة تكون بمثابة حالة مجردة تجعل المستمع يستند خلالها إلى أطروحة معينة[1].

الخطاب القرآني يتميَّز بالبلاغة والإعجاز والبيان، يُعالج قضايا بقضايا أخرى سابقة، يُقدِّمها كأدلَّة وحجج للمخاطَب، فتَرِدُ آية كمفسِّرة لآية أخرى، ورافعة للبس عنها، وتوضيحها أكثر، فنجده يُقدِّم أمثلة متفاوتة لفئاتٍ متنوِّعة، مثل ما هو الحال في خطاب أهل الكتاب، كما جاء في قوله تعالى:« فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ»[2]، فقوله « وإنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يأخذُوهُ » يَعمَلونَ الذنْبَ ثم يستغفرون الله منه، فإن عَرَضَ ذلك الذنب أخذوه[3]، فهي صفة سابقة يتميَّز بها أهل الكتاب، رَجَعَ إليها الخطاب كحجة على دوام وقوعهم في الحرام وإستمراريتهم فيه كُلَّما عُرِضَ عليهم.

ج- الحجاج بالمغالطة:

المغالطة تتجلى في عدم وجود الصحة والظهور بمظهرها، وهو نمط من الحجاج يفتقر إلى الصحة ويوهم بذلك، إلى ما يعرض للمعاني من قبل الألفاظ، من عوارض تُحدِث اللُّبس والغموض في الأشياء والألفاظ كما في: زيد من قبيلة عبقر فهو عبقري[4].

فالمغالطة شكل من أشكال الحجاج، تتجسد في تناقض أقوال المتكلم وأفعاله، بحيث يسعى إلى مغالطة المتلقي بقول وإيهامه عمدًا، قصد تحقيق غايات معيَّنة، فهي خداع وتضليل يملكها الجنس البشري وبعض الكائنات الحية، إمَّا دفاعًا عن النفس أو سَعيًا وراء تحقيق مصلحة من المصالح، إذ هناك من المتكلمين من يرمي قصدًا إلى المغالطة، وهناك من يعتقد بعدم وجودها في القول (حسن النية)، وهو ما يفتح باب الحجاج أمام العناد، ويدخل في الادعاء والاعتراض، وهما من بين السمات الجوهرية

[1] عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، مقاربة معرفية لآليات التواصل والحجاج، ص 94.

[2] سورة الأعراف: الآية 169.

[3] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مج4، ج 9، ص 80.

[4] عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، مقاربة معرفية لآليات التواصل والحجاج، ص 158.

في الحجاج كقوله تعالى:« أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ »[1]، بحيث بَيَّن صفتهم في مغالطة الناس بالبِرِّ في القول وينْسونَ أنفُسهم في الفعل بذلك.

الحجاج بصوره المختلفة في القرآن الكريم، سِمَة من سمات إعجازه الواسع، اتَّضح ذلك من خلال الآليات والوسائل اللغوية بكل مستوياتها (الصوتية والنحوية والمعجمية والتركيبية)، ودلالة ألفاظه الظاهرة منها والضمنية، وإعجازه البلاغي بمختلف صوره المجازية، وأساليبه المباشرة وغير المباشرة، الإنشائية والخبرية، التي خَاطَبَ بها جُل الفئات البشرية، منها فئة (أهل الكتاب) بما تَحملُهُ من علاقة وإرث تاريخي معها، يَعود إلى فترات تاريخية متتالية، وصولاً إلى فترة أنبياء الله (موسى وعيسى عليهما السلام)، وانتهاءًا بفترة الرسول عليه الصلاة والسلام، فمن هم أهل الكتاب؟ وما نوع الخطاب الموجَّه إليهم؟ وبماذا يتميَّز؟ وكيف كان ردّهم وموقفهم منه؟.

[1] سورة البقرة: الآية 44.

- المبحث الثاني -

- خطاب أهل الكتاب (مميِّزاته) -

1- أهـل الكتاب.

2- الخطاب القرآني (المكي والمدني) لأهل الكتاب.

3- الخطاب القرآني (المباشر وغير المباشر) لأهل الكتاب.

4- خصوصية الخطاب القرآني الموجَّه لأهل الكتاب.

5- موقف أهل الكتاب من الخطاب الموجَّه إليهم.

خاطَبَ الله عزَّوجل في كتابه الكريم جميع الناس على إختلاف أفكارهم ومعتقداتهم ودياناتهم، فجاء الخطاب والدعوة على وجه العموم والخصوص تدريجيًّا دُونَ هدم تلك المعتقدات والأعراف، مع ترسيخ العقيدة في النفس البشرية، وتحقيق المنفعة للإنسان في الدنيا والآخرة، ونبذ صور الجهل والشرك والكفر، السائدة في تلك الفترة، مِمَّا جَعلهُ يتميَّز بالتنوع في الوجهة بألوانٍ خطابية مختلفة تتباين فيما بينها، فكان خطاب المؤمنين يختلف عن خطاب المنافقين أو المشركين، وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم يختلف عن بقية الأنبياء والرسل، باعتباره جاء كمعدِّل ومُكمِّل لتلك الكتب السماوية، وباختلاف الظرف الزماني والمكاني بينهما، وأيضًا خطاب أهل مكة يختلف عن خطاب أهل المدينة، كما يختلف خطاب (أهل الكتاب) عن بقية الخطابات الأخرى، لأنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام احتكَّ معهم خلال مسيرة دعوته الإسلامية المكِّية والمدنية باختلاف مواقفهم من الإسلام، ثم عنادهم وتعنُّتهم منه.

الخطاب القرآني لأهل الكتاب يتميَّز بخصائص ومميِّزات وأنواع خاصة، جَاء بطريقة مباشرة وغير مباشرة، لجزءٍ منهم في مكة يحمل مواقف تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم والإسلام غير مشابهة لجزءٍ آخر في المدينة بصلابته وعناده وعدم الرجوع عن مواقفه، لكن السؤال الذي يطرح نفسه في الموضوع، من هم أهل الكتاب؟

شاعَ عند العام والخاص أنَّ أهل الكتاب هم (اليهود والنصارى) مثل ما بينَهُ الله في كتابه العظيم، سمُّو بأهل الكتاب لأنَّ الله عزَّوجل أنزل عليهم كتابين على بني إسرائيل، الأول على موسى عليه السلام وهو: (التوراة)، والثاني على عيسى عليه السلام وهو: (الإنجيل)، ولهذا يُقال لهم أهل الكتاب، كما يقال أيضًا أهل الكتابين، لهم أحكام تخصّهم غير أحكام بقية المشركين، وهم يجتمعون مع غيرهم من الكفار باسم الكفر والشرك، فهم كفار ومشركون، يعبدون الأوثان والنجوم والكواكب... تلقوا هذين الكتابين (الإنجيل والتوراة) عن موسى وهارون وعيسى عليهم الصلاة والسلام.

1- أهل الكتاب:

أطلق القرآن الكريم لفظ (أهل الكتاب) تركيبًا إضافيًّا، إكتسب بسببه المضاف (أهل) تعريفًا وتشريفًا من المضاف إليه (الكتاب)، وبحسب دلالة سياق الآيات، التي ورَدَ فيها هذا اللفظ، وأسباب نزولها، دلالته لم تكن عائمة في كل من أوتي كتابًا، وإنما قَصَد قومًا مخصوصين وكتابًا معهودًا، جَسَّدها

هذا التركيب بما لَهُ من مقاصد، فهذه التسمية لها غاية ومقصد، كون الخطاب موجَّه إلى فئة معينة من الناس وهم اليهود والنصارى.

أصل كلمة (أهل) أهل، يقال أهل الأمر والنهي، أهل الإنجيل، أهل الإسلام، أهل الرجل، أهل الماء...، فكلمة (أهل) تستعمل مضافًا فيمن كانَ لهُ علاقة قوية بمن أضيفَ فيه. فأهل الإنجيل هم الذين لهم اعتقاد به، وأهل الإسلام هم المسلمون، وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى الذين لهم اعتقاد بـ (التوراة والإنجيل)، الأهل أهل الرجل وأهل الدار...أهل الرجل عشيرته وذوو قرباه.[1]

كلمة (كتاب) تعود على الإنجيل والتوراة، فأهل الكتاب تُطلق على كل من تديَّن باليهودية أو النصرانية. ولو لم يك من أصل بني إسرائيل الذين أنزلت على رسلهم التوراة والإنجيل، فأهل الكتاب هم اليهود والنصارى، فاليهود هم الذين يزعمونَ أنهم أتباع موسى عليه السلام، واليهود هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام، والمعروفين بالأسباط (بني إسرائيل) الذين أرسل الله إليهم موسى عليه السلام مؤيدًا بالتوراة ليكون نبيًّا، أمَّا النصارى من (نصران) بوزن نجران، قرية بالشام تنسب إليها النصارى، والنصارى جمع نصران ونصرانة كالندامى جمع ندمان وندمانة، ولم يستعمل نصران إلاّ بياء النسبة، ونصَّرهُ تنصيرًا، فالنصرانية هي دين النصارى، الذين يزعمون أنهم يتبعونَ المسيح عليه السلام، وكتابهم الإنجيل، وهي الدين الذي انحرف عن الرسالة التي أنزلت على عيسى عليه السلام، مكملة لرسالة موسى عليه السلام ومتممة لما جاءَ في التوراة من تعاليم موجهة إلى بني إسرائيل داعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح،[2] يَرى (محمد الألوسي) على أنَّ المراد بالكتاب "الجنس الشامل للتوراة والإنجيل".[3]

فأهل الكتاب يُطلقُ على طائفتي اليهود والنصارى، ورد في اثنين وثلاثين موضوعًا بالقرآن الكريم، وقد يدلُّ على الطائفتين معًا، أو على طائفة دُون أخرى حسب دلالة السياق وأسباب النزول، فهما وسيلتا الكشف عن ذلك، والأصل في دلالة هذا اللفظ في القرآن الكريم أنَّهُ جاء لليهود والنصارى مجتمعين، في حال عدم وجود المخصّص، يقول (الطبري): « وإنما قلنا عني بقوله (يا أهل

[1] أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، مج11، ص 29.28.

[2] حمود بن عبد الله المطر: موقف أهل الكتاب من الرسول (صلى) في العصر النبوي والعصر الحديث، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2009م، ص 15.14.

[3] أبو الفضل شهاب الدين محمد الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، قراءة وتصحيح: محمد حسين العرب، دار الفكر، بيروت، د ط، دت، ص 269/4.

الكتاب) أهل الكتابين، لأنهما جميعًا من أهل الكتاب، ولم يخصص جل ثناؤه بقوله: (يا أهل الكتاب) بعضًا دون بعض، فليس بأن يكون موجهًا ذلك إلى أنه مقصود به أهل الإنجيل، ولا أهل الفريقين بذلك بأولى من الآخر، لأنَّهُ لا دلالة على أنّه المخصوص بذلك من الآخر، ولا اثر صحيح، فالواجب أن يكون كل كتابي معنيًا به»[1].

لقد أَخذ خطاب (أهل الكتاب) في القرآن الكريم مساحة واسعة، نظرًا لأهمية هذه القضية، وللأصول المشتركة الذي تجمعه بدعوة الإسلام في المسار، فالرسول عليه الصلاة والسلام واجَهَ وحاورَ فئات متنوعة من أهل الكتاب في قضايا متنوعة أيضًا ومختلفة، تخصُّ معتقداتهم الباطلة، ومواقفهم المتصلِّبة عبر التاريخ مع الله عزَّوجل وأنبيائه، والكتب التي استحفظوها، وأخلاقهم ومعاملاتهم، وتصوراتهم الخاطئة، وعلاقتهم مع الرسول عليه الصلاة والسلام، والمسلمين خصوصًا، وكل هذا مقرون بأحداث ووقائع، يثبت صِدْق ذلك الخطاب، ومنطقه المقنع، ظَهَرت ملامحها واتضحت في الخطاب المكي والمدني.

2- الخطاب القرآني (المكي والمدني) لأهل الكتاب:

الدعوة إلى الاعتصام بحبل الله، وعدم الشرك به، تحتاج إلى مسار معيَّن تجاه وضعية تتميَّز بالشرك وفساد في الخلق والسلوك، وعبادة الأصنام، وإنتشار الوثنية...، هذا المسار الذي صودِم بالتعنُّت والإنكار لما هو جديد بالنسبة لأهل الكتاب عامَّةً، بحيث نجدهم يصفُون القرآن بشتى الصفات، وبالرسول عليه الصلاة والسلام بأنّه أُمِّي، وساحر ومشعوذ، ممّا صعَّب من أداء رسالته نظرًا للظرف الذي كَانَ سائدًا في محيط الرسول صلى الله عليه وسلم في البدايات الأولى من نزول الوحي، والذي ساهَمَ في الدعوة إلى منهج جديد في الحياة سِرًّا دُونَ الجهر بها، خوفًا من محيطٍ كافرٍ ومشرك.

قبل الغوص في تحليل ودراسة خطاب معين، من الواجب التطرق إلى ما يحيط به، وإلى زمان ومكان الحدث الفعلي لهذا الخطاب، فتصنيف الخطاب القرآني إلى مكي ومدني يُساهم إلى حدٍّ كبير في معرفة الحقبة الزمنية الأولى أم الثانية التي وقع فيها الخطاب، ومميِّزات الحقبة المكية والمدنية، والفرق بينهما.

[1] محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل أي القرآن، تج/ محمد أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م، ص484/2.

عَرَفت الرسالة المحمدية، ومسار الدعوة إلى الإسلام في مرحلتها التاريخية بين مكة والمدينة، وكَانَ هذان المكانان محل نسبة لسور القرآن الكريم، وللنَّاس في معرفة المكي والمدني ثلاث اصطلاحات:

4- أنَّ المكي ما نُزِل بمكة والمدني ما نُزل بالمدينة.

5- أنَّ المكي ما نُزِلَ قبل الهجرة وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة.

6- أنَّ المكي ما وقَعَ خطابًا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابًا لأهل المدينة.[1]

لمعرفة نوع الخطاب، والفصل بين المكي والمدني، يجب الاستعانة به في تفسير القرآن، خاصةً معرفة أجواء النزول وملابساته وأسبابه –وإن كانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب– ومعرفة الناسخ والمنسوخ انطلاقًا من المقدمة والتأخر زمنيًا، وأيضًا تذوق أساليب القرآن والاستفادة منها في أسلوب الدعوة إلى الله، ومراعاة مقتضى الحال، ومعرفة كل مرحلة من مراحل الدعوة وموضوعاتها وأساليب الخطاب فيها، كما يختلف الخطاب باختلاف أنماط الناس ومعتقداتهم وأحوال بيئتهم، وأيضًا الوقوف على المسيرة النبوية من خلال الآيات القرآنية، والقرآن الكريم هو المرجع الأصيل لهذه السيرة الذي لا يدع للشك فيما روي عن أهل موقفًا له، ويقطع دار الخلاف عند اختلاف الروايات، ومعرفة تاريخ التشريع وتدرّج الحكم بوجه عام، وإدراك سمو هذا القرآن ومكانته في قلوب المسلمين، خاصة الصحابة الذين كانوا يتبعون نزولاته بتفصيلاته فعلموا عن أحوال التنزيل كل شيء، مِمَّا يُساهم في معرفة القرآن المكي والمدني.

فمن خلال تاريخ الدعوة الإسلامية، ومسار السيرة النبوية، ونزول القرآن الكريم، نجد أن السورة المكية جَاءت في موضوعاتها تدعو إلى توحيد وعبادة الله، وإثبات الرسالة، والبعث والجزاء ومجادلة المشركين بالبراهين الفعلية، والآيات الكونية، وتضع الأسس العامة للتشريع والفضائل الأخلاقية، وتذكر قصص الأنبياء طمأنة للمؤمنين والرسول صلى الله عليه وسلم.

أمَّا السورة المدنية فقد جاء موضوعها لبيان العبادات والمعاملات والحدود والأسرة والعلاقات الاجتماعية والحكم والتشريع، ومخاطبة أهل الكتاب ودعوتهم ومجادلتهم، والكشف عن سلوك المنافقين وبيان خطرهم على الدين... .

[1] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص 187/1.

عند النظر إلى الهجرة كمحطة فاصلة بين الخطاب المكي والمدني، كان خطاب أهل الكتاب في غالبه مدني، لأنَّ المواجهة الحقيقية معهم كانت بعد الهجرة، مما يستلزم استيعاب القرآن للمرحلة الجديدة في المدينة، كما إستوعبها في مكة، فقد كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب، ولهذا كانت السور المكية فيها خطاب من أقرباء الأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين فخوطبوا بـ (يا أهل الكتاب، يا بني إسرائيل، يا أيها الذين آمنوا)[1].

فمعرفة الخطاب المكي من المدني يساهم في بروز دلالات نزول القرآن الكريم على وفق الأحداث والوقائع، ومراعاة لقضايا المجتمع ومستجداته بتشخيصها، ووضع المعالجات الآنية لها، مِمَّا يدل على موضوعية القرآن الكريم، واستيعابه للأزمنة والأمكنة في تنويع خطابه وفق المرحلة والجهة المعنية به وموضوع الخطاب.

خطاب أهل الكتاب المكي يختلف عن المدني باعتباره يعكس المرحلة التي كان ينزل فيها القرآن الكريم، والظروف التي كانت تمر بها، وسيطرة الشرك والوثنية، فشأن أهل الكتاب في هذه المرحلة كانت مساندة للإسلام، بحيث لم يكونوا قد أظهروا العداء لأهل الإسلام، وهجرة المسلمين إلى الحبشة من أكبر الأدلة على ذلك، فقد أوت إلى بيئة نصرانية ووجدت ملاذًا آمنًا بعد قتل وتنكيل، وهذا يعمل على تثبيت الفئة المؤمنة المستضعفة في مكة، ويخلخل ثبات المشركين وقوتهم.

أيضًا خطاب أهل الكتاب المكي قائم على تدبير ربَّاني، فخاطَبهم بما يتحمله الظرف الذي ورد فيه، ولم يغفل شأن هذا المخاطب، فالهجوم على العقائد والأخلاقيات الفاسدة والضالة عند أهل الكتاب، لتصحيحها لم يَحِن بعد، حتى يحصل منهم ما يقتضي ذلك، وسيأتي زمانه ومكانه، وهذا لا يعني بحال المهادنة للباطل، بل تُسَيِّرُهُ الحكمة وحُسن الخطاب يقول الله تبارك وتعالى:« وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ»[2]، ويقول في آية أخرى: «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ»[3].

كما نجد مسلك آخر لخطاب أهل الكتاب المكي، وهو المسلك القصصي، فحكى عن أهل الكتاب كما حكى عن غيرهم، لتثبيت القلة المؤمنة في مكة بعرض تجارب الدعوة، وموكب الإيمان

[1] جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص 143/2.

[2] سورة الرعد: الآية 36.

[3] سورة القصص: الآية 52.

الواصل منذ أول الخليقة، وتوجيه الجماعة المسلمة بما يناسب ظروفها في مكة [1]، وقصة موسى عليه السلام تشغل الجانب الأكبر من القصص القرآني المكي، كما وردت هذه القصص عن أهل الكتاب، خاصةً اليهود تحديدًا على نوع من التفصيل، مثل نجاة القوم من فرعون وغرقه مع قومه، وعبادة العجل...

فالخطاب المكي لأهل الكتاب لم يكن مُوجَّهًا إليهم بدرجة أساس، ولكن من خلاله كانوا دعامة مهمة، لتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم، والمؤمنين بمواقف بعضهم الإيجابية المساندة، وأصبحوا مرجع احتجاج على كفار قريش، لمكانتهم الدينية في تلك الفترة.

أمَّا الخطاب المدني الموَّجه لأهل الكتاب فهو خطاب من نوع آخر، يختلف على ما هو عليه في مكة، اختلاف يكمن في الطريقة والقصد، لكون أهل الكتاب أحسُّو بخطورة الدين الإسلامي عليهم في المدينة، فشنُّوا عليه حربًا خبيثة، خاصَّة بعد توسُّع الدولة الإسلامية، ودخول كم هائل من القبائل الكبرى إلى الإسلام، ممَّا زعزع نفود أهل الكتاب من اليهود القائمين فيها، هذه الحرب التي استخدموا فيها كل الوسائل التي حكاها القرآن عنهم في جزء كبير منه، كما أنهم رفضوا الدخول في الإسلام، وأنكروا ما في كتبهم من البشارة بالرسول صلى الله عليه وسلم.

فالخطاب المدني لأهل الكتاب يُجسِّد طبيعة المواجهة مع أهل الكتاب إبتداءًا بالعقائد، وإنتهاءًا بالعبادات والأخلاق، بحيث يُبيِّن حقيقتها، ويكشف الادعاءات الزائفة، وما تقوم عليه من التناقضات.

هذا النوع من الخطاب جاء لتحطيم دعاوي اليهود، وكشف كيدها، وبيان حقيقة دوافعها في الكيد للإسلام والمسلمين، كما جاءت لتنبيه المسلمين من هذه المكائد، فدعاوى اليهود جاءت لتفكيك المسلمين، وإشعال الفتنة فيهم.

خطاب الله عزَّوجل لأهل الكتاب لم يتمثَّل فقط في الرد على إدِّعاءاتهم وافتراءاتهم، ولكن تعدَّى ذلك إلى الرغبة في هدايتهم، وفتح لهم باب الإيمان والتسامح معهم، بحيث أَحَلَّ أكل طعامهم والزواج من المحصنات منهم، فكان خطاب علاقات وتشريعات ومعاملة وتعايش بينهم وبين المسلمين، كما زَكَّى أهل الصلاح فيهم، بحيث أجرهم عند ربِّهم كبير، يقول الله تعالى:« قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ

[1] سيد قطب: في ظلال القرآن، دار العلم للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، ط12، 1986م، 60/1.

بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ »[1]، وفي آية أخرى قول الله عزَّوجل: « لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ »[2].

3- الخطاب القرآني المباشر وغير المباشر لأهل الكتاب:

الخطاب المباشر هو الموَّجه بطريقة مباشرة من المخاطب إلى المخَاطب دُون وساطة بينهما، فيأتي في أغلب حالاته متبوعًا بأداة النداء (يا) نحو: يا قوم، يا أيها الناس، يا أيها الذين آمنوا، فيكون المنادَى هو المقصود بالخطاب، وموضوع الخطاب يخصُّه.

الله عزَّوجل وجَّه جزء هام من خطابه لأهل الكتاب بطريقة مباشرة، وهي مواجهة ذات طابع خاص يبتدئ فيها الخطاب بالنداء العلوي، دُون وساطة بينهما نحو: (يا بني إسرائيل، يا أهل الكتاب، يا أيها الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب...)، وهذا إن دلَّ على شيء إنما يدل على خصوصية الخطاب دون عموميته.

الخطاب المباشر لأهل الكتاب ركَّز على قضايا كبرى، كالعقيدة والإيمان، وذكرِ النِّعم، وعدم الكفر بآيات الله، والشرك به، واستبدال الحق بالباطل ونكرانه، وهو خطاب إشتمل على أوامر ونواه كثيرة، تتناسب مع مقام المخاطب، كونه خطاب سلطة موجَّهًا من أعلى مكانة إلى أدناها، كما استعملت في هذا الخطاب بعض وسائل التلطف والتحبب مع هؤلاء المعاندين والمكذبين، بما يُجسِّد عظمة المخاطب ولطفه، حتى بالمخالفين لأمره، وما يُميِّز خطاب أهل الكتاب هو تناسب وترتيب بعض سوره القرآنية المتوالية وهي: (البقرة والنساء والأعراف)، فذكَّر بالنعم في البقرة، وأمر بالإيمان في النساء، واستفهم وأنكر كفرهم في الأعراف.[3]

فمن بين الخطابات المباشرة مع أهل الكتاب نذكر منها:

- خطاب الله عزّوجل لبني إسرائيل للتذكير بالنعم بصيغة (يا بني إسرائيل) في قوله تعالى:« يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ... »[4].

---

[1] سورة آل عمران: الآية 98.

[2] سورة آل عمران: الآية 113.

[3] أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي: أسباب النزول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2001م، ص 12.

[4] سورة البقرة: الآية 40.

– وأيضًا محاججتهم فيما إفتروه من أقوال، والردّ عليها حِرصًا على رجوعهم إلى الطريق المستقيم نحو قوله تعالى: « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ »[1].

– وعدم الكفر بآيات الله في قوله تعالى:« يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ»[2].

– واستبدال الحق بالباطل وكتمانه في قوله تعالى: « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»[3].

– كما نهاهم في خطاب مباشر بعدم الغلو في الدين والافتراء في قوله تعالى: « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا »[4].

– كما نجد الوعظ في قوله تعالى لعلماء أهل الكتاب بصيغة مباشرة: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا »[5].

– وبيان إرسال الرسول عليه الصلاة والسلام لهم، ليبيِّن لهم ما كانوا يَخْفون ويفترون في قوله تعالى بصيغة مباشرة أيضًا: « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ »[6].

– كما جاء في نفس السياق قوله تعالى: « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[7]،

---

[1] سورة آل عمران: الآية 65.

[2] سورة آل عمران: الآية 70.

[3] سورة آل عمران: الآية 71.

[4] سورة النساء: الآية 171.

[5] سورة النساء: الآية 47.

[6] سورة آل عمران: الآية 15.

[7] سورة المائدة: الآية 19.

فهذا بعض ما ورد من الخطاب المباشر لأهل الكتاب.

أمَّا الخطاب الغير مباشر لأهل الكتاب في القرآن الكريم فإنّهُ جاء على لسان الأنبياء والمرسلين سواءًا من أنبياء الله (موسى وهارون وعيسى) عليهم السلام، أو من الرسول عليه الصلاة والسلام، وقد كانت مسبوقة بألفاظ وأفعال على نحو: (قُل، سَلْ، ...).

أمَّا الخطاب غير المباشر على لسان موسى عليه السلام لقومه نجد البعض منها في قوله تعالى: « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» [1].

– « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٠)يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ »[2].

أمَّا فيما يخصُّ خطاب أهل الكتاب من جهتهم (اليهود) للأنبياء والرسل نجد البعض منها في قوله تعالى:« وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ »[3].

– « وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ »[4].

– « أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلا قَلِيلا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ »[5].

---

[1] سورة البقرة: الآية 54.

[2] سورة المائدة الآية 20، 21.

[3] سورة البقرة: الآية 55.

[4] سورة البقرة: الآية 61.

[5] سورة البقرة: الآية 246.

- « قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ »[1].

- « قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَا هُنَا قاعدونَ»[2].

فخطاب الله عزَّوجل منه ما هو مباشر، ومنه ما هو غير مباشر جاء على لسان أنبيائه ورسوله كما هو مبين:

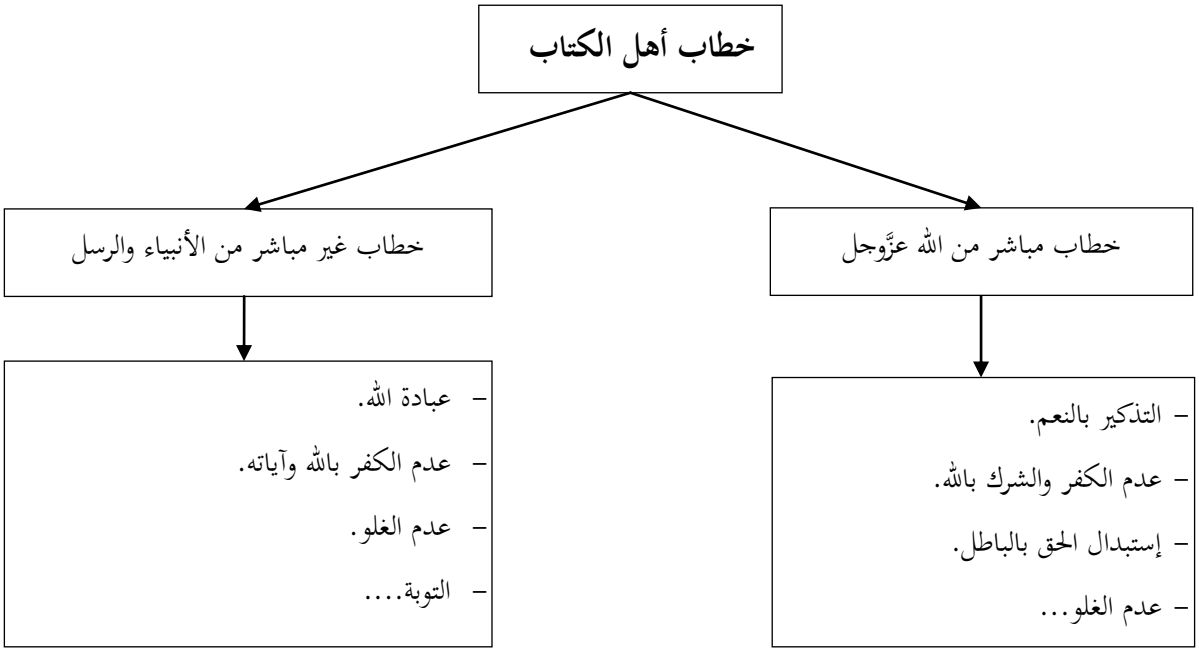

4- خصوصية الخطاب القرآني الموَّجه لأهل الكتاب:

الخطاب القرآني هو خطاب موجَّه إلى الناس جميعًا، يتميَّز بالشمولية والدوام والكمال في كل زمان ومكان، نُزِلَ بلسان عربي مبين، فوجب فهم لسانه قبل فهمه، باعتبار أنَّ اللسان العربي المدخل الرئيس لفهم القرآن الكريم، بحيث أصبح فوق لغة العرب بألفاظه وبنيته ودلالته.

فألفاظ القرآن الكريم صارت بطريقة استعمالها ووجه تركيبها كأنَّها فوق اللغة، فهي لاَ تُقارن مع لغة الشعر والنثر، أو البلغاء والشعراء، لا نجد مثلها في الدواوين والكتب، وإن تشابهت في حروفها ومعانيها، إلاّ أنها تختلف من حيث التركيب والاستعمال أو التوظيف، فألفاظ القرآن الكريم تظهر في

[1] سورة المائدة: الآية 22.

[2] سورة المائدة: الآية 24.

تركيب ممتنع، ولها مكانة أسمى من الدلالة اللغوية أو البيانية، بحيث تخرج من لغة الاستعمال إلى لغة الفهم، بتركيبٍ معجز، مما يقتضي استدعاء العقل لفك رموزه، والوصول إلى مقاصده.

القرآن الكريم بشكل عام يتميز بالإعجاز اللغوي في جميع مستوياته الصوتية والدلالية والتركيبية، بحيث يعجز الإنسان الإتيان بمثله، فلسان القرآن الكريم مطلق وشامل، لفهمه يُشترط التعميق في ألفاظه، لأنها مفتاح الفهم فيه، يقول (الراغب الأصفهاني): إن أول ما يُحْتاجُ أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيقُ الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يُريدُ أن يُدْرك معانيه[1].

كما يتميَّز القرآن الكريم بالإتِّساق في أصواته وحروفه وحركاته من الدلالة المعنوية، متَّسق كالبنيان، لا نجد فيه زيادة ولا نقصان، فهو نظام إلهي لغوي وتركيبي ودلالي لكل الأزمنة، يستحيل الخطاب البشري بما توصَّل إليه من براعة أن يأتي بمثله.

ومهمة القرآن الكريم لم تأتي فقط للإبلاغ أو الإمتناع، بل جاء أيضًا للتأثير والإقناع والتغيير، وتوجيه المخاطَب إلى الطريق السليم، فهو منهج الحياة للإنسان في عقيدته وعبادته ومعاملته مع الآخرين، فنجده يتميَّز في خطاباته بشتى أساليب الخطاب، من خبر وطلب كالأمر والاستفهام والدعاء، موجَّهة إلى عامة الناس، وإلى الكافرين منهم والمؤمنين والمنافقين واليهود والنصارى والأنبياء...، فيختلف أسلوب الخطاب باختلاف المخاطَب والسياق أو المقام والمقاصد، لذلك نجده يَرِدُ أحيانًا مباشرًا وفي بعض الأحيان غير مباشر، خطاب عام أو خاص، كما يَعُود في بعض الخطابات إلى حادثة أو واقعة مرجعية معينة، فيسردها للمخاطَب لتذكيره بما يحمله من فائدة للمتلقي.

خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم تَوزَّع على عدَدٍ من السور، يُمثِّل قضايا وأحداث مختلفة بعلاقات مشتركة، بحيث تظل متكاملة ومترابطة ومتناسقة، فالنص أو الخطاب السابق يُوضِّح بشكل كبير مقاصد الخطاب اللاحق، وهذا ما يُسَمَّى عند علماء التفسير بـ (المناسبة بين الآيات والسور)، فيخرجون المناسبة بين نهاية سورة وبداية أخرى، أو نهاية آية وبداية أخرى، لأنَّ من محاسن الكلام أن

[1] أبي القاسم الحُسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، راجعه وقدم له: وائل أحمد عبد الرحمن، دار التوفيقية للطباعة، ط3، 2013م، ص 12.

يرتبط بعضه ببعض، لئلا يكون منقطعًا، فيقوي بذلك الإرتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء[1]، وهذا ما لمسناه في خطاب أهل الكتاب، بحيث جَاءَت الآيات متفرقة، لكنها متماسكة فيما بينها، وكمثال على ذلك: ما قاله اليهود والنصارى على مريم وعيسى عليه السلام في قوله تعالى:« وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا »[2]، جَاء رَدٌّ عليهم من الله عزَّوجل في قوله: « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ...»[3].

ومنها أيضًا قوله تعالى:«.....إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ.....»[4] رَدٌّ من الله عزَّوجل لهم من زعمَ قتله في قوله:« وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوه.. »[5]، فهذا يُبَيِّن مَدى ترابط وتماسك الآيات فيما بينها، وهي عبارة عن الرد لِمَا تعتقده اليهود والنصارى، لتوضيح الأمر لهم، وقطع الشك عن اليقين من خلال هذا التكامل في مخاطبتهم، فكل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له وإطناب لإيجازه وقد استقرَّ ذلك في غالب سور القرآن.[6]

الميزة الأخرى التي يتميَّز بها الخطاب القرآني لأهل الكتاب أنَّهُ يُبَسِّط لهم الخطاب والقول، لأنهم قوم لا يصلح معهم البسط في الخطاب والتفصيل، لعِنادِهم وكثرة أسئلتهم، وإختلافهم على أنبيائهم، وتعنّتهم في كثير من القضايا، فالله عزَّوجل إذا خاطَبَ العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي، وإذا خاطب بني إسرائيل، أو حكى عنهم جعل الكلام مبسوطًا... وقَلَّما تجد قصة لبني إسرائيل في القرآن إلاّ مطولة أو مشروحة، ومكررة في مواضع معادة، لبعد فهمهم وتأخر معرفتهم[7].

---

[1] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص 36/1.

[2] سورة النساء: الآية 156.

[3] سورة النساء: الآية 171.

[4] سورة آل عمران: الآية 55.

[5] سورة النساء: الآية 157.

[6] جلال الدين أبي بكر السيوطي: أسرار ترتيب القرآن، تح/ عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، ط1، دت، ص 2/1.

[7] أبي هلال الحسن عبد الله العسكري: الصناعتين، تح/ مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1981م، ص 212.

فالخطاب القرآني بشكل عام له خاصيَّة إعجازية في لغته ودلالته، من حيث الإتِّساق والترابط، الديمومة والشمولية في أحكامه، وأيضًا الدِّقة والتركيز في توجيه خطابه، سواءًا كانَ مُباشِرًا أو غير مباشر، كما تتكامل وتتناسب آياته وسوره بشكل قصدي وهادف، وهذا ما نجده في خطاب أهل الكتاب على وجه الخصوص، باعتباره عبارة عن محاورة بين الله عزَّوجل وأهل الكتاب، أو عن طريق أنبيائه، بحيث نلتمس فيه البساطة والتفصيل والتكامل، أي خطاب يُكمِّل خطاب آخر، كما يأتي شارحًا ومُوضِّحًا لحادثة أو مسألة كانت مبهمة للطرف الآخر، أو تذكير لحكمٍ أو قضية معينة، مِمَّا يبعث فيه روح الإصرار والإلحاح، وخير دليل على ذلك تكرار خطاب بني إسرائيل ليذكِّرهم بالنِّعم التي أنعمها الله عليهم، وهذا ظاهر في أكثر من مناسبة تحمل دلالات ومقاصد متشابهة.

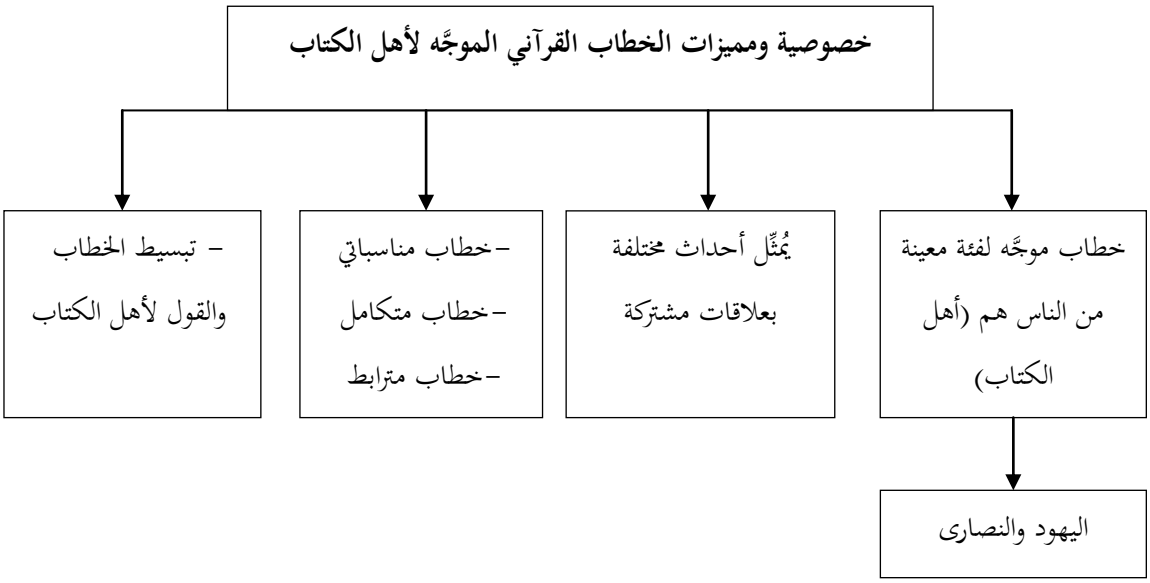

5- موقف أهل الكتاب من الخطاب الموجَّه إليهم:

من خلال آيات القرآن الكريم يتَّضح أنَّ لِأهل الكتاب موقف متصلِّب مع أنبيائهم (موسى وعيسى) عليهما السلام، والرسول صلى الله عليه وسلم، فرغم تنوع الخطابات الموجَّهة إليهم، إلاَّ أنَّه يعكس صورة واحدة للمخاطب، وتكشف دلالات عديدة في المضمار ذاته، فنجد مثلاً نظرة اليهود للأنبياء مزاجية، يحكمها هواهم المزيَّف، ومزاجهم المنحرف، لا يتَّبعون منهم إلاّ من وافق مزاجهم، ولا يصدقون ما جَاءَهم به الأنبياء، إلاّ ما كان لهم فيه هَوى وشهوة ومصلحة، وما سواه مرفوض

وباطل، ولو كان هو الحق الأصيل[1]، فالشخصية اليهودية غير جادة في الأخذ بتكاليف الرسالات السماوية بشموليته، لذلك فهي تتحايل أحيانًا أمام الأوامر والتوجيهات، فتتأخر في التنفيذ، وتبسط كل ما لديها من وسائل المراوغة والمداهنة وأحيانًا أخرى تفرض وتستعصي إن شعرت بأدنى ضَرَر.

فموقفهم من موسى عليه السلام تَمَيَّزَ بإساءة الأدب معه ومع عظمته ومعجزاته، فَلاَ يحسنُونَ مناداته مثلاً، فينادونه باسمه (يا مُوسى)، ويغفلون بالتالي صفة العظمة، كأن ينادوه (يا نبي الله، أو يا رسول الله)، بل قد يتركونَ حتَّى مناداته، ويُوجِّهُونَ خطابهم إليه مستفهمين، أو آمرين، قال تعالى على لسانهم بعد أن أمرهم مُوسى بذبح البقرة: «....قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا.... قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ...»[2].

وتميَّز موقفهم أيضًا بقطع سُبُل التواصل مع المخاطب، دُونَ مبالاة بالنتائج المترتبة عنها في أكثر من مقام، فتجدهم يخاطبون نبيهم (موسى عليه السلام) على نحو: (لن نؤمن لك، لن نصبر على طعام واحد، ولن ندخلها حتى يخرجوا منها، لن تدخلها أبدًا...)، وهو المشهد الذي تكرر مع (هارون) عليه السلام، في عبادتهم للعجل، وقد نصحهم بتركه: «قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى»[3]، وفي ذلك دلالة على عجرفتهم، وقلة إكتراثهم بما أوتوا من النِّعم، وما شاهدوا من معجزات، وهم يؤكدونَ هذه العجرفة المتصلة، كما صوَّرها القرآن، بأكثر من مؤكد على وجه التأسيس[4].

فبعد أن أنجاهم الله من فرعون وأغرقه، يخاطبونَ موسى عليه السلام بما حكاه الله عنهم: « وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ »[5]، وطلَبُوا رؤية الله جهرة، وقد رأوا آياته العظيمة وجَعَلوُا ذلك شرط إيمانهم، فهذا خطاب سخرية، وإستهزاء، والإستهانة بالله ورسوله، وقلة المبالاة بهما حين إمتنعوا من

---

[1] صلاح عبد الفتاح: الشخصية اليهودية من خلال القرآن، تاريخ وسمات ومصير، دار القلم، دمشق، ط1، 1998م، ص 183.

[2] سورة البقرة: الآيات 68.67.

[3] سورة طه: الآية91.

[4] محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العري، بيروت، ط1، 2003م، ص 1/ 284.

[5] سورة الأعراف: الآية 138.

دخول الأرض المقدَّسة « قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَادَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدونَ»[1]،فكأنَّما هو ربُّه وحده لا ربِّهم كذلك[2].

أمَّا الجهة التي خاطبها عيسى عليه السلام، فهم بنو إسرائيل، وهي الجهة نفسها التي خاطبها موسى عليه السلام، مع فارق الزمن والجيل، يقول تبارك وتعالى: « فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ....»[3]،فعيسى عليه السلام وَلَدَ وَكَلَّمَ النَّاس في المهد بما أخبرت به الملائكة مريم، وكلّم الناس بالرسالة، وأراهم الآيات الموعود بها، ودعاهم إلى التصديق به وطاعته، فكفَرُوا به، فلمَّا أحسَّ منهم الكفر قال :«... من أنصَاري إلى الله...» قاله في مَلإ بني إسرائيل إبلاغًا للدعوة، وقطعًا للمعذرة، والنصر يشمل إعلان الدين والدعوة إليه[4]، خاطبوه بالكفر، وسمع تكذيبهم إيَّاه.

إنَّ وظيفة السامع أو المتلقي هي معرفة ما يريده المرسل إنطلاقًا من دلالات الخطاب، تنتهي باتِّخاذ موقف إيجاب أو سلب، فخطاب أهل الكتاب هدفُه كان واضحًا، هو التأثير فيهم وإقناعهم بصدق الدين، ورسالة أنبيائه ورسله، وهدايتهم إلى الحق الذي وَجَدوه في التوراة والإنجيل، لكنَّهم يُعاندون في تحقيقه.

ردة الفعل من المخاطَبين (أهل الكتاب) كانت سلبية غالبًا، وهذا لا يعود إلى عدم قدرة الخطاب على الإقناع والتأثير، وإنَّما لاتِّخاذ المخاطَب موقِفًا متَصَلِّبًا ابتداءً، يقول الله عزَّوجل: « وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلا مَا يُؤْمِنُونَ "[5]،وفي آية أخرى يقول تبارك وتعالى:« وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ »[6].

المواقف المتصلِّبة لدى أهل الكتاب لم تكن من جميع المخاطَبين، بل كانت ردود فعل إيجابية من بعضهم، وهي فئة قليلة أشارت إليها بعض الآيات القرآنية في أكثر من مناسبة مثل قوله تعالى:

---

[1] سورة المائدة: الآية 24.

[2] محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص 371/1.

[3] سورة آل عمران: الآية 52.

[4] الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مج2، ج3، ص 254.

[5] سورة البقرة: الآية 88.

[6] سورة آل عمران: الآية 72.

« الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢)وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ »[1].

لقد كان موقف أهل الكتاب من الرسالة السماوية يسودها الكفر والصد لآيات الله سبحانه وتعالى، يقول الله عز وجل في هذه النقطة: « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (٩٨)قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ»[2] وقال تعالى: « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلا (٥١)أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا »[3].

كما تميَّز أيضًا موقفهم بالجدل من غير علم، قال تعالى:« يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٦٥)هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ »[4].

كما كان موقفهم التجرّؤ على الله مثل ما جاء في قوله تعالى: « وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ »[5].

وفي آية أخرى يقول عزَّوجل: « وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ....»[6]، كما قال الله تعالى فيهم: « لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ »[7].

---

[1] سورة القصص: الآيات: 52.53.

[2] سورة آل عمران: الآيات 98.99

[3] سورة آل النساء: الآيات 50.51

[4] سورة آل عمران: الآيات 65.66

[5] سورة التوبة: الآية 30.

[6] سورة المائدة: الآية 64.

[7] سورة أل عمران: الآية 181.

تحريف كلام الله وتبديله كان من مواقف أهل الكتاب أيضًا، كما ورد في قوله تعالى: « مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا...»[1]،وقوله تبارك وتعالى:« فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ»[2].

موقفهم أيضًا تَجَلَّى في حرصهم على الحياة الدنيا ومتاعِها، وهذا ما يُبَيِّنُه الله عزَّوجل في قوله: « وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ...»[3]، وقوله تعالى: « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ »[4].

لقد كان موقف أهل الكتاب من الإسلام وأهله، بمثابة خطر قادم لهم كما يعتقدون، ودين جديد يُهدِّد كيانهم وسيطرتهم الدينية، وهذا منذ الوهلة الأولى من صدوره وسطوعه، على الرغم من معرفة أهل الكتاب، وخاصَّةً اليهود والعلماء منهم، لصدق ما جاء به الإسلام، كما بَيَّنَتْهُ وبشَّرَت إليه كتبهم، فهم يسعونَ داومًا إلى التأثير عليه، وإختيار المكائد للإيقاع به.

إنكارهم للرسالات السابقة ورسالة الرسول عليه الصلاة والسلام من مواقفهم أيضًا، يقول تعالى: « وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ »[5]، كما قال في آية أخرى عنهم: « وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ »[6].

---

[1] سورة النساء: الآية 46.

[2] سورة المائدة: الآية 13.

[3] سورة البقرة: الآية 96.

[4] سورة آل عمران: الآية 187.

[5] سورة البقرة: الآية 89.

[6] سورة الصف: الآية 06.

كما نجدهم يكتمونَ الحقّ ويلبسونَهُ الباطل والكذب، يقول تعالى فيهم: « الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ »[1]، وقال تعالى فيهم أيضًا: « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ »[2].

حقدهم وحَسدهم لِما أُنزِلَ للمسلمين من خير ورحمة، يقول تعالى: « مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ »[3]، وقوله تعالى: « وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ..»[4]، وقوله تعالى: « إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ »[5].

نقضهم للعهد والمواثيق، يقول تعالى: « أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ»[6]،وقوله تعالى: « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ »[7]، وفي آية أخرى: « فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلا قَلِيلا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ »[8].

الموقف الآخر الذي اتخذوه زعمهم الحق المطلق لهم دُونَ غيرهم، يقول تعالى: « وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ »[9]. وقوله:

---

[1] سورة البقرة: الآية 146.

[2] سورة آل عمران: الآية 71.

[3] سورة البقرة: الآية 105.

[4] سورة البقرة: الآية 109.

[5] سورة آل عمران: الآية 120.

[6] سورة البقرة: الآية 100.

[7] سورة آل عمران: الآية 187.

[8] سورة المائدة: الآية 13.

[9] سورة البقرة: الآية 111.

« وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ »[1]، أيضًا قوله تعالى: « وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ »[2].

لقد كان موقف أهل الكتاب (اليهود والنصارى) تجاه الله عزَّوجل أوَّلاً، والإسلام كدين جديد يُهدِّد كيانهم وإستقرارهم ثانيًا، وتجاه الأنبياء والرسل ثالثًا، مُتَصلِّبًا ومُتعَنِّتًا، يُميِّزُه التكذيب والإفتراء، وإساءة معاملتهم للأنبياء والرسل، وقطع سبل التواصل معهم، والكفر بآيات الله والصدِّ لها، والجدال أو التجرؤ على الله، وتحريف كلامه وتبديله، وحرصهم على الحياة الدنيا دون الآخرة، من خلال إنكارهم لجميع الرسالات السماوية، وإستبدالهم الحق بالباطل، كما تميَّزوا بالحقد والحسد، ونقض العهود والمواثيق، تلك المواقف كانت بمثابة قضايا كُبرى، أخذت مساحة كبيرة في القرآن الكريم، فيها إستراتيجيات لغوية وحجاجية هادفة، تنوعت بتنوع تلك القضايا، والأطراف المتفاعلة فيما بينها، تنحصر هذه المواقف وفق المخطط التالي:

[1] سورة البقرة: الآية 135.

[2] سورة المائدة: الآية 18.

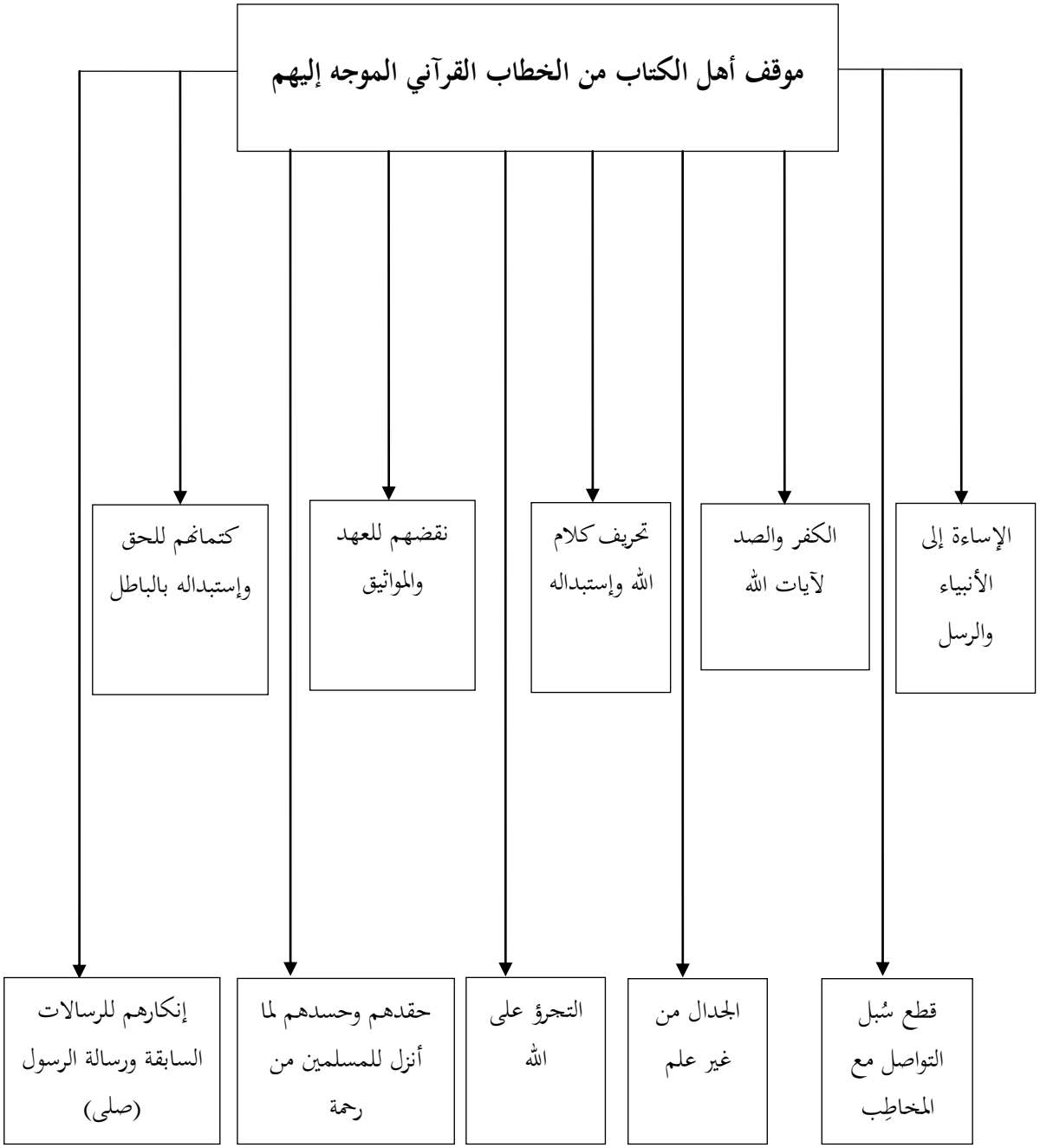
موقف أهل الكتاب من الخطاب القرآني الموجه إليهم
الإساءة إلى الأنبياء والرسل
الكفر والصد لآيات الله
تحريف كلام الله وإستبداله
نقضهم للعهد والمواثيق
كتمانهم للحق وإستبداله بالباطل
قطع سُبل التواصل مع المخاطِب
الجدال من غير علم
التجرؤ على الله
حقدهم وحسدهم لما أنزل للمسلمين من رحمة
إنكارهم للرسالات السابقة ورسالة الرسول (صلى)

الفصل الثالث

-الفصل الثالث-

-الإستراتيجية التوجيهية والتلميحية في خطاب أهل الكتاب-

-المبحث الأول: الإستراتيجية التوجيهية فى خطاب أهل الكتاب.

1-الإستراتيجية التوجيهية.

2-الأساليب اللغوية في الإستراتيجية التوجيهية.

3-الإستراتيجية التوجيهية في خطاب أهل الكتاب.

-المبحث الثاني: الإستراتيجية التلميحية فى خطاب أهل الكتاب

1- الإستراتيجية التلميحية.

2- أساليب الإستراتيجية التلميحية.

3- الإستراتيجية التلميحية في خطاب أهل الكتاب.

-المبحث الأول-

-الإستراتيجية التوجيهية في خطاب أهل الكتاب-

1- الإستراتيجية التوجيهية.

2- الأساليب اللغوية في الإستراتيجية التوجيهية.

3- الإستراتيجية التوجيهية في خطاب أهل الكتاب.

1- الإستراتيجية التوجيهية:

المخاطِب بصفته مرسل للخطاب، يسعى دائمًا إلى ربط صلة بينه وبين المخاطَب، من خلال الإعتماد على استراتيجية معيَّنة، قصد تحقيق أهداف وأغراض مسطَّرة، مستعينًا ببعض الأساليب والآليات اللغوية والبلاغية أو المنطقية، تكون لها دور فعَّال في التأثير والإقناع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، في إطارٍ مقامي يُحدِّد الإستراتيجية المنتهجة من طرفه، فهو أمام إستراتيجيات، وكل واحدة منها تختلف عن الأخرى بحسب اختلاف الهدف والمقام، الذي يقتضي بدوره مقال وإستراتيجية معينة، فأسلوب الخطاب يُحدِّده الموقف الذي يجمع المرسل بالمرسل إليه، وبالتالي فقد يكون الأسلوب خبري أو إنشائي، طلبي أو غير طلبي، مباشر أو غير مباشر، يحمل المعنى من ظاهر اللفظ أو من باطنه، مِمّا يجعله يحمل حجج وبراهين واستدلالات متباينة، بتباين الأهداف والمواقف، والأسلوب المعتمد.

من الإستراتيجيات التي يختارها المرسل في خطابه، الإستراتيجية التوجيهية المباشرة، يستعملها لتوضيح كلامه أكثر، بحيث يكون القصد فيها يتطابق مع دلالة الخطاب الحرفية، وتكون مقاصد المرسل موضعية يدل عليها الشكل اللغوي الظاهر، وهذا النوع من الإستراتيجيات يظهر في الخطاب أو الحوار المباشر بين المتخاطبين، أين يعمد المرسل إلى استعمالها قصد الوضوح وفق السياق الذي يجمعهما، وتوظيفها لا يعني عجز أو عدم كفاءة أو سطحية المرسِل، بل هي من المؤشرات الدَّالة على كفاءته اللغوية والتداولية.

الإستراتيجية التوجيهية هي الإستراتيجية التي يريد ويودّ فيها المرسل بفعل أفعال لغوية غرضية وإنجازية معيَّنة، تقديم توجيهات ونصائح وإرشادات، تأتي على شكل أوامر ونواه واستفهام أو نداء أو تمني، هي في صالح المخاطَب، لما تحمله من فائدة ومنفعة له، فالخطاب بهذه الطريقة يحمل وظيفة لغوية توجيهية، تعكس الحالة النفسية السلوكية والتعبيرية للمرسل، ومدى تأثيرها على سلوك المرسل إليه وحالته الداخلية.

هناك عدد من المسوّغات التي ترجّح استعمال الإستراتيجية التوجيهية دون غيرها وهي:

- عدم التشابه في عدد من السمات.
- عدم وجود تكرار في الإتِّصال بين طرفي الخطاب.
- الشعور بالتفاوت في مستوى التفكير بين طرفي الخطاب، مما يُؤثر في فهم كلّ منها لطبيعة الآخر.

- تهميش ما قد يحدثه إستعمال هذه الإستراتيجية من أثر عاطفي سلبي على المرسل إليه، فيقصي المرسل اعتبار هذه التأثيرات على نفسية المرسل إليه متجاهلاً إيَّاها.
- تصحيح العلاقة بين طرفي الخطاب على المتكافئين في المرتبة، وإعادتها إلى سيرتها الأولى.
- رغبة المرسل في الإستعلاء، أو الإرتفاع بمنزلته الذاتية.
- إصرار المرسل على تنفيذ قصده عند إنجاز الفعل، وعلى حصول أقصى مقتضى خطابه، والتأكيد على أنه لا يتوانى عن تعقّب خطابه والتمسك بمدلوله.
- حصول تحدّ واضح للمرسل أو لتعليماته، أو تحدّ ضد الأنظمة والتعليمات العامة، أو بالإساءة إليه رغم سلطته، أو عندما يشعر المرسل بأنَّ المرسل إليه قد يتجاوز حدوده في النقاش أو الحوار، أو أنّهُ يتحدَّاه بفعل ما.
- مناسبة السياق التفاعلي لإستعمال الإستراتيجية التوجيهية.[1]

فالغاية الأساسية من استعمال المرسل للإستراتيجية التوجيهية في الخطاب، هو توجيه المرسل إليه إلى تحقيق هدف تضمَّنَهُ الخطاب، "ويفرض قيدًا عليه بشكل أو بآخر، وإن كان القيد بسيطًا، أو أن يمارس فضولاً خطابيًا، أو أن يوجّهه لمصلحته بمنفعة من جهة وإبعاده عن الضَّرر من جهة أخرى"[2]، فيكون الخطاب ضغطًا وتدخّلاً ولو بدرجات متفاوتة على المرسل إليه، وتوجيهه إلى فعل مستقبلي معين.

وتنقسم أصناف المرسل إليه عند إستعمال هذه الإستراتيجية إلى صنفين: الأول المرسل إليه المتخيل، لما له من صورة نمطية معيَّنة في السياق، ممَّا يؤكِّد عدم حضوره العيني عند إنتاج الخطاب، أمّا الصنف الآخر فهو المرسل إليه الحاضر لحظة التلفظ بالخطاب، فيكون معروفًا عند المرسل معرفة جيِّدة، وعليه يتراوح إستعمال الأدوات والآليات اللغوية بين تلك التي توجّه المرسل إليه المتخيِّل، وبين تلك التي توجّه المرسل إليه المعاين، ولا يُعدُّ التوجيه فعلاً لغويًا فحسب، لكنه يعد وظيفة من وظائف اللغة [3].

والوظيفة التوجيهية تدخل من ضمنها عدة وظائف نستنبطها من خلال الأساليب والأدوات اللغوية المستعملة، كالوظيفة الندائية والتنبيهية التي أشار إليها (رومان جاكبسون) في وظائفه اللغوية الستة،

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب. مقاربة لغوية تداولية، ص 329.328.

[2] المرجع نفسه: ص 322.

[3] يوسف تغزاوي: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ص 197.

والوظيفة التأثيرية، من خلال التأثير على المرسل إليه، والتي أشار إليها (بوهلر)، إضافةً إلى الوظائف الإنفعالية الإيعازية وغيرها، والتوجيه يكون عادةً من الفوق إلى التحت، أي من الأكبر علمًا ومعرفة ودراية وسنًّا إلى أدناه، فيجب أن يتمتَّع المرسل بسلطة تسمح له بإنجاز فعل كلامي قوي ومؤثِّر على المرسل إليه.

توجيه الكلام وإستراتيجيته من المسائل التي تناولَها وتطرَّق إليها علماء النحو والبلاغة والأصول قديمًا عند العرب، ففي النحو اهتمُّوا بدراسة شكل الخطاب ودلالة ألفاظه، وتحديد الأحكام والمواقع الإعرابية لهذه الألفاظ المشكِّلة للخطاب، وتقسيمهم للأفعال، واعتبار الطلب أحد أقسام الكلام، فالطلب هو إمكان حدوث الفعل بعد التلفظ به[1]، بحيث يتبيَّن إذا ما تأخر المعنى عن اللفظ، فالكلام منه ما هو طلبي، وما هو غير طلبي والنوع الأول هو التوجيهي بحيث نجد فيه: الإستفهام والتمني والنداء والأمر والنهي، وهي الأفعال التوجيهية، يُعرِّف (الإمام محمد بن علي السكاكي) الطلب بقوله: " الطلب إذا تأملت نوعان، نوع لا يستدعي في مطلوبة إمكان الحصول، ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول...، أمَّا النوع الأول من الطلب: التمني، أو ما ترى كيفَ تقول: ليتَ زيدا جاءني، فتطلب كون غير الواقع فيما مضى واقعًا فيه مع حكم العقل بامتناعه، أو كيف تقول: ليت الشباب يعود، فتطلب عود الشباب مع جزمك بأنه لا يعود، أو كيف تقول: ليت زيدًا يأتيني، أو ليتَكَ تحدثني، فتطلب إتيان زيدًا وحديث صاحبك في حال لا تتوقعهما ولا لَكَ طماعية في وقوعهما، إذ لو توقعت أو طمعت لاستعملت: لعل أو عسى، وأمَّا الإستفهام والأمر والنهي والنداء فمن النوع الثاني"[2]، وهي أفعال لغوية طلبية، تحمل وظيفة توجيهية، قصد القيام بفعل ما، أو الامتناع عنه، أو الاستفهام والاستفسار عن مسألة ما، أو الطلب عن طريق النداء قصد التأثير في المتلقي، كفعل كلام تأثيري يحمل غرض معين.

أمَّا عند البلاغيين، فقد تبيَّن التركيز على الاستراتيجية التوجيهية من خلال علم المعاني الذي يتتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتَّصل بها من الإستحسان وغيره، والوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره، أمّا علماء الأصول فقد اهتموا بدراسة الأدوات التي تستعمل للتوجيه، كالأوامر والنواهي واعتبروها من أقسام الكلام، كما اهتمُّوا بأسلوب التوجيه عندما وضعوا

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 350.

[2] الإمام أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، ضبطه وعلَّق عليه: نعيم زوزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987م، ص 303.

شروط لإدراك الأحكام الشرعية في الخطاب، بين أخذ الفعل أو الامتناع عنه، وبين ما هو مُحرّم منهم عنه، وبين ما هو حلال ومُستحَب ومستحسن، وأيضًا ما يتعلّق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمصالح المشتركة وغيرها.

تدخل أفعال الإستراتيجية التوجيهية ضمن نظرية الأفعال الكلامية في الدِّراسات اللسانية الحديثة، وقد صنفت في صنف أفعال الطلبيات، "وهي تضم كل الأفعال الكلامية الدالة على الطلب بغض النظر عن صيغتها، وهو أمر أخذ به الأصوليون، والفقهاء وبعض المتكلمين"[1]، وهي أفعال يستعملها المرسل، ليجسّد بها استراتيجيته التوجيهية، التي تتميَّز بالوضوح والدِّقة في التعبير عن قصد المرسل، باعتباره سَببًا في عدم حيرة المرسل إليه، ممَّا يضمن تحقيق هدف الخطاب الذي يتمثَّل في تبليغ المحتوى أساسًا.

فالفعل الكلامي Acte de langage هو كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، ويعدُّ نشاطًا ماديًا نحويًا يتوسل أفعالاً قولية Acte locutoires لتحقيق أغراض إنجازية Actes illocutoires (كالطلب والأمر والوعد والوعيد... إلخ)، وغايات تأثيرية Actes perlocutoires تخصُّ ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول)"[2]، ونظرية أفعال الكلام تنظر إلى اللغة على أنَّها أداء أعمل مختلفة في آن واحد، وما القول إلاّ واحدًا منهما، فعندما يتحدَّث المتكلم فإنَّه في الواقع يخبر عن شيء، أو يصرِّح تصريحًا ما، أو يأمر أو ينهى، أو يلتمس، أو يَعد أو يشكر أو يعتذر، أو يحذِّر، أو يدعو، أو يسمي، أو يستغفر، أو يمدح، أو يذم،...، كما تنظر إلى عملية التخاطب على أنها مخاطبة مرتبطة بموقف تُعبِّر عنه، فالطلب يُعبِّر عن رغبة في شيء ما، والمدح يُعبِّر عن رضى، والشكر يُعبّر عن إمتنان، والاعتذار يُعبّر عن ندم، ويقاس نجاح التخاطب بمدى اكتشاف المتلقي للموقف المعبِّر عنه من خلال فهم قصد المتكلم.

الأفعال اللغوية منها مباشرة وأخرى غير مباشرة، من خلالها تتحدّد الإستراتيجية المختارة والمستعملة من طرف المرسل، فعند إعتماد الإستراتيجية التوجيهية في الخطاب يحتاج المرسل إلى أفعال

---

[1] محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، د،ط، 2002م، ص: 100.

[2] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب. دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص 40.

لغوية مباشرة، لأنها أفعال واضحة، وتحمل دلالة مباشرة، وعن طريقها يقصد المرسل حرفيًا ما يقول، فهي لا تحمل معاني أو تفسيرات أو تأويلات كثيرة، بل تحمل معنى مباشر موجَّه من مرسل إلى مرسل إليه، قصد توجيهه إلى عمل معيَّن.

أفعال الكلام الفضل إليها يعود إلى (أوستين) من خلال نظريته Speach actes theory [1]، رغم أنَّ الينبوع الأوّل لها يعود إلى الفلسفة التحليلية، وما تحمله من أبعاد وأفكار تداولية، تطورت خاصة على يد (أوستين وسيرل)، وهي نظرية حديثة لها مقابل أصيل في التراث العربي، بحيث "نجدها تندرج ضمن مباحث علم المعاني،... وتحديدًا ضمن الظاهرة الأسلوبية المعنونة بـ: (الخبر والإنشاء) ويتعلق بها من قضايا وفروع وتطبيقات، ولذلك تعتبر (نظرية الخبر والإنشاء) عند العرب – من الجانب المعرفي العام) مكافئة لـ : مفهوم (الأفعال الكلامية) عند المعاصرين"[2].

فميَّز (أوستين) بين ثلاثة أنواع من الأفعال اللغوية (الفعل القولي، والفعل الإنجازي، وفعل جعل الإنجاز)، وانطلاقًا من هذه الأفعال اللغوية قام بإحصاء خمسة أصناف منها وهي (أفعال حكمية، وتمرّسية، وأفعال التكليف، وأفعال عرضية، وسلوكية)، وهذه الأفعال تنتمي في إنجازها إلى الإنشاء حسبما يؤكده (أوستين) إذ يقابل بين مستويين للتلفظ بالفعل اللغوي المباشر، وهذان المستويان هما: الصيغة الإنشائية الأصلية مثل: سأكون هناك، والصيغة الإنشائية الصريحة الإنجاز مثل: أعد بأن أكون هناك[3].

والتوجيه لا يتحقق إلاّ بإنجاز أفعال لغوية صريحة، ولمعرفة الأفعال اللغوية ذات الصيغة الإنجازية الصريحة نجد المرسل يتلفظ بالفعل المعجمي صراحة مثل: أعقد، أهنئ، أعاهد، أشكر...، أو يأتي بصيغة تدل على تلك الأفعال مثل: مبروك بَدَلاً من أهنئك، أو شكرًا بدلاً من أشكرك ...

كما ميّز (سيرل) من جهته أربعة أفعال عندما يتلفظ المتكلم بعبارة ما، فهو ينجز فعلاً نطقيًا، وقضوي، وإنجازي، وتأثيري، وحاول أن يحصر أفعال الكلام الغرضية في خمسة أصناف رئيسية: أفعال إعلانية، وأفعال الإثبات، وأفعال تعبيرية، وأفعال إلتزامية، وأفعال توجيهية وهي أنواع أفعال الكلام تلك

---

[1] عبد الحميد جحفة: مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000م، ص 29.

[2] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 49.

[3] جونّ أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة. كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر/ عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، ط2، 2008م، ص 93.

التي يستعملها المتكلمون ليجعلوا شخصًا آخر يقوم بشيء ما، وهي تُعبِّر عمّا يُريدُه المتكلم، وتتخذ أشكال أوامر وتعليمات وطلبات، ونواهٍ ومقترحات، ويمكن لها أن تكون إيجابية أو سلبية.[1]

فالأفعال التوجيهية صنف من الأصناف الخمسة للأفعال اللغوية عند (سيرل)، وهي الأفعال التي يحاول فيها المرسل التأثير على المرسل إليه للقيام بفعل شيء ما في المستقبل، والأفعال التي تدلُّ عليها هي: أطلب، أرجو، أسأل، ألتمس، أناشد، أتضرع، أستعطف، أشجع، أنصح، أتحدّى، أعترض، والتي ادرجها (أوستين) على انّها أفعال سلوكية[2].

كما صنّف (باخ Bach) الأفعال التوجيهية ضمن الأصناف الأربعة للأفعال الكلامية (الأفعال التقريرية أو الوصفية، والتوجيهية، والإلتزامية، وأفعال التعبير عن المشاعر)، وهو نفس التصنيف الذي اقترحه (سيرل)، وتشمل الأفعال التوجيهية عند (باخ) الأصناف التالية:

1- الطلبيات: وتأتي على شكل: (سؤال، توسل، تضرع، مناشدة، إلحاح، دعوة، طلب، حث، استدعاء، ابتهال، حجاج) وتتحقق هذه الأفعال عندما تكون للمرسل رغبة في أن يقوم المرسل إليه بفعل ما، وسبب قيامه بهذا الفعل هو قصد المرسل.

2- الأسئلة: وتأتي على الأشكال التالية: (السؤال، الإستعلام، الإستجواب، التشكك).

3- المتطلبات: وتتّخذ الأشكال التالية: (العرض، التكليف، الأمر، الطلب، الإرشاد، المنع، التعليم، الفرض).

4- التحريمات: وتتخذ الأشكال التالية: (المنع، الحظر، التحريم، التقييد).

5- أفعال النصح: وتأتي على أشكال منها: (الحث، النصح، التحذير، العرض، التوصية، الاقتراح، الإنذار).[3]

التوجيه يتمّ عبر سلسلة من الأفعال المباشرة كالنداء والأمر والنهي والاستفهام، التي تُعدُّ أفعالاً لغوية، يسعى من خلالها المرسل إلى توجيه المرسل إليه ودفعه إلى الاستجابة في الحاضر أو المستقبل، وهي كُلها أدوات ووسائل لغوية ترجّح استعمال الإستراتيجية التوجيهية قصد التأثير على السامع وتوجيهه إلى ما يُحقِّق المنفعة والمصلحة، وتتَّضح الإستراتيجية التوجيهية أكثر على الشكل التالي:

---

[1] جورج يول: التداولية، تر/قصّي العتّابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص 90.

[2] صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ط1، 1993م، ص 233.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب. مقاربة لغوية تداولية، ص 337. 338.

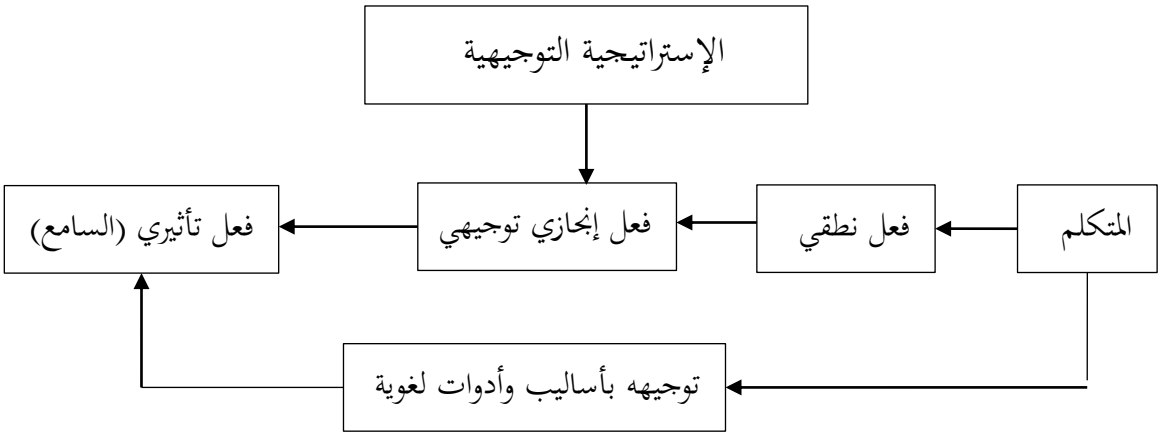

سلطة المرسل في خطاب أهل الكتاب، تتميَّز بكونها سلطة متعالية، فهو خطاب من الله عزّوجلَّ الذي يتميَّز بالإعجاز والشمول والديمومة، يوضَع فوق كل اعتبار، وخطاباته التوجيهية لأهل الكتاب وردت بصيغة مباشرة، أو غير مباشرة على لسان أنبيائه ورسله، بصفة خاصة اليهود والنصارى، أو على وجه العموم عندما يكون موجّه لأهل الكتاب بصفة عامة، فسلطة الخطاب مستمدَّة من الله عزَّوجل خالق كل شيء، والقرآن الكريم وهو كلام الله سبحانه وتعالى، الذي لا يُقارن، ولا يُجَادل، ولا يُنْكَر، ولن يأتي أحد بمثله، هذا الخطاب الربّاني الذي جاء للناس جميعًا، ولأهل الكتاب خصوصًا من أجل توجيههم، بمختلف الأساليب والأدوات اللغوية، لمصلحتهم ومنفعتهم الآنية المتمثِّلة في حياتهم الدنيوية، أو المستقبلية المتمثِّلة في حياتهم الأبدية، والدين الإسلامي ما جاء إلاّ لمصلحة الناس ومنفعتهم، وهذا ما بيَّنه الرسول عليه الصلاة والسلام في أكثر من موضع من خلال دعوته المكِّية والمدنية، كما أثبته القرآن الكريم والله عز وجل وأنبيائه في مواقف مختلفة.

الفعل الإنجازي التوجيهي من خلال نتيجته يُعتبر إلزامًا للمرسل إليه (أهل الكتاب) لأنَّه خاضع لسلطة المرسل (الله عز وجل)، فالأفعال التوجيهية قائمة على علاقة سلطوية بين المرسل والمرسل إليه، والسلطة في هذه الحالة هي مؤَشِّر لنجاح هذه الأفعال، لأنَّها سلطة فوقية متعالية، مُوجَّهة لمرسل إليه مشرك به، ومنكر لرسالة رسولِهِ، وهي سلطة جاءت لتوجيههم إلى الطريق الصحيح وترك المعاصي.

الإستراتيجية التوجيهية في القرآن الكريم بصفة عامة، وفي خطاب أهل الكتاب بصفة خاصة، الهدف منها ما تُحقِّقه من منفعة ومصلحة للمرسل إليه لا غير، في الدنيا والآخرة،، أمَّا هدف المرسل ورسوله الكريم وأنبيائه، يتمثل في دخول المرتدِّين والكفار والمشركين وأصحاب المعتقدات الخاطئة لِلدِّين

الإسلامي، والتخلّي عن الشرك والمعاصي، وإنكار النِّعم التي أنعمها الله عليهم، وإنكار رسالة رسوله صلى الله عليه وسلم...، فنجد هذه الإستراتيجية تتميّز بالوضوح في التعبير عن قصد المرسل، إذ لا يحتمل الخطاب أكثر من تأويل، وهذا لكونها تعتمد على أفعال لغوية صريحة.

2- الأساليب اللغوية في الإستراتيجية التوجيهية:

خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم، تناول قضايا إسلامية كثيرة، خصَّهم الله بها، جَعلهُ يتميّز بأفعال توجيهية متنوعة، وبأساليب وصيغ لغوية مختلفة، مستعملة خصِّيصًا لتوجيه المخاطَب (أهل الكتاب)، ولتحقيق الغرض أو القصد من التواصل معهم، المتمثِّل في شكله العام هدايتهم إلى الطريق المستقيم، ممَّا يجعل الخطاب يتوفَّر على كم مُعتبَر من الإستراتيجيات التوجيهية، نظرًا للحوار القائم بين أطراف الخطاب، والتفاعل الخطابي بينهما، ونوع موضوع الخطاب ومدى حساسيته بين المرسل والمرسل إليه، سواءً في السياق الكلامي المباشر أو الغير مباشر، بين أهل الكتاب (اليهود والنصارى) وأنبيائهم، أو مع الرسول عليه الصلاة والسلام.

الإستراتيجية التوجيهية من الإستراتيجيات التي لا تتحقَّق إلاّ من خلال إستعمال صيغ وأساليب وأدوات لغوية مختلفة، باختلاف السياق وموضوع الخطاب، وعلاقة المخاطِب بالمخاطَب...، وقبل إبراز هذه الإستراتيجيات، لابأس أن نعرج على أهم وسائل التوجيه المعروفة عند العرب خاصة، وأهم الوسائل المستعملة لغاية التوجيه في خطاب أهل الكتاب، فمن أهم هذه الوسائل نجد:

1- النداء:

النداء هو توجيه الطلب إلى المخاطب بإحدى أدواته قصد الإقبال أو التنبيه، والمنادَى يقتضي أن يكون بعيدًا أو في حكم البعيد، كالغافل والنائم، أو قريبًا، وهو بمعنى المفعول به لحرف النداء لأنّه يتضمن معنى أنادي[1].

فغرض النداء هو توجيه الدعوة إلى المخاطب وتنبيهه وسماع ما يريده المتكلم[2]، وبالتالي يعتبر من الآليات التوجيهية، لأنّه يحمل المرسل إليـه على اتِّخاذ ردّة فعل اتجـاه المرسل من خلال أدواتـه الأساسية

[1] خير الدين هني: المفيد في النحو والصرف والإعراب، دار الحضارة، المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد، بوزريعة، الجزائر، ط2، 1995م، ص 103.

[2] عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط11، دت، ص 1/4.

كالياء، كقوله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ »[1]، والنـداء نوعان: نـداء حقيـقي، يلبي فيه المخاطَب طلب الدَّاعي في الإتيان والإصغاء أو السَّماع، مثل قوله تعالى:« قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا [2]»، ونداء مجازي وهو الذي يطلب فيه الداعي مساعدة المخاطَب مثل: (يا لله كُنْ بنا رحيمًا)، والنداء يكون بأدواته المتمثِّلة في:

- الهمزة: المفتوحة المقصورة، نحو: أعلي.
- الهمزة: المفتوحة الممدودة، نحو: آعلي.
- أي: بفتح الهمزة المقصورة، وسكون الياء، نحو: أي محمد أقبل.
- آي: بفتح الهمزة الممدودة، وسكون الياء نحو: آي خالد قم.
- يا: نحو: يا رب استجب دعائَنَا.
- آيا: نحو: آيا عبد الله.
- هيا: نحو هيا خالد.
- وا: نحو : وا أحمد.

وهذه الأدوات حسب الإستعمال تنقسم إلى قسمين:

المستعملة مع البعيد: وهي: يا، وأي، وآي، وهيا، وأيا، وا، آ.

المستعملة مع القريب: وهي: الهمزة، مثل: أمحمد أقبل.[3]

ومعظم هذه الأدوات تفيد أمرين من الأمور، يتعلق الأمر الأول بإفادتهم النداء أو الدعاء أو طلب المنادَى أو المدعو أو المطلوب إقباله، ويتعلق الأمر الثاني بتنبيه المدعو او المخاطب، وكلا من النداء والتنبيه الغرض منه هو توجيه السامع للإلتفات والسماع والقيام بفعل ما، لأنَّهُ غالبًا ما يأتي بعده أمر أو نهي أو استفهام أو توبيخ أو إنكار...

النداء من الإنشاء الطلبي التوجيهي، يُحفِّز المرسل إليه ويدفعه لردّة فعل ما تجاه المرسل، بعد الإقبال عليه بسمعه وذهنه، وانتظار ما يخاطبه به المرسل بعد النداء، ومن أبرز الأدوات التي يستعملها المخاطِب

[1] سورة المائدة : الآية 35.

[2] سورة آل عمران : الآية 37.

[3] خير الدين هني: المفيد في النحو والصرف والإعراب، ص 103.

لنداء المخاطَب (الياء)، بحيث تُعدُّ من أكثر الأدوات استعمالاً، فهي أمُّ أدوات النداء، وذلك لأنها تدخل في النداء الخالص، وفي نداء الإستغاثة، وكذا في التعجب، وهي الأداة الأكثر ورودًا في القرآن الكريم بشكل عام، وفي خطاب أهل الكتاب (اليهود والنصارى) بشكل خاص، سواءً بصيغة (يا أهل الكتاب) أو (يا أيها الذين أوتوا الكتاب) أو (يا بني إسرائيل)، كما نجدها في مخاطبة أو محاورة (موسى) عليه السلام مع قومه بصيغة (يا قوم)، أو في مخاطبة قوم موسى لنبيِّهم عليه الصلاة والسلام بصيغة (يا موسى)، كما قد ترِد الأداة مضمرة في بعض المواضع، كما هو الحال في الدُّعاء نحو: (ربِّ) أو (ربَّنا) بصيغة الجمع، فالأداة (يا) من الأدوات الندائية الأساسية المستعملة في خطاب أهل الكتاب، نظرًا لأهميتها في تنبيه المدعو ولفت انتباهه وتوجيهه، ودعوته، كما أنها أداة تستعمل في القريب والبعيد، فينادى بها البعيد لبعد المسافة بينهما، كما ينادى بها القريب لقرب المسافة بينهما، فهي مشتركة في الإستعمال.

2- الأمر:

الأمر من الأساليب الإنشائية الطلبية المستعملة كثيرًا في خطاب أهل الكتاب، جاء لتوجيه فئة اليهود والنصارى إلى ما هو خير لهم، وترك ما يَدَّعونه على الدِّين وعلى الله ورسوله الكريم، وهو خطاب توجيهي من الله عزَّوجل، وطلب استعلاء منه، لا يحتمل الكذب أو الرفض، وإنَّما القيام بالفعل، وهو عكس ما لمسناه عند أهل الكتاب، بحيث واجهوا الخطاب بالتردّد والتعنّت والإنكار لرسالة أنبيائهم، ورسالة الرسول عليه الصلاة والسلام، ممّا يجعل الخطاب يتميّز بالحوار والتفاعل بين الطرفين (المرسل والمرسل إليه)، ويجعله من الأساليب اللغوية المباشرة والصريحة.

صيغة الأمر من الصيغ الأكثر تداولاً في الكلام، وهو من الأفعال التوجيهية حسب نظرية افعال الكلام عند (أوستين) و(سيرل)، وصنف من أصنافها، يعرفُه (محمد بن علي السكاكي ب: "الأمر في لغة العرب عبارة عن إستعمالها (وهي اللام الجازمة، وصيغ مخصوصة وعدة أسماء) أعني استعمال لينزلْ، وانزلْ ونزال وصَهْ على سبيل الاستعلاء، وأما أن هذه الصور والتي قبيلها، هل هي لتستعمل على سبيل الاستعلاء أم لا؟ فالأظهر أنها موضوعة لذلك، وهي حقيقة فيه، لتبادر الفهم عند إستماع نحو: قمْ وليقمْ زيد، إلى جانب الأمر وتوقف ما سواه من الدعاء، والإلتماس والندب، والإباحة والتهديد،

على اعتبار القرائن، وأطباق أئمة اللغة على إضافتهم نحو: قم، وليقمْ إلى الأمر بقولهم، صيغة الأمر، ومثال الأمر، ولام الأمر، دون أن يقولوا صيغة الإباحة ولام الإباحة"[1].

للأمر عند النحاة "صيغة (إفْعَل) وما يتفرّع منها، مبنيًّا آخره على السكون، أو على ما يجزم به، فالمعتل الآخر مبني على حذف حرف العلة، ك (إسمع، وإرم، وإدع)، والأفعال الخمسة مبنية على حذف النون، ك (إكتبا، وإكتبي وإكتبوا) "[2]، وتأتي بعد صيغة (إفْعَلْ) في قوة الدلالة على الأمر (لام الأمر) الداخلة على الفعل المضارع، يقول (أحمد بن فارس): "الأمر عند العرب: ما إذا لم يفعله المأمور به سمي المأمور به عاصيًا، ويكون بلفظ (إفعلْ) و(ليفْعَلْ) نحو: (أقيموُا الصلاة)[3]، ونحو قوله سبحانه (وليحكم أهل الإنجيل)[4]"[5]، إضافة إلى الصيغ الإسمية مثل أسماء الأفعال الدالة على الأمر، والمصدر النائب عن الفعل، والألفاظ المخصوصة للوجوب مثل: (لاَبُدَّ من)، فالأمر هو "استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه"[6]، "واستدعاء الفعل بالقول يتشابه إلى مَدَى بعيد مع تعبير الفيلسوف (أوستين) والمعاصرين في حديثهم عن الصنف الثاني من أصناف الفعل الكلامي بـ (الفعل الإنجازي)"[7].

إنّ علاقة الأمر بالاستراتيجية التوجيهية، تكمن في أنّه جزء منها، يحمل وظيفة تأثيرية توجيهية، فالتلفظ بصيغة الأمر دلالة على الوجوب، والقيام بالفعل، كما قد يخرج هذا الفعل إلى مقاصد أخرى.

الخطاب القرآني الموجَّه لأهل الكتاب من الله عز وجل، أو على لسان أنبيائه ورسله، كان في معظمه بصيغة (إفعل)، يدل على قوة الخطاب الموجّه لهم، قصد التخلي عن معتقداتهم وأفكارهم الخاطئة، والاعتصام بحبل الله، فكان توجيههم بهذه الصيغة الغرض من معظمها، ذكر النعم التي أنعمها عليهم، والإيمان بالله عز وجل، وتقوى الله وطاعته...، فقد وردت على شكل: (إذكُرُوا، آمِنُوا، فالتَّقُوا، أطيعونِ، كُلُوا، كُونُوا، فافْعَلُوا، إدخُلُوا، فاحكُم، فاعتبرُوا، هاتُوا...)، والميزة التي يتميّز بها هذا الخطاب

---

[1] الإمام سراج الملة والدين أبي يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، ص 318.

[2] أحمد عبد الستّار الجواري: نحو الفعل في الدراسات النحوية، المؤسسة العربية للدراسات والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص 56.

[3] سورة الأنعام: الآية 72.

[4] سورة المائدة: الآية 47.

[5] أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: الصاحبي، ص 298.

[6] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب. دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص 148.

[7] عبد الحميد جحفة: مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص 91.

كونه مباشرًا وحقيقيًا، يحمل دلالة الوجوب، أي القيام بالفعل والعمل به، كما يتميَّز بالعلو والاستعلاء، يحمل سلطة وقوة في الخطاب، لأنّه خطاب نابع ممن هو أعلى (الله عز وجل) إلى من هو أدنى (أهل الكتاب)، مما يستدعي الاستجابة وتنفيذ الأمر.

الإستراتيجية التوجيهية بصيغة الأمر في القرآن الكريم بشكل عام، الغرض منها هو توجيه السامع إلى ما ينفعه ويصلح له في الدنيا والآخرة، فهو توجيه إلى الطريق السليم، من خلال التخلي عن معتقداته، والشرك بالله وأنبيائه ورسله واليوم الآخر...، وتذكيره ببعض الحقائق التي لا يعرفُها، وإرشادهِ إلى طُرقٍ سليمة، والقيام بأعمال تُقَرِّبه إلى الله تبارك وتعالى، وتُبعدُه من الظلمات، وتدخله إلى النور، هذه الأفعال التوجيهية وردت بصفة كبيرة في خطاب أهل الكتاب، وهي غاية جاء من أجلها الإسلام.

3- النهي:

النهي من أساليب الإستراتيجية التوجيهية، يأتي في معظمه ممَّن هو أعلى مكانة وكفاءة وعُمرًا، إلى من هو دونه، وهو أسلوب يقارب الأمر في الكثير من الأمور، أولاَها أنّه من الآليات الأساسية في الاستراتيجية التوجيهية، أحدهما يَدعو إلى القيام بالفعل، والآخر إلى الكف عنه، فالنهي كذلك إنشاء طلبيًا لكن معناه غير معنى الأمر، إذ يدل على "طلب الكف عن شيء وعن فعله، يأتي النهي بصيغة الفعل المضارع المقترن بـ (لا) الناهية كثيرًا وتسمى لا الطلبية"[1]، ومعنى (لا) التي يحصل بها النهي "النهي أصالة، وتحمل عليه مجازات النهي، من الإلتماس، والدعاء، والتهديد، والإرشاد، والتمني، ونحو ذلك، وإن كان معظم النحويين لا يذكر في ذلك إلاّ النهي والدعاء والالتماس"[2]، فالنهي المراد به كف النفس عن الفعل، وهو لا يختلف عن الأمر من حيث كونه فعل طلب على وجه الاستعلاء، فهو يفيد الوجوب، وإن لم يتحقق شرط الاستعلاء أفاد الترك فحسب، وللنهي حرف واحد وهو (لا الناهية) الداخلة على الفعل المضارع في قولك (لا تفعل)، ويُعدُّ استعمال النهي بهذه الصيغة توجيهًا للمخاطَب والغائب، خاصة عند استعمال الحرف (لا الجازم)، لأنّهُ يقع على فعل الشاهد والغائب[3].

النهي في خطاب أهل الكتاب تمحوَرَ حول قضايا كبرى، كالتوحيد والاعتقاد، والنهي عن الغلو في الدّين، وقول الباطل عن عيسى عليه السلام، ونهي الرسول عليه الصلاة والسلام أو الذين آمنوا من

[1] عباس حسن: النحو الوافي، ص 408/4.

[2] المرجع نفسه: ص 184.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 350.

اتباع أهواء أهل الكتاب، واتِّخاذ اليهود والنصارى أولياء لهم، فهذا توجيه من الله عزَّوجل، والغرض من الاستراتيجية التوجيهية التي ترِد عن طريق النهي، هو عدم الشرك بالله، ووجوب التخلِّي عن الغلو في الدين، وعدم كتمان الحق وقول الباطل، وعدم إتِّخاذ اليهود والنصارى وإتخاذهم أولياء لهم، وهي أفعال إنجازية قوية غرضية ومباشرة الهدف منها توجيه المرسل إليه للكف عن الفعل.

4- الإستفهام:

الإستفهام معناه "طلب الإفهام إذَا وقع ممن لا يعلم، فإذا وقَع ممن يعلم فهو موبَّخ، أو مقرر أو مكبت"[1]، وحقيقة طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في ذهنه ما لم يكن حاصلاً عنده مما سأله عنه[2]، وإذا كان الاستفهام طلب الفهم فإن ذلك في حق غير الله لجواز عدم علمهم بما يستفهمون عنه، أمّا في حقّ الله فهو يخرج إلى معانٍ أخرى غير حقيقية بيَّنَها النحاة والبلاغيون في كتبهم، من ذلك: (التعجب، التمني، التقرير، التعظيم والتحقير، الإستبطاء، الإستبعاد، الإنكار)، وأغلب ما جاء في القرآن الكريم من إستفهام لأهل الكتاب كان غرضه إمّا الإنكار أو النفي أو التوبيخ أو التعجب، أو يجمع بين اثنين، إنكار لما يعتقدونه، ونفي لما يقولونه، وتوبيخ لما يفعلونه، وتعجب لما هم فيه.

"قسّم النحاة ألفاظ الاستفهام على قسمين: حروف، وأسماء، فالحروف إثنان فقط هما (الهمزة وهل)، والأسماء هي (من، ما، لم، ماذا، كيف، أنى، كم...)"[3]، "كما قسّم العلماء العرب الاستفهام إلى قسمين أيضًا: طلب تصوُّر، وطلب تصديق، إذ يكمن الأول في طلب حصول صورة الشيء في العقل بسيطًا أي له طرف واحد، والثاني هو طلب حصول نسبة بين الشيئين، أي له طرفان، ولكل نوع أداة (أو أكثر) تختص به وتؤدِّي معناه"[4]، (كالهمزة وهل، لكن لا يمكننا التفصيل في دلالة كل أداة

---

[1] حسين بن أبي العز الهمداني: الفريد في إعراب القرآن المجيد، تح/فهمي حسن النمر وفؤاد علي مخيمر، دار الثقافة، الدوحة، ط1، 1991م، ص 197/1.

[2] أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي : الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1993م، ص 97.

[3] حسن عبد الجليل يوسف: أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2001م، ص 10.

[4] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب. دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص 113.

من أدوات الاستفهام الكثيرة أو القصد الذي تدلُّ عليه عند استعمالها مع ما يلائم السياق في الخطاب لأنّ كلا من هذه الأدوات يوجِّه ذهن المرسل إليه لفعل مختلف عمّا تتطلبه الأدوات الأخرى.

الأسلوب الإستفهامي نسيج متداخل، وليس حالة طارئة على التركيب، بل هو داخل في نسيجه، متفاعل معه، وليست دلالة جملة الاستفهام قاصرة على نوع أداة الاستفهام، أو على نوع عناصره، وطريقة ترتيبها... وإنما هي مرتبطة بذلك كله ومتولّدة عنه[1]، فأسلوب الاستفهام يعكس ترابطًا بين أجزائه، فلا يتضح إلاّ وهو كلٌ متكامل.

إنّ الاستفهام في الاستراتيجية التوجيهية، ليس ذلك السؤال الذي يوظفه المرسل للتلميح إلى قصده دليلاً على الاستراتيجية غير المباشرة، وإنما يُمثّل ذلك السؤال الذي يستدعي التلفظ بإجابة صريحة، لذلك يمكن تقسيم الاستفهام الوارد في خطاب أهل الكتاب على ثلاثة أنماط هي:

- ما كان الاستفهام صادرًا عن الله تعالى.
- ما أُمِرَ النبي صلى الله عليه وسلم أن يستفهمهم به.
- ما حُكي على لسان أهل الكتاب أو أحد أنبيائهم.

5- التحذير والإغراء:

التحذير "تنبيه المخاطَب على أمر يجب الإحتراز منه"[2]، وهو من الأساليب التوجيهية التي يستعملها المرسل لتوجيه المرسل إليه، فنجده يخص المرسل إليه، "فحقُّ التحذير أن يكون للمخاطَب"[3]، من خلال استعمال أدوات معينة في أشكالها المباشرة، فيوظفها المرسل في بعض خطاباته، يدعوا فيها المرسل إليه إلى اجتناب أو ترك الفعل الذي يمارسُه، لينزّه نفسه عن تهمة التلاعب بعواطف الآخرين، كما أنّه يعطي خطابه قبولاً من خلال حضور الصراحة التي تبيّن للمرسل إليه صدق المرسل في التوجيه، وبالتالي تكسبه الثقة في خطابه[4].

الغاية أو الغرض من التحذير في الغالب يأتي للنصح والإرشاد، بحيث يرشد المرسل المخاطَب وينصحه لما هو منفعة ومصلحة وخيرًا له، فهو يوجهه عن طريق التحذير لترك واجتناب الأمور التي كان

[1] حسن عبد الجليل يوسف: أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي، ص 06.
[2] بهاء الدين عبد الله ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، ص 298/2.
[3] المرجع نفسه: ص 298.
[4] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب. مقاربة لغوية تداولية، ص 355.

يفعلها، واستبدالها بأمور أخرى تُفيدُه.

الدين الإسلامي دين نصح وإرشاد، جاء لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الشر إلى الخير، لذلك نجد خطاب القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، تتميّز بكثرة ورود أساليب التحذير فيها بمختلف أدواتها، لفئات مختلفة من الناس بمعتقدات وأفكار متنوعة، للكفار والمشركين والمنافقين والمرتدّين من اليهود والنصارى، وحتّى للمؤمنين لكي لا يتبَعُوهم ويُخرجوهم من ملَّتِهم.

من الفئات التي حذّرها الله عزَّوجل بصورة كبيرة في القرآن الكريم أهل الكتاب (اليهود والنصارى)، خاصّة منهم اليهود، بحيث ورد الخطاب التوجيهي بأسلوب التحذير لينبِّههم على ما هم عليه من افتراء وكذب على الله عز وجل وأنبيائه، وكتمان الحق، والإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه، وإنكار النّعم التي أنعمها الله عليهم، ومجادلة الأنبياء بما هو غير حق، واستبدال الحق بالباطل...، والغرض من هذا التحذير هو توجيه اليهود والنصارى إلى ما هو حقيقي، ومنحهم فرص عديدة ومتعدّدة للدخول إلى الإسلام وترك ما يفترون ويعتقدون عن قصد.

أمّا الإغراء هو أمرُ المخاطَب بلزوم ما يُحمد به[1]، فهو تنبيه المخاطب على أمر محمود ليزمه أو ليفعله، علمًا أنّ الفعل في الإغراء يُطلب من المخاطَب على سبيل الترغيب والتشويق لا عن طريق الإلزام [2]، والتوجيه بالإغراء يأتي بقصد أمر محبوب غير مذموم.

فالتحذير والإغراء على إجتماعهما هما من الأفعال الكلامية، يهدفان إلى التأثير في المخاطَب وحمله على إنجاز فعل ما، فإذا رغب المرسل من المرسل إليه أن يجتنب أمرًا مكروهًا لجأ في ذلك إلى أسلوب التحذير، وإذا أراد منه أن يفعل أمرًا محبوبًا أدّى له تلك الرغبة بالإغراء، ومنه يكون الإغراء والتحذير منتمين إلى صنف (الأمريات) كما حدّدها (سيرل searl).

[1] بهاء الدين عبد الله بن عقيل: شرح بن عقيل على ألفية بن مالك، ص 299/2.

[2] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب. دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص 212، 213.

6- العرض والتحضيض:

من أساليب التوجيه العرض والتحضيض، بحيث يسعى فيه المتكلم بطلب الفعل من المرسل إليه برفق أو شدة، فالغرض هو معنى مستفاد من الأداة (ألا)، وهو طلب بلين ورفق[1]، وهو أخفّ من التحضيض، والفرق بينهما أنك في العرض تعرض عليه الشيء لينظر فيه، وفي التحضيض تقول: الأولى لك أن تفعل، فلا يفوتنّك، فهو معنى مستفاد من الأداة (هلاَّ)، وهو الطلب بشدة، وقد يؤدّي هذا المعنى بالأداة (لولا) إذا وليها فعل مضارع [2]، ومن أدواته في العربية (لولا، ألا، ألاّ، لوما، وأحيانًا لو)[3].

7- التوجيه بألفاظ المعجم:

إلى جانب الأساليب التوجيهية اللغوية المستعملة بكثرة في الخطاب لتوجيه المخاطَب، فإنَّ هناك من ألفاظ المعجم ما يستعمله المرسل للدلالة على التوجيه وذلك بالنصح والوصية والتوسّل أو المناشدة، والإشارة والإقتراح وغيرها[4]، ومنه يعمد المتكلم إلى استعمال هذه الوسائل اللغوية بمختلف تقليباتها الصرفية ليدل على معنى التوجيه في خطابه.

8- التوجيه بذكر العواقب:

يعدّ ذكر العواقب أيضًا من الآليات المباشرة والصريحة التي يستعملها المرسل لتوجيه المرسل إليه، وليست هذه الآلية حكرًا على ميدان معين، أو مرسل خاص، بل هي ملك كل من يرى أنها تخدم سياق خطابه، مثلما هو مُبيَّن في خطاب أهل الكتاب، التي يذكر فيها –غالبًا– بالعاقبة الحسنة كنتيجة لفعل حسن، الهدف منه الثواب، والعاقبة السيّئة كنتيجة للفعل السيّء، والعاقبة الحسنة تكون للذين يطيعون الله ورسوله والإيمان به وبكتبه، ولا يشركون به أحد، أمَّا العاقبة السيئة فتكون للذين يعصون أمر الله وينكرونَ ما أمرهم به، ويكتمون الحق، ويأمرون بالباطل، وبما ليس لهم علم.

فذكر العواقب الحسنة والسيئة هي نتيجة للفعل الذي كان يقوم به المرسل إليه، نهايتها الثواب والعقاب، والغرض من ذكرها تثمين وتحفيز للفعل من جهة، وتحذير من جهة أخرى.

---

[1] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 212، 213.

[2] الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب. مقاربة لغوية تداولية، ص 358.

[3] المرجع نفسه: ص ن.

[4] المرجع نفسه: ص360.

9- التوجيه المركَّب:

التوجيه المركب آلية من آليات الاستراتيجية التوجيهية، وهو أن يستعمل المرسل في توجيه المرسل إليه أكثر من آلية في خطاب واحد، وقد يجمع بين آليتين أو أسلوبين متضادين حيث يُدعِّم أحدهما في تحقيق التوجيه.

3- الإستراتيجية التوجيهية في الخطاب القرآني لأهل الكتاب:

في القرآن الكريم خصّ الله عز وجل البعض من خطاباته لأهل الكتاب، اليهود منهم والنصارى، فوجّه لهم الخطاب بطريقة مباشرة، يبتدئ بالنداء العلوي دُونَ وساطة نحو: (يا بني إسرائيل، يا أهل الكتاب، يا أيها الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب...)، أو بوساطَةٍ على لسان أنبيائه نحو: (يا قوم)، أو بطريقة غير مباشرة تحمل أفعال ودلالات توجيهية، فالخطاب بهذه الطريقة المباشرة تجعله يحمل خصوصية أكثر بالمنادى، وهي مواجهة مباشرة أو حوار تفاعلي بين المرسل والمرسل إليه، تسمح لأن يكون للخطاب دلالات ومقاصد تُوَضِّحُها وتُحدِّدها الأفعال التوجيهية المتنوعة في الخطاب، بأساليب وأدوات لغوية إنشائية، كالنداء والأمر والنهي والاستفهام...، وبأغراض كلامية متمثِّلة خاصةً في التهديد والتوبيخ والإنكار والتعجب...

تمحورَ الخطاب التوجيهي المباشر لأهل الكتاب على محاور وقضايا كبرى، بحيث إهتم بالعقيدة والإيمان، وحسن التصرُّف والمعاملة، والصِّدق...، وهي المحاور التي طالما كافحَ الأنبياء والرسل من أجل تحقيقها، وتثبيتها في عقول اليهود والنّصارى، إلاّ أنهم صودِموا بموقف متصلِّبٍ ومُتحجِّر، أبدَى نية مسبَّقة تتميَّز بكرههم لهذا الدِّين الجديد، كما يكرهون لهذه الأمة ان تهتدى.

تميّز الخطاب التوجيهي الموجّه لأهل الكتاب بأساليب إنشائية كثيرة ومتعدِّدة تتناسب مع مقام الخطاب ومقتضياته، تعكس الغاية التي جاء من أجلها الدِّين الإسلامي، فهو خطاب سلطوي موجَّه من الأعلى والأعظم مكانة إلى أدناها، للإيمان بالله، وطاعته، وعدم الشرك به، وتذكير النِّعم...، ولتحقيق هذه الغاية والمقاصد استعملت وسائل متنوعة دالة على التلطُّف والتحبب مع المعاندين والمكذِّبينَ منهم، يُجَسِّد كرم ولطف وعظمة المخاطِب، رغم خلافهم وتنكرهم لهذا الدّين المهدِّد لكيانهم.

إنّ ما يميز خطاب أهل الكتاب هو تناسب ترتيبه في بعض سور القرآن المتوالية، وهي البقرة والنساء والأعراف، فذَكَّرَ بالنعم في البقرة، وأمر بالإيمان في النساء، واستفهم وأنكر كفرهم في الأعراف.[1]

فمن بين أهم القضايا التي أثارها الخطاب التوجيهي المباشر لأهل الكتاب في هذه السّور، وفي القرآن الكريم عامّة نجد: تذكير النّعم التي أنعمها على اليهود، ومحاولة ردِّهم إلى طريق الصواب من خلال الإيمان بالله وأنبيائه وعدم الشرك به أو الكفر بآياته، مع إنكار ما يفعلون أو يفترون، وبالتالي تهديدهم وتوبيخهم في بعض الحالات، وبيان جزاء وعاقبة من يكفر او يُشرك به.

تعدُّد قضايا الخطاب ومواضيعه، وتعدّد او تنوع اطراف الخطاب المشاركة فيه، من مرسل (الله عزَّوجل وأنبيائه)، ومرسل إليه (أهل الكتاب من اليهود والنصارى)، سَمحت بأن تعدّدت أيضا أوجه الإستراتيجية التوجيهية، وبالتالي أساليب وأدواتها اللغوية، قصد تحقيق الغاية والمقاصد، تعود بفائدة أو منفعة على المرسل إليه.

– ورد الخطاب التوجيهي في خطاب الله تبارك وتعالى لطرفٍ من طرفي اهل الكتاب بصفة مباشرة دون وساطة بصيغة (يا بني إسرائيل)، أو على لسان نبيِّه الكريم موسى عليه السلام بصيغة النداء (يا قوم)، فكانت أهم القضايا التي أثارها هذا الخطاب هو توجيه النداء لهم، وأمرهم بان يذكروا النّعم التي أنعمها عليهم، فتكرّر الخطاب بنفس الفعل التوجيهي مرات عديدة من الله عزّ وجل، أو من موسى عليه السلام لقومه، بحيث تكرّرت في سورة البقرة ثلاث مرات، وفي سورة المائدة مرة واحدة، ومرة أخرى في سورة إبراهيم:

يقول الله عزوجل: « يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ »[2].

وفي أية أخرى: « يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ »[3].

---

[1] جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: أسرار ترتيب القرآن، تح/ عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام، القاهرة، ط1، د ت، ص 3.2.

[2] سورة البقرة : الآية 40.

[3] سورة البقرة: الآية 47.

وفي نفس السورة اعيدَ ندائهم بقوله تعالى: « يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٢٢)وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ »[1].

كما نجد هذا النداء بنفس الغرض من موسى عليه السلام لقومه، في قوله تعالى: « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ».[2]

ويقول الله وجل في آية أخرى: « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ»[3].

المخاطَب في هذه الآيات هو الله عز وجل ونبيِّه مُوسى عليه السلام، وُجِّهت لليهود من بني إسرائيل، وقوم موسى، صيغة التوجيه جاءت عن طريق النداء «يا بني إسرائيل» «يا قوم»، وهو فعل كلام تأثيري، ومن أفعال التوجيه، تكرَّرَ لتنبيههم والتأثير فيهم، «اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ » « اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ »، أمر من افعال الكلام الغرضية والتوجيهية، الغرض منه أمر اليهود بذكر النِّعم التي أنعم الله عليهم، فالله عزّوجل لما أقام دلائل التوحيد والنبوة، ثم عقبها بذكر الإنعامات العامة لكل البشر، عقبها بذكر الإنعامات الخاصة على أسلاف اليهود كسرًا لعنادهم ولجاجهم بتذكير النِّعم السالفة، واستمالة لقلوبهم بسببها وتنبيهًا على ما يدل على نبوة صلى الله عليه وسلم من حيث كونها إخبارًا عن الغيب، فالله سبحانه وتعالى ذكرهم تلك النعم أولاً على سبيل الإجمال:« يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ »، وفرَعَ على تذكيرها بالتفصيل[4]، « وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ » أمر، وهو من الأفعال الغرضية التوجيهية، الغرض منه هو طلب والوفاء بالعهد وعدم مخالفته أو نقضه، « وإتَّقوا يومًا لاَ تجزي نَفسٌ عن نفسٍ شيئًا ولاَ يُقْبَلُ منْها عَدْلٌ ولاَ تنْفَعُهَا شفَاعَةٌ ولاَ هُمْ يُنْصَرونَ»، أمر، فعل كلامي غرضي وتوجيهي، الغرض منه الإيمان

[1] سورة البقرة: الآيات 122. 123.

[2] سورة المائدة: الآية 20.

[3] سورة إبراهيم: الآية 06.

[4] الإمام فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر حسين القرشي الطبرستاني الأصل: تفسير الفخر الرازي المشتهرُ بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط1، 1981، ص 30/1.

باليوم الآخر، وتحذير الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر من عقابهم وجزائهم يوم القيامة، فبعد أن ذكرهم تلك النعم على سبيل الإجمال ثانيًا بقوله مرة أخرى « يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ » تنبيهًا على شدة غفلتهم، ثم أردف هذا التذكير بالترغيب البالغ بقوله: « وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ » مقرونًا بالترهيب البالغ بقوله: « وإتَّقوا يومًا لاَ تجزي نَفسٌ عن نفسٍ شيئًا »، ثم أعقب هذا النداء والأمر والتحذير، وهي أفعال توجيهية، بأفعال غرضية وتوجيهية أخرى:

- «وآمنُوا بما أنزلت...ولا تكونوا أوَّلَ كافِرٍ به» ←أمر +نهي ←أفعال غرضية توجيهية.
- «ولا تشْتَروا بئاياتي ثمنًا قليلاً» ←نهي ←فعل غرضي توجيهي.
- «ولا تلبسوا الحقَّ بالباطِل وتكتموا الحقَّ وأنتُم تعلمون» ←أمر +نهي ←أفعال غرضية توجيهية.
- «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الرَّاكعين» ←أمر +أمر +أمر ← أفعال غرضية توجيهية.

«وإذ قَال موسى لِقوْمِهِ يَا قَومِ إذْكُروا نِعْمةَ الله عليْكُمْ»، نداء، فعل كلامي تأثيري، أمر، وهو فعل كلام غرضي، فالواو في قوله: « وإذ قَال موسى لِقوْمِهِ » واو عطف، وهو متصل بقوله: « ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل » كأنه قيل: أخذ عليهم الميثاق وذكرهم نِعم الله تعالى وأمرهم بمحاربة الجبّارين فَخَالَفُوا في القول في الميثاق، وخالفوه في محاربة الجبارين، وفي الآية مسائل: أنّه تعالى منَّ عليهم بأمورٍ ثلاثة:

أولها: ما بعث في بني إسرائيل من أنبياء.

ثانيها: أن كل من كان رسولاً ونبيًّا كان مَلِكًا لأنه يملك أمر أمته ويملك التصرف فيهم.

ثالثها: أنه كان في أسلافهم وأخلافهم ملوك وعظماء.[1]

فالنعم التي أنعمها الله عزَّوجل على بني إسرائيل حكاها الخطاب الموجّه إليهم بطريقة مباشرة، أو على لسان نبيِّه موسى عليه السلام لقومه، بحيث يتمثّل البعض منها في:

- أنّ الله عزَّوجل فضَّلهم على العالمين.
- جعل فيهم أنبياء.
- وجعلهم ملوكا.
- وآتاهم ما لم يُؤتِ أحدا من العالمين.
- أنجاهم من آل فرعون.

[1] فخر الدين لرازي: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ص 200/5.

فالإستراتيجية الخطابية في الآيات هي إستراتيجية توجيهية، باعتبار أن الخطاب ورد مباشرًا وصريحًا، يحمل أغراض توجيهية من المرسل، دلَّت عليها الأساليب اللغوية المستعملة، قصد توجيه المرسل إليه إلى أفعال تتعلق بالتذكير بالنّعم، والإيمان باليوم الآخر، وبما أنزل، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ونهاهم أن يشتروا بآياته ثمنًا قليلاً، أو أن يلبسوا الحق بالباطل مع كتمانه، وهي أفعال تعود بفائدة ومنفعة على المرسل إليه، إن هو عمِل بها، وهذه الإستراتيجيات يُبيِّنها الشكل على النحو التالي:

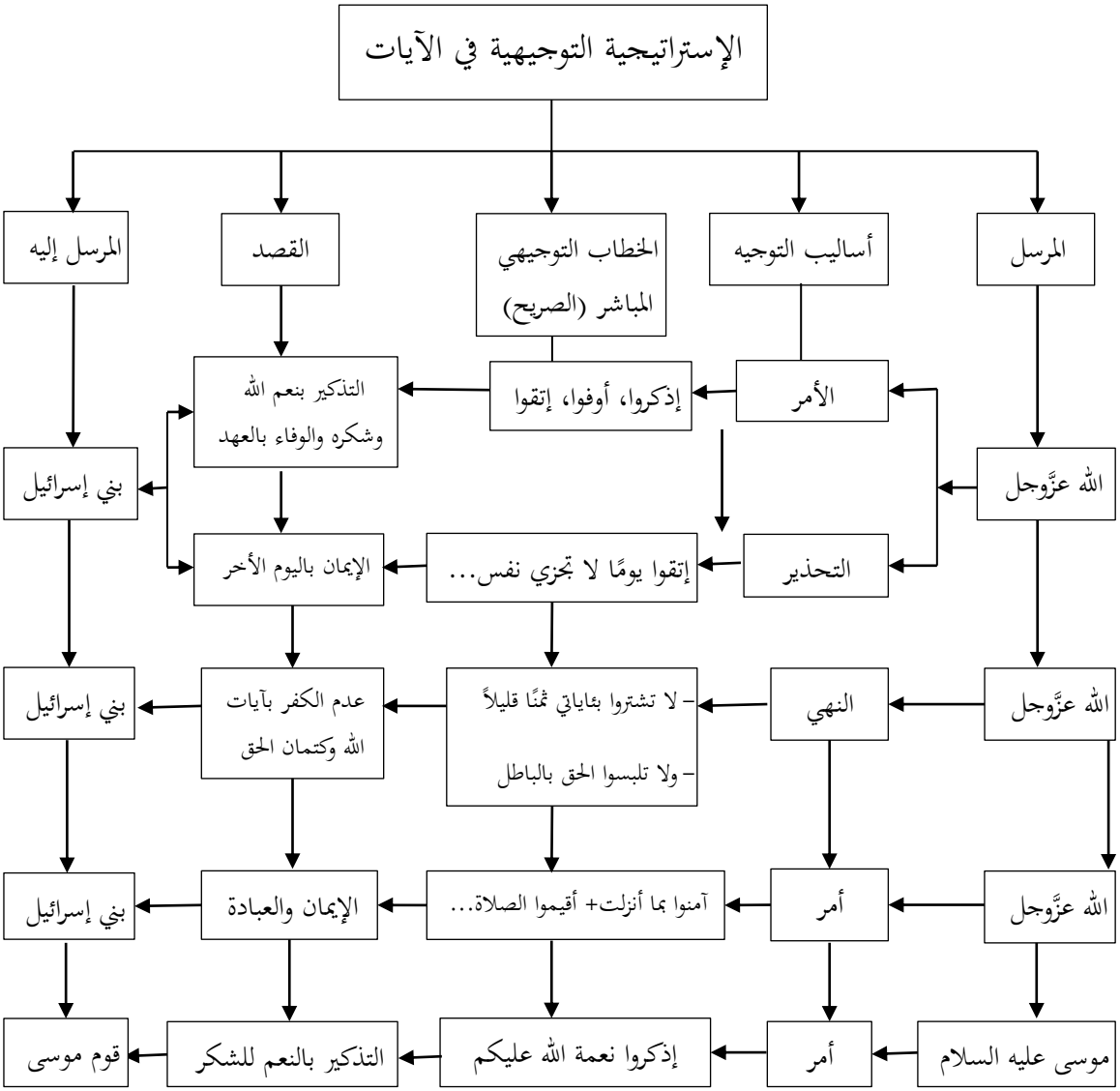

- من قضايا التوجيه الهامة التي أُعيد فيها خطاب بني إسرائيل، عبادة الله عزَّوجل وحده دون الشرك به أحد، فوسيلة توجيههم كانت بصيغة الخبر الذي يحمل معنى الأمر الصريح بصيغة (إفعل)، وهو من الأفعال الغرضية التوجيهية، يأمرهم الله عزّوجل بعبادته، الإحسان إلى الوالدين، وذوي القربى واليتامى والمساكين، والإحسان للناس بالقول، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

- يقول تبارك وتعالى: «إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلا قَلِيلا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (٨٣)وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ »[1].

ويقول تعالى في آية أخرى: « وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ »[2].

فقوله عزّ وجل: «إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيل... وأنتم معرضون» نوع آخر من أنواع النِّعم التي خصّهم الله بها، وذلك لأنّ التكليف بهذه الأشياء موصِلٌ إلى أعظم النِّعم وهو الجنّة، والموصِلُ إلى النعمة نعمة[3]، وقوله: «لا تعبدون إلاّ الله» خبر في معنى الأمر، وهو من الأفعال الغرضية التوجيهية، لأنّ مجيء الخبر للأمر أبلغ من صيغة الأمر، فالخبر مستعمل في غير معناه لعلاقة مشابهة الأمر الموثوق بامتثاله بالشيء الحاصل حتى إنّه يخبر عنه، كذلك القول في «لا تَسْفِكُونَ دِماءكُمْ»[4]، هذا التوجيه الغرض منه عبادة الله دون غيره، تدخل من ضمنه أفعال غرضية وتوجيهية أخرى، كالأمر بالإحسان للوالدين، والحث على رعاية اليتيم وذي القُربى والمساكين بتقدير المحذوف، والإحسان للناس في القول، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وعدم سفك الدماء بينهم، ونهيهم عن إخراج أحدهم الآخر من ديارهم، ثمَّ يُبيِّن الله عز وجل جزاء من يفعل ذلك ويحذِّرهم كما يُهدّدهم بأشدّ العذاب، اتّضح ذلك من خلال الاستفهام في قوله تعالى: « فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ »، استفهام، وهو فعل كلام غرضي وتوجيهي، القصد منه استنكار ما يقومون به من قتل النفس بغير حق وإخراجهم للناس

[1] سورة البقرة: الآيات 83. 84.

[2] سورة البقرة : الآية 90.

[3] الإمام محمد الرازي فخر الدين: تفسير الفخر الرّازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، 175/5.

[4] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، دط، دت، مج1، 582/1.

من الديار، فمعنى جزاء من يقتل الأنبياء تضمّنه الاستفهام، أي الذين يقتلون أنبياء الله هم كفّار ومشركون، فجزائهم جزاء من كفر بالله وبأنبيائه، إستنكار وتوبيخ وتعجب من النقطة التي وصلوا إليها في كفرهم.

الأساليب اللغوية تنوَّعت في الآيات، بتنوّع القضايا التي أشار إليها الخطاب، مما ينتج استراتيجيات توجيهية مختلفة تدخل ضمن غرض عام وهو عبادة الله عزَّوجل دُون سواه:

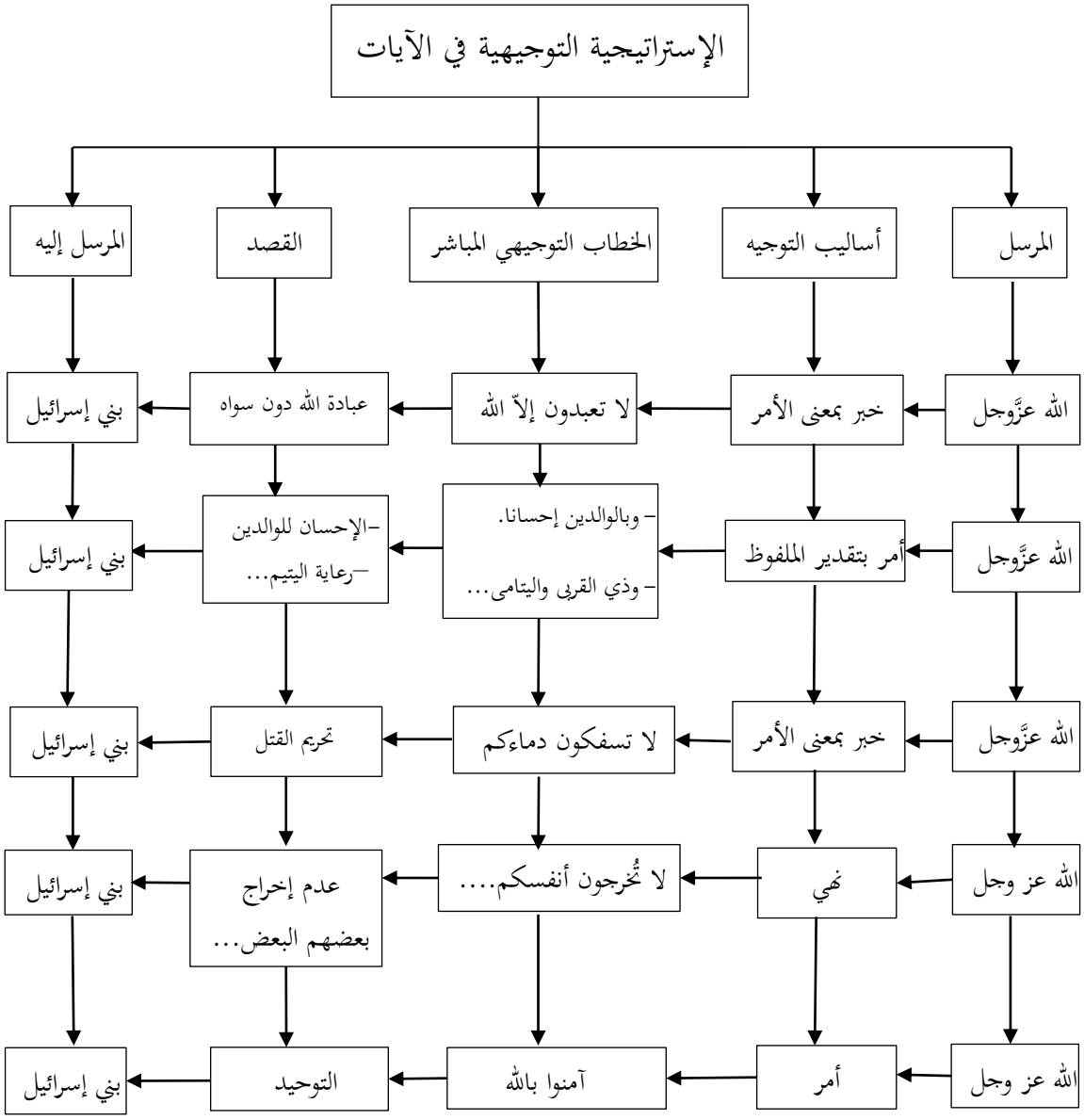

– في خطاب أهل الكتاب توجيه لمقاصده عن طريق الاستفهام، وإذا كان الاستفهام طلب الفهم فإنَّ ذلك في حقِّ غير الله لجواز عدم علمهم فيستفهمون عنه، أمَّا في حق الله فهو يخرج إلى معانٍ أخرى غير حقيقية بيّنها النُّحاة والبلاغيون في كتبهم من ذلك: التعجب، التمني، التقرير، التحقير، الإستبطاء، الإستبعاد، الإنكار...، فالإستفهام بالهمزة هو الغالب في موضوع الدِّراسة، بحيث نجد الإستفهام بها يخرج عن ما هو حقيقي إلى التسوية مثلاً، أو الإنكار الإبطالي أو التوبيخي، والتقرير أو التعجب...، فنجد الإستفهام الصادر عن الله تعالى لا يكون على وجه الحقيقة، لعلم الله المطلق، بل إلى معاني أخرى مقصدية، كالإنكار والتوبيخ لما يتفوَّهون بأفواههم ويفعلون بأيديهم، فيوجّه لهم الخطاب بالإستفهام قصد الإنكار والتوبيخ في أغلب خطاباته لهم في القرآن الكريم.

يقول الله عزّوجل في سورة البقرة: « أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٤٤)وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ »[1]، فهو خطاب موجّه للمنافقين من اليهود، والهمزة في « أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ » للتقرير مع التقريع والتعجب من حالهم، وأمَّا البر فهو إسم جامع لأعمال الخير[2]، فقد أنكر الله تعالى على بني إسرائيل أمرهم الناس بالبرِّ مع نسيان أنفسهم، فالإستفهام فيه للإنكار مع التقريع والتوبيخ، لأنَّ ما أقدموا عليه يبعث على ذلك، ويخالف حقيقة العقل، ويقبح فيه ذلك، لذلك ختم الآية بقوله «أفلاَ تعقلُونَ»، فكيف يليق بعاقل أن يأمر غيره بفعل الخير ولاَ يفعله؟، فالإستفهام «أتأمُرُونَ» إستفهام بالهمزة، فهو من أفعال الكلام الغرضية والتوجيهية، قوته الغرضية تكمن في الإنكار والتوبيخ، لأنّ أهل الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة، ويَدَعون العمل بما يأمرون به الناس[3]، وهذا الخطاب نفي لما إقترفَت أفواههم، ويأمرهم بالصبر والصلاة التي هي كبيرة إلاّ على الخاشعين.

وفي آية أخرى من نفس السورة يقول تعالى جوابًا لكلام اليهود الذين قالوا: « لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً»، «قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ»[4] فقوله

[1] سورة البقرة: الآية 45.44.

[2] الإمام فخر الدين الرازي: تفسير الفخر الرازي المستهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، 48/3.

[3] الإمام الجليل الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار الغد الجديد للنشر والتوزيع، القاهرة، المنصورة، ط1، 2007م، ص 80/1.

[4] سورة البقرة: الآية 80.

عزَّوجل «أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا » الإستفهام غير حقيقي بدليل قوله بعده «بلى»، فهو استفهام تقريري للإجلاء إلى الإعتراف بأصدق الأمرين، وليس إنكاري لوجود المعدل وهو «أم تقولونَ» لأنّ الإستفهام الإنكاري لا معادل له[1]، في حين أنَّ (فخرالدين الرازي) يعتبر قوله تعالى: «أَتَّخَذْتُمْ» ليس باستفهام بل هو إنكار لأنّه لا يجوز أن يجعل تعالى حجة رسوله في إبطال قولهم أن يستفهمهم، بل المراد التنبيه على طريقة الإستدلال وهي أنه لا سبيل إلى معرفة هذا التقرير إلاّ بالسمع، فلما لم يوجد الدليل السمعي وجب ألا يجوز الجزم بهذا التقرير[2]، فالخطاب توجيهي لليهود، ردًّا على كذبهم وافترائهم، فإن كان قد وقع عهد فهو (الله عزَّوجل) لا يُخْلِفُ عهدهُ[3]، وهو إبطال لِما ادَّعوه ولأمانيهم المزيّفة، وهي صفة من صفات اليهود، أي الإفتراء والكذب.

ومن صفات اليهود أيضًا أنهم يُؤمنون ببعض آياته ويكفرون ببعضها، يقول تعالى: « أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ »[4]، «أفَتُؤْمِنونَ» فعل كلام غرضي وتوجيهي، وهو استفهام إنكاري وتوبيخي، أي كيف تعمَّدتُم مخالفة التوراة في قتال إخوانكم وإتبعتموها في فداء أسراهم[5]، فهذا توجيه لهم بأن يؤمِنُوا بالكتاب كُلِّه ليس ببعضه، فوُجِّه لهم هذا الخطاب ليكفُّوا عن ذلك، أي الإيمان بفداء الأسرى، وكفرهم في قتال إخوانهم، « فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ »، تحذير وتهديد من الله عزَّوجل لهم، والتحذير من الأساليب التوجيهية التي يستعملُها المخاطِب لتوجيه المخاطَب، قصد الكف عن فعل سابق.

اليهود لم يكفروا بآيات الله فحسب، وإنّما كفروا حتى بأنبيائه ورسله، يقول تعالى في بيان حالهم، والتعجب منهم وإنكار ما يفعلون: «... أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ »[6]، الإستفهام في الآية تعجبي إنكاري، على ما تقرر عندهم من تقفية موسى

[1] الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص 580/1.
[2] الإمام فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص 153/4.
[3] أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن الكريم، ص 1/ 110.
[4] سورة البقرة: الآية 85.
[5] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحري والتنوير، مج1، ص 591/1.
[6] سورة البقرة: الآية 87.

عليه السلام بالرسل، أي قفينا موسى بالرسل فمن عجيب أمركم أن كل رسول جاءكم استكبرتم، فالقصد من هذا الخطاب التوجيهي هو التعجب من استكبارهم على انبيائه وإنكار ذلك.

كما وُجِّه لهم الخطاب ليستفهم وينكر قتلهم للأنبياء في قوله تعالى: «... قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ »[1]، أي إن كنتم صادقين في دعواكم الإيمان بما أنزل إليكم، فلم قتلتم الأنبياء الذين جاؤوكم بتصديق التوراة التي بأيديكم والحكم بها وعدم نسخها، وأنتم تعلمون صدقهم؟، قتلتموهم بغيًا وحسدًا وعنادًا واستكبارًا على رُسل الله، فلستم تتبعون إلاّ مجرد الأهواء والآراء[2]، الإستفهام «فلِمَ تقتلونَ» فعل كلام غرضي، من الأفعال التوجيهية، وهو استفهام إنكاري جاء بعد فعل الأمر «قُلْ» يا محمد صلى الله عليه وسلم، القصد منه بيان صفتهم الشنيعة من قبل في قتلهم للأنبياء عنادًا واستكبارًا على الله ورسوله.

كما وُجّه لهم الخطاب أيضًا ليبيّن ميزتهم السيِّئة في نقضهم للعهد كلّما عاهدوا الله عهدًا، يقول تبارك وتعالى في هذا الشأن: « أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ »[3] الإستفهام فعل كلام غرضي وتوجيهي، مستعمل للتوبيخ[4]، وإنكار ما يفعلون، فليس في الأرض عهدٌ يعاهِدون عليه إلاّ نقضوه ونبذوه، يُعاهِدون اليوم وينقضون غَدا، فنقظوا عهد التوراة، وعهد أنبيائهم، وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فالخطاب توجيهي لليهود توبيخًا لهم مِمَّا صنعوه من مخالفتهم ونقضهم للعهد، والآية تدل على استمرارية وديمومة نقضهم للعهد، ثم بيّن ذلك في قوله تعالى:« وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ »[5]، وهذا يخصُّ نقضهم لعهد رسول الله عليه الصلاة والسلام، وإعراضهم عنه كأنّهم يجهلون ذلك.

الخطاب القرآني لأهل الكتاب إمّا أن يكون موجّه إليهم مباشرة من الله عزَّوجل، أو يكون بوساطة من أنبيائِه ورسله، لذلك نجد بعض الآيات القرآنية، وردت فيها الإستراتيجية التوجيهية من نبيٍّ إلى

---

[1] سورة البقرة: الآية 91.

[2] أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن الكريم، ص 117/1.

[3] سورة البقرة: الآية 100.

[4] طاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص 625/1.

[5] أبي الفداء إسماعيل بن كثير : تفسير القرآن العظيم، ص 125/1.

قومه، كما هو الحال في خطاب موسى وعيسى عليهما السلام لقومهم، أو من الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل الكتاب، وتأتي أو ترد هذه الإستراتيجيات من خلال الحوار والتفاعل القائم بين الأنبياء والرسل مع اليهود والنصارى، ممَّا يُوَلِّد خطاب توجيهي مباشر تبيِّنه أساليب وأدوات لغوية طلبية وإنشائية، كالنداء والإستفهام والأمر والنهي، وكانت أغلب القضايا التي أثارها هذا الخطاب التفاعلي الشرك بالله والكفر به، والحث على عبادة الله والوفاء بالعهد، وقول الحق...، من طرف الأنبياء.

يقول تعالى في موضوع الشرك على لسان نبيِّه موسى عليه السلام: « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ »[1]، النداء «يا قوم» هو من الأفعال الكلامية التأثيرية والتوجيهية، وُجِّه هذا الخطاب لهم من نبيِّهم موسى عليه السلام، للتأثير فيهم وتنبيههم إلى ما اتَّخذوه من عبادة العجل دون الله عز وجل، وفعل الأمر «فتوبُوا» فعل كلام غرضي وتوجيهي أيضًا، توجيهًا لهم وامر بأن يتوبوا إلى الذي خلقهم وقد عبدوا معه غيره، كما أمرهم أن يقتلوا أنفسهم ذلك خيرًا لهم، بحيث إجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف، فكان من قُتل من الفريقين شهيدًا، حتى كثُر القتل وكادوا أن يهلكوا حتى دعا موسى وهارون عليهما السلام: ربنا أهلكت بني إسرائيل، ربّنا البقية البقية، فأمرهم أن يضعوا السلاح وتاب عليهم[2].

وفي آية أخرى يقول تعالى:« وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ »[3]، بحيث ورد التوجيه بالإستفهام «ألم يروا» للتقرير والتعجيب من حالهم، وجعل الإستفهام عن نفي الرؤية، لأنَّ نفي الرؤية هو غير الواقع من حالهم في نفس الأمر ولكن حالهم شبه حال من لا يرون عدم تكليمه، فوقع الإستفهام عنه لعلهم لم يروا ذلك مبالغة، وهو للتعجيب ليس للإنكار[4]، فاتّخذوا العجل إلاهًا لهم، وهو لا يُكلّمهم ولا يهديهم، وهذا يبيّن مدى عنادهم وشركهم بالله تعالى، وظلمهم له لأنهم تركوا عبادة الله الذي بعث لهم أنبيائه ليهديهم، فردُّوا عليه بالكذب والإفتراء، وجعلوا كلامه وراء ظهورهم، وأشركوا به بعبادتهم العجل الذي صنعوه بأيديهم، وقد سئلوا نبيَّهم موسى عليه السلام من قبل أن يجعل لهم إلاهًا

[1] سورة البقرة: الآية 54.

[2] أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن الكريم، ص 86/1. 87.

[3] سورة الأعراف: الآية 148.

[4] طاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج4، ص 110/4.

من صنم، فقال لهم في قوله تعالى: « أغيرَ الله أبغيكُم إلهًا من وهُوَ فَضَّلَكُمْ على العالمين »[1]، فالملفوظ «أَغَيْرَ» استفهام بالهمزة، وهو فعل كلام غرضي توجيهي، القصد منه هو الإنكار والتعجب من نوع هذا الطلب الذي طلبوه، بأن يجعل لهم إلهًا غير الله، أي كيف أبغيكم غير الله إلهًا وهو فضّلكم على العالمين؟، فهذا الخطاب توجيه لهم بالإستفهام للتعجب وإنكار ما طلبوه واستحالته، فكيف فضّلتم الأصنام على الله، وهو فضّلكم على العالمين؟، هذا يُبيِّن مدى عنادهم وجهلهم لنعم الله التي أنعمها عليهم.

كما وُجّه إليهم الخطاب في أكثر من مرّةٍ على لسان أنبيائه، أو إليهم مباشرة، يأمر منهم تقوى الله وطاعة أنبيائه، يقول تعالى:« وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ »[2]، فالملفوظ «فاتقوا الله وأطيعون» من أفعال الكلام الغرضية والتوجيهية، قوتهما الإنجازية تتمثل في تقوى الله وطاعة نبيّه عيسى عليه السلام، بعد أن جاءهم بآية من ربِّهم، لقوله تعالى: « وَرَسُولا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ »[3]، بحيث جعل هذه الأشياء كلها آيات تدعوا إلى الإيمان به، أي إن كنتم تريدون الإيمان، بخلاف ما إذا كان دأبكم المكابرة، والخطاب موجّه إلى بني إسرائيل فإنّهم بادروا دعوته بالتكذيب والشتم[4].

يقول الله عزّ وجلّ على لسان نبيّه عيسى عليه السلام في صورة الصف: « وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ »[5]، فالملفوظ « يا بني إسرائيل» هو نداء عيسى عليه السلام قومه، دون «يا قوم» لأنّ بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام اشتهروا بعنوان «بني إسرائيل» ولم يُطلق عليهم عنوان: قوم موسى، إلاّ في مدة حياة موسى، خاصة أنهم صاروا أمة وقوما بسببه

[1] سورة المائدة: الآية 140.

[2] سورة آل عمران: الآية 50.

[3] سورة آل عمران الآية 49.

[4] طاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج2، ص 253.252/3.

[5] سورة الصف: الآية 06.

وشريعته[1]، هذا الملفوظ فعل كلام تأثيري وتوجيهي، جاء للتأثير فيهم وتنبيههم إلى الدعوة التي ابتدئها وهي الإيمان بنبوته التي تُصدِّق ما بين يديه من التوراة، ومُبشِّرًا لهم برسولٍ يأتي من بعده إسمه أحمد، ولما جاءهم بالبيّنات من الله السالفة الذكر ليؤمنوا به ويُصدِّقُوا ما يقوله، قالوا هذا سِحرٌ مبينٌ، فالخطاب التوجيهي والدعوة جاءت تدريجيًا، مُكمِّلاً لدين موسى عليه السلام، لذلك خاطبهم بـ «يا بني إسرائيل» دون «يا قوم» حتى يُحِسُّوا باستكمال دين موسى عليه السلام، وحتى يتأثر فيهم هذا النداء ويتنبّهوا إليه، مُؤكدًا لهم بأنّه رسول الله إليهم، ومصدّقا لما بين يديه من التوراة.

فالإستراتيجية الواردة في الآية توجيهية، لأنّ الخطاب مُوجّه من عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل، فكان النداء هي الآلية اللغوية المستعملة فيه، ليبيّن أن الخطاب موجّه إليهم دون غيرهم، فهو يخصّهم، والقصد من هذا التوجيه هو الإيمان به كرسول من الله بعد أن أكّد لهم ذلك، وهو مؤمن بما في التوراة، كما جاء ليبشّرهم بالخير من رسولٍ اسمه أحمد، وهي من أكبر نعم الله عزَّوجل.

الإستراتيجيات التوجيهية كثيرة ومختلفة ومتنوعة، نستعرض أغلبها في المخطط التالي:

[1] طاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج11، ص 180/2.

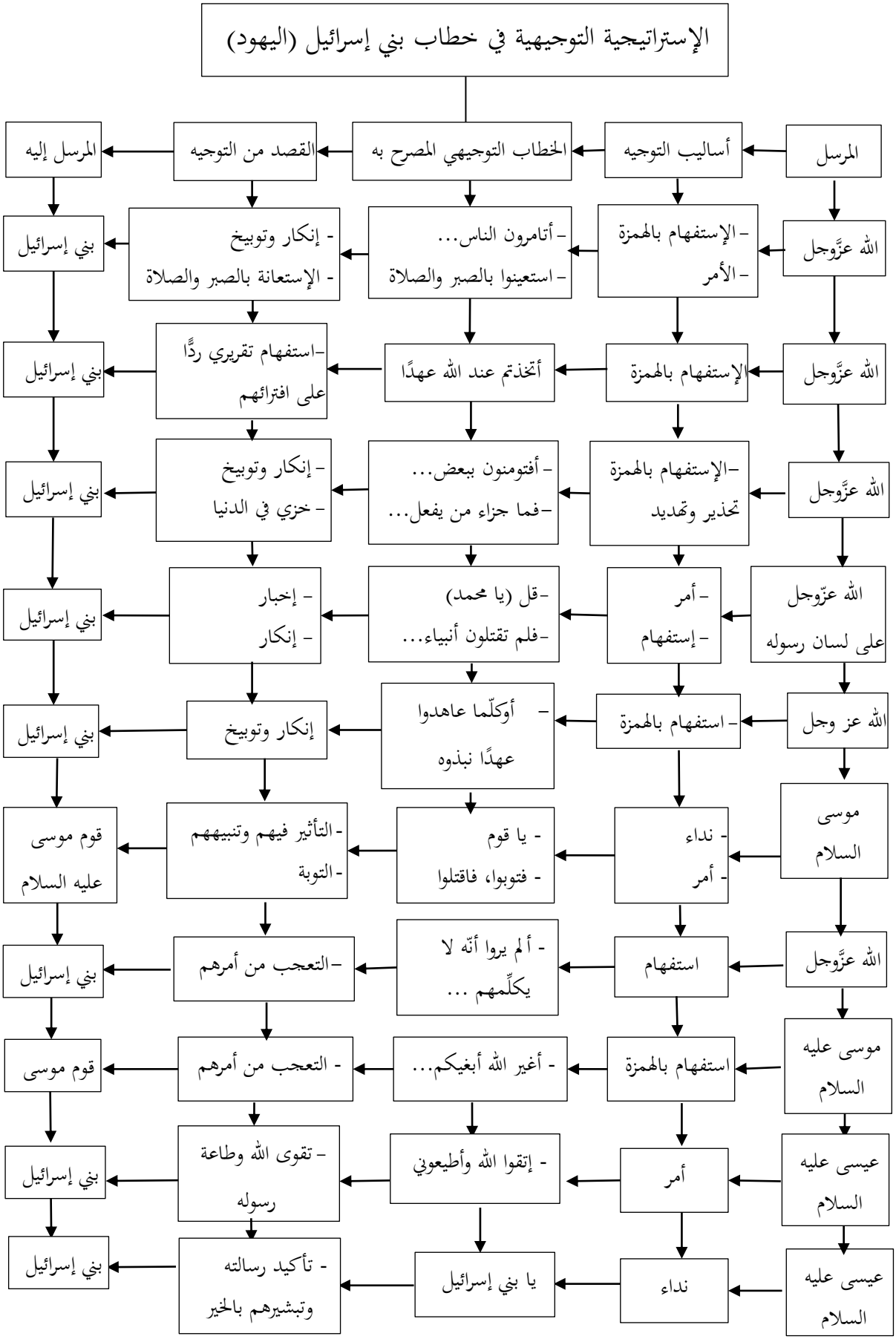
الإستراتيجية التوجيهية في خطاب بني إسرائيل (اليهود)
المرسل
أساليب التوجيه
الخطاب التوجيهي المصرح به
القصد من التوجيه
المرسل إليه
الله عزَّوجل
- الإستفهام بالهمزة
- الأمر
- أتامرون الناس...
- استعينوا بالصبر والصلاة
- إنكار وتوبيخ
- الإستعانة بالصبر والصلاة
بني إسرائيل
الله عزَّوجل
الإستفهام بالهمزة
أتخذتم عند الله عهدًا
-استفهام تقريري ردًّا على افترائهم
بني إسرائيل
الله عزَّوجل
-الإستفهام بالهمزة
تحذير وتهديد
- أفتومنون ببعض...
-فما جزاء من يفعل...
- إنكار وتوبيخ
- خزي في الدنيا
بني إسرائيل
الله عزّوجل على لسان رسوله
- أمر
- إستفهام
-قل (يا محمد)
-فلم تقتلون أنبياء...
- إخبار
- إنكار
بني إسرائيل
الله عز وجل
- استفهام بالهمزة
- أوكلّما عاهدوا عهدًا نبذوه
إنكار وتوبيخ
بني إسرائيل
موسى السلام
- نداء
- أمر
- يا قوم
- فتوبوا، فاقتلوا
-التأثير فيهم وتنبيههم
-التوبة
قوم موسى عليه السلام
الله عزَّوجل
استفهام
- ألم يروا أنّه لا يكلِّمهم ...
-التعجب من أمرهم
بني إسرائيل
موسى عليه السلام
استفهام بالهمزة
- أغير الله أبغيكم...
- التعجب من أمرهم
قوم موسى
عيسى عليه السلام
أمر
- إتقوا الله وأطيعوني
- تقوى الله وطاعة رسوله
بني إسرائيل
عيسى عليه السلام
نداء
يا بني إسرائيل
- تأكيد رسالته وتبشيرهم بالخير
بني إسرائيل

خاطب الله عزَّوجل اليهود بخطاب مباشر منه أو على لسان أنبيائه اليهود بصيغ لغوية توجيهية مباشرة مختلفة ومتنوعة، وهذا ما تبيّنه مختلف الآليات اللغوية المستعملة من استفهام ونداء وأمر وتحذير، إنكارًا وتوبيخًا لهم، للصفات التي يتّصفون بها، متعجّبًا ومنكرًا لما يفعلون ويصنعون ويفترون، كأمرهم للناس بالبرِّ ونسيان أنفسهم، ونقضهم للعهود، والإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه، فيؤمنون بفداء الأسرى، ويكفرون بقتل إخوانهم، كما أنّهم يقتلون الأنبياء ويستكبرون على الله وعلى رسوله، والتعجّب من اتخاذهم العجل إلهًا لهم دون الله، فهو لا يُكلِّمهم ولا يهديهم، فما جزائهم إلاّ خزيٌ في الدُّنيا، وفي الآخرة عذاب أليم.

خاطب الله عزَّوجل اليهود والنصارى في مواضع سياقية مختلفة بصيغة (يا أهل الكتاب) طالبًا منهم الإيمان بالله وبأنبيائه وما أُنزل إليهم، واستفهمهم في أكثر من مرة عن كفرهم بآيات الله، وعن استبدالهم الحق بالباطل وكتمانه، والغلو في الدين، والكذب على الله عزّوجل، كما خاطب علمائهم بصيغة (الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب)، والذين كفروا وأشركوا بالله رغم علمهم، فوجّه لهم تبارك وتعالى أكثر من خطاب لتوجيههم إلى الطريق الصواب، من خلال الأمر والنهي والاستفهام، أو إنكار ما يفعلون والتعجب منه، وناداهم للتنبيه إلى مضمون الخطاب ومقاصده، والتأثير فيهم، كما جادلهم الرسول عليه الصلاة والسلام لإبطال ما يعتقدون ويظنون، كما ورد في قوله تعالى:« وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ »[1]، فالملفوظ في قوله «قل هاتوا...» أمر وهو فعل كلام غرضي توجيهي، الغرض منه هو أمر الرسول عليه الصلاة والسلام أهل الكتاب بأن يأتوا ببرهانهم في ما يقولون إن كانوا صادقين، فيبيّن تعالى إغترار اليهود والنصارى بما هم فيه، حيث إدّعت كل طائفة منهم أنّه لن يدخل الجنّة إلاّ من كان على ملّتها كما إدّعوا أنهم أبناء الله وأحبّائه، وأنهم لن تمسّهم النار إلاّ أيام معدودة[2]، وكل ما ادّعوه كان بدون بيّنة ولا حجّة، لذلك قال لهم عليه الصلاة والسلام: « هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ »، يحمل معنى قضوي، تضمّنه الخطاب وهو أنهم غير صادقين في ما يقولون.

يقول تعلى موجّهًا الخطاب والنداء لأهل الكتاب على لسان نبيّه الكريم عليه الصلاة والسلام: « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا

[1] سورة البقرة: الآية 111.

[2] أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 144/1.

بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ »[1]، خاطبهم الله عز وجل بصيغة «يا أهل الكتاب» مرتين، فكانت الأولى بأمر منه إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، والثانية مباشرة منه إليهم، إنتقالاً من دعائهم لكلمة الحق الجامعة لحق الدين، إلى الإنكار عليهم محاجتهم الباطلة للمسلمين في دين إبراهيم عليه السلام[2]، «يا أهل الكتاب» في كلا الحالتين فعل كلام تأثيري وتوجيهي، وهو نداء نودي به أهل الكتاب للفت انتباههم إلى الخطاب وأمرهم في قوله «تعالوا» مستعملة في طلب الإجتماع على كلمة سواء، والمراد بأهل الكتاب هنا (النصارى) لأنّهم هم الذين اتّخذوا المخلوق ربًّا وعبدوه مع الله[3]، استراتيجية توجيهية وردت بنداء وأمر، تنبيهًا لهم وتأثيرًا فيهم، الغرض منها هو الإجتماع على كلمة سواء بينهم.

الملفوظ في قوله: «لم تحاجّون» فعل كلام غرضي وتوجيهي، فهو استفهام ومن افعال التوجيه، قوته الغرضية تكمن في إنكار محاجتهم الباطلة للمسلمين في دين إبراهيم، وهذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به، لأنّ اليهود والنصارى تحاجُّوا في إبراهيم بلا علم، ولو تحاجوا فيما بأيديهم من علم ممّا يتعلّق بأدياهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد صلى الله عليه وسلم لكان أولى بهم، وإنّما تكلّموا فيما لم يعلموا به، فأنكر الله عليهم ذلك[4].

وفي نفس السورة ناداهم واستفهمهم الله عزّوجل بقوله: « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠)يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١)وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢)وَلا تُؤْمِنُوا إِلا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ »[5]، ففي الآيات أفعال كلام تأثيرية وتوجيهية، الإستراتيجية التوجيهية تجلّت من خلال نداء أهل الكتاب مرّتين، واستفهامهم مرتين أيضًا فالنداء من أفعال الكلام التأثيرية للمتلقي حتى يلفت انتباهه لما في الخطاب، والاستفهام

[1] سورة آل عمران: الآية 64. 65

[2] طاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج2، ص 270/3.

[3] المرجع نفسه: ص 268.

[4] أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 346.345/1

[5] سورة آل عمران: الآية 73.70.

بـ (لِمَ) من الأفعال الغرضية والتوجيهية، الغرض منه إنكار كفرهم لآيات الله، واستبدال الحق بالباطل وكتمانه وهم يعلمون، ففي الآيات إلتفات إلى خطاب اليهود، والاستفهام إنكاري، فإعادة ندائهم بقوله «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ » ثانية لقصد التوبيخ وتسجيل باطلهم عليهم، ولبس الباطل تلبيس دينهم بما أدخلوا فيه من الأكاذيب والخرافات والتأويلات الباطلة، وكتمان الحق يحتمل أن يراد به كتمانهم تصديق محمد صلى الله عليه وسلم، ويحتمل أن يراد به كتمانهم ما في التوراة من الأحكام التي أماتوها وعوَّضوها بأعمال أحبارهم وأثار تأويلاتهم، وهم يعلمونها ولا يعملون بها[1].

لذلك قال لهم الله عزَّوجل عن طريق رسوله الكريم " قل إن الهدى هدى الله "، أي هو الذي يهدي قلوب المؤمنين إلى أتم الإيمان، بما يتنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات، والدلائل القاطعات، والحجج الواضعات، وإن كتمتم أيها اليهود ما بأيديكم من صفة محمد في كتبكم التي نقلتموها عن الأنبياء الأقدمين[2]، فالتوجيه في الآيات القصد منه الإنكار والتوبيخ، وبيان حقيقة الهدى لهم.

– كما وردت استراتيجيات توجيهية أخرى بصيغة النداء والإستفهام في نفس السورة، يقول تبارك وتعالى: « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (٩٨)قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ»[3] فالملفوظ « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ » توبيخ وإنكار أول الآيات الله، والملفوظ « قل يا أهل الكتاب لم تصدون» توبيخ وإنكار ثان في إضلالهم للمؤمنين [4]، فالخطاب توجيهي وغرضي لأهل الكتاب، ناداهم الله عزَّوجل بالنداء مرتين للتأثير فيهم ولفت إنتباههم أكثر، وما زاد الخطاب توجيها الإستفهام بـ (لم) لإنكار وتوبيخهم على ما يصنعون.

– وفي آية أخرى يقول تعالى فيهم: « وَإِذْ أَخَذَنَا مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ »[5]، هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب، الذين أخد عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأن ينهوا

[1] طاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج2، ص 279/3.
[2] أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 346/1.
[3] سورة آل عمران: الآيات 98، 99.
[4] طاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج 2، ص 25/3.
[5] سورة آل عمران: الآية 187.

بذكره في الناس ليكونوا على أهبة من أمره، فإذا أرسله الله تابعوه، فكتموا ذلك ،تعوضوا كما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة، فإذا أرسله الله تابعوه، فبئست الصفقة صفقتهم، وبئست البيعة بيعتهم، وفي هذا تدبير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح ولا يكتموا منه شيئا[1]، فيقول الله عزَّوجل عنهم «لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»[2]، ففي الخطاب توبيخ وتهديد لأهل الكتاب، وهي آلية من آليات الإستراتيجية التوجيهية، بحيث من خلالها يعمد المرسل إلى تحذير وتهديد المرسل إليه، للكف عن القيام بمثل هذا العقل، وقد دل ذلك في قوله: «فبئس ما يشترون»، وقوله : فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم "، توبيخ لأنهم إشتروا الحق بالباطل لكتمانهم له، وتهديدهم بعذاب أليم.

– خاطب من جهة أخرى الله عزَّوجل أهل الكتاب يأمرهم بالإيمان لما نزل على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم بقوله: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا »[3]، الملفوظ « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ » فعل كلام تأثيري وتوجيهي، توجيه الذين «أوتوا الكتاب»، أي العلماء منهم، ومن كان عالما بما في التوراة، والملفوظ « آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ »، أمر من الله لهم، وهو فعل كلام غرضي وتوجيهي أيضا، قوته الإنجازية تتمثل في تنفيذ ما أمرهم الله وهو الإيمان بما نزل على رسوله عليه الصلاة والسلام من القرآن، الذي فيه تصديق للأخبار التي بأيديهم من البشارات[4]، والملفوظ «من قبل أن نطمس وجوها» تهديد أو وعيد[5]، أي نمحو ما فيها من العين والأنف والحاجب فنجعلها كالأقفاء لوحا واحدا، أو نمسخهم قردة، كما مسخنا أصحاب السبت منهم، فالإستراتيجية التوجيهية في الخطاب وردت بالنداء والأمر والتهديد.

يقول تعالى في آية: أخرى متعجبا من حال اليهود « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلا (٥١)أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ

[1] أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 404/1.

[2] سورة آل عمران: الآية 188.

[3] سورة النساء: الآية 47.

[4] أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 470/1.

[5] طاهر بن عاشور: تفسير التدبير والتنوير، مج 2، ص 5/ 79.

اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا »[1]، الملفوظ « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ» إستفهام تقريري، وإقرار للذين أوتوا نصيبا من الكتاب، بحيث يؤمنون بالجبت والطاغوت، فأما الجبت كلمة معربة من الحبشية معناه الشيطان، والطاغوت الأصنام، يطلق الطاغوت على عظيم أهل الشرك كالكاهن، لأنهم يعظمونه لأجل أصنامهم[2]، أولئك لعنهم الله، ومن يلعن الله فلا نصير له، وهذا وعد من الله تعالى للذين يؤمنون بالشيطان والأصنام، ويشرك بالله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام، فالإستراتيجية توجيهية بالإستفهام متعجبا من حال اليهود الذين يؤمنون بالمشركين والكفار أن لهم لعنة الله ولا نصير لهم.

– كما خاطب النصارى بعنوان أهل الكتاب في قوله تعالى: « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا »[3]، النداء بـ « يا أهل الكتاب » فعل كلامي تأثيري وتوجيهي، لتأثير فيهم وتنبيههم، والنهي في « لا تغلوا» و« لا تقولوا على الله إلا الحق » و «لا تقولوا ثلاثة» والأمر في « فأمنوا » و «إنتهوا» من الأفعال الغرضية التوجيهية، قوته التنفيذية تتمثل في عدم الغلو في الدين، وقول الحق على الله، وعدم الإفتراء على الله، والإيمان به، واجتناب قول ذلك وتركه، فحصر لهم الربوبية في الله عز وجل وحده لا شريك له، لا والد ولا ولد، لَهُ ما في السماوات وما في الأرض.

ناداهم الله عزَّوجل لينهاهم عن الغلو في الدين، وهو أن يظهر المتدين ما يفوت الحد الذي حدد له الدين، وغلو أهل الكتاب تجاوزهم الحد الذي طلبه دينهم منهم: فاليهود طولبوا بإتباع التوراة ومحبة رسولهم، فتجاوزه إلى بغضة الرسل كعيسى ومحمد عليهما السلام، والنصارى طولبوا باتباع المسيح فتجاوزوا فيه الحد إلى دعوى إلهيته أو كونه إبن الله، مع الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم[4]، ونهاهم على أن لا يقولوا على الله إلا الحق في ذلك، وأمرهم أن يؤمنوا بالله ورسوله، وعدم الإفتراء والكذب عليه على ما يدعونه.

---

[1] سورة النساء: الآية 51. 52.

[2] طاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج2، ص 86.85/5.

[3] سورة النساء: الآية 171.

[4] طاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج3، ص 51/6.

- وفي خطاب آخر لهم يقول تعالى: « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥)يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦)لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧)وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٨)يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »[1].

الخطاب موجّه لأهل الكتاب، ناداهم الله عزَّوجل بصيغة «يا أهل الكتاب» وهو فعل كلام تأثيري وتوجيهي، الغرض منه إخبارهم أنه قد أرسل رسوله محمّد صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليبيّن ما بدّلوه وحرّفوه وأولوه، وافتروا على الله فيه، وجاءهم من الله نورٌ وكتابٌ مبينٌ، يهدي به الله من اتبع طرق النجاة والسلامة ومناهج الإستقامة، وينجيهم من المهالك، ويُوّضح لهم أبين المسالك[2]، والملفوظ «قل فمن يملك من الله شيئًا...»، الفاء عاطفة للاستفهام الإنكاري على قولهم: إنّ الله هو المسيح، للدلالة على أن الإنكار ترتَّب على هذا القول الشنيع[3]، فالخطاب توجيهي لهم لإنكار ما يدّعون بالاستفهام، كما أنكر قولهم «نحن أبناء الله وأحبّاؤه» بالاستفهام الإنكاري «قُل فَلم يُعذّبكُم بذُنوبِكم» أي لو كانوا أبناء الله وأحبّاؤه لَمَا عذَّبهم بذنوبهم، وشأن المحب أن لا يعذب حبيبه، شأن الأب أن لا يعذب أبناءه[4].

وأُعيدَ ندائهم مرة ثانية بصيغة «يا أهل الكتاب» للتأثير فيهم أكثر، وتكرار ما قال لهم عند مناداتهم سابقًا للتفصيل أكثر، وليذكِّرهم بأن كتبهم مصرحة بمجيء رسول عقب رسلهم، وليريهم أن

[1] سورة المائدة: الآيات 15-19.

[2] أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 33/2.

[3] طاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج3، ص 153/6، 154.

[4] المرجع نفسه: ص 158.

مجيئه لم يكن بدعًا من الرُّسل، إذ كانُوا يجيئون على فتر بينهم[1]، فكان ذلك الغرض من مناداتهم للتأثير فيهم، والإلتفات إلى أنّ ما قاله وصُرِّح به من أنبيائهم كان صادقًا، وأنتم تكتمون ذلك، فالخطاب بشكل عام يحمل استراتيجية توجيهية، وردت بالنداء، وأمر الرسول عليه الصلاة والسلام بأن يخبرهم حقيقته، ويوجهم إلى حقيقة الأنبياء السابقين، واستفهمهم لإنكار ما يعتقِدُون ويقولون، القصد منه هو الإيمان بالله وبرسوله والقرآن الكريم وبأنبيائه.

وعندما اتّخذوا من دين محمد هُزوًا ولعبًا خاطبهم الله عزَوجل على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام: « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ »[2]، أمر الله عزَّوجل رسوله الكريم أن يناديهم بصيغة «يا أهل الكتاب» وهو فعل تأثيري وتوجيهي، الغرض منه التأثير فيهم وتنبيههم إلى الاستفهام الذي هو إنكاري وتعجبي[3]، فالإنكار دلّ عليه الإستثناء، أي هل تنكرون منا، ونحن لا نؤمن إلاّ بالله وما أُنزل إلينا من محمد، وبالأنبياء من قبل، وهي صفات حميدة لا يحق نكرانها، والتعجب في أنهم ينقمون من هذه المحامد والصفات الحميدة، أمَّا الملفوظ «وأن أكثركم فاسقون» يكون الكلام تهكما، أي تنقمون منا أننا أمنا كإيمانكم وصدقنا رسلكم وكتبكم، وذلك نقمه عجيب، وأننا آمنا بما أنزل وذلك لا يهمكم، وتنقمون منا أن أكثركم فاسقون، أي ونحن صالحون، فهذا نقم حسد، أي ونحن لا نملك لكم أن تكونوا صالحين، فظهرت قرينة التهكم فصار في الاستفهام إنكار فتعجب فتهكم[4]،

– يقول الله عزّوجل:« قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ »[5]، أمر، ونداء، ونفي وإخبار اليهود والنصارى، أفعال غرضية تأثيرية، لها وظيفة توجيهية، تتمثّل في نفي تديُّنهم ما داموا لم يُقيموا التوراة والإنجيل، وما أُنزل إليهم من ربّهم، فزاد كثير منهم طغيانًا وكفرًا، إمّا بباعث الحسد على مجيء هذا الدين ونزول القرآن ناسخًا لدينهم، وإمّا في

[1] المرجع السابق نفسه: ص 243.

[2] المائدة: الآية 59.

[3] طاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج3، ص 243/6.

[4] المرجع نفسه: ص 245/6.

[5] سورة المائدة: الآية 68.

بعض آيات القرآن من قوارعهم وتنفيد مزاعمهم[1].

كما أُعيد خطاب «قُل يا أهل الكتاب» أمرًا رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام نهي اليهود والنصارى من الغلو في الدين، واتباع أهواء قوم ظلموا كثيرًا عن سواء السبيل، في قوله تعالى: « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ »[2]، من الأفعال التأثيرية والغرضية، قوته التوجيهية تكمن في نهيهم عن الغلو في الدين، واتّباع تعاليم الغلاة من أحبارهم ورهبانهم الذين أساءوا فهم الشريعة، فمن غلو اليهود تجاوزهم الحد في التمسّك بشرع التوراة بعد رسالة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، ومن غلو النصارى دعوى إلهية عيسى وتكذيبهم محمّدًا صلى الله عليه وسلم[3]، فالإستراتيجية التوجيهية في الخطاب، الهدف منها التأثير فيهم ولفت إنتباههم إلى غلوهم في الدين والنهي عنه، وكذا نهيهم عن اتباع أهواء قوم قد ظلّوا وأرادوا أن يُضلّوا ما تبقى منهم، وإخراجهم عن دين الحق إلى الباطل.

كما نجد عند اليهود والنصارى صفة إستنكرها الله عزّ وجل وتعجّب منها، من خلال اتّخاذ أحبارهم ورهبانهم وأنبيائهم أبناء لله، يقول تبارك وتعالى في ذلك: « وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠)اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ »[4]، فالملفوظ في قوله تعالى « أَنَّى يُؤْفَكُونَ» استفهام مستعمل في التعجيب من حالهم في الإتّباع الباطل[5]، أي كيف يضلون عن الحق، وهو ظاهر ويعدلون إلى الباطل؟[6]، والباطل يتمثّل في اتّخاذهم للأحبار والرهبان أربابا لهم، وكذّبوا بأفواههم، يُشبه ذلك قول قول الذين كفروا والمشركين، فما أُمِروا إلاّ عبادة الله وحده دون الشرك به أحد، فالإستراتيجية التوجيهية تجلّت من خلال الاستفهام التعجبي، عسى أن يُغيِّروا ما بأنفسهم وعقولهم، الإستراتيجيات التوجيهية المستعملة في خطاب أهل الكتاب، تراوح القصد منها بين الإنكار والتعجب والتوبيخ والتحذير، إنكار

---

[1] طاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج3، ص 266/6.

[2] سورة المائدة: الآية 77.

[3] طاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج5، ص 169/10.

[4] سورة التوبة : الآيات 30، 31.

[5] طاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج5، ص 169/10.

[6] أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 327/2.

ما يفعلون، والتعجب على حالهم، وتوبيخهم على أفعالهم، والتحذير من عواقب كل ذلك، كلّ تلك الإستراتيجيات يبيّنها المخطط التالي:

المرسل	أساليب التوجيه	الخطاب المباشر المصرَّح به	القصد من التوجيه	المرسل إليه
الله عزَّوجل	-الأمر	- هاتوا ببرهانكم...	- إثبات ما يدّعون من افتراء وكذب	أهل الكتاب
الله عزَّوجل	-نداء (مرتين) - أمر -استفهام	-يا أهل الكتاب... -تعالوا إلى كلمة سواء... لِمَ تُحاجّون في إبراهيم...	- التأثير فيهم ولفت إنتباههم. - طلب الإجماع على كلمة سواء. -إنكار محاجتهم بالباطل.	أهل الكتاب
الله عزَّوجل	-نداء (مرتين) -استفهام (مرتين)	- يا أهل الكتاب... -لِم تكفرون بآيات الله... لِم تلبسون الحق بالباطل	- التأثير ولفت الانتباه. - إنكار كفرهم لآيات الله إنكار استبدالهم الحقّ بالباطل	أهل الكتاب
الله عزَّوجل	-نداء (مرتين) -إستفهام (مرتين)	-يا أهل الكتاب... -لِم تكفرون بآيات الله (تكرار) لم تصدون عن سبيل الله	- التأثير ولفت الانتباه. -إصرار إنكار كفرهم لآيات الله إنكار إضلالهم النؤمنين.	أهل الكتاب
الله عزَّوجل	- توبيخ وتهديد	-"فنبذوه وضرَاء ظهورِهم واشتروا به ثمنًا قليلاً فبئس ما يشترُونَ" ...	- توبيخهم على ما يفعلون وتهديدهم.	الذين أوتوا الكتاب
الله عزَّوجل	- نداء - أمر	-يا أيها الذين أوتوا الكتاب. - أمنوا بما نزّلنا.	-التأثير ولفت الانتباه. - الإيمان بما نُزِّل على رسوله من القرآن الكريم	الذين أوتوا الكتاب
الله عزَّوجل	-استفهام ذكر العواقب	-ألم تر الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب. -أولئك لعنهم الله...	-إقرار إيمانهم بالشيطان والأصنام والكهنة. - بيان جزائهم.	الذين أوتوا نصيبا من الكتاب

الله عزَّوجل	_نداء – نهي – نهي – أمر – نهي	– يا أهل الكتاب... – لا تغلو... – لا تقولوا... – آمنوا ... – لا تقلوا ثلاثة...	_التأثير ولفت الانتباه. –نهيهم من الغلو في الدين. – نهيهم عن قول غير الحق. – الإيمان بالله ورسوله. – عدم الإفتراء والشرك بالله.	أهل الكتاب (النصارى)
الله عزَّوجل	–نداء (مرتين) – استفهام – استفهام	– يا أهل الكتاب... – فمن يملك من الله شيئًا... – فلِم يُعذبكم بذنوبكم...	– التأثير ولفت الانتباه. – إنكار ما يدّعون. – إنكار ما يعتقدون.	أهل الكتاب
الله عزَّوجل	– نداء – استفهام	– يا أهل الكتاب... – هل تنقمون منّا...	– التأثير ولفت الانتباه. – الإنكار والتعجُّب من حالهم.	أهل الكتاب
الله عزَّوجل	–نداء	– يا أهل الكتاب...	– التأثير ولفت الانتباه. جاء لنفي دينهم حتى يُقيموا التوراة والإنجيل وما أُنزل إليهم	أهل الكتاب
الله عزَّوجل	– استفهام	– أنّى يؤفكون	– التعجيب من حالهم في الإتباع الباطل	اليهود والنصارى

- المبحث الثاني-

الإستراتيجية التلميحية في خطاب أهل الكتاب-

1-الإستراتيجية التلميحية.

2-أساليب الإستراتيجية التلميحية.

3-الإستراتيجية التلميحية في خطاب أهل الكتاب.

1- الإستراتيجية التلميحية:

اللغة من وسائل الاتّصال الأساسية، وبدونها لا تتحقّق العملية التواصلية والتخاطبية، باعتبارها الوسيلة التي من خلالها يستطيع الفرد أن يُحقِّق رغباته ومقاصده، بطريقة مباشرة أو غير مباشرو، إنطلاقًا من تلفظه بقوة كلامية إنجازية (ظاهرية أو باطنية)، بحيث تنتج منها مقاصد شكلية مباشرة يُعبِّر عنها المرسل بطريقة ظاهرية، أو مقاصد خفية باطنية، السامع أو المرسل إليه هو من يستلزمها من الخطاب ويفهمها، إنطلاقًا من معطيات ومؤشرات لغوية دلالية وتلميحية.

فالمتكلم أمام خطاب لغوي صريح وآخر تلميحي، أي إمّا ان يكون الخطاب باستراتيجية مباشرة يتَّضح فيه القصد دون الإستنجاد بالذهن للاستدلال عليه وبيان دلالته، بالتعبير عن القصد ظاهريًا في الخطاب حسب ما يقتضيه السياق، وقد يكون الخطاب باستراتيجية غير مباشرة، يتّضح فيه القصد بعد الإستنجاد بالذهن للإستدلال عليه وبيان مقاصده ودلالته، بالتعبير عن القصد أو المعنى المقصود باطنيًا، مع وجود آليات وأدوات لغوية وبلاغية تُلمِّح إلى المعنى المقصود، فينتهج المرسل في خطابه إستراتيجية تلميحية لإيصال مقصده إلى المرسل إليه، الذي يسعى بدوره إلى توظيف قدراته الذهنية، بعد ما اكتسبه من قدرات ورصيد لغوي ومعرفي وثقافي، لتفكيك ما يحمله الكلام من مقاصد، بالاعتماد على السياق والآليات اللغوية والبلاغية التي يحملها الخطاب، للوصول إلى المقاصد التي قصدها المرسل.

الإستراتيجية التلميحية هي التي يُعبِّر بها المرسل عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي، لينجز بها أكثر ممّا يقوله، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبِّر عنه بغير ما يقف عنه اللفظ مستثمرًا في ذلك عناصر السياق[1].

الإستراتيجيات التلميحية من المواضيع التي كانت لها نصيب في مباحث الفقه وأصوله، نجدها في مباحث الفقهاء والأصوليين لا تخلو منها، من خلال الاهتمام بها، وإبراز الخطوط العريضة لها، بشكل عام أو خاص، بدءًا من مباحث حول الحقيقة أو المجاز، وتناولهم لمختلف الآليات الذهنية للخروج عن المعنى الحقيقي للغة، وكيفية التفسير والتأويل، مع تحديد مختلف القرائن التي تساهم في التعبير عن قصد معين دون آخر، ممّا ساهم في بروز عدد من المصطلحات بفضل مجهوداتهم لا تختلف كثيرًا

[1] يوسف تغزاوي: الوظائف اللغوية وإستراتيجية التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ص 202.

عن ما توصّل إليه العلماء المحدثون كمصطلح الإقتضاء ومفهومه، ودلالة الخطاب وفحوى الخطاب، ودلالة العبارة، والإشارة...[1].

تناولَ الباحثون الإستراتيجية التلميحية قديمًا تحت أسماء كثيرة، لأنّهم كانوا ينتمون إلى تخصصات متعدِّدة، منهم من ينتمي إلى العلوم اللغوية والأدبية من نحو ولغة وبلاغة، ومنهم من ينتمي إلى علوم الفقه وأصوله، فقد ورد التلميح لها في النحو بإشارات مقتضبة عند الحديث عن الحذف والتوكيد مثلاً، بالاعتماد على ما سبق من كلام في السياق نفسه بين طرفي الخطاب.[2]

أمّا الميدان الخصب والواسع للاستراتيجية التلميحية فقد كان في الدروس البلاغية بشكل عام، وبالخصوص علم البيان، بحيث تمكّنت البلاغة العربية بمختلف أجزائها أن تحصر آليات هذه الإستراتيجية مع تصنيفها والتمثيل لها باعتبارها موضع الدرس البلاغي، بما فيه من مجاز وتشبيه وكناية، ومخالفة الأصل في التراكيب بالتقديم والتأخير.

من البلاغيين الذين تطرّقوا إلى التلميح بشكل أدق نجد (عبد القاهر الجرجاني)، عندما تحدّث عن النظم والمعنى، ومعنى المعنى، بحيث خصّص في كتابه (دلائل الإعجاز) فصل " في (اللفظ المراد به غير ظاهره)، بحيث يقول فيه: إعلم أن لهذا الضرب إتّساعًا وتفنُّنًا لا إلى غاية، إلاّ أنّه على إتّساعه يدور في الأمر الأعم على شيئين: الكناية والمجاز، والمراد بالكناية ها هنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردْفُهُ في الوجود، فيومي به إليه، ويجعله دليلاً عليه، أمّا المجاز فهو كل لفظ نُقِلَ عن موضعه"[3]، كما خصّص (الجرجاني) فصل آخر للكلام، بحيث يقول: "الكلام ضربان: أحدهما تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ، والآخر لا تصل إلى الغرض، بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ بمعناه في اللغة، ثم تجد لهذا المعنى دلالة أخرى تصل بها إلى الغرض وعلى هذا مدار الكناية والإستعارة والتمثيل، فهذا هو المعنى ومعنى المعنى."[4]، فالمعنى هو الذي يظهر من ظاهر اللفظ، ومعنى المعنى هو المقصود به التلميح، أي المعنى الآخر الذي يأتي متضمنًا في المعنى الظاهري للفظ.

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 375.

[2] يوسف تغزاوي: الوظائف اللغوية وإستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ص 203.

[3] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 66.

[4] المرجع نفسه: ص 262.

إلى جانب عبد القاهر الجرجاني نجد (السكاكي) الذي تميّز بحثه بالنظر في ضوابط خروج بعض الأفعال اللغوية في (قانون الطلب) عن معناها إلى معان أخرى مثل الإستفهام والأمر والنهي، كما يقتضيه السياق[1]، فالأساليب الإنشائية الطلبية الأصلية عند جمهور العلماء خمسة وهي (الأمر، النهي، النداء، الإستفهام، التمني)، وهذه الصيغ الأسلوبية تخرج عن مقتضى دلالاتها الظاهرة إلى أغراض وإفادات تواصلية بحسب ما يقتضيه المقام، فالأمر يخرج إلى الدعاء أو الإلتماس، أو التهديد، أو التعجيز أو الإرشاد...، وكذلك الشأن مع غير الأمر من أساليب الإنشاء الطلبي، وقد تصل بذلك أقسام الإنشاء الطلبي إلى أكثر من عشرين غرضًا[2]، كما تحدّث (السكاكي) عن الكناية والمجاز بتفريعاتها، وكيف يخرج المتكلم عن المعنى الظاهري، وقد عقد بابا للإستدلال بوصفه من متممات علم المعاني، وهنا يأخذ بأسباب المنطق اللغوي في الإستلزام النموذجي ومعرفة المضمر من المقول بغض النظر عن سياق التداول.[3]

كما كانت الاستراتيجية التلميحية أساسًا في مباحث الفقه وأصول الفقه، إذ لا يخلوا أي مصنّف في هذه العلوم من اعتبارها، فمباحث الحقيقة والمجاز كانت المدخل لهذا العلم، إذ يبدأ المؤلف عادةً بتوضيح مفهوميهما ثم بإيضاح علاقة الحقيقة بالمجاز، وأدوات كل منهما، وعلاماته اللغوية، والآليات الذهنية للخروج عن معنى اللغة الحقيقي، وكيفية تأويل الخطاب، مع بيان القرائن الدالة على ترجيح قصد دون آخر، سواء في إنتاج الخطاب أو تأويله[4].

أمّا عند الغربيين فإنّ هناك بحوث ونظريات كثيرة تناولت الاستراتيجيات التلميحية بالدِّراسة والتحليل منهم (جرايس) و(سبيربر وولسون) و (براون وليفنسون) و(سيرل)، فكانت بحوثهم تتمحور حول طُرُق الوصول إلى مقاصد الخطاب، وكان التلميح مسألة من مسائل بحوثهم بطريقة مباشرة وغير مباشرة، فـ (براون وليفنسون) قاما بتصنيف إستراتيجيات الخطاب إلى خمس استراتيجيات عامة في التخاطب، منها استراتيجية التلميح التي يمكن أن ينتج عنها أكثر من قصد[5]، إضافةً إلى جهود

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 375.

[2] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 117، 118.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، 375.

[4] المرجع نفسه: ص 375، 376.

[5] المرجع نفسه: ص 377.

(سبيربر وولسن) من خلال نظريتهما التداولية والمعرفية (نظرية الملاءمة Théorie de la pertinence) بحيث تأتي أهميتها من أمرين:

- أنها تنتمي إلى العلوم المعرفية الإدراكية.

- أنها، ولأول مرة منذ ظهور الأفكار والمفاهيم التداولية، تبين بدقة موقعها من اللسانيات وخصوصًا موقعها من علم التراكيب.

فنظرية الملاءمة تدمج إذن بين نزعتين كانتا متناقضتين، فهي نظرية تُفَسِّر الملفوظات وظواهرها البنيوية في الطبقات المقامية المختلفة، وتعدّ في نفس الوقت نظرية إدراكية.[1]

ومن ناحية أخرى تناول سيرل **Searle** الإستراتيجية ضمن دراسته للأفعال اللغوية عندما أضاف تعديلاته على نظرية أفعال اللغة التي أبدعها (أوستين) في عمله (كيف ننجز الأشياء بالكلمات)، إذ قسّم الأفعال اللغوية إلى قسمين هما: الأفعال اللغوية المباشرة، والأفعال اللغوية غير المباشرة وهو ما يعنينا هُنا[2].

كما تُعدُّ أعمال (غرايس **Grice**) دور كبير في تحديد ملامح الاستراتيجية التلميحية، من خلال صياغة القواعد المنطقية لمعرفة القصد، وذلك بالإستلزام الذي ينتج عن اتّباع تلك القواعد أو مخالفتها في الخطاب، ومبدأ التعاون هو الكفيل بتحديده، رغم أنه أغفل الشروط الاجتماعية التي تدخل ضمن عناصر السياق، والتي يترتّب عليها الخروج عن قواعد مبدأ التعاون، وقد كان هذا أحد عيوب هذه النظرية[3].

إنّ ما يميِّز الدّراسات اللسانية الحديثة، خاصة منها أصحاب الفلسفة التحليلية، هو معالجتهم لمدلول العبارة اللغوية من جانبين، فمنهم من يرى أن تحديد المدلول يتم دون اللجوء إلى ما تحيل العبارة في العالم الخارجي في حين يرى آخرون عكس ذلك، ومن جانب آخر نجد علماء اللغة والبلاغة العرب يميزون بين إستعمال اللغة على وجهها الحقيقي والمجازي.

فهناك معنى حرفي صريح، وآخر ضمني مستلزم، وهي ثنائيات تقابها ثنائية المعنى ومعنى المعنى عند الجرجاني، كما تُقابلها ثنائية (التعيين والتضمين connotation et dénotation)

---

[1] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 36.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 77.

[3] المرجع نفسه: ص 376.

لِ (رولان بارت Roland Barth)، بحيث لا نجد فيهما سننين مختلفين بل مجموعتين سننيتين، ففي الصورة الفوتوغرافية مثلا: السَّنَن الذي يأتي قبل القياس هو سنن التعيين، وهو السنن الذي يؤسِّس القياس، أمّا السنن الذي يأتي بعد القياس فهو سنن التضمين[1].

فالمعنى الأول (الصريح) يظهر من ظاهر اللفظ أو العبارة، أمّا المعنى الثاني (الضمني أو المستلزم) فيظهر إنطلاقًا من المعنى الأول، فينتقل المعنى من المعنى الأول إلى الثاني، فنحن أمام (معنى حرفي، أوّل، ظاهر، صريح، مباشر)، وآخر (معنى حرفي، ثاني، باطني، غير صريح، وغير مباشر، ومجازي)، فاللفظ أو العبارة قد ترِد بصورتها الحقيقية، كما قد تحملنا إلى معنى آخر غير حقيقي مجازي، مما يستدعي التفكير والتركيز والإستدلال، فعلى المتلقي أن لا يكتفي بالمعنى الأوّل المعجمي بل يجب الإنتقال إلى المعنى الآخر المجازي المستلزم، ولا يتمُّ ذلك إلاّ بقدرة تداولية تكون لها علاقة بما اكتسبه المتلقي من لغة وثقافة ومعرفة، حتّى يكون قريب من طبيعة الآخر اللغوية منها وغير اللغوية، فالتمييز بين الإستعمال الحرفي والإستعمال غير الحرفي للغة يكون على النحو التالي:

- يوجد حد واضح بين الإستعمال الحرفي والإستعمال غير الحرفي.
- لا تؤول الأقوال الحرفية والأقوال غير الحرفية بالطريقة نفسها.
- ليس للأقوال الحرفية إلاّ معنى واحد هو معناها الحرفي، أما الأقوال غير الحرفية فلها معنيان: معناها الحرفي ومعناها غير الحرفي أو المجازي.
- نميز ضمن الاستعمال غير الحرفي قسمين كبيرين من الوجوه البلاغية (وجوه التراكيب اللغوية ذات الصلة بالاستعمال غير الحرفي): الوجوه البيانية مثل الإستعارة أو الكناية، وصور التفكير مثل السخرية، وبصفة عامة، لئن أمكن تحديد الضرب الأول لغويًا بواسطة شكل الجمل أو التعابير، فإن صور التفكير تتحدّد بالتضاد بين معناها الحرفي والسياق أو المقام.[2]

قد يلجأ المتكلم في استعمال الاستراتيجية المباشرة، من خلال التعبير عن قصده وفق شكل اللغة الدّلالي المباشر، وبما يتطابق مع معنى الخطاب ظاهريًا، كما قد يلجأ إلى إستعمال الإستراتيجية الغير مباشرة، فيلمِّح بالقصد تلميحًا عبر مفهوم الخطاب مع ما يناسب السياق، "لأنّ المعنى الحرفي يتميّز

[1] برنار توسان: ما هي السيميولوجيا، تر/ محمد نظيف، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص 47.

[2] آن ريبول، جاك موشلار: التداولية اليوم. علم جديد في التواصل، تر/سيف الدين دغفوس. محمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص 182. 183.

عن المعنى الإستعاري أو المجازي، كما يتميّز المعنى المباشر عن المعنى التلميحي، لأن ما يؤكد ليس هو ما يتطلب الإقتضاء"[1].

إستعمال الإستراتيجية التلميحية في الخطاب على حساب الإستراتيجية المباشرة، تتطلّب معرفة أصول اللغة بمستوياتها المختلفة، ودلالاتها، وكيفية إنتاج الخطاب وفقا لما تقتضيه، ويقتضيه المقام، وعلى المتكلم أن يتمتّع بكفاءة تداولية ومعرفية لمختلف المواقف السياقية، فمن أبرز الشروط التي تُخوِّل استعمال الإستراتيجية التلميحية في الخطاب:

- إمتلاك مهارة العمليات الذهنية في الكفاءة التداولية لإنتاج الخطاب المناسب للسياق، بما في ذلك من تمثّل العناصر السياقية وبلورتها في الخطاب اللغوي ليرتبط فيه اللفظ بقصد المرسل بشكل من أشكال الخطاب المتعددة باستعمال الآلية الواحدة من آليات التلميح المقاربة مثل الكناية.

- معرفة الأبعاد الثقافية بصورة عامة بما فيها المعلومات والخلفية المختزلة لدى أطراف الخطاب لأن الانتقال من دلالة الوضع (المعنى الحقيقي الحرفي) إلى دلالة الملزوم بالعقل (المعنى المستلزم) تتم بواسطة استدلالات ذات طبيعة غير لغوية تتم بواسطة الخلفية الثقافية الاجتماعية.[2]

وما لا يمكن إغفاله في استعمال هذه الاستراتيجية هو مراعاة المرسل للعلاقة بين ما يتلفظ به وقصده من ملفوظاته، وذلك ما يتم عبر حالتين أو إحداهما، فيبدع في الحالة الأولى دلالته على القصد بتوليدها لغويًا، فيستعمل آليات معينة مثل المجاز بأنواعه...لأنّه يتكئ على السّمات الدّلالية في المعجم الذهني المشترك بينه وبين المرسل إليه لإيجاد العلاقة بين الملفوظ والقصد، أمّا الحالة الثانية، أن يستعمل القوالب اللغوية المأثورة، مثل التعبيرات الإصطلاحية المحفوظة عنده بشكلها اللغوي ومعناها إذ إنّ لهما معنى قارا في ذهن المرسل إليه ويتفق معناها مع قصده، وبهذا فهو يستعيض عن التصريح بالتلميح إلى ذلك المعنى[3].

فالحالة الأولى هي الأكثر استعمالاً للدلالة على الإستراتيجية التلميحية، وذلك راجع إلى كثرة وتنوع الآليات اللغوية المتاحة لها، لكن ومع علمنا بأن هناك استراتيجيات عديدة يمكن للمرسل أن يتبنّاها في خطابه، فمتى يتوجّه إلى استعمال استراتيجية التلميح على غرار الاستراتيجيات الأخرى؟

---

[1] فرانسواز ارمينكو: المقاربة التداولية، ص 52.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 378.

[3] المرجع نفسه: ص 380. 381.

يسعى منتج الخطاب إلى توظيف استراتيجية التلميح عندما يدرك أن معنى الخطاب الحرفي لن يناسب السياق، ولن يُعبِّر عن القصد المراد.[1]

إنّ عملية اكتشاف مقاصد المرسل من طرف المرسل إليه تمرّ بعدة خطوط منها التعرف على المعنى الحرفي، واستثمار الظروف السياقية المحيطة به للوصول إلى القصد الفعلي، فيتم الوصول إلى هذا القصد الحقيقي من الخطاب باشتقاق المعنى الحرفي أوّلاً، ثم فحصه في السياق ثم البحث عن المعنى المستلزم (المقصود) إذا أخفق الأول في تحقيق ذلك:

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 384.

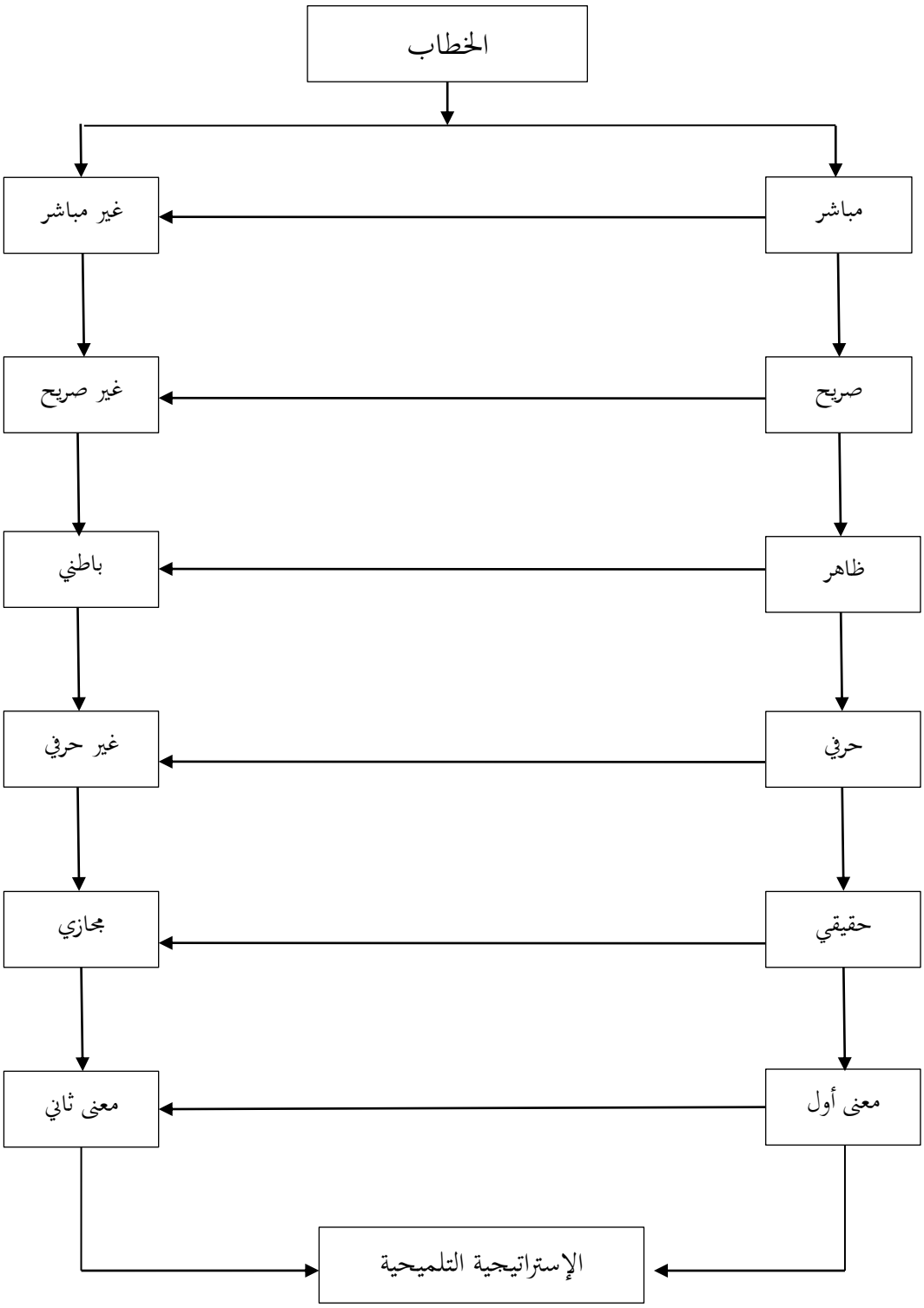
الخطاب
مباشر
غير مباشر
صريح
غير صريح
ظاهر
باطني
حرفي
غير حرفي
حقيقي
مجازي
معنى أول
معنى ثاني
الإستراتيجية التلميحية

2- وسائل وآليات الاستراتيجية التلميحية:

الإستراتيجية التلميحية طريقة يعتمد عليها المرسل للوصول إلى مقاصده ومعانيه، بحيث نجده يوظّف وسائل وأدوات لغوية ، وآليات بلاغية، وشبه منطقية، في خطابه قصد التلميح إلى مقاصد ضمنية وباطنية، يتم استلزامها من خلال تلك الوظائف والآليات التي لها دور هام في تحقيق ذلك، وهي متمثّلة في:

1- أدوات وآليات لغوية:

للتلميح إلى قصد من المقاصد يسعى المرسل إلى توظيف بعض الأدوات اللغوية التي تأدِّي وظيفة التلميح، وهي أدوات كثيرة منها:

أ- ألفاظ الكنايات والروابط والظروف الإنجازية: نجد منها:

- كم الخبرية: "كم عبارَةٌ عن العدد ويُستعمل في باب الاستفهام، كما يستعمل في باب الخبر ويُجَرُّ بعده الاسم الذي يُمَيِّز به نحو: كم رجلٍ؟ ويقتضي معنى الكثرة"[1]، يسعى المتكلم من خلال (كم الخبرية) إلى التلميح عن شيء غير الذي قيل له، فيكون كناية عن الكثرة مثلاً، حسب الخطاب والسياق الذي قيل فيه، وهي آلية تلميحية وردت مرتين في خطاب أهل الكتاب.

- يستعمل المرسل في خطابه أيضًا «كَذَا» للكناية عن المقادير والأعمال، سواءًا أكان المعدود قليلاً أم كثيرًا، وهي آلية لم ترد في خطاب أهل الكتاب.

- كما تعدُّ (حتى) من الأدوات التي تستعمل في اللغة العربية بوصفها "علامة على حدِّمن سلم تراتبي"[2]، و (حتى) "تكون للغاية بمعنى (إلى)، وتكون بمعنى (كيْ)، وتكون بمعنى العطف..."[3]، فهي تُعدّ من الروابط الحجاجية والأدوات القارة في السلم الحجاجي لدورها في ترتيب عناصر السلم، ومنح صفة السلمية لمعانيها واستعمالاتها، فيكون ما بعدها تلميح لقصد يقصده المرسل، وقد وردت في خطاب أهل الكتاب في مواضع وآيات متعددة ومختلفة.

---

[1] أبي القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص 443.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 386.

[3] أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: الصباحي، ص 222. 223.

– ومنها كذلك إستعمال (إنّما) في أسلوب الحصر لأنّها في مقام التعريض وسيلة مؤدَّبة ومؤثرة معًا، فضلاً عن إيجازها[1]، نجدها مستعملة في خطاب أهل الكتاب أربع مرات متفرّقة تُلمّح إلى مقاصد ومعاني مختلفة بإختلاف نوع الخطاب الموجّه إليهم.

ب– الأفعال اللغوية غير المباشرة:

حين يكون قصد المرسل واضحًا ومباشرًا في الخطاب، فإنّه يتلفّظ بجملة أو بعبارة لغوية، ليقصد الدلالة على ما يقوله حرفيًا وبذلك يكون القصد جليًّا بالنسبة للمرسل، وآلية التأويل والإستنتاج سهلة وبسيطة عند المتلقي، أمّا عندما يرى أن الدلالة الحرفية الظاهرة لن تخدم السياق، يقرر المرسل تبطين إحدى مقاصده أو الإشارة إلى غرض ضمني في عبارته اللغوية، فإنّه تتكوَّن عنده مجموعة من الحالات كالإيحاء، والتلميح والتأدب والتهكم، ومضمرات الإلتباس...إلخ، إذ عندما يتلفظ بعباراته اللغوية فإنّه "يريد أن يقول بها بالضبط ما يقول، ويريد أن يقول كذلك شيئًا آخر"[2]، وهو ما نسميه بالمعنى الضمني أو التلميحي الذي يساير الإستراتيجية التلميحية.

فالعبارة اللغوية على نمطين من المعاني، معان صريحة ومعان ضمنية، حيث أنّ المعاني الصريحة هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها وتشمل:

– المحتوى القضوي: وهو مجموعة معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد.

– القوة الإنجازية الحرفية: وهي القوة الدلالية المؤشر لها بأدوات تصبغ الجملة بصبغة أسلوبية ما كالإستفهام، والأمر، والنهي، والتوكيد، والنداء...[3]

أمَّا المعاني الضمنية هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخلاً في تحديدها والتوجيه إليها وتشمل ما يلي:

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 387.

[2] فراسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 71.

[3] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 34. 35.

– معاني عرفية: وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطًا أصلا وتلازم الجملة ملازمة في مقام معين مثل معنى الإقتضاء.

– معاني حوارية: وهي التي تتولَّد طبقًا للمقامات التي تنجز فيها الجملة مثل الدَّلالة الإستلزامية[1].

للسياق دور هام في تحديد المعاني الضمنية التي تكتنف عبارة لغوية ما، إذ يلجأ المتلقي إلى تفكيك العبارة أو الكشف عن معانيها المضمرة عن طريق سلسلة من الاستنتاجات والاستدلالات والتأويلات التي تتم بمساعدة السياق الذي بدوره يعمل كمساعد في عملية الفهم بكل ما يحمله من "معلومات حول المحيط الفيزيقي المباشر أو حول الأقوال السابقة و التوقعات والترقبات والفرضيات والعقائد والذكريات والمسابقات الثقافية وافتراضات حول الحالة الذهنية للمتكلم"[2]، فالفهم الجيد لرسائل لسانية كانت أم غير لسانية لا يقتصر على اللغة فقط، ولا تعد شرطًا كافيا في عملية الفهم بل يتدخَّل السياق كعنصر أساسي أو مركزي في ذلك بالإضافة إلى ضرورة المعرفة الواسعة للعالم.[3]

إن المعنى الضمني يأتي من خلال فعل كلام غير مباشر، مثلما نجده في الصيغ والأساليب الطلبية الإنشائية التي تخرج دلالتها إلى أغراض أخرى، أو في سياقات التهكم والسخرية والتلميح، فيخرج بعض معاني تلك الأفعال المباشرة إلى أفعال غير مباشرة تحمل أغراض معينة، فان تحقَّق القصد من ظاهر اللفظ كان الفعل مباشرًا، أمَّا إذا كان القصد لا يتحقق إلاَّ من باطن اللفظ كان الفعل غير مباشرًا.

يقترح (سيرل) بالنسبة للفعل اللغوي غير المباشر ما يلي: الانجازات اللغوية صنفان:

أ– الانجازات البسيطة: وهي التي يواكب محتواها القضوي قوة إنجازية واحدة، يقصد فيها المتكلم معنى واحد، وهو المعنى الحرفي لخطابه، أي يكون قصد المتكلم مساويا للمعنى الحرفي للجملة.

ب– **الانجازات المعقدة:** وهي تلك الانجازات التي يقصد فيها المتكلم إنجاز جملة تواكبها قوتان إنجازيتان على الأقل، قوة إنجازية حرفية، وقوة إنجازية مستلزمة مقاميًا، وبذلك ميَّز (سيرل) بين ما أسماه بالفعل اللغوي المباشر، والفعل اللغوي غير المباشر[4].

---

[1] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 34.

[2] عبد السلام عشير: عندما نتواصل تغير: ص 59.

[3] المرجع نفسه: ص 59.

[4] حافظ اسماعيل علوي: التداوليات. علم استعمال اللغة، ص 112 .113.

تتمثَّل إستراتيجية (سيرل) في أن القائل في عمل لغوي غير مباشر من قبيل: (هل تستطيع أن تناولي الملح) لا ينجز عملاً لغويًا واحدًا بلً إثنين: عملاً أوليًا يتمثل في الإلتماس الذي ينجز بواسطة عمل ثانوي هو السؤال، فالمقصد المتضمّن في القول، أي العمل الذي ينوي القائل إنجازه بواسطة جملته، إنما يتصل فقط بالعمل الأولي، وهذا المقصد هو الذي ينبغي تبيّنه[1].

أمّا تصور (غرايس) للفعل اللغوي هو أن جمل اللغات الطبيعية، يمكن في بعض المقامات أن تدل على معنى غير المعنى الذي نستخلصه من محتواه القضوي (أو معناه الحرفي)، وبعبارة أخرى يمكن القول إننا في بعض المقامات يمكن أن ننجز فعلين لغويين: فعل لغوي مباشر، وفعل لغوي غير مباشر، مثال ذلك قول الأستاذ لأحد طلبته الذي لم يلتزم بتقديم فرض معيّن في موعده، فيقول له مثلاً: (لا تقدِّمه غدًا)، تنجز الجملة هنا فعل النهي المدلول عليه حرفيًا بقرائن بنيوية هي (لا الناهية) الداخلة على الفعل المضارع المجزوم، غير أن الجملة في المقام السياقي الذي وردت فيه، لا يقصد بها انجاز فعل النهي، وإنما أنجز بها فعل التهديد، وهو غير مباشر، لأنَّ الفعل المباشر هو فعل النهي [2].

فالدلالة الحرفية للجمل والعبارات اللغوية في مقامات معينة لا تكفي وحدها لتعبير عن قصد المخاطب لأنَّه وبالنسبة للوصف اللغوي، فان التأويل الدلالي الكافي لجمل اللغات الطبيعية يصبح متعذِّرًا إذا إكتفى فيه بمعلومات الصيغة وحْدَها[3]، ومقابل ذلك وفي غالب الأحيان فإنَّه يلاحظ أن معنى جمل اللغات الطبيعية في حالة ما إذا روي ارتباطها بالسياق ومقامات إنجازها، لا ينحصر فيما تدل عليه صيغها الصورية واشكالها الظاهرية من إستفهام وأمر ونهي ونداء ...إلى غيرها من الصيغ اللغوية والظواهر الأسلوبية التي يُعتَمد عليها في تصنيف الجمل العربية.

الأفعال اللغوية غير المباشرة، من القضايا اللغوية التي تطرَّقَ إليها علماء النحو العربي والبلاغة. تحت إطار الإستلزام الخطابي والأغراض الأصلية والفرعية لها، والمعاني التي تستلزمها الأفعال الإنشائية الطلبية المباشرة كالأمر، والنهي والنداء والاستفهام ... من خلال خروجها من دلالتها الظاهرة إلى أغراض تلميحية أخري تفرضها الظروف المقامية، فالفرق بين ما قدَّمَه (سيرلSearle، وغرايس Grice وقبلهما (أوستينAustin) وما قدَّمَه علمائنا في النحو والبلاغة، يكمن في طريقة

[1] ان ريبول. جاك موشالار: التداولية اليوم. علم جديد في التواصل، ص 58.

[2] حافظ اسماعيل علوي: التدوليات. علم إستعمال اللغة، ص 107.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب. مقاربة لغوية تداولية، ص 389.

معالجة الموضوع، بزاوية تختلف عن أخرى، بحيث تعد تلك الصيغ الأسلوبية (الأمر والنهي والاستفهام والنداء ...) وما تحملها من دلالات غير مباشرة هي إستلزامات خطابية أو أغراض حسب مفهوم علمائنا القدامى، وعبارة عن وظائف تواصلية إبلاغية بتعبير الوظيفيين المعاصرين، وأفعال متضمنة في القول بتعبير التداولين[1].

فالحديث عن الأغراض الأصلية والفرعية، يجرّنا إلى الأساليب الإنشائية الطلبية المتمثِّلة في "(التمني والاستفهام والأمر والنهي والنداء)كَمَا حدَّدها (آبي يعقوب السكاكي)، التي تتولد عنها معاني أصلية إذا أجارها المرسل بشروطها وفي سياقات ملائمة، وفي حين امتنع إجراء المعاني على أصلها، أدَّ ذلك إلى توليد معاني أخرى غير المعاني الأصلية حسب ما يناسب المقام "[2]، فالأفعال المباشرة قد تحيلنا إلى أغراض ومعاني أخرى غير المعاني الأصلية، كخروج التمني والاستفهام عن الأصل، أو الأمر والنهي مثلا، وحملها المعنى والسؤال أو التمني والتحقير أو الإنكار والتوبيخ ...، فالاستراتيجية التلميحية نجدها أكثر في الأفعال اللغوية المباشرة، التي تحمل أفعال ضمنية ومضمرة تلميحية، وغير مباشرة، كما يستعمل أيضا المجاز للوصول إلى القصد، بطريقة تلميحية، كالكناية والاستعارة والتشبيه، مما يستوجب قدرات عقلية وكفاءة تتداولية للوصول إلى المقاصد من السامع ،فالفعل اللغوي المباشر قد يحمل معنى صريح، ومن وراءه معنى آخر ضمني، كصورة حجاجية إقناعية يوظِّفها المتكلم لتحقيق هدفه، كما هو الحال في الاستفهام الذي يُعُدُّ من أنجح الأفعال اللغوية حجاجًا، إذ أنَّ الأسئلة أشدُّ إقناعا إلى المرسل إليه، وأقوى حجة عليه خصوصا عندما يكون قصد المرسل غير مباشر، ليكون الاستفهام بذلك فعلا حجاجيا مضمر حسب ما يتطلبه السياق، خصوصا عندما لا تكون الأسئلة ليست استفهاما عن شيء يجهله المرسل، بل هي حجج باعتبار القصد لا باعتبار الصياغة والمعنى الحرفي[3].

من الأفعال اللغوية غير المباشرة، والتي تدل على معان مضمرة في الخطاب: آلية التهكم والسخرية، إذ يوظِّف المرسل هذه الآلية، بوصفها إحدى آليات الإستراتيجية التلميحية، من خلال ما يستلزمه من قصد يكون مخالفاً لم يدل عليه شكل الخطاب الحرفي، وقد بيَّن (أبي يعقوب السكاكي) أنَّ آلية (التهكم) تندرج ضمن أصناف الاستعارة، حيث وصفها على أنَّها الاستعارة التهكمية أو التلميحية،

[1] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 116.

[2] ابي يعقوب يوسف إبن أبي بكر محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، ص 302 .

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب. مقاربة لغوية تداولية، ص389.

"فالاستعارة التهكمية إسم أحد الضدّين أو النقيضين للآخر بواسطة إنتزاع شبه التضاد، وإلحاقه بشبه التناسب، بطريقة التهكم أو التلميح ...ثم إدِّعاء أحدهما من جنس الأخر، والإفراد بالذكر، ونصب القرينة ...ويختص هذا النوع بإسم الإستعارة التهكمية أو التلميحية "[1] فمن خلال التهكم والسخرية نفهم عكس وضدّ ما يدل عليه القصد الظاهر في الخطاب، كأن نفهم من مدح المرسل للمرسل إليه ذمّ والذم ضدّه المدح، فالمرسل في خطابه يتعرَّض لعدة مواضيع تهكّمية، يستعملها لتبيغ موافقة أو تغير سلوك الأخر وتعديله وغير ذلك من اللحظات التهكمية التي تظهر من خلال إستعمال المرسل الألفاظ في السياق.

ويشير (بن ظافر الشهري) إلى أن هذه الآلية قد يستعملها أصحابها تلميحًا إلى النقد دُونَ أن يقتصر إستعمال التهكم في النقد على سياق دون آخر، إذ يوظفه المرسل لنقد الآخرين سواء أكان نقدا لذواتهم أو لأفعالهم، وهو ما يعرف بـ (السخرية)، بإعتبارها شكلا من أشكال النقد التهكمي الذي يتشرب فيه المعنى الإيجابي الحرفي السلبي المقصود، مما يؤَّدي إلى نقد تقويمي أقل، ومقابل ذلك وفي حالة الثناء، يتشرب المعنى الحرفي السلبي المعنى الإيجابي المقصود ممّا يفضي إلى تقويم نقدي أكثر، إيجابيا ليبلِّغ به قصدًا سلبيًا، أما الذي يحدث بشيء أقل تعميمًا فهو حين يقول المرسل شيئًا سلبيا ليبلغ به قصدًا أو حكمًا إيجابيًا [2].

إلى جانب ألفاظ الكنايات والأفعال اللغوية غير المباشرة، نجد آلية أخرى تساهم في التلميح إلى القصد دُونَ التصريح به، يتعلق الأمر بالتعابير الإصطلاحية، إذ هي آداة من الأدوات التي يسخرها المرسل للتعبير عن قصده بالإستراتيجية التلميحية، وذلك إرتكازًا على معرفته بهذه النتيجة التي إكتسبها إثر إحتكاكه بأبناء لغته، ومعاشرته اللغوية لهم ليتمحور الخطاب في الأخير حول الكفاءة التداولية عند طرفي الخطاب، وهذه التعابير الإصطلاحية قد تكون مفردة، كما قد تكون مركَّبة، يستمدُّها المرسل من موروثه الثقافي، يحمل معناها الحرفي معنى مغاير، قد يفيد السخرية أو المدح أو الذم، ثابت معروف في الثقافة التي تنتمي إليها لغة الخطاب، بحيث تكون معروفة بالنسبة لطرفي الخطاب، وهو المصطلح الذي يحمل قصد ودلالة تلميحية يفهما المرسل إليه بعد إستعمال كفاءته الذهنية، وبعد عودته إلى رصيده

[1] ابي يعقوب يوسف إبن أبي بكر محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، ص375.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب. مقاربة لغوية تداولية، ص 416-417.

الثقافي، لما يحملُهُ هذا المصطلح المفرد أو المركَّب قصد ودلالة تَعارَفَ عليها أبناء لغته قبل هذا الخطاب فعند النطق يُفْهَمُ معناه.

2 – الآليات البلاغية:

يُوظف المرسل في خطابه مختلف الآليات البلاغية للتلميح والتوجُّه نحو إستراتيجية غير مباشرة منها: التشبيه والإستعارة والكناية، بحيث يحمل معنى ضمني ومستلزم من ظاهره الشكلي، مع وجود قرينة أو علاقة متشابهة تحيله لذلك، وهي الإستراتيجية يختارها المرسل كبديل للخطاب المباشر الحقيقي، وكبديل لتحقيق المقاصد والأهداف:

أ–التشبيه:

يُعتَبر التشبيه من الآليات البلاغية التي يوظفها المرسل للإشارة إلى مقاصد متضمنة في خطابه ويعد تمكنُّه من إستعماله بما يلائم السياق من إحدى مهاراته التداولية، مع العلم أنّ الأصل الأوَّل من علم البيان هو التشبيه ،فهو الذي إذَا مهرت فيه ملَكْتَ زمام التدرب في فنون السحر البياني[1]، يقول (عبد القاهر الجرجاني): الكلام على ضربَيْن: ضربٌ أنتَ تصِل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وضربٌ أخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحدَه، ولكن يدُلُّكَ اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دِلاَلَةً ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدارُ هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل[2]، فعند قولنا مثلاً "زيد كالأسد " يُحيلُنَا ويحملُنَا ظاهر اللفظ إلى معنى آخر يتعلَّق بالمعنى المضمر والمتمثِّل في قوة زيد وسرعته.

ب–الإستعارة:

تُمثِّل الإستعارة آلية من الآليات التي يعبر بها المرسل عن مقاصده في الإستراتيجية التلميحية فمن سنن العرب الإستعارة وهو أن يضعوا الكلمة للشيء مستَعارةً من موضع آخر[3]، فالإستعارة أن تريد تشبيه الشيئي بالشيء، فَتدَع أن تفصَحَ بالتشبيه وتظهره، وتجيئ إلى المشبَّه به فتعيرَهُ المشبّه وتُجْرِيَهُ عليه، تريد أن تقول:« رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواءً » فتدع ذلك

[1] المرجع السابق نفسه: ص 410.

[2] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 262

[3] المرجع نفسه: ص 262.

وتقول:« رأيت أسَدًا »[1]، فبَدَلًا من التصريح بالخطاب ومعناه شكليا وظاهريا، يختار المرسل طريقة تلميحية أُخرى، من خلال إستعارة بعض الألفاظ التي تحلينا إلى معنى ضمني ومستلزم، إطلاقًا من صورته الشكلية.

الإستعارة لها دور كبير في التأثير على الملتقى وإقناعه، وتغيير سلوكه، كما لها دور أيضًا في الحجاج وإقناع السامع، فالمجاز بصفة عامة، والإستعارة بشكل خاص مكون من مكونات القول الحجاجي، فلا حجاج بدون مجاز[2].

3- الكناية:

الكناية آلية أيضًا من آليات الإستراتيجية التلميحية، يستعملها المرسل في خطابه قاصدًا التأثير على الملتقى وإقناعه، بحيث يسعى إلى ترك التصريح بذكر ما يلزمه لينتقل من المصرح به إلى الغير مصرح به، يقول عبد القاهر الجرجاني: المرادُ بالكناية ها هُنَا أن يريدَ المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع في اللغة ولكن يجيئ إلى معنى هو تاليه وردْفُهُ في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولهم:« هو طويل النجاد » يريدُونَ طويل القامة[3].

فالكناية طريقة وسبيل آخر للتلميح إلى المعاني الضمنية التي نجدها في الخطاب، بحيث يقوم فيها المرسل إلى الاشارة إلى قصده من خلال المعنى التلميحي دَونَ التصريحي حسب الظروف السياقية في الخطاب.

الإستراتيجية التلميحية في خطاب أهل الكتاب وَرَدَت بآليات لغوية وبلاغية كثيرة ومتنوِّعة تحمل مقاصد ضمنية إستلزامية غير صريحة، تحمل أبعاد عقائدية وتربوية وأخلاقية أشار إليها الخطاب التلميحي.

3- الإستراتيجية التلميحية في الخطاب أهل الكتاب:

الخطاب القرآني لأهل الكتاب، منه ما هو مباشر وصريح، يظهر فيه المعنى ومقاصد الخطاب من ظاهر اللفظ دُونَ الحاجة إلى تفسير أو تأويل، ومنه ما هو غير مباشر أو غير صريح، يظهر فيه المعنى ومقاصد الخطاب من باطن اللفظ، مما يجعله يحتاج إلى تفسير وتأويل، وبذل جهد ذهني للوصول إلى ما

[1] أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا :الصاحبي، ص334.

[2] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الاعجاز، ص .67

[3] المرجع نفسه، ص 66.

هو ضمني، أو معنى المعنى، وإستلزام ما يحتويه الخطاب من معاني ودلالات لم يبينها بوضوح الجانب الشكلي للخطاب، لكن أشار إليها، معتمدًا على معطيات لغوية وبلاغية ومنطقية، فالخطاب يمثل هذا النوع يتميز بإستراتيجيات تلميحية متنوعة ،وَرَدَت بفعل آليات لغوية وبلاغية مختلفة، الهدف منها التلميح إلى بعض المواضيع تخص اليهود والنصارى، تتعلّق بالمعتقدات والعبادات والمعاملات، فمن بين تلك الإستراتيجيات نجد منها:

– قوله تعالى :« سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ »[1]، ففي الآية تلميح إلى الذين حَضَرُوا من اليهود، وإلى الحجة القاطعة على صِدْقِ ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، والضمير في (أتيناهم) يعود على سلفهم ،ليخبرهم عن الكم أو العدد المبهم من الآيات التي جاءهم بها نبيهم موسى عليه السلام، كيده وعصاه وفَلْقه البحر وضَرْبَه الحجر، وما كانَ تضليل الغمام عليهم في شدة الحر، ومن أنزل المنَّ والسلوى وغير ذلك من الآيات الدَّالات على وجود الفاعل المختار، وصدق على من جرب هذه الخوارق على يديه، ومع هذا أعرض كثير منهم عنها، وبَدَّلُوا نِعْمَةَ الله كُفْرًا، إي استبدلوا الإيمان بتلك الآيات بالكفر بها، والإعراض عنها[2]، وقوله (كم) هو إسم مبني على السكون موضوع للعدد، يقال أنه من تأليف كاف التشبيه مع (ما) ثم قصرت (ما) وسكنت الميم، وبنيت على السكون لتضمنها حرف الاستفهام فهي تارة تستعمل في الخبر وتارة في الإستفهام، وأكثر لغة العرب الجَرّ بِهِ عند الخبر، والنصب عند الاستفهام، ومن العرب من ينصب به الخبر، ويجربه في الاستفهام، وهي همنا يحتمل أن تكون خبرية [3]، ف (كم) اسم للعدد المبهم فيكون للاستفهام، ويكون للإخبار[4]، فعل السؤال عن متعلقه، إختصار لما دلَّ عليه ما بعده، أي سلهم عن حالهم في شكر نعمة الله[5].

(كم) في الآية كناية عن الكثرة، وتلميح إلى الآيات التي جاءهم بها نبيّهم موسى عليه السلام، والتي لم يذكرها هنا الخطاب، ولكن لَمَّحَ إليها الخطاب بـ (كم) الخبرية، لإخبارهم عن كثرة الآيات التي آتاها نبيّهم موسى عليه السلام للّذين سبقوهم، فبدلا من الإيمان كَفَرُوا بها، فكان جزائهم العقاب الشديد:

---

[1] سورة البقرة: الآية 211.

[2] أبي الفداء إسماعيل إبن كثير: تفسير القرآن الكريم، ص 233/1.

[3] الإمام محمد الرازي فخر الدين: تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ص6/ 02

[4] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص 289/2

[5] المرجع نفسه: ص 290.

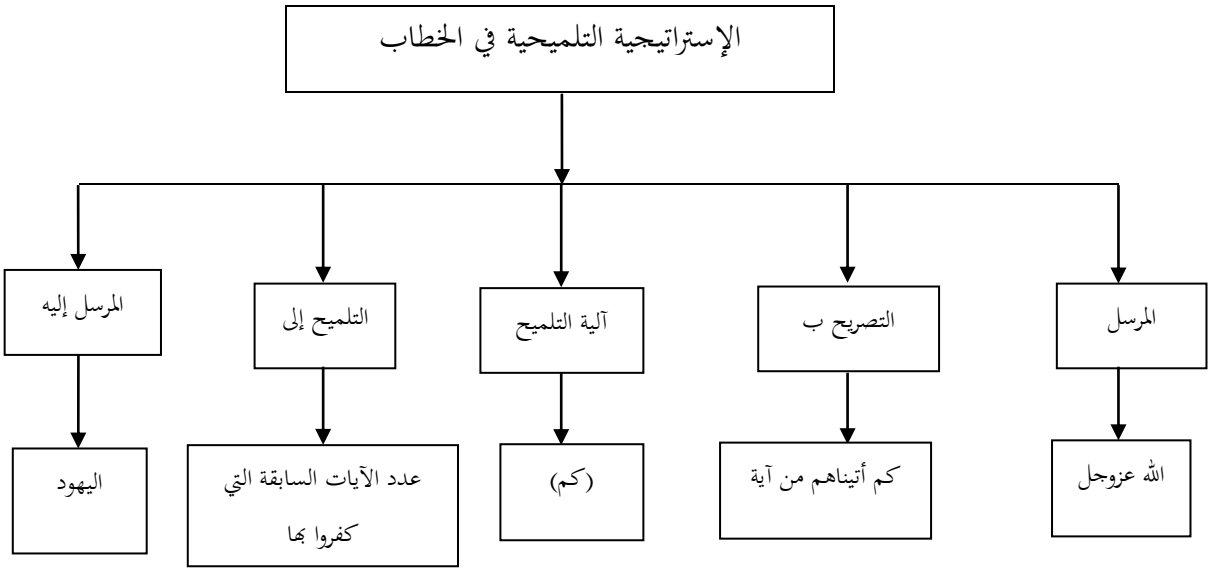

- وفي آية أخرى يقول الله عزّوجل:« ....كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ »[1]، (كم) في الآية خبرية بمعنى كثير، والفئة جماعة من الناس، فهي فئة قليلة مؤمنة، والغالبة لأنَّها محمية من قوة الاهية، ومؤمنة بمصدر جميع قوى عبادِهِ، وايمانهم بهذه الصفة هي حجة على صدقهم وعزيمتهم، بحيث أصْبَحُوا لاَ يُحِبُونَ الحياة، ويسعونَ للشهادة في سبيل الله، فالخطاب الغاية منه تقوية قُلوب الذين قَالُوا «لا طاقة لنا اليوم بطالوت وجنوده » والمعنى أنه لا عبرة بكثرة العدد، إنَّما العبرة بالتأييد الالهي، والنصر السماوي[2].

في الخطاب تلميح للفئة المؤمنة، الكثيرة بالإيمان والعزيمة، القليلة في العدد التي إستطاعت أن تخلق العزيمة والايمان بقوة الله، لمواجهة ملك بني إسرائيل وجيشه:

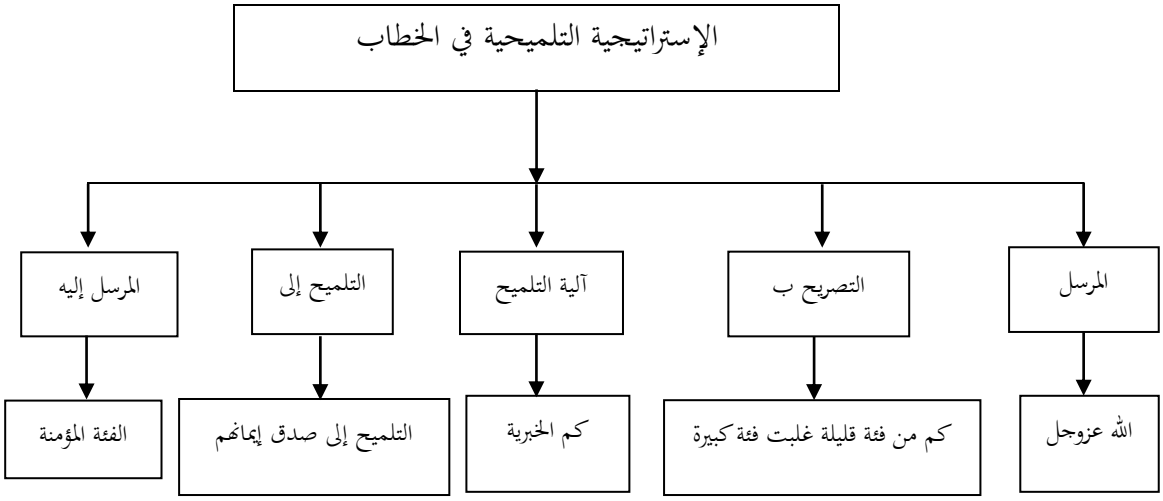

[1] سورة البقرة: الآية 249.

[2] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص 199/6.

-كما يظهر من خلال ظاهر اللفظ، وما يحمله من معاني ضمنية، يستلزمها الخطاب، والحرف (لو) الذي يحمل وظيفة تلميحية في الخطاب، يقول الله تبارك و تعالى:« مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلا »[1]، خطاب للذين هَادُوا صفة للذين أوتوا نصيبا من الكتاب[2]، بحيث يحرفون الكلم عن مواضعه، والمعنى من الآية أنهم لو قالوا بدل قولهم «سَمِعْنَا وعصيناَ» سَمِعْنَا وأطعنا لعلهم بصدقك ولإظهارك الدلائل والبينات بعد مرات، وبدل قولهم « وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ » قولهم واسمع، وبدل قولهم « راعنا » قولهم « أنظرنا » أي إسمع منا ما نقول، وانظرنا نتفهم عنك لكان خيرًا لهم عند الله واقوم، أي أعدل وأصوب[3].

ففي هذه الآية يريد الله عزَّوجل التلميح إلى أمرين: الأمر الأول يتمثل في عدم سماعهم (الذين هادوا) للرسول صلى الله عليه وسلم، وعدم طاعته، إستهزاءًا منهم للرسول عليه السلام، فقالوا «عصينا » بدل« أطعنا »، والأمر الثاني يتمثل في التلميح إلى عنادِهِم وكفرهم على أساس أنه ليس خيرا لهم، وعليهم لعنة الله، إلاّ القليل مِمَّن أمَنُوا:

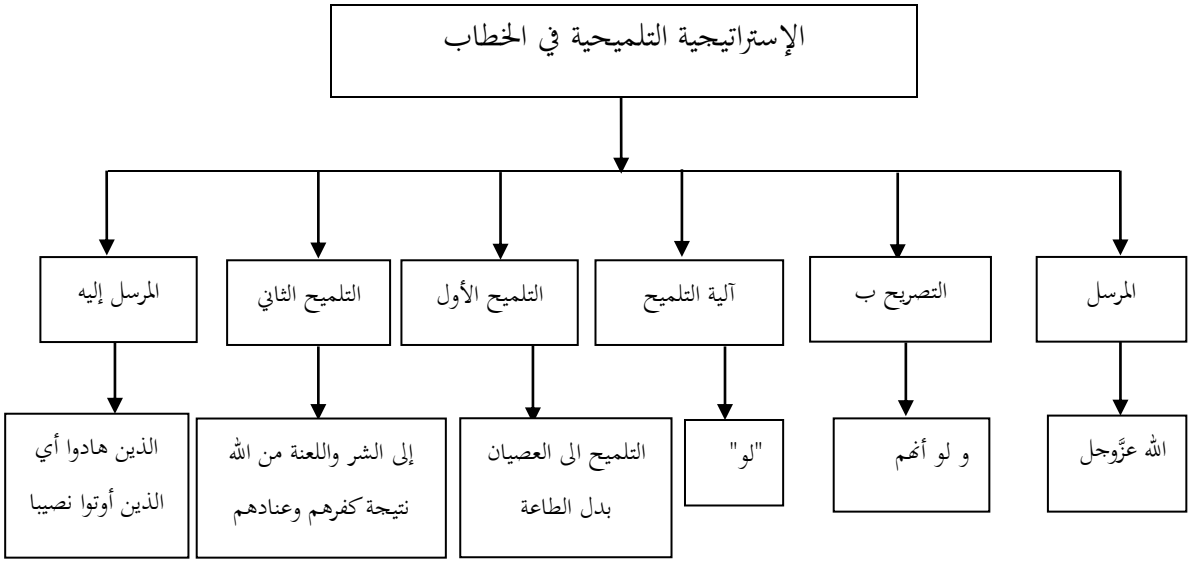

[1] سورة النساء: الآية 46.

[2] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج 2، ص 74/5.

[3] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص 10/ 123.

– يقول الله في آية أخرى: « وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ »[1]، في الخطاب تلميح أوّل يتمثَّل في أن أهل الكتاب لم يؤمنوا بالله ورسوله وكفروا بآياته، بتعاطيه المحارم والمأثم، أما الثاني يتمثل في أنَّهم لم يعملوا بما في الكتب التي بأيديهم، وعلى ما جاء من أنبيائهم، من غير تحريف ولا تبديل، وما أنزل من ربِّهم وهي بمثابة حجَّة أولى وثانية، فكانت النتيجة عبارة عن جواب الشرط (لو)، يتمثَّل الجواب الأول:« كَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ »، والجواب الثاني: "أن يُرْزَقُوا من كل جهات وسبيل، واهل الكتاب في الخطاب المراد بهم اليهود[2]، والله عزَّوجل لَمَّا بالَغَ في ذمهم وفي تهجين طريقتهم بين أنَّهم لو أمنوا وأتَّقوا لوجدوا سعادات الأخرة والدنيا، أما سعادات الأخرة فهي محصورة في نوعين: رفع العقاب، والثاني إيصال الثواب، أما رفع العقاب فهو المراد بقوله « لكفرنا سيئاتهم »، وأما إيصال الثواب فهو المراد بقوله « وأدخلناهم جنات النعيم »، وأعلم أن الله تعالى لما يبين في الآية الأولى أنهم لو آمنوا لفازوا بسعادات الدنيا ووجدوا طيِّباتها وخيراتها ....وقوله: « لآكلوا ... » المراد منه المبالغة في شرح السعة والخصب ...والمعنى لآكلوا اكلاً متصلاً كثيرًا[3].

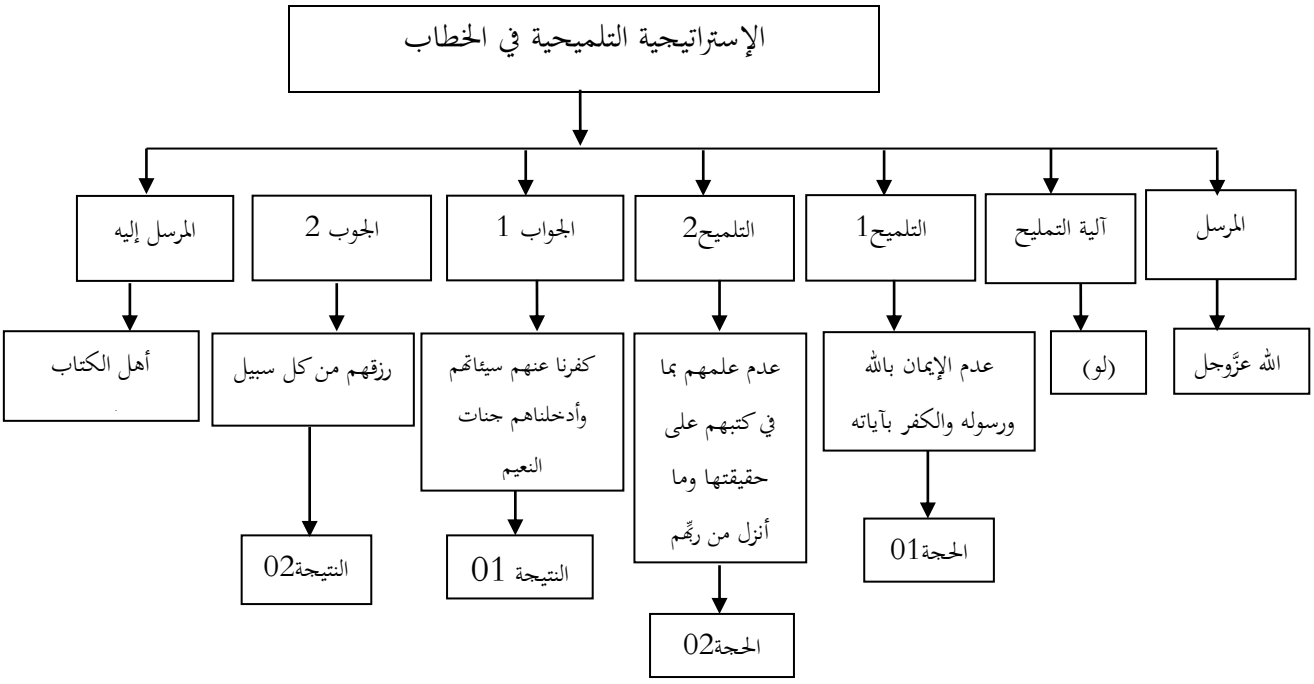

[1] سورة المائدة: الآيات 65 .66.

[2] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير مج1، ص 252/6.

[3] فخر الدين الرازي :التفسير الكبير ،ص 50.49/12.

– خاطَب الله عزَّوجل بني إسرائيل ليُذَكِّرَهُم عن الميثاق الذي نقضوه: « ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ »[1]، فهو تلميح لسعة رحمته على عباده، وتوبته عليهم وإرساله النبيين والمرسَلِينَ لهم، ولولاَ ذلِك لكانُوا مِنَ الهالكين.

فالخطاب في هذه الآية فيه بحثان: الأول ذكر القفال في تفسيره وجهان: الأول أنَّه لولا ما تفضل الله به عليكم من إمهالكم وتأخير العذاب عنكم لكنتم من الخاسرين أي من الهالكين الذين باعوا أنفسهم بنار جهنَّم، فَدَلَ هذا القول على أنهم إنَّما خرجوا عن هذا الخسران لأن الله تعالى تفضَّل عليهم الإمهال حتَّى تابُوا، الثاني أن يكون الخبر قد إنتهى عند قوله تعالى:« ثم توليتم من بعد ذلك ثم قيل « فلولا فضل الله عليكم ورحمته » رجوعًا بالكلام عليكم ورحمكم فلطف بكم بذلك حتى تبتم، والثاني أن (لولا) تفيد إنتفاء الشيء لثبوت غيره[2].

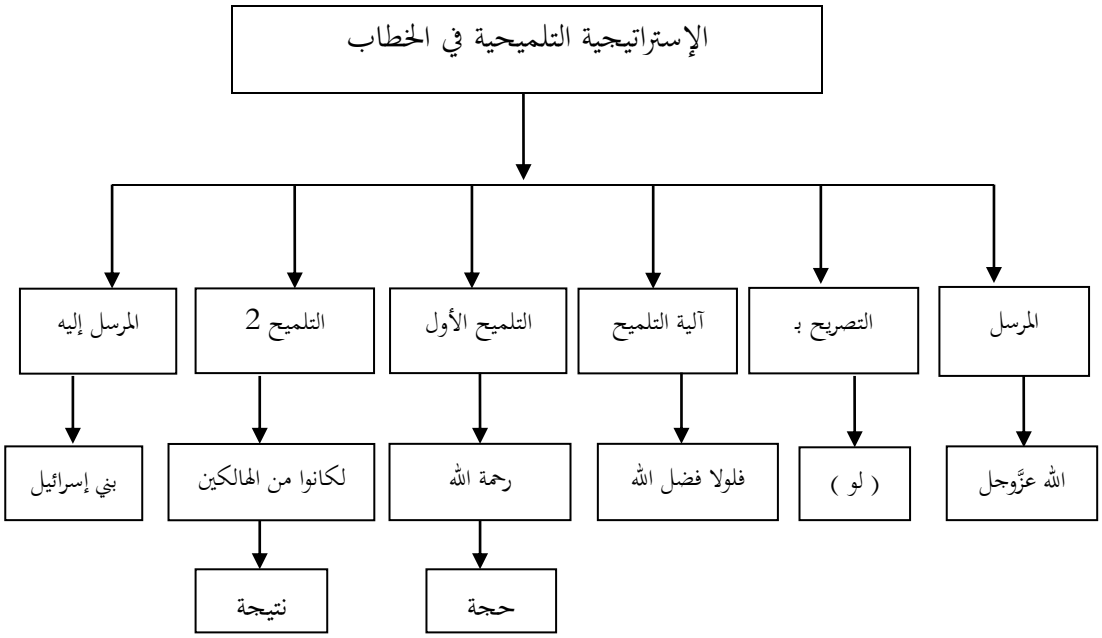

– يقول سبحانه وتعالى في آية:« لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ »[3]، المقصود علماء اليهود من الربَّانيين والأحبار، وهو لقب خاص بمن يتَّسم بمواصفات خاصة، ويحوز على منزلة خاصة عند اليهود، وهم العلماء الحكماء والبُصراء بسياسة الناس، وتدبير أمورهم، والقيام بمصالحهم[4]، في الآية تلميح وتوبيخ للربَّانين والأحبار، على ترك نهيهم

[1] سورة البقرة: الآية 64.

[2] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص116/3.

[3] سورة المائدة: الآية 63

[4] محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل أي القرآن: ص341/1.

عن قول الإثم وأكل السحت، وتلميح الى دورهم في نهي الناس عن القيام بالفعل، لكنَّهم لم يفعلوا، ومعنى (لولا) هنا التحضيض والتوبيخ، وهو بمعنى (هلا)، والمعنى أن الله تعالى إستبعد من علماء أهل الكتاب أنهم ما نهوا سفلتهم وعوامهم عن المعاصي، وذلك يدل على أن تارك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه[1].

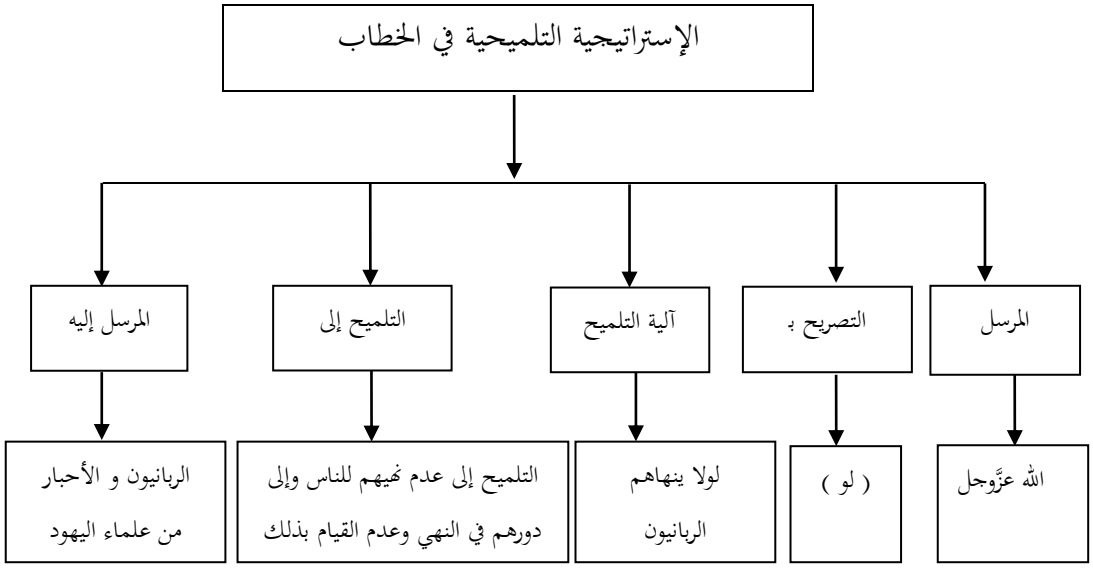

التلميح إلى صفة من صفات المشركين والكفار في قوله تعالى: « يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ »[2]، تلميح من الله عزَّوجل الى كراهية الكافرين من أهل الكتاب عند ظهور نور الله[3]، التقدير (وَلَوْ ظهر نور الله كَرِهَ الكافِرُونْ)، وتلميح أيضا لكراهية المشركون عند ظهور دين الحق كُلِّه على رسوله الذي أرسل بالهدى (لو ظهر دين الحق كُلِّهِ كَرِهَ المشركِوُنَ)، فكراهية الكافرون والمشركون هي عبارة عن نتيجة لحجة ظهور نور الله، ودين الحق كُلِّهِ، وفي الخطاب تلميح لمدى الكراهية التي تخرج من أفواههم:

[1] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير: ص42/12.

[2] السورة الصف: الآيات 08-09

[3] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج 11، ص 191/28.

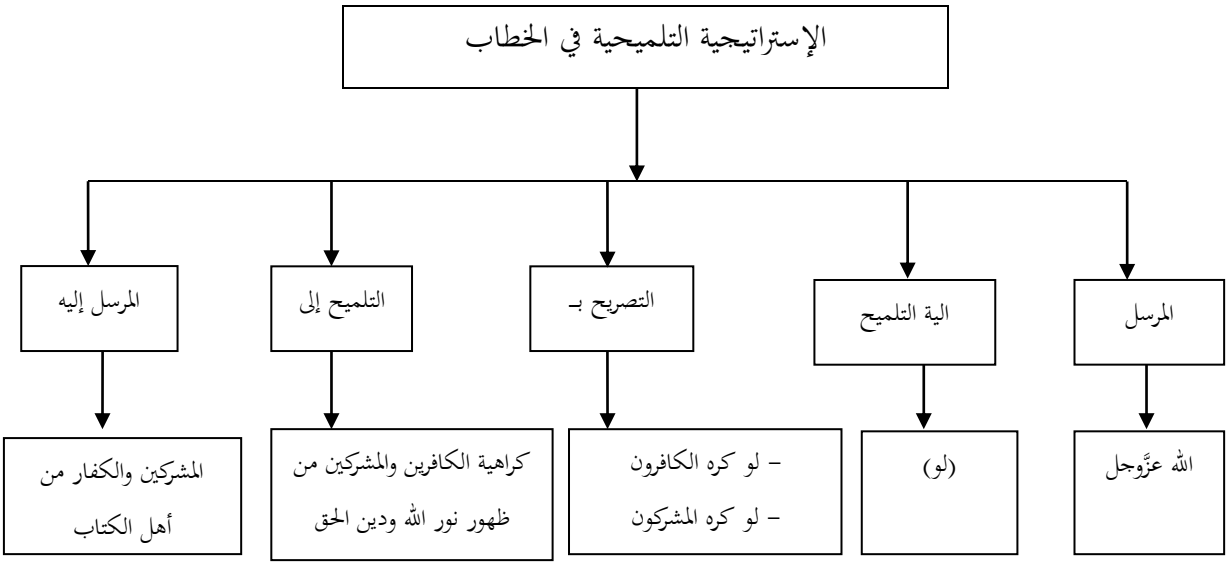

« وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » أي اليهود والنصارى وغيرهم من المشركين، قال في الآية المتقدمة «وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » وقال في الآية المتأخرة "ولو كره المشركون " فالحكمة فيه أنهم أنكرو الرسول، وما أنزل إليه وهو الكتاب، وذلك من نعم الله، والكافرون كلهم في كفران النعم، فلهدا قال « ولو كره الكافرون »، ولأن لفظ الكافر أعم من لفظ المشرك، والمراد من الكافرين ههنا اليهود والنصارى والمشركين[1].

يقول الله تبارك وتعالى في سورة أل عمران :« كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ »[2]، في الآية إشارة وتلميح، إشارة إلى أمة محمد التي كانت خير أمَّةٍ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله تعالى، وتلميح إلى الخير على كل من ءامن بالله من أهل الكتاب والذين أمَنُوا منهم، فمن يتَّصِف بالإيمان دخَل معهم في هذا الثناء عليهم والمدح لهم، ومن لم يتصف ذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله:« كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ »[3]، ولهذا لما مدح الله تعالى هذه الأمة على هذه الصفات شرع في ذم أهل الكتاب وتأنيبهم[4]، وأهل الكتاب يشمل اليهود والنصارى، ولكن المقصود الأول هنا هم اليهود، لأنَّهم كانوا مختلطين بالمسلمين

[1] فخر الدين الرازاي: التفسير الكبيير، ص 316/26 .

[2] سورة ال عمران: الآية 110.

[3] سورة المائدة: الآية 79.

[4] ابي الفداء اسماعيل بن كثير: تفسير القران العظيم، ص367/1.

في المدينة، وكان النبي عليه السلام دعاهم إلى الإسلام وقد أسلم منهم نفر قليل[1]، فخاطب أهل الكتاب جاء بعد (لو) الامتناعية، على أنَّ الخير لا يأتي إلاَّ بعد الايمان بالله تعالى، وهو مشروط به، فمنهم من آمن وهي فئة قليلة، ومنهم من كَفَرَ وهي فئة كبيرة، فالتلميح من جهة يتعلَّق بالفئة الكثيرة التي لم تؤمن بالله عزَّوجل ومن جهة أخرى تلميح للخير الذي لاَ يكون إلاَّ بالإيمان:

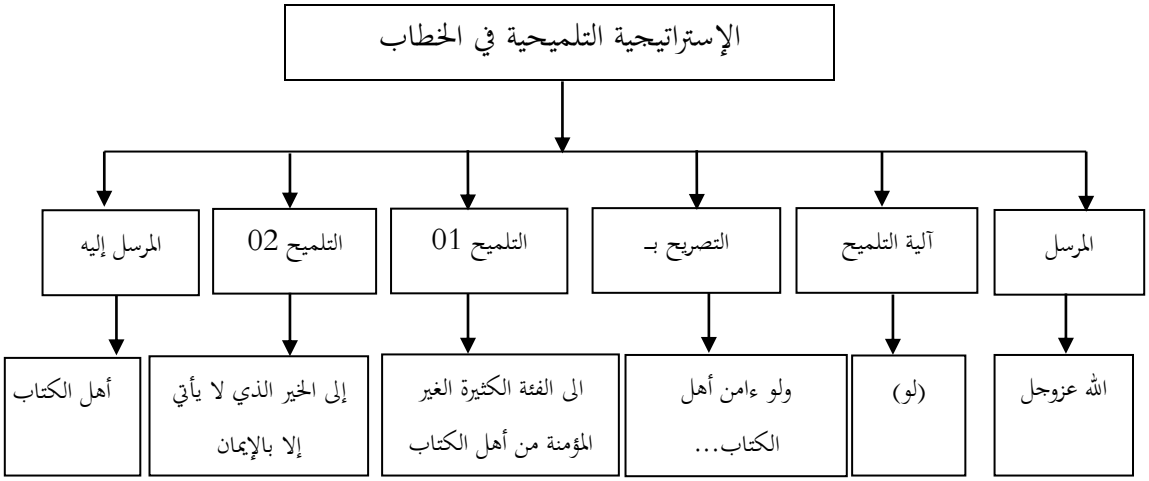

التلميح بأسلوب الحصر آلية من آليات الإستراتيجية التلميحية، نجده في قوله تعالى:« يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا »[2]، خطاب موجَّه الى النَصَارَى خاصةً، وخوطبوا بعنوان (أهل الكتاب) تعريضا بأنَّهُم خَالَفُوا كِتَابِهِمْ[3]، وهو نهي لأهل الكتاب عن الغلو والاطراء، وهذا كثير في النصارى، بحيث تجاوزوا حد التصديق بعيسى، حتَّى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاها الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة الى أن إتخَذُوه إلهًا من دون الله يعبدونَهُ[4].

قوله:« إنما المسيح عيسَى إبن مريم » و« إنّما الله إلَهٌ واحدُ » قصر وتلميح، قصر في عيسى إبن مريم، ولا إلَهٌ غيره، وتلميح إلى أن عيسى عليه السلام ليس هو الله ولا إبن الله كما يدعون، فالله لا شريك له وعيسى نبيه.

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج2 ، ص52/4.
[2] سورة النساء، الآية 171
[3] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير و التنوير، مج 3، ص50/6.
[4] أبي الفداء اسماعيل بن كثير: تفسير القران العظيم، ص548/1.

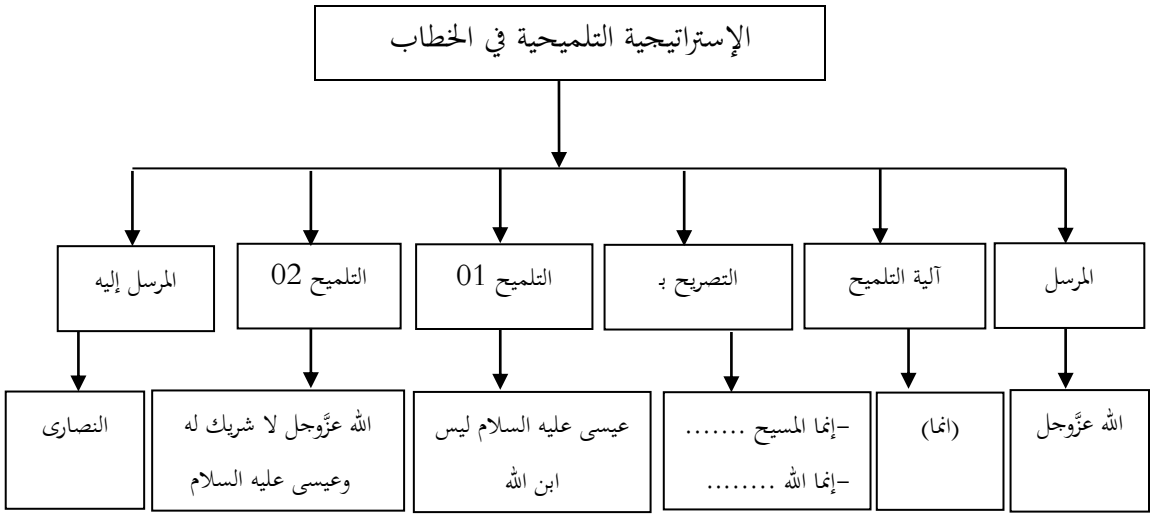

- وفي قوله عزَّوجل: « أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ » [1]، قال إبن جرير معناه: وهذا كتاب أنزلناه لئلا يقولوا « إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا » يعني ليقطع عذرهم كم قال تعالى:« ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين "[2]، ففي الآية تلميح إلى إعتدار وإفتراء وعناد أو إنكار من بني اسرائيل أثناء محاورتهم للرسول عليه الصلاة والسلام، فالتقدير (لأن لا تقولوا إنما أنزل ....)، كما يحمل الخطاب معنى مضمر أخر وهو ديمومة إعتذارهم وإفترائهم.

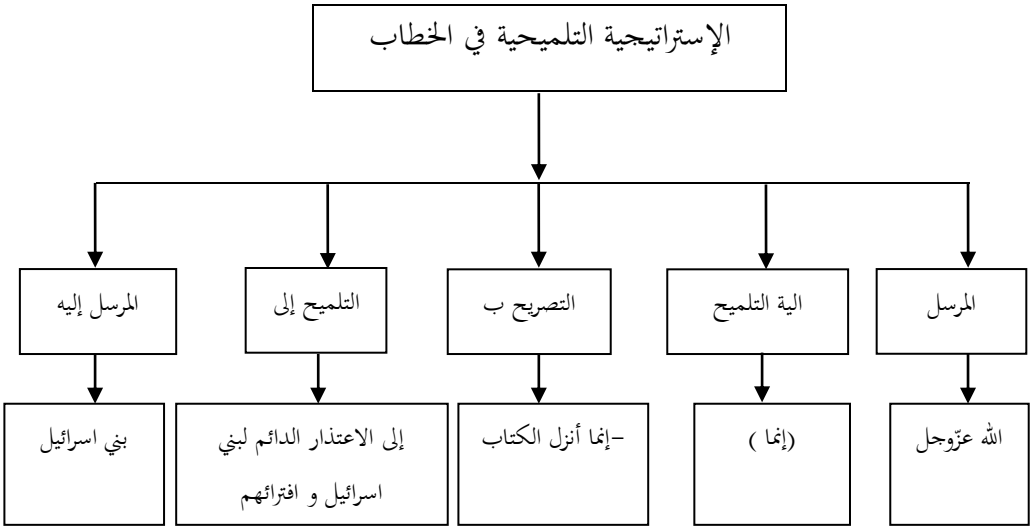

- من الإستراجيات التلميحية التي وردت بآيات لغوية اخرى نجد ما جاء في قوله تعالى:« قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ »[3]، فهو

[1] سورة الأنعام: الآية 156.

[2] أبي الفداء إسماعيل إبن الكثير: تفسير القرآن العظيم، ص180/2.

[3] سورة المائدة: الآية 22.

تلميح إلى بطش وجشاعة القوم المتواجدين في الأرض المقدسة، وتلميح إلى خوف قوم موسى وضعفهم، وبالتالي فإن دخولهم مشروط بخروجهم:

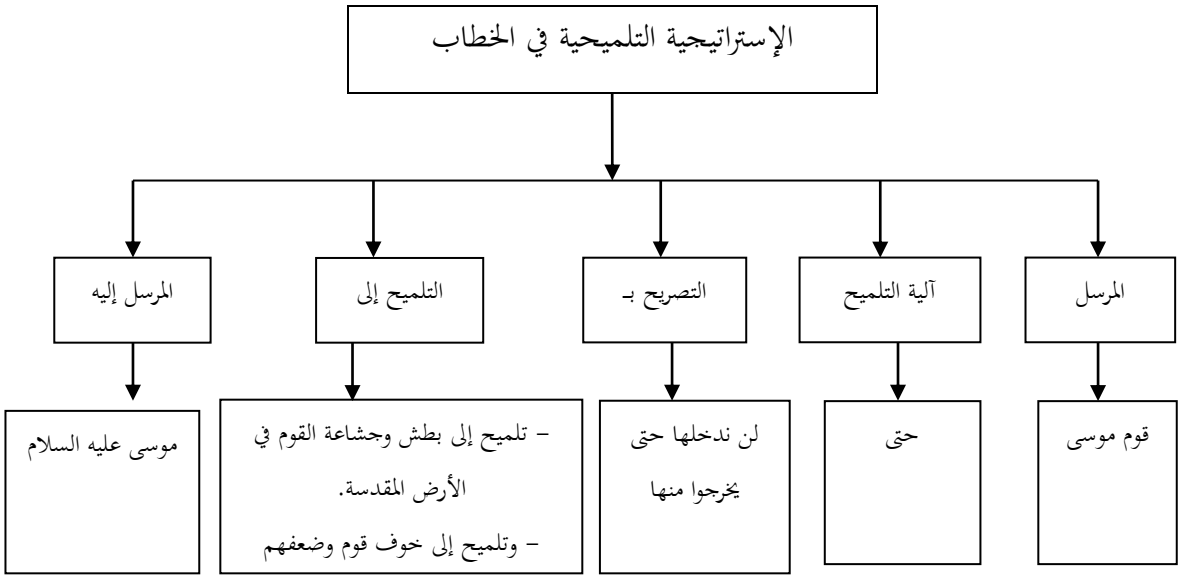

- في سورة طه يقول الله تبارك وتعالى:« قَالُوا لَنْ نبرَحَ عليهِ عاكِفِينْ حتَّى يرجِعَ إليْنَا مُوسَى »[1]، تلميح إلى عجرفة قوم موسى، وشركهم في عبادة العجل، وتلميح إلى قلة إكثارهم بما أُتُوا من النعم، وما شاهدُوا من المعجزات، وهم يؤكدون هذه العجرفة المتصلبة، كما صوَّرَها القرآن، بأكثر من مؤكد على وجه التأسيس[2]، فهم فُتنوا في عبادة العجل، وإشترطوا على هارون عليه السلام أن لا يتخلَّوا عن عبادته حتى يرجع إليهم موسى عليه السلام، وهذا الشرط والحصر دلالة على عجرفتهم وعنادهم:

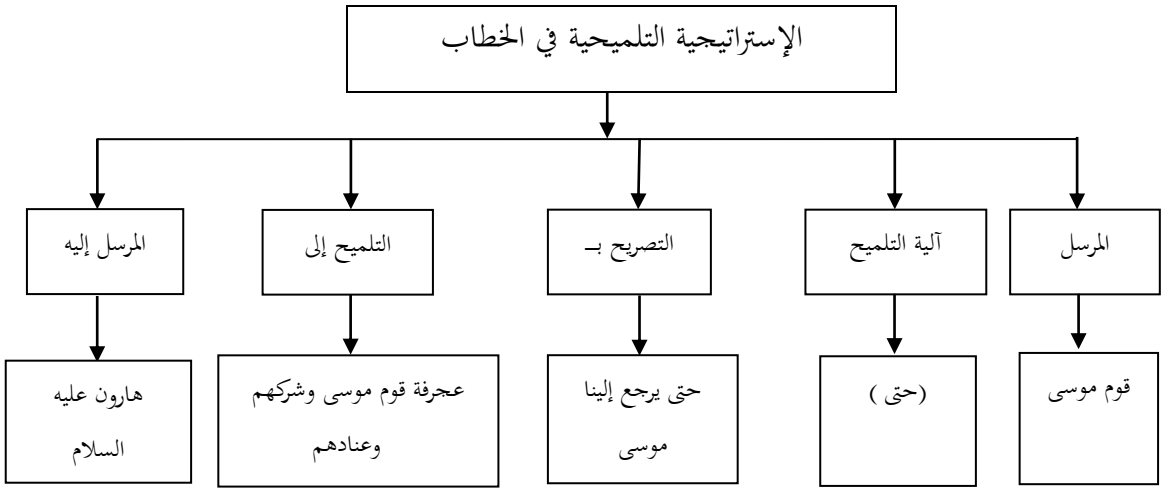

[1] سورة طه: الآية 91.

[2] محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن الحقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل، تح/إسحاق محمد يحي العجبري، دار إبن حزم، بيروت، ط1، بيروت، 2005م، ص284/1.

- يقول الله عزَّوجل في سورة يونس:« وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ [1]»، تلميح إلى أن بني إسرائيل لم يكونوا في إختلاف قبل مجيء العلم، وإنما بعده، و« جَاءَهُم العلم » يجوز أن يكون ما جاءهم به الأنبياء من شرع الله فلم يعلموا بما جاؤوهم به، وأعظم ذلك تكذيبهم بمحمد عليه الصلاة والسلام، فعن إبن عباس: هم اليهود الذين كانوا قبل مبعثه مقرِّين بنبي يأتي، فلما جاءهم العلم، وهو القرآن إختلفوا في تصديق محمد عليه السلام [2]، وتلميح إلى وجود الاختلاف بينهم في هذا العلم:

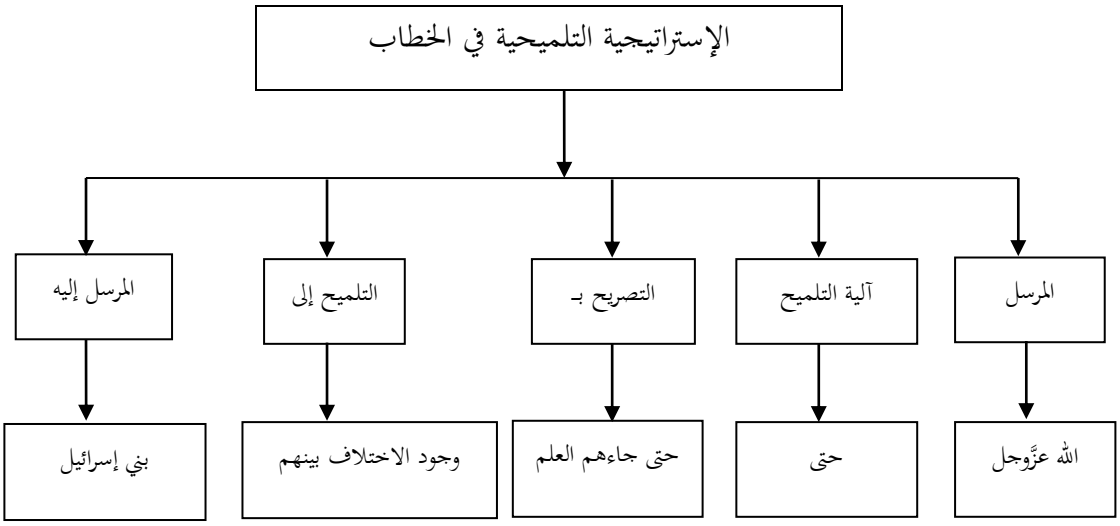

- في نفس السورة يقول الله عزَّوجل: « وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ»[3]، في الآية تلميح أن فرعون وأتباعه غير مؤمنين بالله عزَّوجل، رغم ما أنعَمَ الله عليهم في الدنيا من زينة وأموال ليضلوا عن سبيله، وقوله:« فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب » في قوة ان يقال: فيؤمنُوا حينَ يرون العذاب لا قبل ذلك[4]، وهذا تلميح إلى أنَّهم لاَ يؤمنون بالله قبل العذاب، فمسخت أموالهم حجارة، ولم يؤمن فرعون حتَّى أدْرَكَهُ الغرق[5]:

[1] سورة يونس: الآية 93.

[2] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص 283/11.

[3] سورة يونس: الآية 88.

[4] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج5، ص 11/ 271.

[5] جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي، جلال الدين بن أبي السوطي، تفسير الجلالين، ص 219.

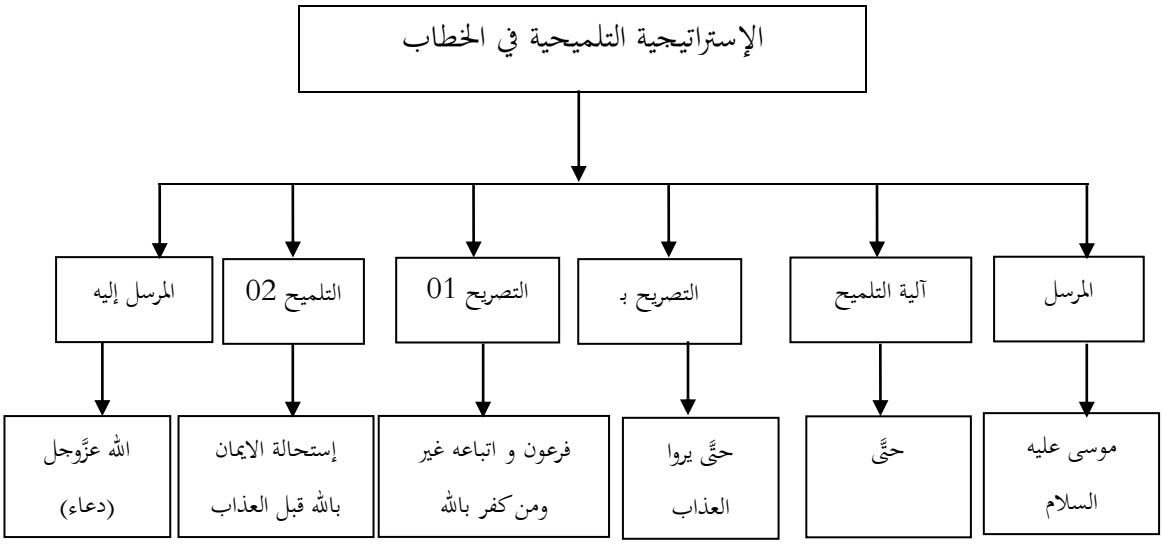

– كما خاطب الله عزَّوجل الذين أمنوا، وأمرهم أن يقاتلوا الذين أتوا الكتاب (اليهود والنصارى)[1]، من الذين لا يؤمنون بالله ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق في قوله تعالى:« قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩) » قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الأخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون »[2]، فـ (حتى) غاية للقتال، أي يستمر قتالكم إياهم إلى أن يعطوا الجزية، وظمير (يعطوا) عائد إلى « الذين اوتوا الكتاب »[3]، فهذا الخطاب تلميح إلى إستمرار القتال حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية، وفي الآية تلميح أيضًا إلى أنَّهم لم يقدموا الجزية، الخراج المضروب كل عام[4]:

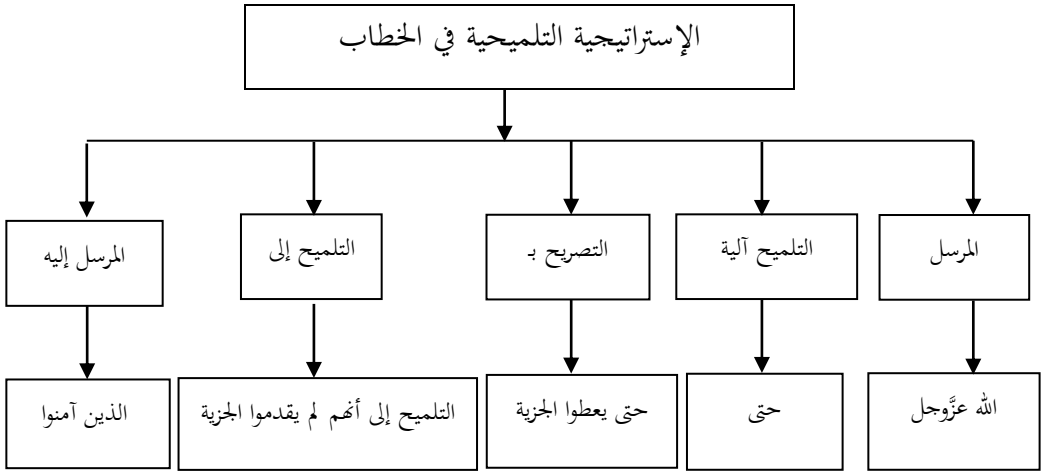

[1] المرجع السابق نفسه: ص 91.

[2] سورة التوبة: الآية 29.

[3] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج5، ص166/10.

[4] جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي، جلال الدين بن أبي السوطي، تفسير الجلالين، ص191.

– قول الله عزَّوجل عن اليهود والنصارى:« وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ»[1]، أي ليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبدا، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق [2]، فمن خلال دلالة هذه الآية، يتمثل التلميح فيها أن اليهود والنصارى ترضى إن إتبعت ملتهم، وهي إشارة إلى أنهم لا يؤمنون بالنبي لأنه غير متبع وأنهم لا يؤمنون بالقرآن الكريم لأنه نسخ لكتبهم السابقة:

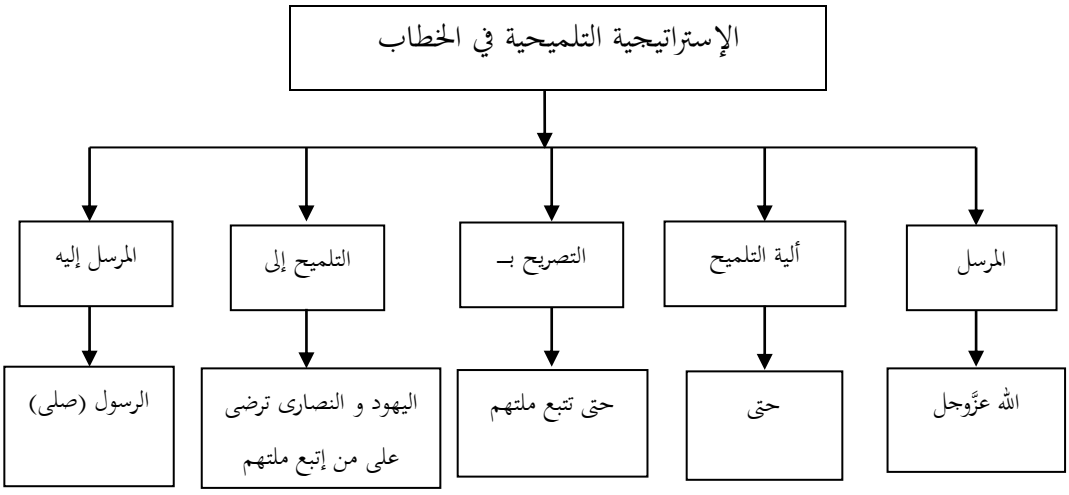

– في خطاب أخر لأهل الكتاب يقول الله عزوجل:« لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١)رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢)فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣)وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤)وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ »[3]، هذه الآية تحمل أغراض ومقاصد تتمثَّل في توبيخ المشركين وأهل الكتاب على تكذيبهم بالقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم، والتعجب عن تناقض حالهم إذ هم ينتظرون أن تأتيهم البينة فلما أتتهم البينة كفروا بها، وتكذيبهم في إدعائهم أن الله أوجب عليهم التمسك بالأديان التي هم عليها، ووعيدهم بعذاب الأخرة، والتسجيل عليهم أنَّهم شر البرية، والثناء على الذين أمنوا وعملوا الصالحات، ووعدهم بالنعيم الأبدي ورضا الله عنهم وإعطائه

[1] سورة البقرة: الآية 120.

[2] أبي الفداء اسماعيل ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص152/1.

[3] سورة البينة: الآية 01-06.

إياهم ما يرضيهم، وتخلل ذلك تنويه بالقرآن وفضله على غيره باشتمالة ما في الكتب الالهية التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل وما فيه من فضل وزيادة[1].

ففي الآيات تلميح إلى أن اهل الكتاب المشركين غير منفكين ومختلفين قبل أن تأتيهم البينة، رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمة، فَصَارَ التقدير: لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التي هي الرسول عليه السلام، ثم ان الكلمة (حتى) لانتهاء الغاية، فهذه الآية تقضي أنهم صاروا منفكين عن كفرهم عند إتيان الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال بعد ذلك:« وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة » وهذا يقتضي أن كفرهم قد إزداد عند مجيء الرسول عليه الصلاة والسلام

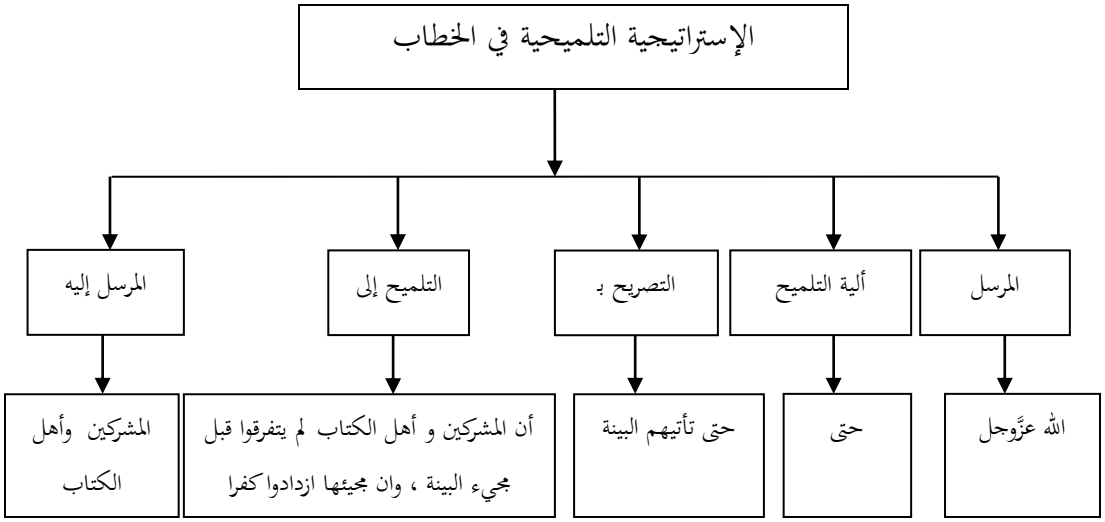

– وفي آية أخرى يقول الله عزَّوجل عنهم: « وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »[2] دلالة هذه الآية تبين مدى حسد أهل الكتاب من الذين أمنوا، بحيث عملوا على أن يردوهم عن دينهم بعد أن تبين لهم الحق في التوراة في شأن النبي [3]، فأمر الله عزوجل رسوله الكريم أن يعفوا عنهم، فكان صلى الله عليه سلم وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب، كما أمرهم الله، ويصبرون عن الأذى، وكان رسول الله يتأوَّل من العفو ما أمره الله به، حتى أَذِنَ الله فيهم

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج12 – ص468/30.

[2] سورة البقرة: الآية 109.

[3] جلال الدين بن محمد المحلي، جلال الدين السيوطي: تفسير الجلالين، ص17.

بالقتل، فقتل الله به من قتل من صناديد قريش[1]، ففي الآية تلميح إلى ما يتمناه أهل الكتاب من الذين آمنوا، في أن يردوهم عن إيمانهم، وتلميح إلى أنّ الله عزَّوجل لم يأذن رسوله الكريم بالقتل في سياق نزول هذه الآية بعد.

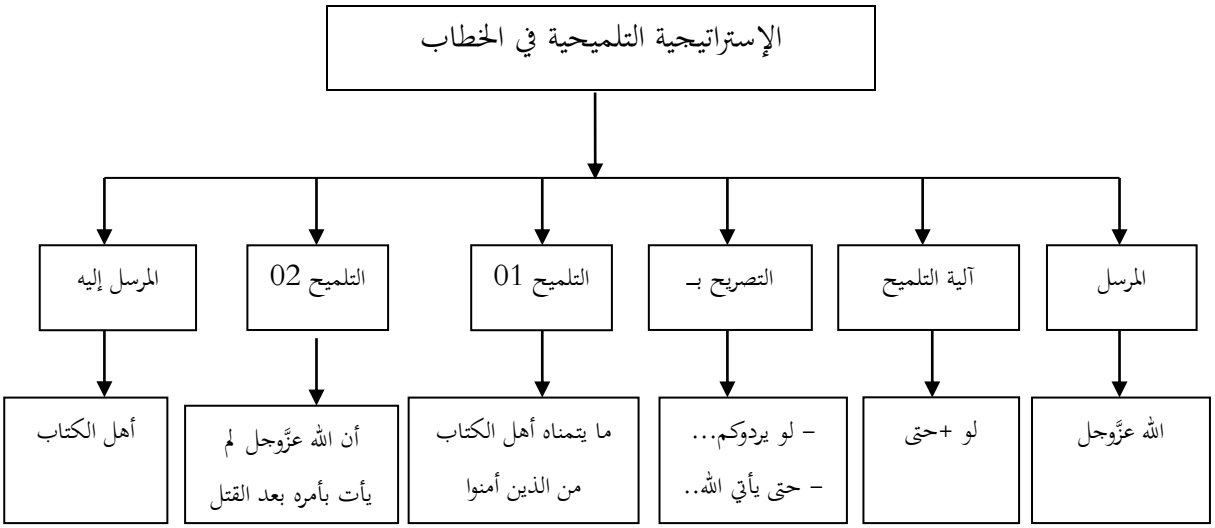

– يقول تبارك و تعالى فيهم :« قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ »[2]، المقصود بأهل الكتاب اليهود والنصارى جميعًا، فأما اليهود فلأنَّهم مأمورون بإقامة الأحكام التي لم تنسخ من التوراة، والايمان والإنجيل إلى زمن البعثة المحمدية، وبإقامة أحكام القرآن المهيمن على الكتاب كله، وأمَّا النصارى فلأنَّهم أعرضوا عن بشارات الإنجيل بمجيء الرسول من بعد عيسى عليهما السلام[3].

في الخطاب تلميح إلى أنّ اليهود والنصارى لم يقيموا التوراة والإنجيل، وبالتالي فهم ليسوا على الدِّين والتقوى، وقد فند هذا الخطاب مزاعمهم في أنَّهم متمسكين بالتوراة والإنجيل.

[1] أبي الفداء اسماعيل بن كثير :تفسير القران الكريم، ص143/1.

[2] سورة المائدة: الآية 68.

[3] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج3 – ص265/6.

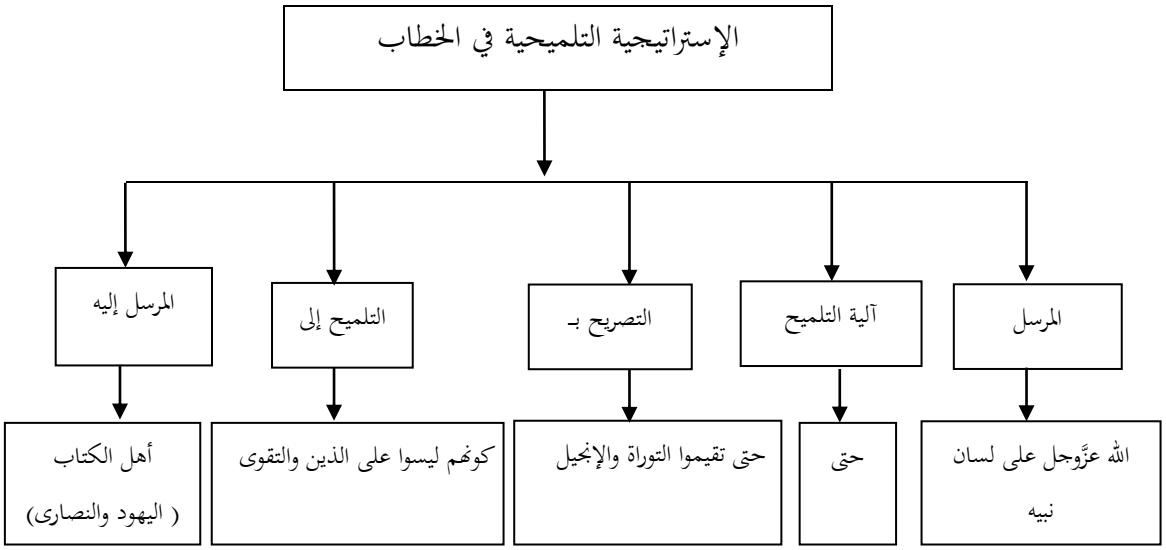

– وَرَدَ التلميح في خطاب أهل الكتاب بآيات ووسائل بلاغية، مثل ما جاء في قوله تعالى :« وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ »[1]، التشبيه يوحي إلى الإستهزاء بدين الله ونبيِّه، وتلميح إلى عنادهم، وإصرارهم على الكفر والشرك، فتمنَّوا أن يعبدوا الأصنام والبقر بدلا من الله عزَّوجل، فالخطاب صرح بالمعنى وهو إتِّخاذهم الأصنام وهي صور البقر إلهًا لهم، وقد كان البقر يَعْبَدُ عند الكنعانين، لأن القوم هم الكنعانيون [2]، ولم يصَّرح بإتخاذهم إلهًا من دون الله، وهذا تلميح أيضا إلى أنهم لا يعبدون الله عزَّوجل وهم في شرك وكفر:

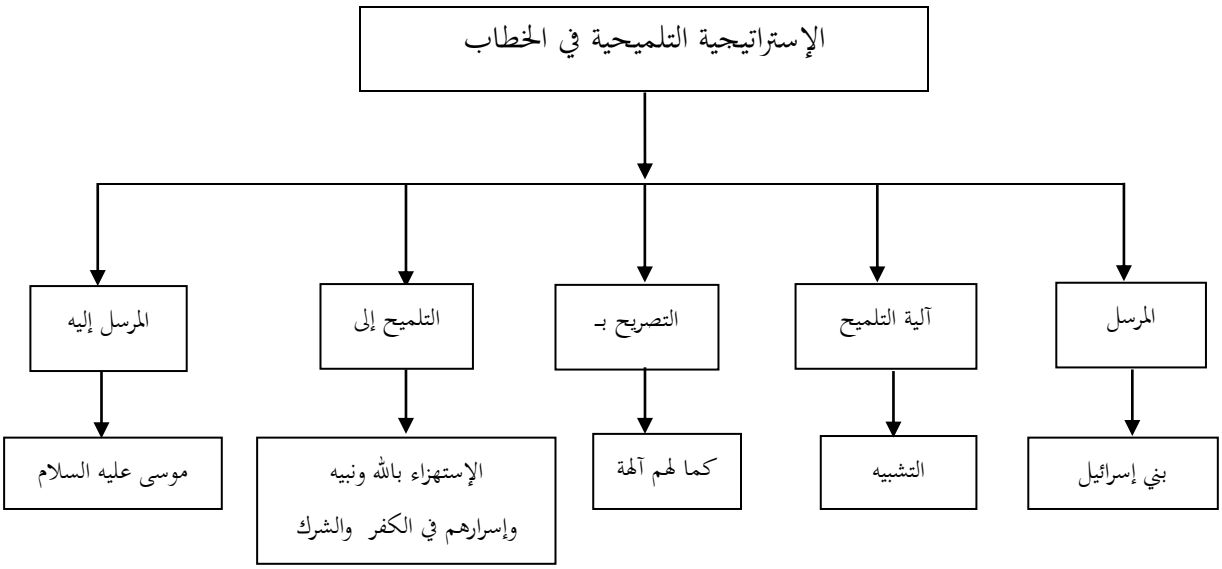

[1] سورة الأعراف: الآية 138.

[2] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج4 – ص80/9.

في آية أخرى من سورة الأعراف يقول الله عزَّوجل:« فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ [1] »، أي خلف هذا الجيل جيل أخر فيهم الصالح والطالح، خلف أخر لا خير فيهم، وقد ورثوا دراسة هذا الكتاب (وهو التوراة)، وقال مجاهد هم النصارى (يأخذون عرض هذا الأدنى) أي يتعاضون عن بذل الحق ونشره بعرض الحياة الدنيا، ويسوفون انفسهم ويعدونها بالتوبة، وكلما لاح لهم مثل الأول وقعوا فيه، ولهذا قال:« وأنّ يأتهم عرض مثله يأخذوه » يعلمون الذين ثم يستغفرون الله منه، فان عرض ذلك الذنب أخذوه[2]. الخطاب فيه تلميح تظمنه الملفوظ « وأن يأته عرض مثله يأخذوه » يتمثل في دوام الوقوع في الحرام وإستمراريتهم فيه كلما عرض عليهم، وهذا ما يدله اللفظ المصرح به "مثله" وهي العروض المحرمة التي تشبه سابقتها:

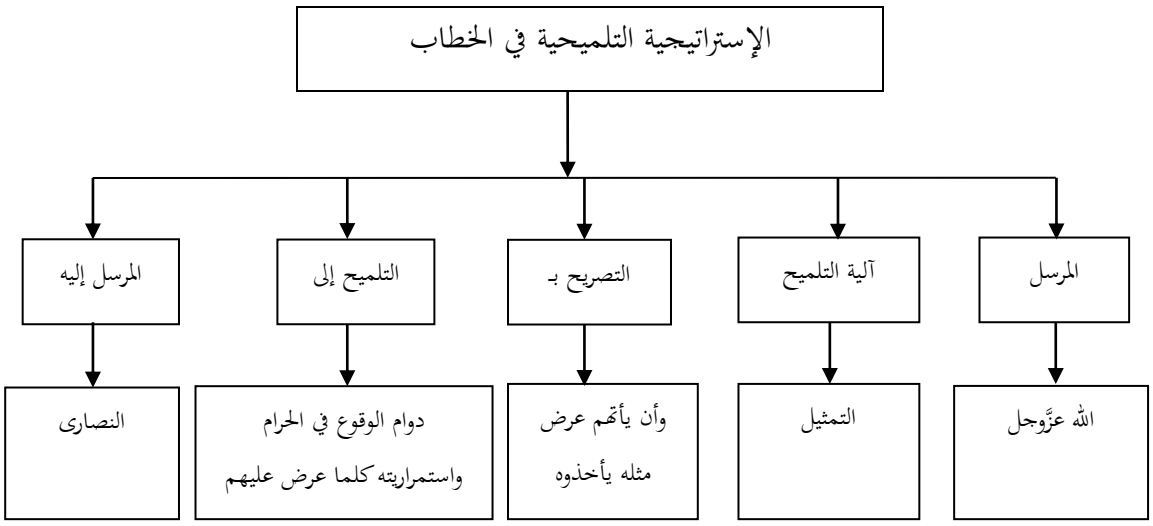

-كما قال الله عزَّوجل:« وَرَسُولا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ[3] »، أي جعل عيسى عليه السلام رسولا لبني إسرائيل، وحتى يبين لهم أن الله أرسله إليهم، جاءهم بمعجزة من المعجزات، وهي طير من طين فينفخ فيه ليكون طيرا بإذن الله، وهذا خطاب مصرح به، أما الخطاب

[1] سورة الأعراف: الآية 169.

[2] أبي الفداء اسماعيل بن كتير: تفسير القران العظيم، ص245/2.

[3] سورة آل عمران: الآية 49.

الغير مصرح به أو المضمر، يتمثل في مدى عظمة الله عزَّوجل وقوته، والتلميح إلى عظمة أنبيائه ورسله بإذنه.

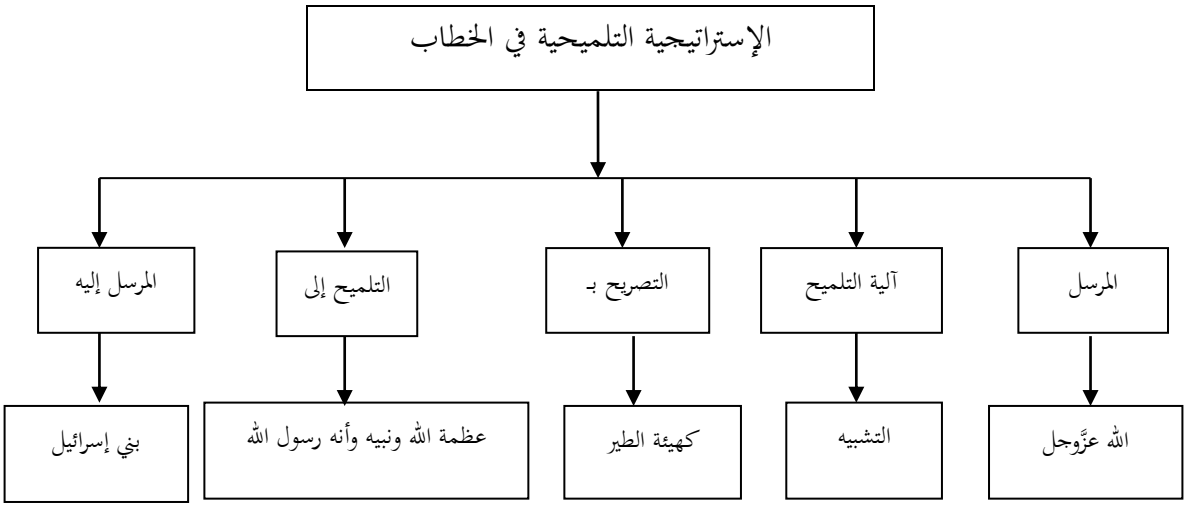

- خاطب الله تبارك وتعالى العلماء من أهل الكتاب يقول:« الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ [1] »، ورود المسند إليه إسم موصول، مفتقر إلى جملة الصلة، وليس اسما صريحا من أسماء أهل الكتاب، دلالة على أن الخطاب ليس لعامة أهل الكتاب وإنما علمائهم فقط، الذين لهم علم بالكتاب، إذ لو كان عاما في الكل لامتنع الكتمان، لأن الجمع العظيم لا يجوز عليهم الكتمان[2]، وفي اسناد المعرفة بالنبي صلى الله عليه وسلم (إلى الذين آتيناهم الكتاب) زيادة تأكيد على حقيقة معرفتهم به كونهم أهل الكتاب، والذي يستلزم معرفة ما في هذا الكتاب من إسمه وصفته، وفي ذلك دلالة تبكيت لهم وتشنيع بهم، فالتشبيه الوارد في الآية هو تشبيه محسوس مشاهد، أريد منه الوجه والصورة، وفي الخطاب تلميح جهلهم للكتاب رغم معرفته حق المعرفة، وعدم العمل به:

[1] سورة الأنعام: الآية 20.

[2] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص 189/12.

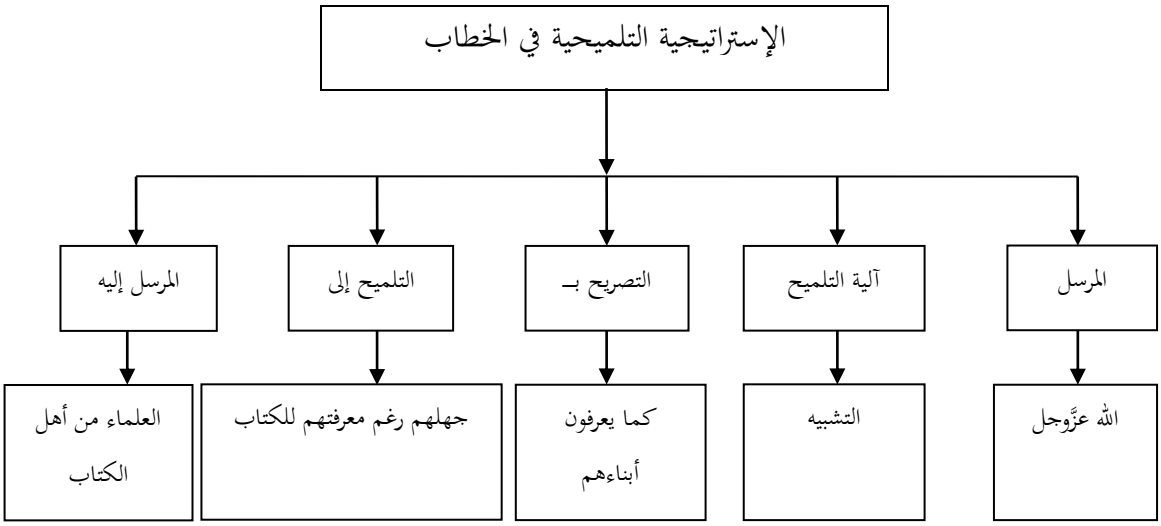

- في التلميح الى عدم اهتداء أهل الكتاب أو الايمان بالله ورسوله يقول الله تبارك وتعالى:« فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ »[1]، في هذا الخطاب يقول تعالى إن آمن الكفار من أهل الكتاب وغيرهم أيها المؤمنون، بجميع كتب الله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم فقد أصابوا الحق وأرشدو إليه، وإن تولوا عن الحق الى الباطل بعد قيام الحجة عليهم فإنما هم في شقاق وخلاف معكم، فسينصرك عليهم ويظفرك بهم وهو السميع العليم[2]. أي فإن صاروا مؤمنين بمثل ما به صرتم مؤمنين فقد إهتدوا، فالتمثيل في الآية بين الايمانين والتصديقين[3] والخطاب في الآية وإن كان موجه للرسول (ص) والمؤمنين، إنما يعني بالدرجة الأولى أهل الكتاب، حيث إشترط حصول الهداية لهم بالإيمان بمثل ما آمن به المسلمون، أي أن يصدقوا مثل تصديق المؤمنين بالكتب والأنبياء[4].

من خلال دلالة الآية ومقاصدها تتبين دلالة مضمرة غير مصرح بها، تتمثل في التلميح إلى أن أهل الكتاب لم يؤمنوا ولم يهتدوا إلى دين الحق، كما آمن الرسول عليه الصلاة والسلام:

[1] سورة البقرة: الآية 137.

[2] أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القران الكريم، ص174/1.

[3] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص 93/4.

[4] محمد بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ص 114.113/3.

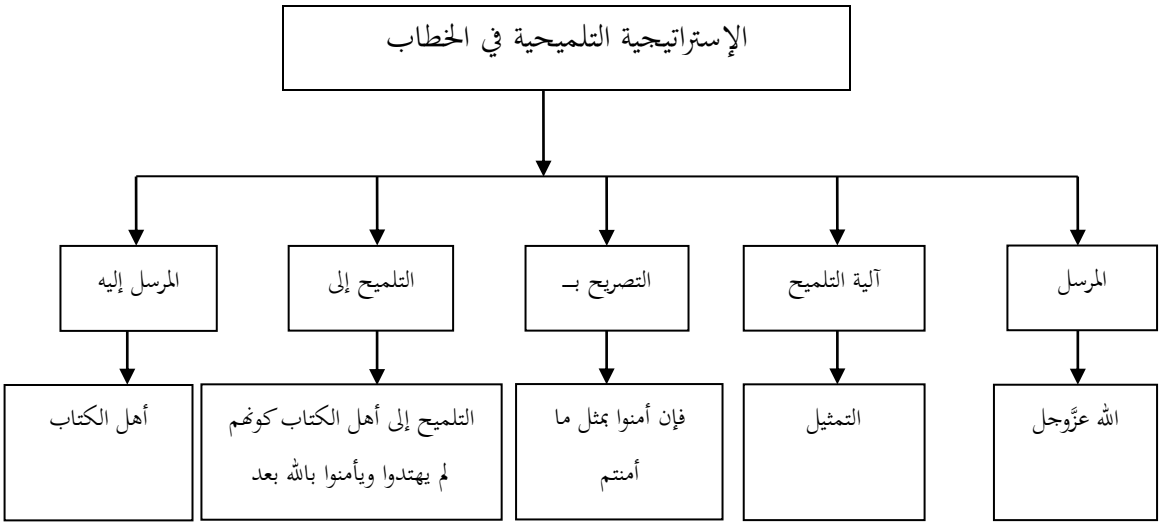

فالمرسل للخطاب هو الله عزَّوجل والمرسل اليه الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين، لكن المقصود منه أهل الكتاب، ورد التلميح بآلية بلاغية تتمثل في التمثيل تلميحا الى كفرهم وشركهم بالله، وعدم الإيمان بأنبيائهم.

-كما يظهر التلميح إلى عناد أهل الكتاب وجهلهم لآيات الله التي بيَّنَهَا لهم في أكثر من مناسبة، خاصة اليهود، ويقول الله عزَّوجل:« وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢)فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣)ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ.[1] » في الخطاب تلميح إلى عظمة الله عزَّوجل، وعدد الآيات التي أظهرها لليهود، والتي تثبت لهم عظمته، ومن جهة أخرى تلميح إلى عناد اليهود وكفرهم، وعدم الإيمان بهذه الآيات التي أظهرها لليهود، وعدم الإيمان بهذه الآيات والمعجزات وعظمة الله عزَّوجل، والملفوظ :« ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر ...»، يجوز أن يكون المخاطبون بقوله «قلوبكم » أهل الكتاب الذين كانوا في زمن محمد صلى الله عليه وسلم، أي إشتدت قلوبكم وقست وصلبت من بعد البيِّنات التي جاءت أوائلكم[2].

[1] سورة البقرة: الآية 74.72.

[2] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص137/4.

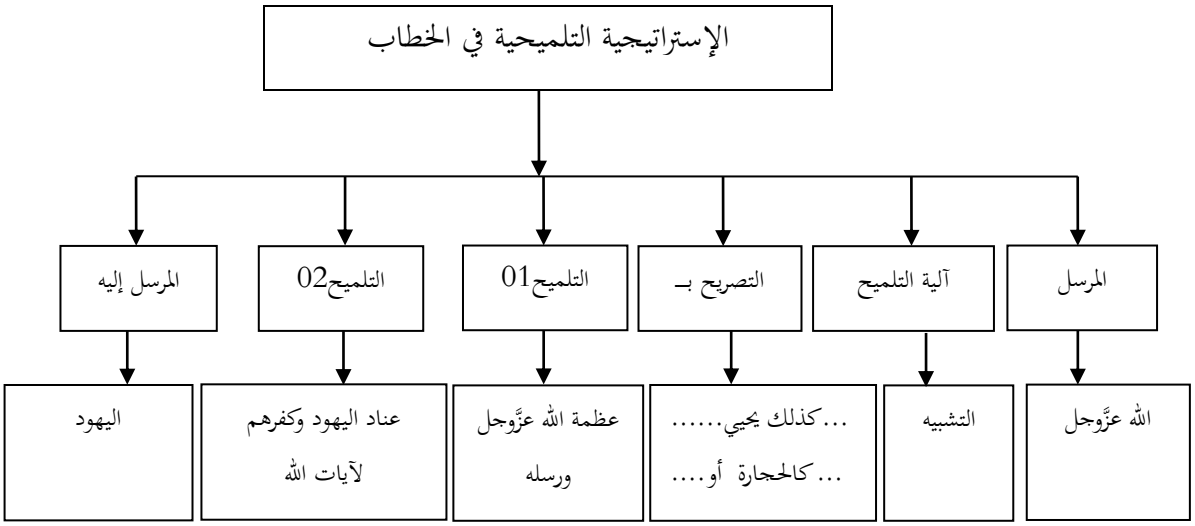

- يقول الله عزَّوجل مخاطبا العلماء من أهل الكتاب، وملمحا إلى عدم إيمانهم وكفرهم بالله وبأنبيائهم، وعاقبة ذلك:« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا »[1]، في هذا الخطاب تلميح من الله عزَّوجل إلى عاقبة من لا يؤمن بما أنزل من الكتب كالتوراة والإنجيل، وبالأنبياء، فاليهود طولبوا باتباع التوراة ومحبة رسولهم، فتجاوزوه إلى بعض الرسل كعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، والنصارى طولبوا بإتباع المسيح، فتجاوزوا فيه الحد إلى دعوى إلهتِه، أو كونه إبن الله مع الكفر بمحمد صلى الله علبه وسلم.

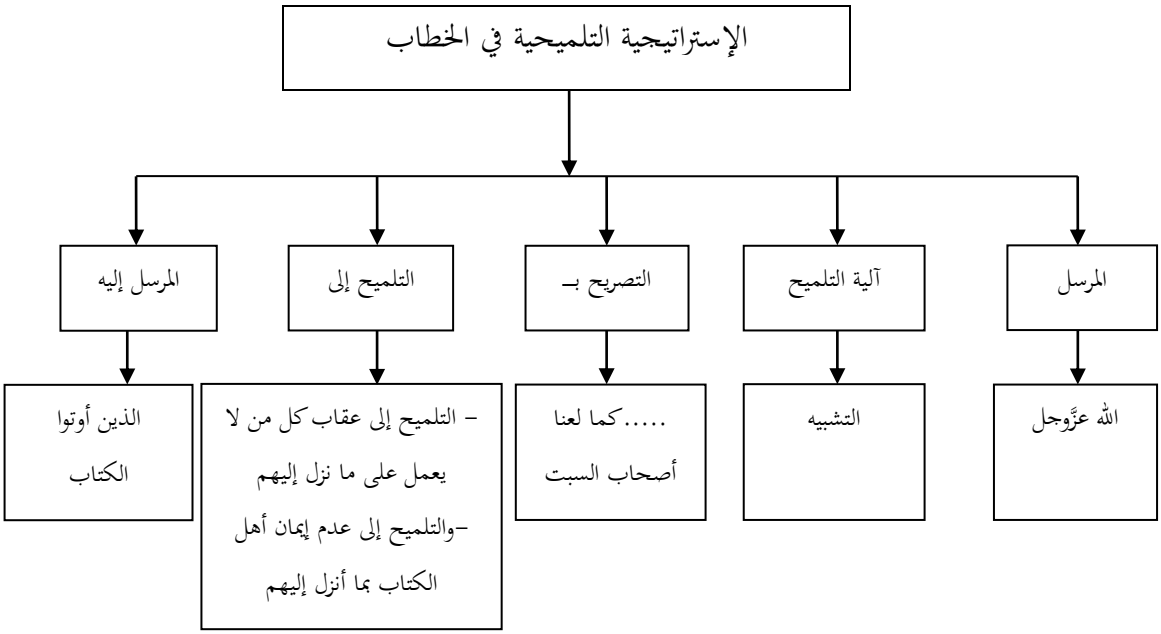

[1] سورة النساء: الآية 47.

- يقول الله عزَّوجل: « وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ »[1]، فالملفوظ «كأنهم لا يعلمون » دلالة على أنهم نبذوه عن علم ومعرفة لأنه لا يقال ذلك إلا فيمن يعلم، فدلت الآية من هذه الجهة على أن هذا الفريق كانوا عالمين بصحة نبوته إلا أنهم جَحَدُوا ما يعلمون، وقد ثبت أن الجمع العظيم لا يصح الجحد فوجب القطع بأن أولئك الجاحدين كانوا في القلة بحيث تجوز المكابرة عليهم[2] .

فلما جاءهم الرسول عليه الصلاة والسلام مصدقا لما معهم نبذ فريقا من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وهو التوراة، فجعلوه وراء ظهورهم، ولم يعلموا بما فيها من الإيمان بالرسل وغيره، كأنهم لا يعلمون ما فيها (التوراة) من أنها كتاب الله ونبيه عليه السلام ،فهذا تلميح إلى علمهم لكنهم ادّعوا الجهل والجحد وعدم العلم:

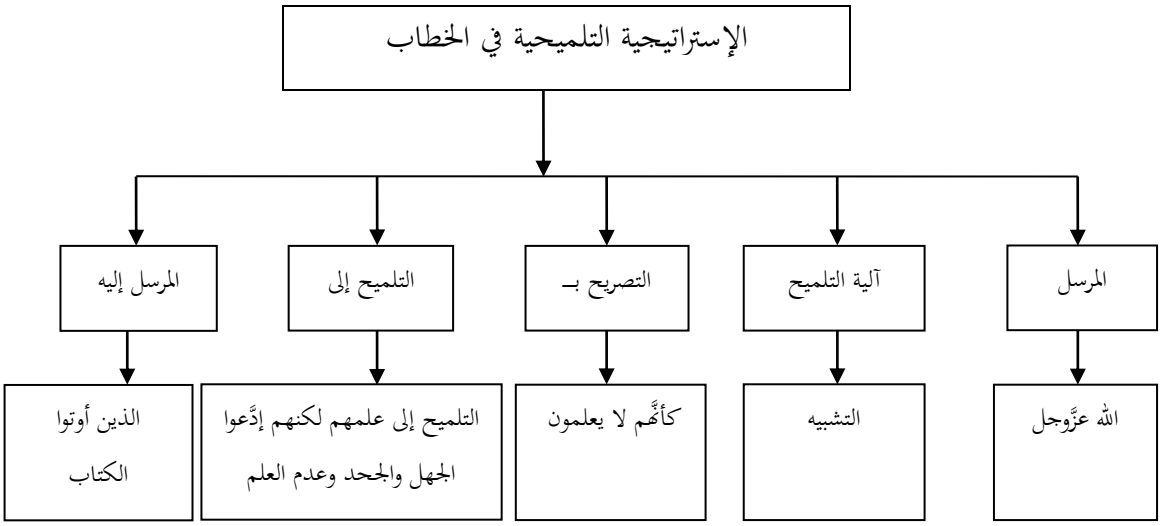

- التلميح في قوله تعالى إلى أن ما يأتي من أهل الكتاب يتنافى مع دين الله الحق:« وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) وَلا تُؤْمِنُوا إِلا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ »[3]، في الخطاب مكيدة من مكائد أهل الكتاب العديدة، بحيث يؤمنوا في النهار ويكفروا في الليل ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم، فهذا

[1] سورة البقرة: الآية 101.

[2] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص224/3.

[3] سورة آل عمران: الآيات 72.73.

تلميح إلى نيتهم التي تتنافى مع الدين، يريدون إلباسها للناس الضعفاء، حتى يشوهوا صورة دين الحق، ورسول الله الكريم، وصورة الاسلام:

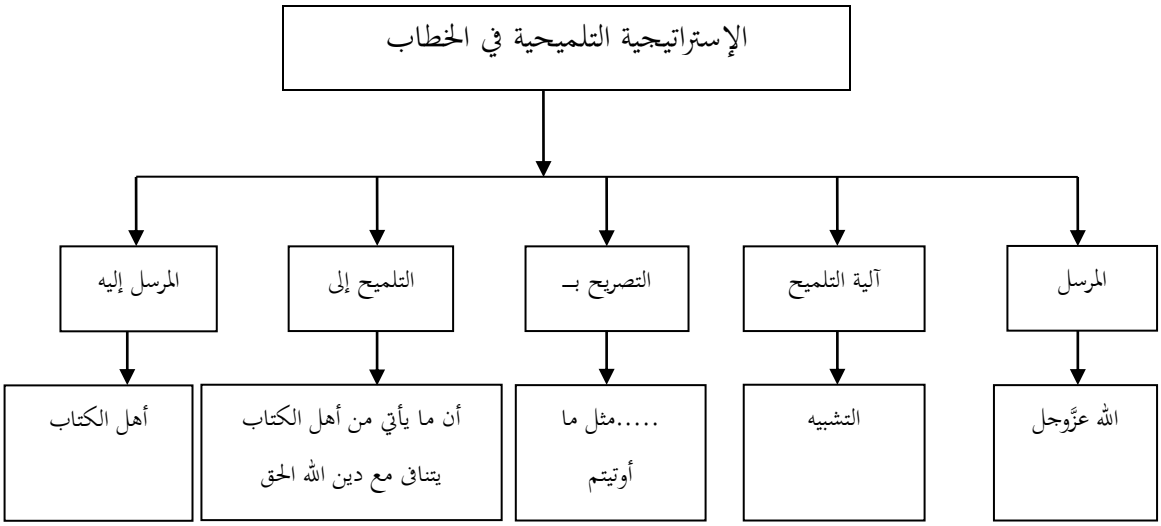

- يقول تعالى في حوار اليهود والنصارى:« وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ »[1]، فقوله:« كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم»، أي كمثل مقالتهم هذه قال الذين من قبلهم من الأمم مثل قولهم، والمراد بالذين من قبلهم اليهود والنصارى، فقد قال اليهود لموسى لن نؤمن لك حتى نَرَى الله جهرة، وسَأَلَ عيسى هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء، وفي هذا الكلام تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بأن مالقيه من قومه مثل ما لاقاه الرسل قبله [2]، وقوله: « تشابهت قلوبهم » فالقلوب هنا بمعنى العقول كما هو متعارف في اللغة العربية، وقوله تشابهت صيغة من صيغ التشبيه، وهي أقوى فيه من حروفه وأقرب بالتشبيه البليغ، فالتلميح يتمثَّل في الخطاب غير المصرَّح تشابهت قلوبهم به، وهو استمرار جحدهم وعنادهم واستكبارهم على الأنبياء والرسل، عبر مراحلهم التاريخية:

[1] سورة البقرة: الآية 118.

[2] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص689/1.

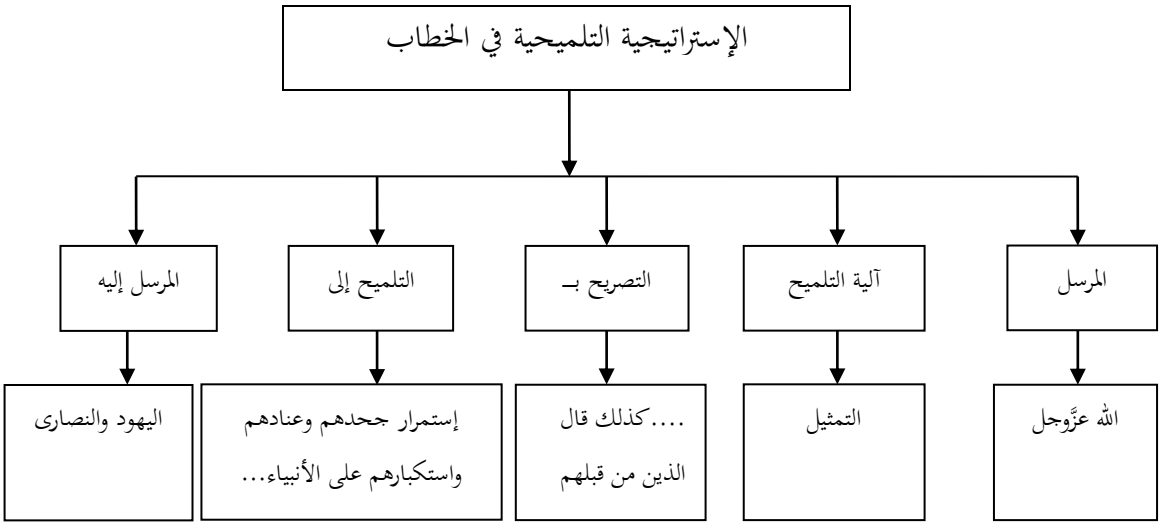

يقول الله تعالى مُخاطِبًا اليهود:« مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».[1]

يقول الله تعالى ذَامًّا اليهود الذينَ حملوا التوراة للعمل بها، فلم يعملوا بها، مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارًا، أي إذا حَمَلَ كُتُبًا لا يدري ما فيها، فهو يحملها حملًا حسِّيًا ولا يدري ما عليه، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه، حفظوه لفظًا ولم يفهموه، ولاَ عملوا بمقتضاه، بل أوَّلوه وحرَّفُوه وبَدَّلُوه، فهم أسوء من الحمير، لأنَّ الحمار لا فهم له، وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها.[2]

وهذا التمثيل مقصود منه تشنيع حالهم، وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس المتعارف، ولذلك ذيل يذم حالهم «بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله» [3] فالخطاب التلميحي الغير المصرَّح به هو كفرهم بالله وبأنبيائه وكتبه، حتَّى تجاهلوا كتابهم وحرَّفوه، وجهلهم بمعاني التوراة تكذيبًا بآيات الله.

[1] سورة الجمعة: الآية 05.

[2] أبي الفداء إسماعيل ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 334/4.

[3] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج11، ص214/27.

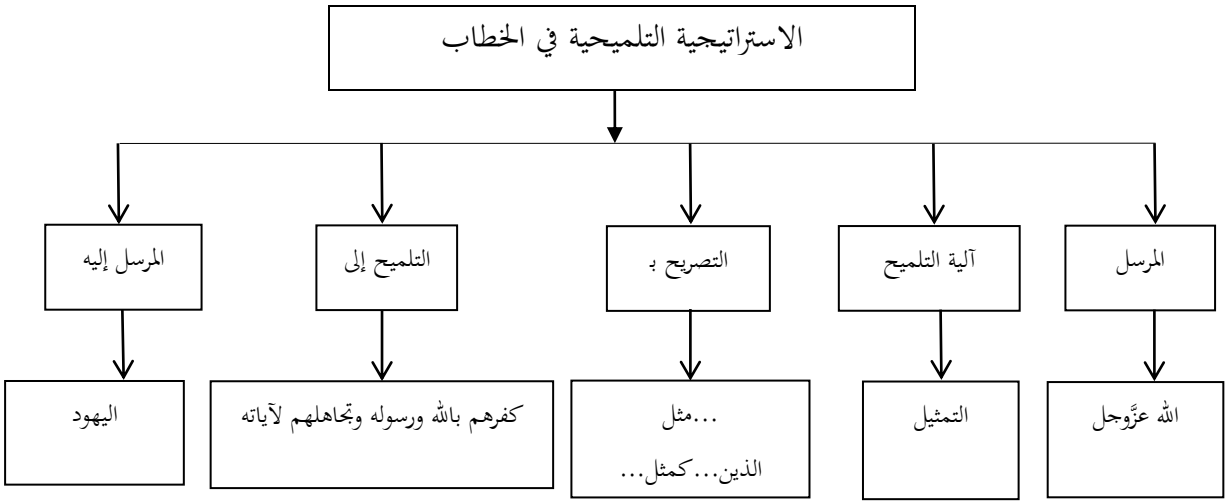

– يقول تبارك وتعالى مُلَمِّحًا إلى انتشار القتل في بني إسرائيل:« مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ »[1]، فمن أجل قتل إبن آدم أخاه ظلما وعدوانا، شرعنا لبني إسرائيل وأعلمناهم، أنه من قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ سبب من قصاص، أو فساد في الأرض، وإستحلَّ قتلها بلا سبب ولا جناية، فكأنما قتل الناس جميعا، ومن حرم قتلها وإعتقد ذلك، فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الإعتبار[2].

المقصود من التشبيه « فكأنما قتل الناس جَمِيعًا» تهويل القتل وليس المقصود قد قتل الناس جميعاً[3]، فالمضمر أو التلميح في الخطاب إلى إنتشار القتل في بني إسرائيل، والتلميح إلى تحريم القتل وتهويله بعدَمَا إنتشر عند اليهود بصورة كبيرة:

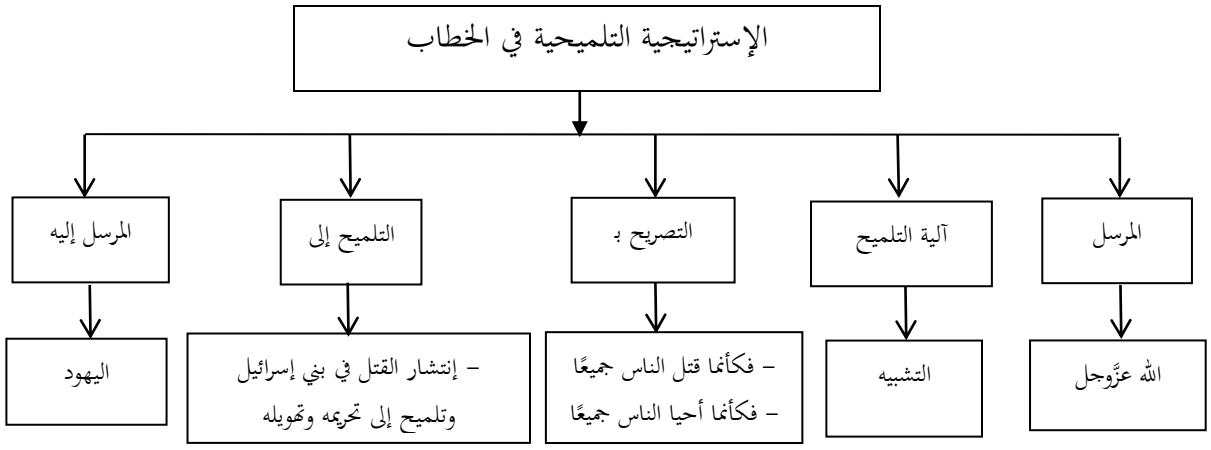

[1] سورة المائدة: الآية 32.

[2] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج11، ص214/27.

[3] أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 45/2.

-كما وَرَدَ التلميح في خطاب أهل الكتاب، بصورة غير مباشرة، بفعل إستعمال مجازي يصف حال أهل الكتاب فيما يَدَّعُونَهُ ويؤمنون به، ومن أمثلة هذا التلميح قوله تعالى:" وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩٣)[1]،في قوله: " أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ " نجد قد أستعير لفظ " أشربُوا" للتلميح إلى شدة إتِّصال اليهود في عبادة العجل دُونَ الله عزَّوجل، فإتصالهم بذلك وسريانه، كإتِّصال وسريان الماء في الأجسام، والإشراب هو جعل الشيء شاربًا، وأستعير لجعل الشيء متَّصلاً بشيء وداخلاً فيه، ووجه الشبه هو شدة الإتِّصال والسريان، لذلك أستعيرَ الإشراب لشدة التداخل إستعارة تبعية [2]، فأُشرِبُوا قلوبهم حب عبادتهم العجل[3].

- التلميح في الآية يحمله المعنى المضمر هو كرههم عبادة الله عزَّوجل، وهذا يعكس حُبِّهم عبادة العجل:

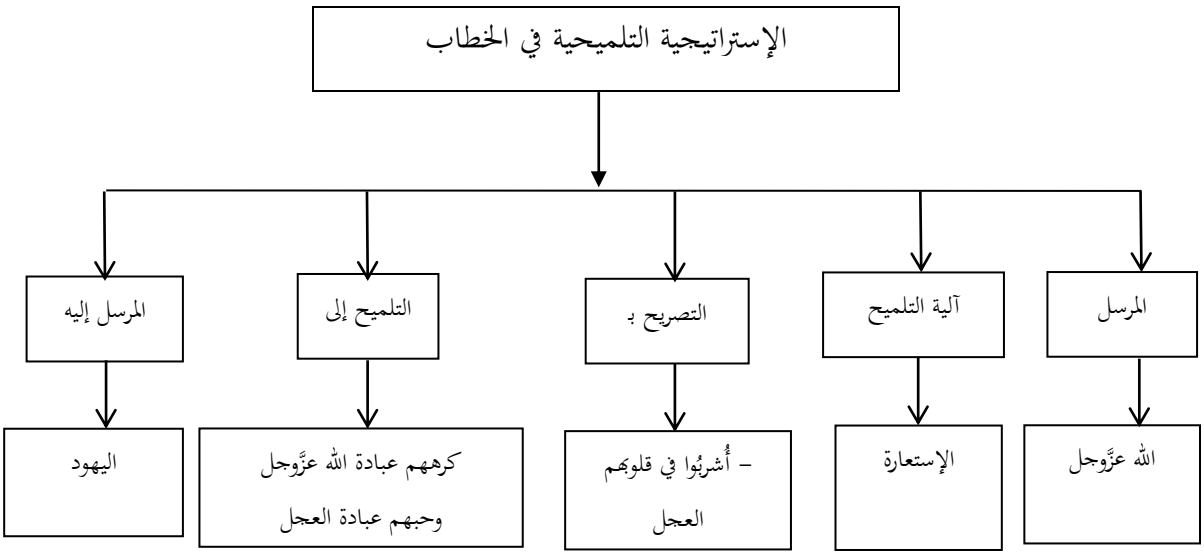

- يقول الله عزَّوجل في صورة تلميحية أخرى: «وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ (١٢٠)»[4]، فقول عزَّوجل: « حَتَّى تَتَّبِعَ» كناية عن اليأس من إتِّباع اليهود والنصارى لشريعة

[1] سورة البقرة: الآية 93.

[2] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص 611/1.

[3] أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 118/1.

[4] سورة البقرة: الآية 120.

الإسلام يومئذٍ لأنهم إذَا كانوا لا يرصون إلاّ بإتِّباعه ملتهم فهم لا يتبَّعون ملَّته، ولما كان إتباع النبي ملتهم مستحيلاً كَانَ رضاهم عنه كذلك[1]، وقد إستدل كثير من الفقهاء على أنَّ الكفر كله ملَّة واحدة[2]، فالتلميح تبَيَّنَ من الكتابة، عن يأس اليهود والنصارى وعدم رضاهم بالرسول عليه الصلاة والسلام، ودينه وأتباعه:

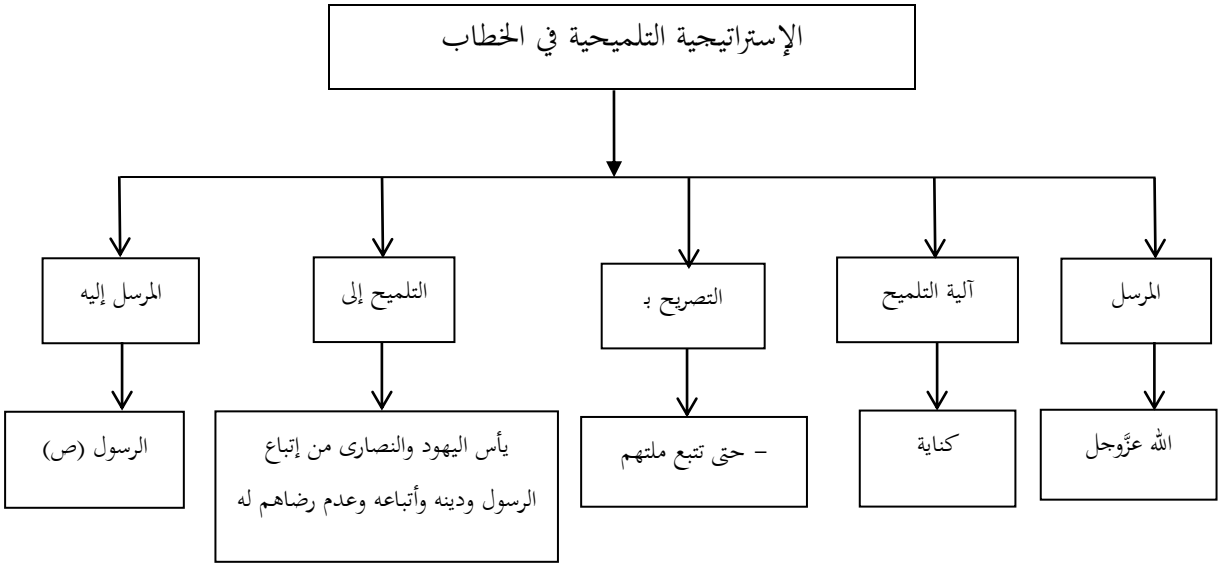

– يقول الله عزَّوجل في قوم طالوت من بني إسرائيل:« فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلا قَلِيلا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩)وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ »[3]، ففي قوله: « الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللَّهِ » أي الذين لا يحبُّونَ الحياة ويرجون الشهادة في سبيل الله، لقاء الله هنا كناية عن الموت في مرضاة الله شهادة[4]، فهو تلميح إلى حُبِّ الجهاد في سبيل الله والإستشهاد من أجله ودين الحق، وفي قوله: « رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا » إستعارة، بحيث أستعير لفظ «أفْرِغْ » لَطَلَبَ الصبر الكثير في المعركة، ولفظ « ثَبِّت » لطلب الثبات في المعركة، فشبَّه الثَّبات

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص693/1.
[2] أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 152/1.
[3] سورة البقرة: الآيات 249، 250.
[4] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص499/2.

في المعركة بتثبيت الأقدام وهو إستعارة لعدم الفرار، شبه الفرار والخوف بزلق القدم[1]، ففي الخطاب تلميح إلى عزيمتهم وقوتهم ورضاهم في الإستشهاد في سبيل الله، وهذا ما تضمنه القول الغير صريح والمضمر المتمثل في الصبر الكثير وتثبيتهم في المعركة:

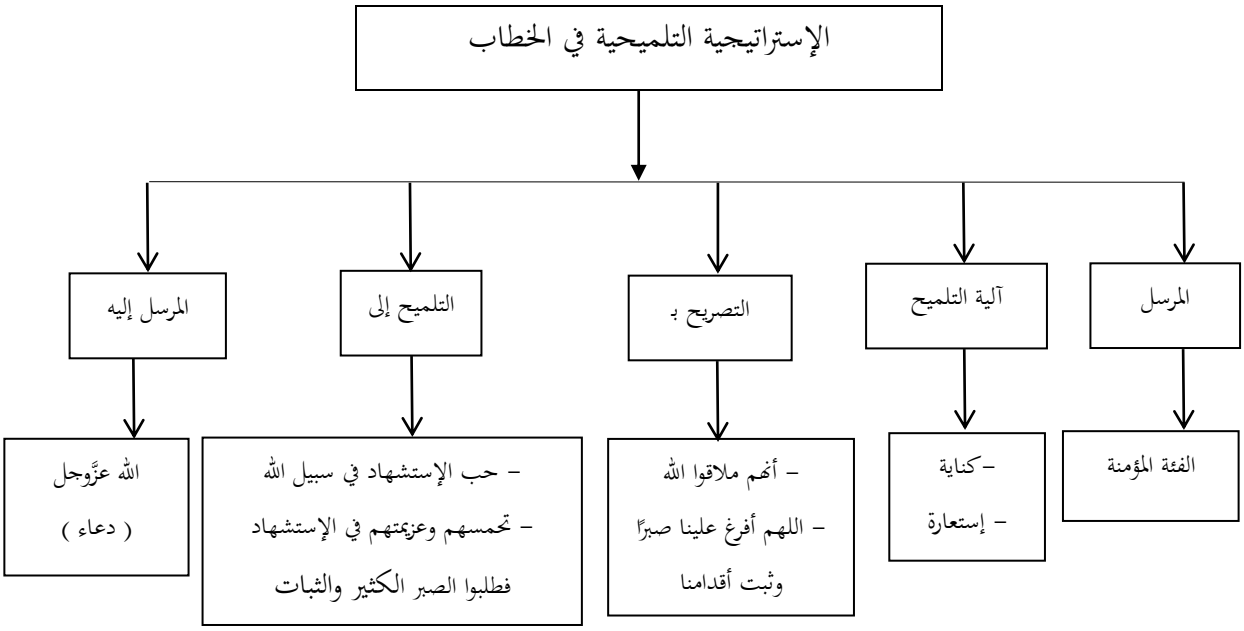

- يقول الله عزَّوجل:« إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ »[2]، فمعنى قوله تعالى: « وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ »، وهو غضب عليهم إذ قد شاع نفي الكلام في الكناية عن الغضب، وشاع إستعمال النظر في الإقبال والعناية، ونفي النظر في الغضب، فالنظر المنفي هنا نظر خاص، وهاتان الكنايتان يجوز معهما إرادة المعنى الحقيقي[3]، ففي الآية معنى صريح وآخر مضمر، فالصريح منه تمثَّل في أنَّ الله عزَّوجل لا يكلمهم (اليهود) كلام لطف، ولا ينظر إليهم بعين رحمة [4]، أمَّا المضمر وهو الخطاب التلميحي، إنطلاقا بما هُو مصرّح به، فهذا يدلُّ على أنَّ الله عزَّوجل غضب عليهم لِمَا فعلوه وخالفوه:

[1] المرجع نفسه: ص، ن.

[2] سورة آل عمران : الآية 77.

[3] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مج2، ص 3/ 290.

[4] أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص348/1.

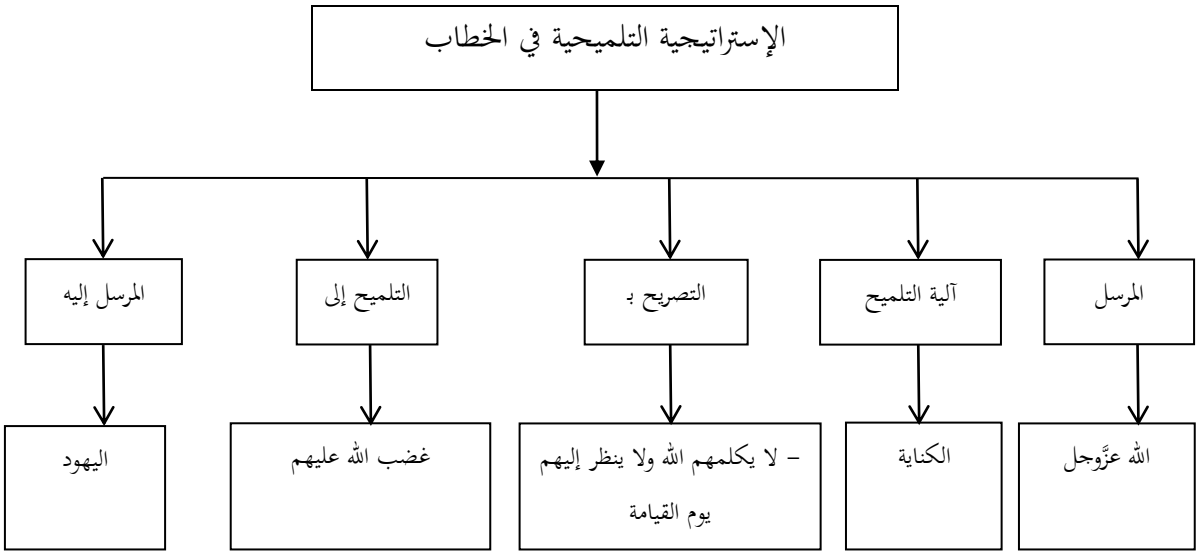

تلميحًا للَّذين يخالفُون عهد الله والناس من اليهود، والمتمسِّكين بكل حال إلاَّ الله وعهد الناس، يقول الله عزَّوجل فيهم:« ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنقيامةَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ »"[1]، فمعنى " ضرب الذلة " إتصالها بهم وإحاطتها، ففيه إستعارة مكنية وتبعية، شبهت الذلة، وهي أمر معقول، بقبة أو خيمة شملتهم، وشبه إتصالها وثباتها بضرب القبة وشدة أطنابها[2]، وقوله عزَّوجل: « إلا بحبل من الله وحبل من الناس » فالحبل مستعار للعهد، أي عهد من الله وعهد من الناس، والتقدير: ضربت عليهم الذلة متلبسين بكل حال إلاّ متلبسين بعهد الله وعهد الناس، فذهبوا بذلة إلا بحيل الله، والمعنى لا يسلمون من الذلة (اليهود) إلاّ إذا تلبسوا بعهد من الله، أي ذمة الإسلام، أو إذا إستنصروا بقبائل أولي بأس شديد، وأما هم في أنفسهم فلا نصر لهم، وهذا من دلائل النبوة، فإنَّ اليهود كانوا أعزة بيثرب وخيبر والنضير وقريضة، فأصبحوا أذلة وعمتهم المذلة في سائر أقطار الدنيا[3].

فالخطاب التلميحي الغير مصرَّح به يتمثَّل في كونهم غير متلبِّسين بعهد الله وعهد الناس، فهم يُخَالِفُونَ العهود والمواثيق والأمانة، فهم متمسِّكين بكل حال إلاّ عهد الله والناس، بحيث كانُوا يكفُرونَ بآيات اللهِ ويقتلون الأنبياء بغير حق.

[1] سورة آل عمران: الآية 112.

[2] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مج2، ص 55/4.

[3] المرجع نفسه: ص 56.

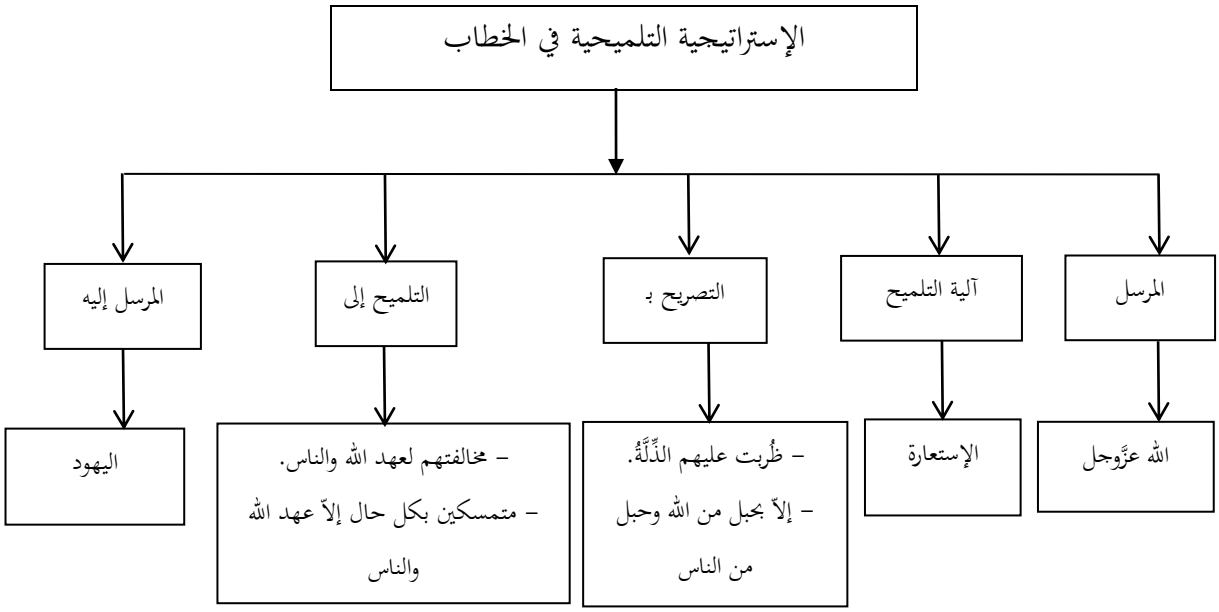

–كما خَاطَبَ الله عزَّوجل المنافقينَ من اليهود أيضًا، مبِّينًا شدة غيظهم وتحسُّرهم، وهي صفة من صفاتهم، بحيث يقول: « هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ »[1]، يُعِّبر عن شدة الغضب بعض الأنامل مجازًا وإن لم يكن ثمَّ عض[2]، وعض الأنامل كناية عن شدة الغيظ والتحسر، وإن لم يكن عض الأنامل محسوسًا، ولكن كني به عن لازمه في المتعارف، فإنَّ الإنسان إذا إضطرب باطنه من الإنفعال صدرت عنه أفعال تناسب ذلك الإنفعال، كعظ أصابعه من الغيظ[3]، وهي أفعال متعارف عليها عند العرب، فالخطاب المصرَّح به شيء ملموس، أريد به شيء محسوس وهو الغيظ وشدة الغضب والتحسُّر، فالتلميح بيَّنَهُ الخطاب المصرَّح به، وما يحمله من دلالة متعارف عليها عند العرب، وهي صفة من صفات منافقي اليهود (الغيظ والحسد):

[1] سورة آل عمران: الآية 119.

[2] جلال الدين محمد المحلي، جلال الدين السيوطي: تفسير الجلالين، ص65.

[3] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مج2، ص 65/4.

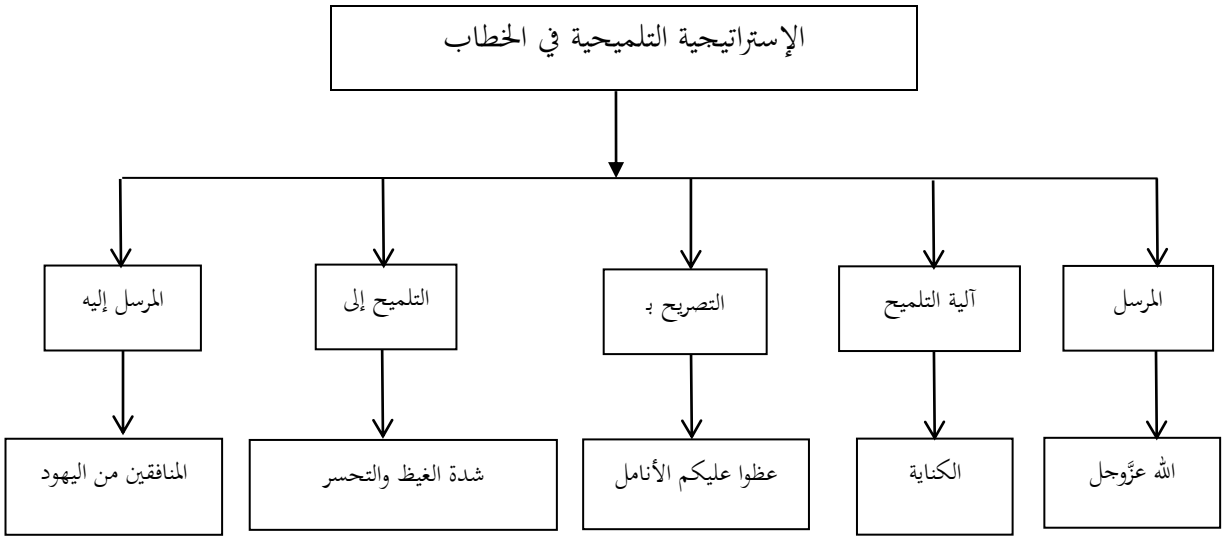

– وقوله تعالى مُلَمِّحًا إلى جزاء من كَفَرَ بالله وإفترى بآياتِهِ، وقتل لأنبيائه « لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ»[1]، فالملفوظ «ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ» هو أمر الله بأن يدخلُوا النار، والذوق حقيقته إدراك الطعوم، وإستعمل هنا مجازاً مرسلاً في الإحساس بالعذاب فعلاقته الإطلاق، ونكتته أن الذوق في العرف يستتبع تكرر ذلك الإحساس لأنَّ الذوق يتبعه الأكل، وهذا الإعتبار يصح أن يكون «ذوقوا » إستعارة، وقد شاع في كلام العرب إطلاق الذوق على الإحساس بالخير أو بالشر[2].

فالمصرَّح به هو أن يَذُوقُوا (اليهود) عذاب الحريق، والحريق يدل على النار، والتقدير: ذُوقُوا عذاب النار، وهي نَارَ جَهَنَّم، تلميحاً إلى جزائهم المتمثِّل في دخولهم لجهنم، ليتذوَّقُوا مِرَارًا وتكرارًا نارها، نتيجة لما إفترته أفواههم وأيديهم، كَمَا دَلَّت « الكتابة » على معنى تلميحي يتمثَّل في عدم الصفح عنهم ولا العفو، فتكون الكتابة كناية عن المحاسبة وعدًا وتهديدًا لهم (اليهود)[3]:

[1] سورة آل عمران: الآية 181.

[2] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مج2، ص 184/4.

[3]– المرجع نفسه: ص ن.

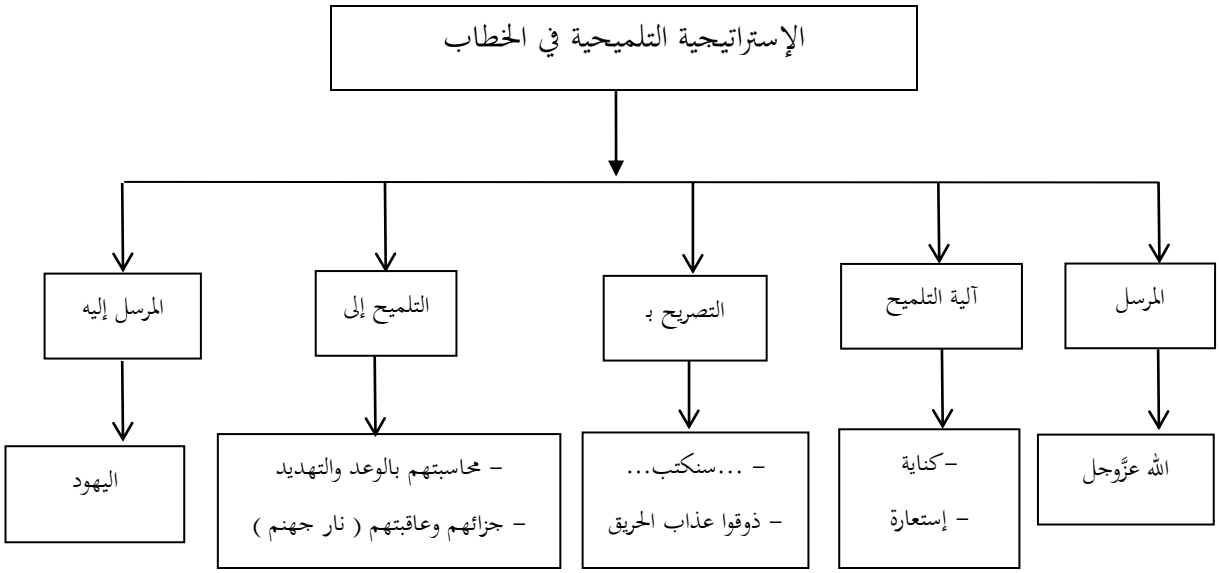

- تلميحا إلى نقض العهد وعدم التمسك به ومخالفته، يقول الله تبارك وتعالى فيهم: " وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ "[1]،هذا الخطاب توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب، الذين أخذ عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأن يذوقوا بذكره في الناس ليكونوا على أهْبَة من أمره، فإذا أرسله الله تابعوه، فكتموا ذلك وتعوضوا عَمَّا وعَدُوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف، فيئست صفقتهم وبيعتهم[2].

الملفوظ في قوله:" فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ" المراد أنهم لم يراعوه ولم يلتقوا إليه والنبذ وراء الظهر مثل الطرح وترك الإعتداد، ونقيضه: جعله نصب عينيه وإلقاؤه بين عينيه وقوله" وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا" معناه أنهم أخفوا الحق ليتوسلوا به إلى وجدان شيء من الدنيا، فكل من لم يبين الحق للناس وكتم شيئًا منه لغرض فاسد، من تسهيل على الظلمة وتطييب لقلوبهم، أو لجر منفعة، أو لتقية وخوف، أو لبخل بالعلم دخل تحت هذا الوعيد[3].

الملفوظ " فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ " مُصرَّحٌ به يحمل دلالة أو قصد من وراءه يتمثَّل في عدم تمسكهم بالعهد ومخالفته، فالنبذ هو الطرح والإلقاء، وهو هنا مستعار لعدم العمل بالعهد تشبيهًا للعهد بالشيء المنبوذ في عدم الإنتفاع به، و" وراء الظهور " هنا تمثيل للإضاعة والإهمال، لأن شأن الشيء المهتم به

[1] سورة آل عمران: الآية 187.

[2] أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص404/1.

[3] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص 135/9.

المتنافس فيه أن يجعل نصب عينيه ويحرس ويشاهد، وشأن الشيء المرغوب عنه أن يستدير ولا يلفت إليه، وفي هذا التمثيل ترشيح لإستعارة النبذ لإخلاف العهد[1]. ففي الآية تلميح إلى عدم تمسك اليهود بالعهد ومخالته، وَرَدَ من خلال ما صَرَّحَ به المرسل، وما إستعاره من لفظ بحمل معنى ضمني:

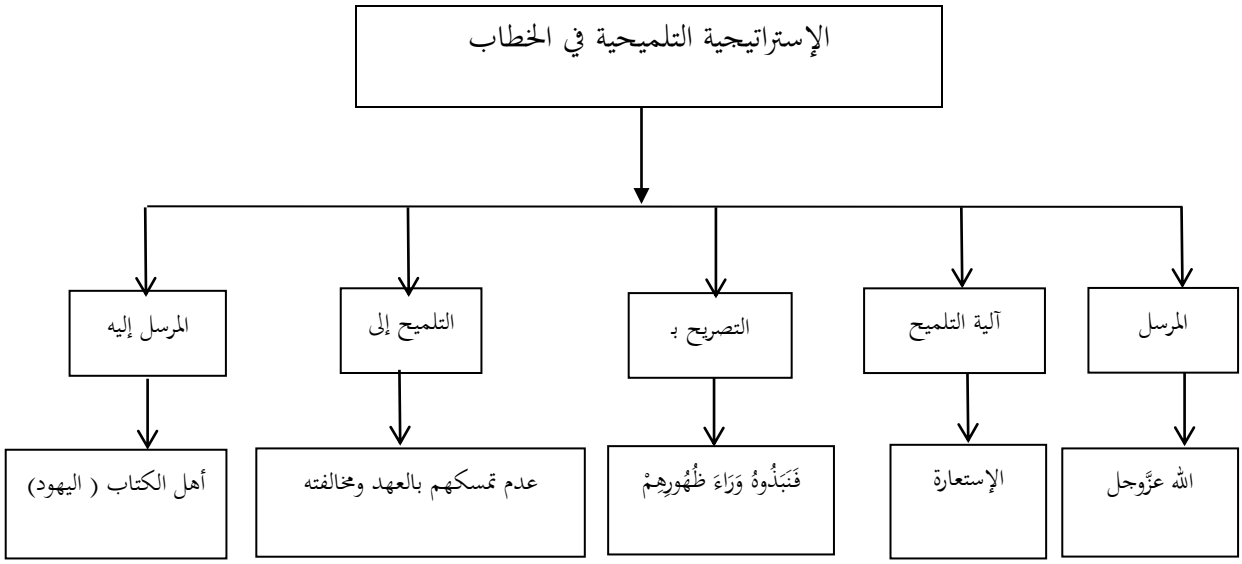

- يظهر من جهة أخرى التلميح إلى إستحالة أن تلن قلوب اليهود وإستمرارية خيانتهم في قوله تعالى: « فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إلا قَلِيلا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» [2]، فالملفوظ في قوله : «جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً » تصريحٌ يُخيلُنا إلى وجهه التلميحي المتمثل في أن اليهود لم تلن قلوبهم رغم ما نهاهم عنه الله عزَّوجل والأنبياء، وما أمرهم به، ورغم الآيات التي بعثها لهم، فقساوة القلب مجاز، إذ أصلها الصلابة والشدة، فأستعيرت لعدم تأثر القلوب بالمواعظ والنذر [3]، والملفوظ « ... لاتَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ»، الإطِّلاع كناية عن المطلع عليه، أي لا يَزَالُونَ يخُونُونَ فتطَّلع على خيانتهم، فالملفوظ وصفي يبرز دوام سمة الخيانة فيهم [4].

الخطاب بشكل عام تلميح إلى إستحالة ليونة قلوبهم وإستمرارية خيانتهم.

[1] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مج2، ص 192/4.

[2] سورة المائدة: الآية 13.

[3] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مج3، ص 6 /143.

[4] المرجع نفسه: ص 144.

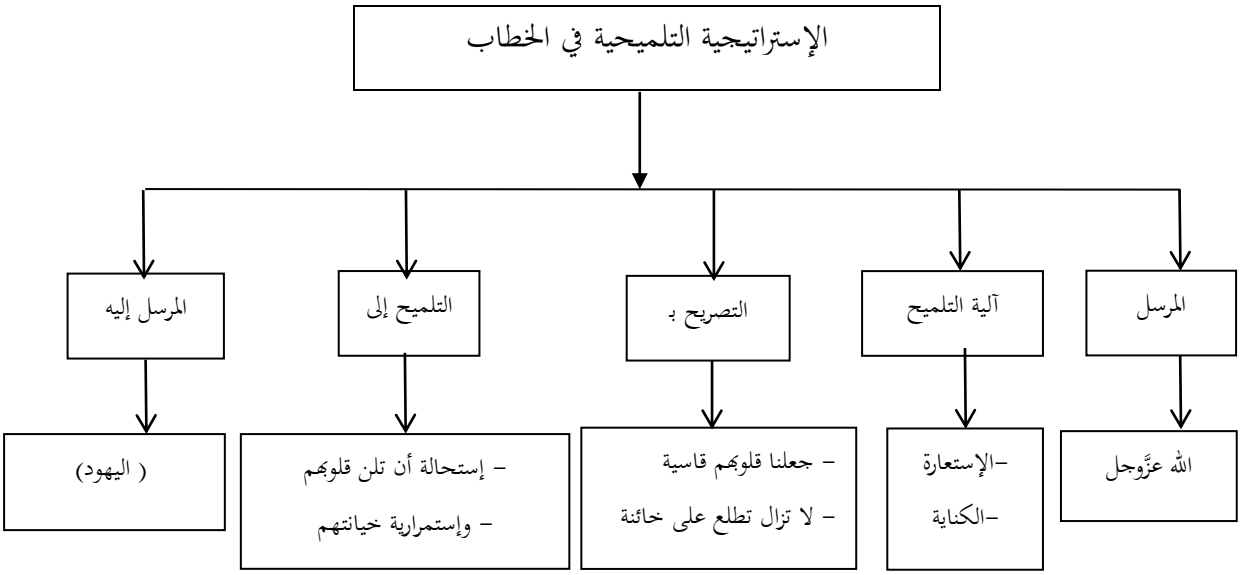

- يقول الله عزَّوجل في المنافقين واليهود: « سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » [1]، فالملفوظ " سماعون للكذب " خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هم سماعون للكذب، والضمير المقدّر عائد على الفريقين : المنافقين واليهود الذين يصغون إلى الكلام الكذب وهم يعرفونه كَذِبًا، أي أنهم يحلفون بذلك ويتطلبونه فيكثر سماعهم إياه، وفي هذا كناية عن تفشي الكذب في جماعتهم بين سامع ومختلف[2]، والملفوظ «أكَّالون للسُّحت» أخاذون له، لأنَّ الآكل إستعارة لتمام الإنتفاع، والسحت يشمل جميع المال الحرام ، كالربا والرشوة وأكل مال اليتيم والمغصوب[3].

في الآية تلميح إلى كون المنافقين واليهود تفشى عنهم الكذب وأكل مال الحرام بشتى أنواعه، وهو تلميح بَرَزَ من خلال ما صرح به الخطاب، وما يحملهُ من معاني مجازية تلميحية:

- الكذب على الله عزَّوجل صفة من صفات اليهود لَمَّحَ إليها الخطاب في قوله تعالى:« وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ...»[4]، يدل على البخل في العطاء لأنَّ العرب يجعلون العطاء معبِّرًا عنه باليد، ويجعلون بسط اليد إستعارة للبذل

[1] سورة المائدة: الآية 42.

[2] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مج3، ص 6 /198، 199.

[3] المرجع نفسه: ص 201.

[4] سورة المائدة: الآية 64.

والكرم، ويجعلون ضد البسط إستعارة للبخل[1]، والملفوظ « بل يداه مبسوطتان » نقض لكلامهم وإثبات سعة فضله تعالى، وبسط اليدين تمثيل للعطاء، وهو يتضمن تشبيه الإنعام بأشياء تعطى باليدين، وجملة « ينفق كيف يشاء » بيان لإستعارة « يداه مبسوطتان » [2].

– الخطاب التلميحي الغير مصرَّح به يتمثل في صفة أخرى من صفات اليهود بحيث يفترونَ على الله كذباً، يستبدلون الحق بالباطل، فهم يدّعونَ على الله شيئاً هم يتميزُونَ به، وقد ردَّ عليهم تبارك وتعالى« بل يداهُ مبسوطتان يُنفقُ كيفَ يشاء » والتثنية هنا للمبالغة في الكرم والعطاء.

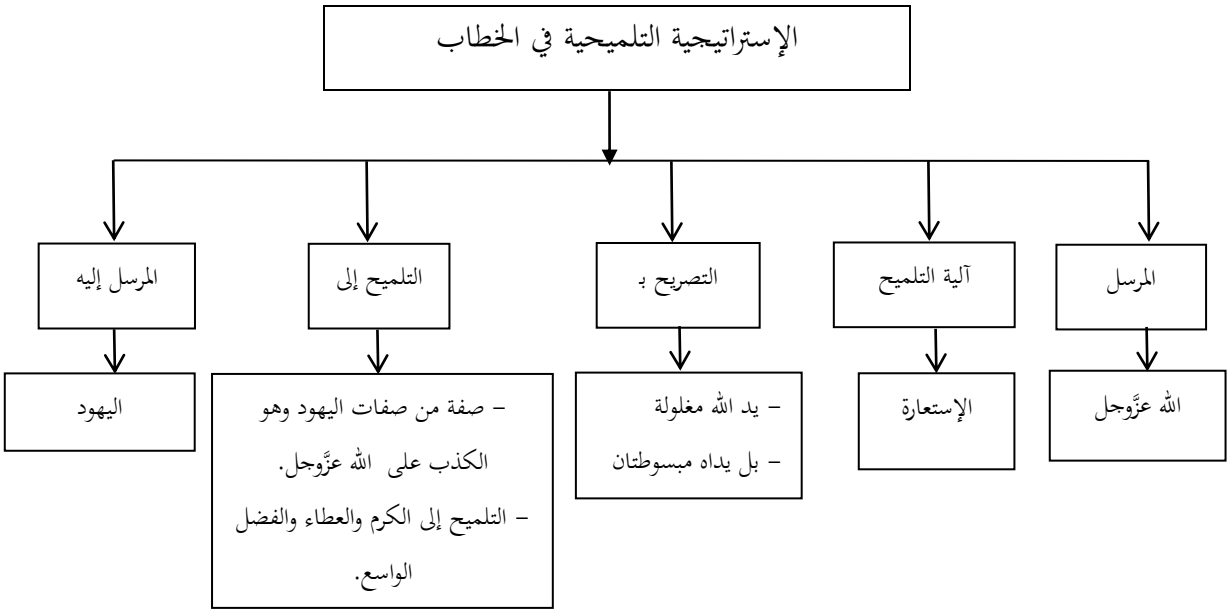

– من صفات اليهود أيضًا إدِّعائهم الجهل، وحرمان الإنتفاع بأفضل نافع، وإساءة الأعمال وإفسادها، هذا ما يحمله الخطاب التلميحي في قوله تعالى: « وَحَسِبُوا أَلا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ »[3]، الملفوظ « عَمُوا وَصَمُّوا » أُستعيرَ للإعراض عن دلائل الرشاد من رسُلهم وكتبهم لأن العمى والصمم يوقعان في الظلال عن الطريق وإنعدام إستفادة ما ينفع، فالجمع بين العمى والصمم جمع في الإستعارة بين أصناف حرمان الإنتفاع بأفضل نافع، فإذا حَصَل الإعراض عن ذلك غلب الهوى على النفوس، لأنَّ الإنسياق إليه

[1] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مج3، ص 6/ 249.
[2] المرجع نفسه: ص 250.
[3] سورة المائدة: الآية 71.

في الجبلة، فتجنبه محتاج إلى الوازع، فإذا إنعدم الوازع جَاءَ سوء الفعل، ولذلك كان قوله « فعموا وصموا» مراد منه معناه الكنائي أيضًا، وهو أنهم أساءوا الأعمال وأفسدوا[1].

تلميح إلى أنَّ اليهود لا يرونَ الحق ولا يتكلَّمُونَ عنه، ولا يريدونَ الإنتفاع منه، فيكتمون الحق ويستبدلونه بالباطل، فيسعونَ دائماً إلى إساءة الأعمال وإفسادها بأفواههم أو بأفعالهم.

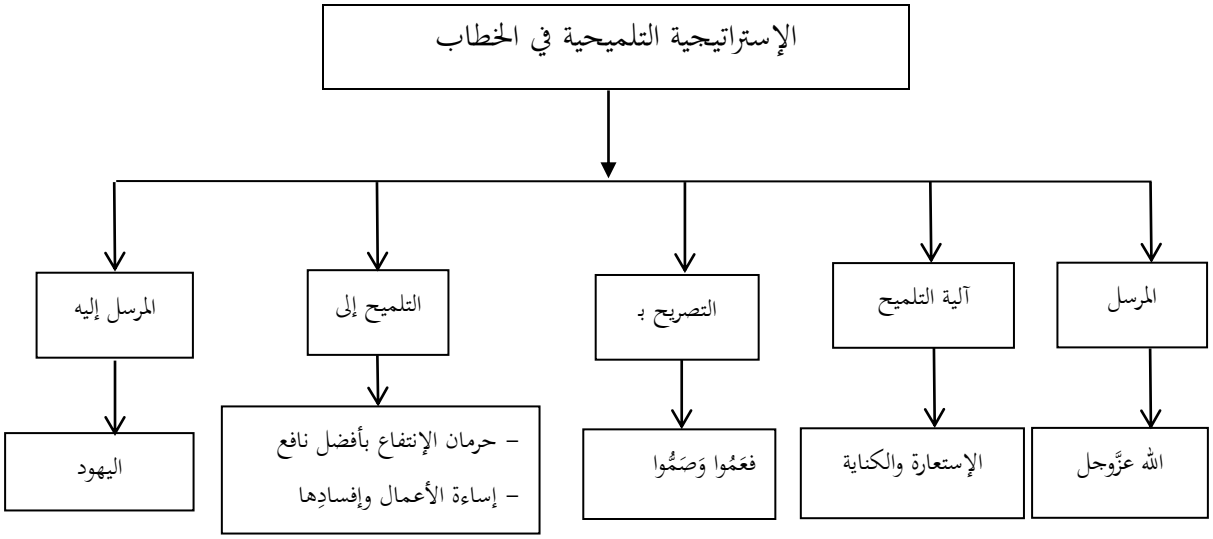

- في آية أخرى يقول الله تعالى فيهم: " وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ "[2]، الملفوظ " رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا " معناه ربَّنَا عمنا بالصّبر على دينك، والثبات عليه، فشبه الصبر بماء، تشبيه للمعقول بالمحسوس، على طريقة الإستعارة المكنية، وشبه خلقه في نفوسهم بإفراغ الماء من الإناء إلى طريقة التخييلية، فإن الإفراغ صب جميع ما في الإناء، والمقصود من ذلك كناية عن قوة الصبر لأنَّ إفراغ الإناء يستلزم أنه لم يبق فيه شيء مِمَّا حواه، فإشتملت هذه الجملة على مكنية وتخييلية وكناية [3]، وهذا تلميح إلى كونهم خائفين وليس لديهم الصبر الكافي لمواجهة فرعون وأتباعه، فطلبوا الله عزَّوجل أن يمدهم بقوة الصبر والثبات:

[1] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مج3، ص 6/ 277.276.

[2] سورة الأعراف: الآية 126.

[3] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مج4، ص 9/ 56.

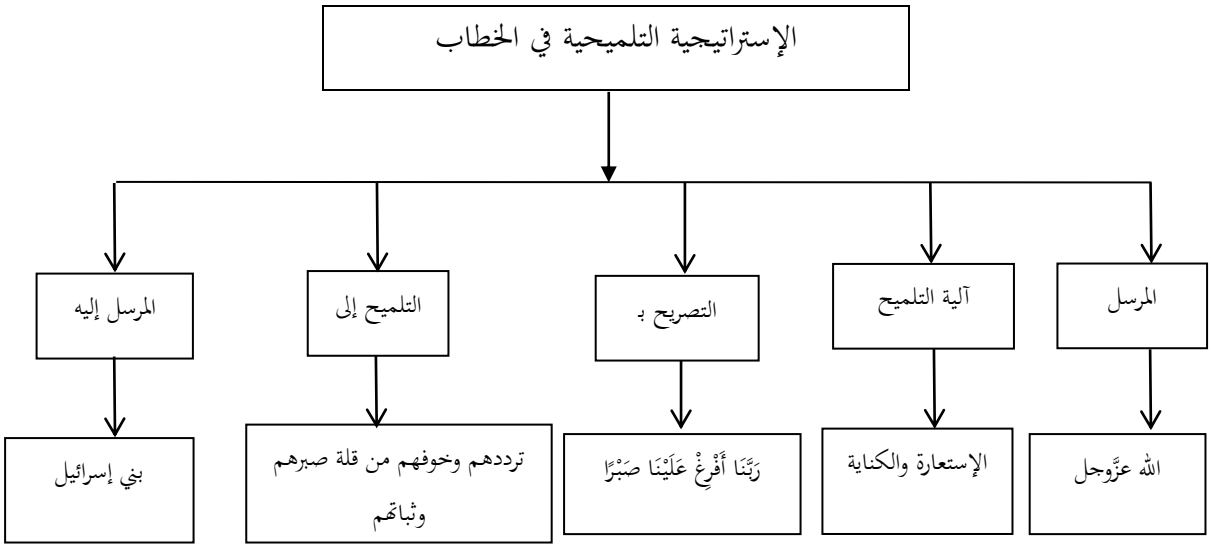

- يقول تعالى في التلميح لبعض صفات اليهود: «فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (١٣٥)فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦)وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧)وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨)إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩)»[1]، الملفوظ « إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ » جواب لـ « لَمَّا » وهو إستعارة تبعية، بحيث أستعير النكث لعدم الوفاء بالعهد[2]، فلمَّا عتوا وتمرَّدُوا (اليهود)، مع إبتلائه إياهم في اليم، بسبب تكذيبهم بآيات الله وتغافلهم عنها، وتخريب ما كان فرعون وقومه يصنعون من العمارات والمزارع وما كان يبنون[3]. الملفوظ « يعرشون » بمعنى يرفعون أي يشيدون من البناء مثل مباني الأهرام والهياكل وهو المناسب لفعل « دمَّرنَا» شبّهَ البناء المرفوع بالعرش، ويجوز أن يكون يعرشون إستعارة لقوة الملك الدولة ويكون « دمَّرنا » ترشيحًا للإستعارة[4]، والملفوظ «تجهلُونَ » مستعمل في معنيين: الصريح ممثّلاً في وصفهم بالجهل، والمضمر في الكناية عن التعجب من فداحة جهلهم[5]، كما نجد الملفوظ المصرح به « إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ » يبين سوء عاقبتهم، فالتتبير

[1] سورة الأعراف: الآيات 135- 139.
[2] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج4، ص73/9.
[3] أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 228/2.
[4] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج4، ص79/9.
[5] المرجع نفسه: ص 82.

مستعار لسوء العاقبة، شبه حالهم المزخرف ظاهرة بحال الشيء البهيج الأيل إلى الدمار والكسر فيكون إسم المفعول مجازًا في الإستقبال، أي صائر إلى السوء[1]، ففساد حالهم جزاؤه سوء العاقبة.

التلميح في الآيات يشير إلى عدم وفاءهم للعهد، والتلميح إلى عظمة الله عزَّوجل فوق عظمتهم، وتخزين ما يعرشون ويبنون، ومَدَى جهلهم من خلال ما يكتمون ويفعلون، وأيضا إلى فساد حالهم وسوء عاقبتهم:

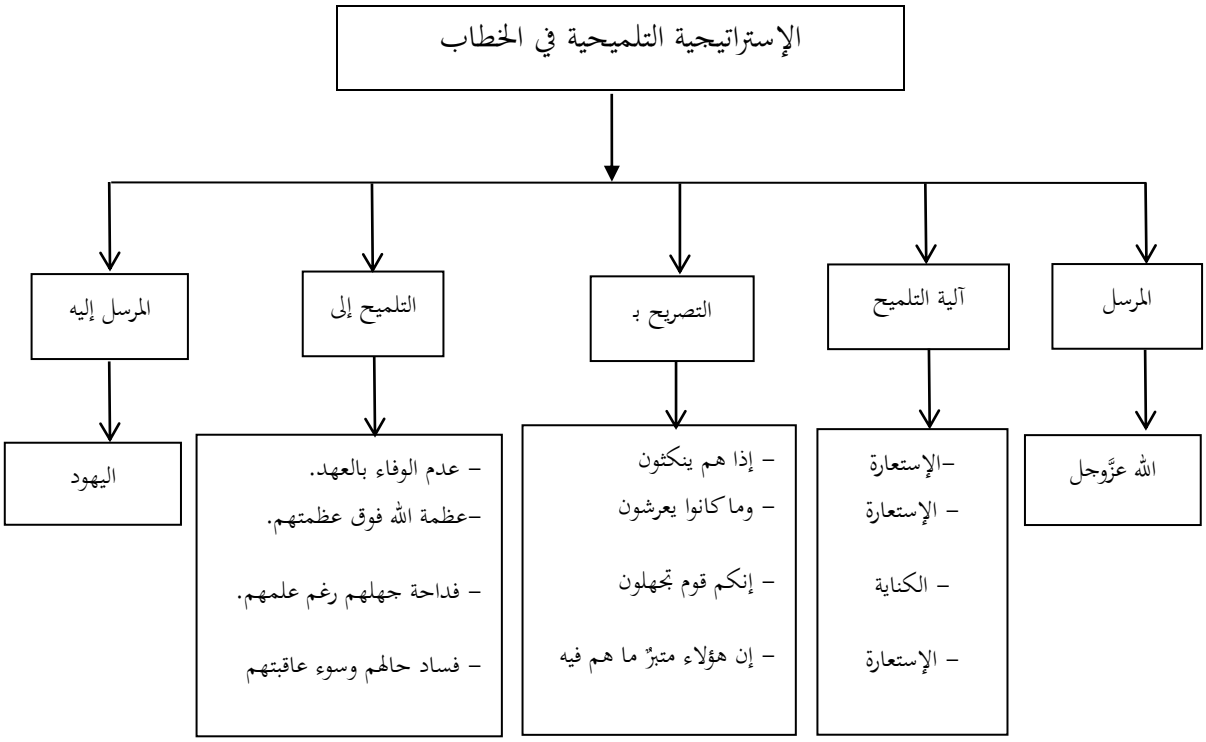

من صفات اليهود كَمَا صوَّرَها القرآن الكريم في أكثر من أية، خيانة الأمانة وعدم الوفاء بالعهد، وإدِّعائهم الحكم والسيطرة في كل ما يحيط بهم، لكن وبالرغم من قوة ملكهم وعلمائهم، وإفتخارهم بذلك، إلاَّ أنه لن يكونوا أقوى من عظمة الله عزَّوجل وقوته، وهذا ما بَيَّنهُ لهم تبارك وتعالى في مرات عديدة ومتعدِّدة، يُظهر لهم آياتٍ لَعَلَّهُم يتَّقُونَ، لكنهم قوم يجهلون رغم علمهم ودرايتهم، فالجهل وفساد الحال، وكتمان الحق وإظهار الباطل، وأكل الحرام ... من صفاتهم، وبالتالي لا يكون جزاءهم إلاَّ ما زرَعَت وحصدت أيديهم.

[1] المرجع نفسه: ص 84.

- يقول الله عزَّوجل في قوم موسى وهارون عليهما السلام: « وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩)وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ »[1]، فالملفوظ في الآية الأولى« وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ » تلميح على أنهم ندموا على ما فعلوا [2]، فاليد تستعار للقوة والنصرة، ولأنهم ندموا فمن شأن من إشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غَمًّا فتصير يده مسقوطاً فيها لأنَّ فاه وقَعَ فيها، قال الزجاج: معناه سقط الندم في أيديهم، أي في قلوبهم كما يقال حصل في يديه مكروه، وإن كان من المحال حصول المكروه الواقع في اليد، إلاَّ أنهم أطلقوا على المكروه الواقع في القلب والنفس كونه واقعًا في اليد[3].

كما نجد الكناية في بعض أجزاء المركب وهو «سقط في اليد»، والمرء إذَا حَصَلَ لَهُ شَلَلْ في عضد ولم يستطع تحريكه يحسن أن يقال سقط في يده ساقط، أي نزل به نازل[4]، ففي هذا الإستعمال تلميح إلى الندم وإرتكابهم الخطأ، فهو تمثيل لحالهم بحال من سقط في يده، فالندامة هي معنى الآية كلِّها، فيكونوا من الخاسرين إن لم يغفر لهم الله عزَّوجل.

الملفوظ «فلا تشمت بي الأعداء » في الآية الثانية عبارة عن طلب هارون من أخيه موسى عليهما السلام الكف عن عقابه الذي يشمت به الأعداء لأجله، ويجعله مع عداء الظالمين، فطلب ذلك كناية عن طلب الإعراض عن العقاب[5].

أمَّا الملفوظ « أَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ» في الآية الثالثة، إستعارة لشمول الرحمة لهما في سائر أحوالهما بحيث يكونان منها كالمستقر في بيت أو نحوه مما يحوي، فالإدخال إستعارة أصلية وحرف « في» إستعارة تبعية، أوقع حرفه الظرفية موقع باء الملابسة[6].

---

[1] سورة الأعراف : الآيات 149- 151.

[2] أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص232/2.

[3] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص 09/15.

[4] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج4، ص112/9.

[5] المرجع نفسه: ص 117.

[6] المرجع السابق: ص 118.

تجلَّت الإستراتيجية التلميحية في الآيات، من خلال الآليات البلاغية المستعمل فيها، من إستعارة وكناية، للتلميح إلى ندم قوم موسى عليه السلام على ما فعلوه، وطلب الإعراض عن العقاب من أخيه، وشموله الرحمة من الله عزَّوجل:

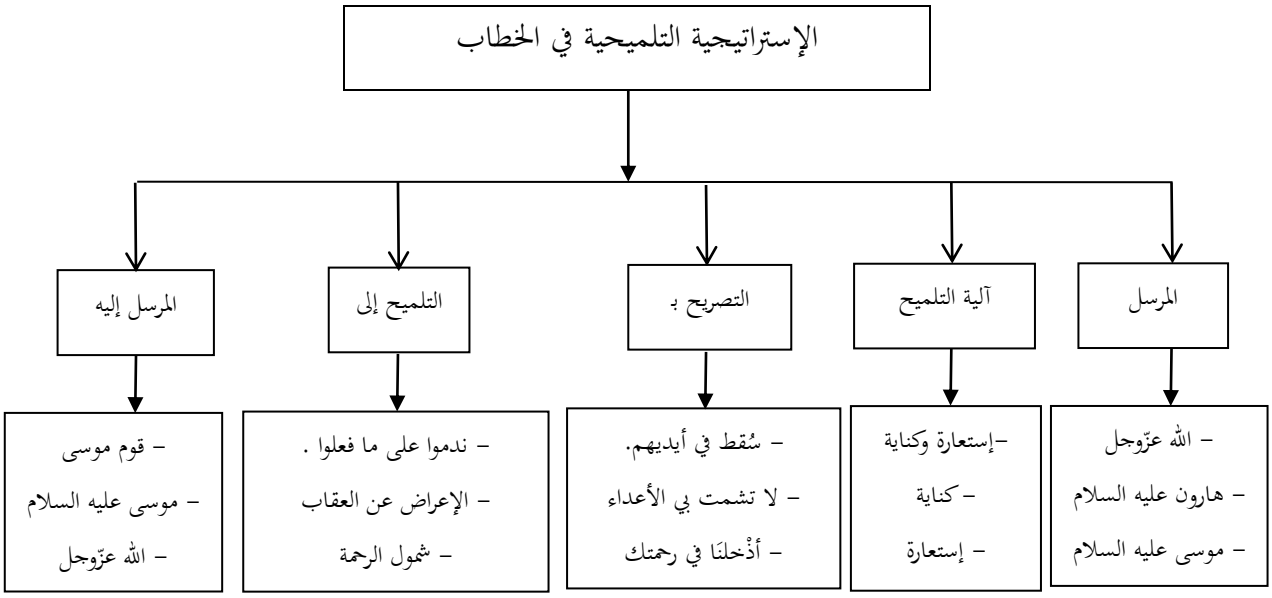

– التلميح إلى صفات اليهود والنصارى في قوله تعالى: « وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ »[1]، الملفوظ « ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ» معناه أنهم لا مُستند لَهُمْ فيما إدَّعوه سوى إفترائهم وإختلافهم، يُشَابِهُونَ الذينَ كَفَرُوا من قبلهم من الأمم ظَلُّوا كما ظَلَّ هؤُلاء، فكيف يضلون عن الحق، وهو ظاهر ويعدلون إلى الباطل؟ [2]« بِأَفْوَاهِهِمْ » حال من القول، والمراد أنه قول لا يعدوا الوجود في اللسان وليس له ما يحققه في الواقع، وهذا كناية عن كونه كاذبًا[3]، تلميح وإشارة إلى إفترائهم وكذبهم كالذين سبقوهم من الكفار يستبدلُونَ الحق بالباطل، والتلميح وَرَدَ من خلال ما صُرِّحَ به « بأفواههم » يدلُّ على أنَّهُ كذب كالأكاذيب السابقة:

[1] سورة التوبة : الآية 30.

[2] أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص2/326.327.

[3] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج05، ص10/169.

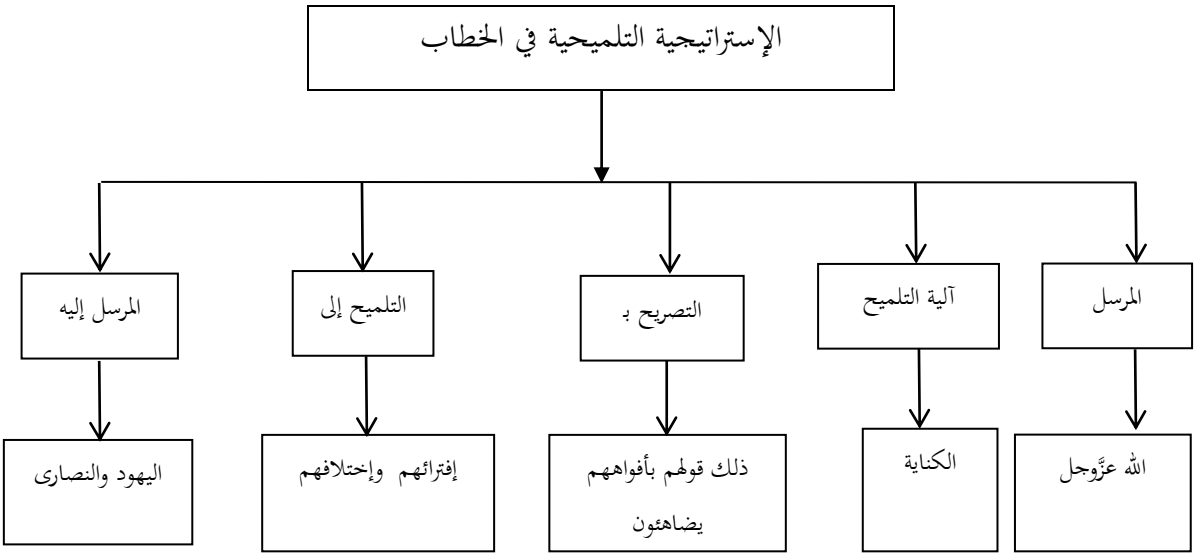

الإستراتيجية التلميحية من الإستراتيجيات الغير مباشرة التي يتمُّ التلميح من خلالها إلى القصد المضمر والمستلزم لا الشكلي والأوَّلي، إنتقالاً من الخطاب اللغوي الصريح إلى الغير صريح، وفيها تَتَّضح الكفاءة التداولية للمرسل، بعد الإعتماد على مختلف الآليات اللغوية والبلاغية التي تُحيل السامع إلى مقصد أو مفهوم معين، ممَّا تستدعي كفاءة أيضاً من المرسل إليه تتمتَّع بخلفية أو رصيد معرفي ثقافي ولغوي لا تختلف عن التي يملكها المرسل.

فالخطاب القرآني بشكل عام يختلف تمامًا عن باقي الخطابات الأخرى، كيف لا وهو الخطاب الذي يتميَّز بالإعجاز الكُلِّي، لذلك حتى يتسنى للقارئ فهمه، والغوص في معانيه، ومعرفة ما تحملُهُ آياته من أبعاد عقائدية وروحية وأخلاقية، ينبغي عليه أن يكونَ مُتَمكِّنًا، وأن يعود إلى السياق ومناسبة الخطاب، وتفحُّص ما أمكن من كتب التفسير والأحاديث النبوية.

خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم يتميَّز بـ:

- التنوع في الخطابات الغير مباشرة والتلميحية.
- التنوُّع في الآليات اللغوية المستعملة في الإستراتيجية التلميحية.
- التنوُّع في عناصر الخطاب والأطراف المشاركة فيه: (أهل الكتاب، العلماء من أهل الكتاب، اليهود، النصارى، موسى عليه السلام، وقومه...).
- التنوُّع في المواضيع والقضايا التي آثارها وتناولهَا الخطاب معتمدًا على هذه الإستراتيجية، هذا التنوع في الآليات المستخدمة، وفي الذينَ خاطبَهُم ولَّدَ إستراتيجيات تلميحية كثيرة ومختلفة، جميعها تَصبُّ

حول محاولة إرشاد أهل الكتاب، ودعوتهم إلى دين الحق، والكف عن أكل مال الحرام، وعبادة الله عزَّوجل، وعدم الشرك به أحد، والإيمان بأنبيائه ورسله.

فالخطاب الغير مباشر الموجَّه لليهود عبارة عن تلميح إلى كفرهم لآيات الله، وعنادهم له، وتجاهله ورسوله الكريم، والتلميح إلى ترك القتل بغير حق وتهويله بَعدَ أن إنتشَرَ بصورة كبيرة عندهم، وإلى إعتدارهم الدائم وإفترائهم، وتفشي الكذب عندهم، وأكلهم مال الحرام بمختلف أصنافه، وعدم الوفاء بالعهد، وإستحالة أن تلن قلوبهم مع إستمرارية خيانتهم وإستكبارهم، والتلميح أيضًا من جهة أخرى إلى عظمة الله عز وجل من خلال الآيات الكثيرة التي بعثها لهم لعلَّهم يهتدُون.

أمَّا الخطاب الغير مباشر الموجَّه للنصارى فهي منحصرة حول التلميح إلى إثبات حقيقة النبي عيسى عليه السلام بأنه ليسَ إبن الله، والتلميح إلى أنَّ الله عزَّوجل لا شريك له وعيسى عليه السلام نبيُّهُ، والتلميح أيضًا إلى عدم الشرك بالله تعالى، والإيمان بما نزَّلَ عليهم ونبيِّهم.

كما خَاطبَ الله عزَّوجل اليهود والنصارى بصيغة (يا أهل الكتاب) في صورتها المباشرة، تحمل إشارات وتلميحات، معظمها يتمحور حول عدم إيمانهم بالله ورسوله، والكفر بآياته، وعدم علمهم بما في كتبهم على حقيقتها وما أُنْزِلَ من رَبِّهم، والتلميح إلى الفئة الكثيرة الغير مؤمنة من أهل الكتاب، وإلى الخير الذي لا يأتي إلاَّ بالإيمان، وأيضاً التلميح إلى أنَّ اليهود والنصارَى ترضى إن إتَّبَعَ الرسول صلى الله عليه وسلم مِلَّتهم، وإلى أنَّ أهل الكتاب لم يتفرَّقُوا قبل مجيئ البيِّنة وإنَّما تفرَّقُوا بَعدهَا، فهم لم يهتدوا ويؤمنوا بالله ورسوله، تميَّزُوا بالإفتراء والإختلاف الدائم مع الله ورسوله، كما نجد التلميح إلى عدم إيمانهم بما أنزل عليهم من الكتب والأنبياء، وأن ما يأتي من الأنبياء يتنافى مع دين الله الحق، فإستمرَّ جحدهم وعنادهم وإستكبارهم.

كَمَا خاطَبَ علماء أهل الكتاب بصيغة (الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب)، أو الرَّبانيون والأحبار من علماء اليهود، بحيث إختصَرَ التلميح إلى العصيان بدل الطاعة، وإلى لعنة الله عليهم نتيجة عنادهم وكفرهم، والتلميح إلى إجحادهم رغم علمهم، وعدم نهيهم للناس رغم دورهم في نهي الناس وعدم القيام بكل ذلك.

هذه معظم التلميحات الواردة في خطاب أهل الكتاب، بمختلف أصنافه وأنواعه، مبيِّنة قدر الإمكان أهم مقاصدها ومعانيها الربأَّنية، كما يُوضِّحها في الجدول الآتي:

المرسل	المرسل إليه	آلية التلميح	التصريح بـ	التلميح إلى :
الله عزَّوجل	اليهود	كم	-" كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة"	- التلميح إلى قوة من يتوكَّل على الله والدعاء إليه.
		كم	-"كم آتيناهم من آية بينة "	- التلميح إلى الآيات التي كفروا بها بدَلاً من الإيمان.
		" لو " تشبيه	- " لو لا فضل الله عليكم "	- التلميح إلى سعة رحمة الله وفضله عليهم.
		تشبيه	-" لكم من الطين كهيئة طير"	- التلميح إلى عظمة الله ونبيّه عليهم وأنَّهُ رسول الله.
		تشبيه	-" فهي كالحجارة أو أشد قسوة "	- التلميح إلى عناد اليهود وكفرهم لآيات الله عز وجل.
		تشبيه	-"كمثل الحمار يحمل أسفارًا"	- التلميح إلى كفرهم بالله ورسوله وتجاهلهم لآياته.
		إستعارة	-" فكأنما قتل الناسَ جميعاً "	- التلميح إلى تحريم القتل بغير حق وتهويله.
		كناية	-" أشربوا في قلوبهم العجل "	- التلميح إلى شدة إتصالهم بعبادة العجل دُونَ الله عز وجل.
		إستعارة	-"لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم "	- التلميح إلى غضب الله عليهم.
		كناية	-"ضُربَت عليهم الذلة "	- التلميح إلى مخالفة عهد الله.
		كناية	-" عظُّوا عليكُم الأنامِلَ "	- التلميح إلى شدة الغيظ والتحسُّر.
		إستعارة	-" سنكتب ما قالوُا "	- التلميح إلى محاسبتهم بالوعد والتهديد.
		إستعارة	-" ذُوقُوا عذاب الحريق "	- التلميح إلى جزائهم وعاقبتهم وهي دخولهم نار جهنم.
		إستعارة	-" فنبذوه وراء ظهورهم "	- التلميح إلى عدم تمسكهم بالعهد ومخالفته
		كناية	-" جعلنا قلوبهم قاسية "	- التلميح إلى إستحالة أن تلن
		كناية	-" لا تزال تطلع على خائنة "	
		إستعارة	-" سمّاعون للكذب "	
		إستعارة	-" أكَّالُونَ للسُّحت "	
			-" يد الله مغلولة "	

		إستعارة	– "بل يداه مبسوطتان "	قلوبهم.
		إستعارة	–" فَعَمُوا وصَمُّوا "	–التلميح إلى إستمرارية خيانتهم
		الإستعارة	–" إذا هم ينكثون "	– التلميح إلى تفشي الكذب عندهم.
	اليهود	إستعارة	– " وما كانُوا يعرشون "	– التلميح إلى أنهم يأكلونَ مال الحرام بمختلف أصنافه.
		كناية	– "إنكم قوم تجهلون "	– التلميح إلى صفة من صفات اليهود وهو الكذب على الله عزَّوجل.
		إستعارة	–" إن هؤلاء متبرٌ ماهم فيه "	– التلميح إلى الكرم والعطاء والفضل الواسع.
	النصارى	" إنما "	– " إنما المسيح عيسى إبن مرْيَمَ رَسُولُ الله ..."	– التلميح إلى إساءة الأعمال وإفسادِها.
		التشبيه	–" ويأتِهِمْ عَرَضٌ مثلُهُ يأخذوهُ "	– التلميح إلى عدم الوفاء بالعهد
		لو	– " ولو أنّهم قالوا سمعنا وعصينا "	– التلميح إلى عظمة الله فوق عظمتهم.
الله عزَّوجل	الذين أوتوا الكتاب	التشبيه	–" يعرفُونَهُ كما يعرفُونَ أبناءَهُم "	– التلميح إلى فداحة جهلهم رغم عملهم.
		التشبيه	–" كَمَا لعنَّا أصحابَ السبتِ "	– التلميح إلى فساد حالهم وسوء عاقبتهم.
		التشبيه	– "كأنَّهم لا يعملون "	– التلميح إلى أن عيسى عليه السلام ليس إبن الله، وإلى أنَّ الله عزَّوجل لا شريك له، وعيسى عليه السلام نبيُّه.
		لو	–"لولا ينهاهم الرَّبانيونَ والأحبار.."	– التلميح إلى دوام الوقوع في الحرام وإستمراريتهم فيه.
	الربَّانيونَ والأحبار أهل الكتاب (اليهود والنصارى)	لو	–" لو أَنَّ أهل الكتاب ءَامنوا وإتَّقُوا"	– التلميح إلى العصيان والطاعة، والتلميح إلى الشر واللعنة من الله
		لو	–" ولَو آمَنَ أهل الكتاب لَكَانَ خيراً لهم"	

		حتى حتى حتى تشبيه كناية	-" منفكين حتى تأتيهم البيِّنة " -" حتى يأتي اللهُ بأمرِهِ " -" حتىّ تقيموا التوراة والإنجيل " -" ...مثلَ قولِهم تشابهت قُلوبهم ..." -" ذلك قولهم بأفواههم يضاهئُونَ "	عزَّوجل نتيجة عنادهم وكفرهم إلاَّ من آمَنَ. - التلميح إلى جهلهم رغم معرفتهم للكتاب. - التلميح إلى عدم إيمان علماء أهل الكتاب بما أنزلَ عليهم من الكتب والأنبياء. - التلميح إلى جهنم وإجحادهم رغم علمهم . - التلميح إلى دورهم في نهي الناس وعدم القيام بذلك. - التلميح إلى عدم الإيمان بالله ورسوله والكفر بآياته، والتلميح إلى عدم علمهم بما في كتبهم وما أنزلَ من ربِّهم. - التلميح إلى الفئة الكثيرة الغير مؤمنة من أهل الكتاب، وإلى الخير الذي لا يأتي إلاَّ بالإيمان. - التلميح إلى أن أهل الكتاب لم يتفرقوا قبل مجيء البيِّنة - التلميح إلى أن الله عزَّوجل لم يأتي بأمره بعد في سياق نزول الخطاب . - التلميح إلى أن أهل الكتاب (اليهود والنصارى) لم يقيموا التوراة والإنجيل . - التلميح إلى إستمرار جحدهم وعنادهم وإستكبارهم. -التلميح إلى إفترائهم إختلافهم.
الله عزَّوجل	أهل الكتاب (اليهود والنصارى)			

الفصل الرابع

- الفصل الرابع -

- الإستراتيجية الحجاجية ودورها الإقناعي في خطاب أهل الكتاب-

-المبحث الأول: الإستراتيجية الحجاجية ودورها الإقناعى فى خطاب بنى إسرائيل:

1- الإستراتيجية الحجاجية والإقناعية.
2- وسائل وآليات إستراتيجية الحجاج والاإقناع.
3- خطاب الله سبحانه وتعالى إلى بني إسرائيل.
أ- خطاب بني إسرائيل.
ب- فضل الله تعالى على بني إسرائيل.
ج- تفضيل بني إسرائيل على العالمين.

-المبحث الثاني: الإستراتيجية الحجاجية ودورها الإقناعى فى خطاب أهل الكتاب:

1- خطاب الأنبياء:
أ-خطاب موسى عليه السلام لقومه.
ب- خطاب عيسى عليه السلام لبني إسرائيل.
2- خطاب أهل الكتاب:
أ- الخطاب المختص باليهود.
ب- الخطاب المختص بالنصارى.
ج- الخطاب المشترك بين اليهود والنصارى.

- المبحث الأول -

-الإستراتيجية الحجاجية ودورها الإقناعي في خطاب بني إسرائيل -

1- الإستراتيجية الحجاجية ودورها الإقناعي.

2- وسائل وآليات إستراتيجية الحجاج والإقناع.

3- خطاب الله سبحانه وتعالى إلى بني إسرائيل:

أ- خطاب بني إسرائيل.

ب- فضل الله تعالى على بني إسرائيل.

ج- تفضيل بني إسرائيل على العالمين.

1- الإستراتيجية الحجاجية ودرها الإقناعي:

في العملية التواصلية يُعتَبَر المخاطِب قطعة أساسية وضرورية، كونه مُنْتِجًا لخطاب يحمل أهداف معينَّة تتفاوت وتختلف بإختلاف أهميتها، والتي تنعكس بطريقة ما أو بأخرى عن الجانب الفكري واللغوي، إنطلاقًا من الجهد الذهني واللغوي المبذول، ومن خلال الصورة الشكلية ومقاصدها في الخطاب.

إن الهدف، أو الغاية والقصد من الأسباب الأساسية التي تُساهم في إنتقاء الإستراتيجية المناسبة للخطاب، فمن الأغراض والأهداف التي يسعى المخاطِب إلى تحقيقها من خلال خطابه، إقناع المخَاطَب بما يراه، فالإقناع عملية إحداث تغيير أو تعزيز لموقف أو لمعتقد أو لسلوكٍ ما، وهو عبارة عن نتيجة يصل إليها المرسل بَعدَ تَبِّنيه لأسلوب إتِّصالي تستخدم فيه أدوات التأثير.

الإقناع يأتي بعد جهد منظَّم مدروس بوسائل مختلفة للتأثير على آراء الآخرين وأفكارهم، بحيث يجعلهم يقبلون ويوافقون على وجهة النظر في موضوع معين، وذلك من خلال المعرفة النفسية والإجتماعية لذلك الجمهور المستهدف، والتأثير يكون على الفكر بهدف دفع الفرد أو الجمهور لتقبّل وجهة معينة، أو على عواطف ومشاعر ذلك الجمهور بشكل مباشر أو غير مباشر[1].

فالهدف هو الذي يحدِّد الإستراتيجية الخطابية، فإذَا كانَ الغرض من الخطاب توجيه المخَاطَب إلى القيام بفعل معيَّن، كانت الإستراتيجية توجيهية، وإن كانَ الغرض هو التقرُّب إلى المرسل إليه وإقامة علاقة معه، كانت الإستراتيجية تضامنية، وإن كانَ الغرض التأثير في المتلقي وإقناعه بفكرة أو حجة معيَّنة كانت الإستراتيجية حجاجية هدفها الإقناع.

هناك عدد من المسوغات التي تدفع المرسل على إعتماد إستراتيجية، الإقناع أهمها:

- أنّ تأثيرها التداولي في المرسل إليه أقوى، ونتائجها أثبت وديمومتها أبقى، لأنها تنبع من حصول الإقناع عند المرسل إليه غالبا لا يشوبها فرض أو قوة.
- تمايزها عن الإستراتيجيات المتاحة الأخرى، مثل الإستراتيجيات الإكراهية لفرض قبول القول أو ممارسة العمل على المرسل إليه ومن حصول الإقناع الداخلي أو الإقتناع الذاتي. فإقتناع المرسل إليه هدف خطابي يسعى المرسل إلى تحقيقه في خطابه.

[1] إبن فريحة الجيلالي: المرسل بين فن الإلقاء وأساليب الإقناع، مخبر الدِّراسات النحوية واللغوية بين التراث والحداثة، كلية الأدب واللغات، جامعة إبن خلدون، تيارت، الجزائر، ع3، 2012م، ص20.

– الأخذ بتنامي الخطاب بين طرفيه عن طريق إستعمال الحجاج، فالحجاج شرط في ذلك، لأنَّ من شروط التداول اللغوي شرط الإقتناعية، فالمرسل "عندما يطالب غيره بمشاركته إعتقاداته، فإن مطالبته لا تكتسي صبغة الإكراه، ولا تُدرَج على منهج القمع، وإنما تتبع في تحصيل غرضها سُبلاً إستدلالية متنوعة تجر الغير جرًّا إلى الإقتناع برأي المحاور، وإذا إقتنع الغير بهذا الرأي، كانَ كالقائل بِهِ في الحكم، وإذا لم يقتنع به، ردّه على قائله، مُطلِعًا إياه على رأيْ غيره، ومُطَالبًا إياه مشاركته القول به، وقد تزدوج أساليب «الإقناع» بأساليب «الإمتاع» من قوة في الإستحضار للأشياء، ونفوذ في إشهادها للمخاطب، كأنَّه يراها رأي العين"[1].

– الرغبة في تحصيل الإقناع، إذ يغدو هو الهدف الأعلى لكثير من أنواع الخطاب، خصوصًا في العصر الحاضر، عندما يفضل المرسل إستعمال إستراتيجية الإقناع، حتى لو كانَ ذا سلطة تخوله إستعمال بعض الإستراتيجيات الأخرى، ومرة ذلك أن المرسل إليه قد تغيَّرت ثقافته وإدراكه لكثير من الأمور، ولم يعد بالتالي يتقبَّل بعض الإستراتيجيات، كما أنَّ إستراتيجيات دغدغة العواطف لم تَعُد تنطلي عليه.

– إيداع السلطة، فالإقناع سلطة عند المرسل في خطابه، ولكنها سلطة مقبولة إذا استطاعت أن تقنع المرسل إليه، إذ لا تحقق إستراتيجية الإقناع نجاحها إلاَّ عند التسليم بمقتضاها إمَّا قولاً أو فعلاً، وما جَعَل الإقناع سلطة مقبولة، هوَ كون الحجاج هو الأداة العامة من بين ما يتوسَّل به المرسل من آليات وأدوات لغوية، ومن هنا يكون الإقناع هو مجال البحث الحجاجي نظرا إلى كونه محدَّد المقام والمخاطب والإطار القولي، أمَّا أهم وظيفة حجاجية في هذا المجال، بعد الإعداد لقبول الأطروحة أو الفرضية فيه الدفع إلى العمل.

– شمولية إستراتيجية الإقناع، إذ تُمَارس على جميع الأصعدة، فيمارسها الحاكم والفلاح الصغير وكبير القوم والطفل والمرأة، كل ذلك بوعي منهم، وهذا يُعز إنتماء إستراتيجية الإقناع إلى الكفاءة التداولية عند الإنسان السوي بوصفه دليلاً على مهاراته الخطابية.

– ما تُحَقِّقُه من نتائج تربوية إذ تستعمل كثيرا في الدعوة، لما لَهَا من دور إيجابي في التأثير على نفسية المرسل إليه.

– إستباق عدم تسليم المرسل أو دعواه.

[1] عبد الهادي بن طافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوي تداولية، ص 446، نقلا عن: طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000م، ص 38.

– خشية سوء تأويل الخطاب.

– عدم الإتِّفاق حول قيمة معينة أو التسليم من أحد طرفي الخطاب للآخر.[1]

الإقناع كإستراتيجية خطابية بارزة، تجلَّت بوضوح في الدِّراسات اللغوية القديمة، وبشكل أكثر ومكمِّل في الدِّراسات اللسانية الحديثة، بحيث كان إهتمام العرب القدامى بإستراتيجية الإقناع في البداية من خلال الخُطب والرسائل، توجيها للناس وتأثيرًا في مشاعرهم وأفكارهم، كما تجلَّى الإقناع بوسائله المختلفة في المناظرات والجدل بين الشعراء والخطباء في العصر الجاهلي، وبعدَ مجيء الإسلام تبلورت الإستراتيجية، وظهرت أكثر في الخطاب القرآني لما يتميَّز بإعجاز بلاغي ولغوي ودلالي وعلمي، و أيضًا لما يحتويه من آليات ووسائل الحجاج والإقناع ، منها اللغوية البلاغية والمنطقية.

سَاهمَ الخطاب القرآني في ظهور وتطور العديد من العلوم، التي تناولت إستراتيجية الإقناع من زاويتها الخاصة، كعلوم الفقه وأصوله وعلم الكلام، والعلوم اللغوية المختلفة، وكانت إستراتيجية الإقناع هي السبيل لبروز هذه العلوم وعلمائها، بفعل النقاشات والندوات، والجدال والمناظرة والإستدلال، كَمَا ظهرت أيضًا الكثير من الأبحاث حول الحجاج في القرآن الكريم، وعلاقة اللغة بالحجاج، وأيضًا التداولية والحجاج، فقد تجلَّت عدَّة دراسات لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بإستراتيجية الإقناع انطلاقا من (الجاحظ، وإبن وهب، والوليد الباجي، وإبن خلدون، وإبن حزم الأندلسي، وحازم القرطاجي) وصولاً إلى (عبد الله صولة، وطه عبد الرحمن، وعبد الهادي بن طافر الشهري، ويوسف نغزاوي ...).

إستيراتيجية الإقناع في الدراسات القديمة، إلتفت إليها القدماء بدراستها نظرياً من جهتين:

– أولها التنظير إلى إستراتيجية الإقناع ذاتها.

– أما الأخرى فهي التي عنيت بوضع الضوابط للسياقات التي تستعمل فيها هذه الإستراتيجية.[2]

يمثل (الجاحظ) الوجهة الأولى، أين تناول إستراتيجية الإقناع في كتابه (البيان والتبين) حيث فصل القول فيما يخص الخطيب من صفات جسدية وملكات ذهنية، ولم يقتصر حديثه على تعداد مميزات الخطيب الإيجابية التي تمنح خطابه القبول، من حلاوة القول والحذق فيه، كما لم يغفل ما يتعلق بهيئة الخطيب العامة من طول وقصر وحسن ودمامة، والغاية القصوى عن الجاحظ في كتابه (البيان

[1] عبد الهادي بن طافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 445، 446.

[2] المرجع نفسه: ص 448.

والتبين) هي الخطاب الإقناعي الشفوي. وهو إقناع تقدم فيه الغاية (الإقناع) على الوسيلة (اللغة) وتحدد الأولى طبيعة الثانية وشكلها حسب المقامات والأحوال. [1]

فالجاحظ حَاوَلَ أن يُؤَسِّسَ نظرية لبلاغة الحجاج والإقناع، من خلال دفاعه عن الحوار وثقافته، تتجسَّد هذه البلاغة من الخطاب اللغوي وما يتمتع به من وسائل لغوية وغير لغوية، مع مراعاة أحوال المتخاطبين.[2]

فيما يتعلَّق بجانب وضع ضوابط السياقات التي ينبغي أن يتحلَّى بها طرفا الخطاب، ومنها ما يخص الضوابط التخاطبية في المناظرات التي دَوَّنَهَا القدماء لتقنينها، وضوابط أو شروط الجدل والمجادلة، نجد ما قام به (إسحاق بن وهب) في كتابه (البرهان في وجوه البيان) بحيث إِعْتَبَرَ أن الجدل هو إقامة الحجة بين المتجادلين فيما اختلف فيه بحيث يقول: "وأمَّا الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما إختلف فيه إعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذاهب والديانات وفي الحقوق والخصومات والتنصل من الإعتذارات ويدخل في الشعر وفي النثر، وهو مقسم إلى قسمين: محمود وآخر مذموم، فأما المحمود فهو الذي يقصد به الحق ويستعمل في الصدق، وأما المذموم، فَمَا أُرِيدَ بِهِ المهارة والغلبة، وطلب به الرياء والسعة"[3]، فكل أنواع الخطابات التي يقع فيها الجدل تحتاج إلى الحجة والبرهان، لبيان مَدَى أَحَقِّية ما يقوله المتخاطبين فيما بينهم، فمن وَصَلَ إلى بيان الحجة فيما يقوله كَانَ عظيمًا في تقدير العلماء كما يقول (إسحاق بن وهب):" وقد أجمع العلماء وذووا العقول من القدماء على تعظيم من أفصَحَ عن حجته وبَيَّنَ عن حَقِّه وقصر عن القيام بحجته وإستِنْقَاص من عجز عن إيضاح حقه، وقصر عن القيام بحجته."[4]

كما نجد عند القدماء ما قام به (أبو الوليد الباجي) خاصَّةً في مقدمة كتابه (المناهج في ترتيب الحجاج) حيث ذكر ما ينبغي للمناظر أن يتأدَّب به، وبيان حدود الألفاظ الدائرة بين المتناظرين[5]، وما

---

[1] يوسف نغزاوي: الوظائف التداولية وإستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ص 209.

[2] محمد سالم محمد الأمين: الحجاج في البلاغة المعصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص 175.

[3] أبو الحسن إسحاق بن وهب: البرهان في وجوه البيان، تح/ جفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، مصر، د ط، د ت، ص 176، 177.

[4] المرجع نفسه، ص 177.

[5] أبو الوليد الباجي: كتاب المناهج في ترتيب الحجاج، تح/ عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط 5، 2011م، ص 09، 10.

يجب أن يراعيه المرسل في حق نفسه، حتَّى يتبيَّنَ الخطاب ويظهر منه الصحيح عن السَّقيم، يقول أبو الوليد الباجي: "وهذا العلم من أرفع العلوم قدرًا وأعظمها شأنا، لأنه السبيل إلى معرفة الإستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولاَ إتَّضَحَت محجّة، ولَا عُلم الصحيح من السقيم ولا المعوج من السقيم"[1]، فهو يُبَيِّنُ مَدَى أهمية الحجاج في الخطاب بحيث جعله علمًا، ومَدَى أهمية الحجة في توضيح الكلام، وتمييزه بما هو صحيح وخاطئ.

ومن الذين تحدَّثوا عن قضية المناظرة والجدل، ودور الحجاج في الإقناع، نجد منهم (إبن خلدون) في (مقدمته) عند حديثه عن أصول الفقه إذ ذهب إلى الإقرار بضرورة إستعمال الحجاج بوصفه آلية الإقناع، في زمن كثرت فيه أسباب الخلاف، وهذا ما أدَّى به إلى الحديث عمَّا يسميِّه بالجدل، بحيث يقول عبد الرحمن إبن خلدون: "الجدل معرفة لآداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم فإنَّه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متَّسعًا، وكل واحد من المتناظرين في الإستدلال والجواب يرسل عنانه في الإحتجاج ومنه ما يكون صوابًا ومنه ما يكون خطأ، فإحتجاج الأئمة إلى أن يضعوا آداباً وأحكامًا يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول... ولذلك قيل إنه معرفة بالقواعد التي يتوصَّل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، سواء أَكَانَ ذلك الرأي من الفقه أو غيره"[2]، فالحجاج يُعتَبر من الوسائل الأساسية التي يعتَمِدُ عليها المرسل لإقناع المرسل إليه، للإستدلال في موقف ما، كالمناظرة والجدل، كما يستعمله المرسل إذَا مان في موقف خلاف أو نزاع مع الآخر في قضية أو شيء ما.

من الذين إهتموا أيضاً بالإقتناع والحجاج قديمًا نجد (حازم القرطاجني) بحيث يقول: لما كانَ كل كلام يحتمل الصدق والكذب، إمَّا يردُ على جهة الإخبار والإقتصاص، وإما أن يردُ على جهة الإحتجاج والإستدلال[3]، فالكلام الصادق يكون دائمًا مدَعَّم بالحجاج والإستدلال، لأنَّ هدَف المرسل هو إقناع المخاطب بأدِلّة وحجج، يُثبت فيه مَدَى صدق كلامِه، أمَّا الكلام الذي يحتمل الكذب يكون

[1] المرجع السابق: ص 8.

[2] عبد الرحمن إبن خلدون: المقدمة، تح/ عبد السلام الشدادي، بين الفنون والعلوم، الدار البيضاء، ط1، 2005م، ج3، ص 21، 22.

[3] حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب إبن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، ط1، 1966م، ص: 63.

الهدف عند صاحب الخطاب إخبار المتلقي بمعلومات وأخبار، لا يحتاج ولا يستعمل حُجج مُدَعَّمة لنقل الخبر أو المعلومة.

كما قدَّمَ أرسطو مفهومًا للحجاج يجعله قاسِمًا مُشتَرَكًا بين الخطابة والجدل، ذلكَ أنَّ الخطابة بالمفهوم اليوناني أو (الريتوريقا) كما ترجَمَها العرب القدامى هي فن الإقناع عن طريق الخطاب، وأن الوظيفة الأساسية هي وظيفتها الأولى والأساسية.[1]

الحجاج عند "أرسطو" موجود في الخطابة كما في الجدل، فكلاهما يعتمدان على الحجاج فالحجاج في الخطابة حجاج بالمثل خاصة، وفي الجدل حجاج بالقياس في أغلب الأحيان[2]، فأرسطو ميَّزَ بين حجاج جدلي مرتكزاته عقلية خالصة، فلا يخاطب المحتج لقضية أو موقف أو رأي في متلقِّيه سوى العقل، فالحجاج الجدلي ذو مجال فكري خالص، فهو عادة ما يكون بين شخصين يحاول كل منهما إقناع صاحبه بوجهة نظر معينة، أما الحجاج الخطابي فمرتكزاته عاطفية بالأساس فهو ضرب من التأثير العاطفي يصل أحيانا كثيرة حد الإثارة والتحريض.

فالحجاج الخطابي مجاله توجيه الفعل وتثبيت الإعتقاد أو صنع الإعتقاد فهو حجاج موجه للجماهير.[3]

من جهة أخرى إهتمت الدراسات الحديثة، العربية والغربية، بقضية الحجاج والإقناع، إهتِمَامًا قَيِّمًا مثلما قدَّمهُ (طه عبد الرحمن) في (اللسان والميزان أو التكوثر العقلي)، في باب سمَّاه (الخطاب والحجاج)، بحيث يرى أنَّ الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية بناءًا على أنه لا خطاب بغير حجج[4]، كما بَيَّنَ فيه أنواع الحجج وأصناف الحجاج ، وتطرق إلى موضوع السلم الحجاجي، بإعتباره نقطة أساسية في الحجاج، وتناول موضوع الإستعارة الحجاجية، ودورها في توضيح مقاصد الخطاب.

وأيضا إهتم (محمد العمري) بإعادة بعث النظرة الحجاجية في البلاغة القديمة اليونانية، وأفكار (أرسطو) الحجاجية، وتطبيق نظريته الإقناعية، مُتَّبعًا في ذلك تقسيم (أرسطو) الثلاثي لعناصر الخطابة وهي: وسائل الإقناع أو البراهين، والأسلوب أو البناء اللغوي، وترتيب أجزاء القول.[5]

---

[1] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر الغربي القديم، بنيته وأساليبه، ص 17.

[2] المرجع نفسه، ص18.

[3] المرجع نفسه، ص ن،

[4] طه عبد الرحمن : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 213.

[5] عبد الهادي بن طافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 450.

ومن بين الأعمال المعاصرة التي إرتكزت على بلاغة أرسطو الإقناعية أيضا دراسة (حم النقاري) بعنوان (تحت التقنين الأرسطي لطرق الإقناع ومسالكه) حاوَلَ أن يصوغ بناء العملية الإقناعية صياغة منطقية، مُنطلِقًا في ذلك مما يسميه مسلمة الإقناع، وهي أنَّ الإقناع عملية خطابية، يتوخى بها الخطيب تسخير بالمخاطِب لفعل أو ترك بتوجيهه إلى إعتقاد قول يعتبره كل منهما، أو يعتبره الخطيب شرطا كافيا ومقبولا للفعل أو الترك.[1]

من جهة أخرى ساهم (أبو بكر العزاوي) في إثراء موضوع الحجاج كإضافة ثمينة للثقافة العربية من خلال ما قَدَّمَه من كتب حول (الحجاج واللغة)، وكتاب (الخطاب والحجاج) بحيث تَنَاوَلَ وحَدَّدَ أهم النقاط المتعلِّقة بالحجاج اللغوي، والدلاليات الحجاجية، وبعض الروابط الحجاجية في اللغة العربية وأيضا قضية الإستعارة والحجاج، وقوة الكلمات أو اللغة بين الإنجاز والحجاج، كما تطرق إلى موضوع الخطاب القرآني، والخطاب الشعري، والمثلي والإشهاري، وصُورِ الحجاج المختلفة فيها، فالحجاج عند (أبو بكر العزاوي) هو "تقديم الحجج والأدلة المؤدِّية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثَّل في إنجاز تسلسلات إستنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة الحجج اللغوية. [2]

إضافة إلى مساهمة كل من (محمد الأمين ولد سالم) حول عمل (بيرمان وتيتكا) في مقالة مطولة بعنوان: (مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة)، وكذا (حسان الباهي) في درس الحجاج، فقد عرضَ له عند مقارنته بالبرهان في كتابه (اللغة والمنطق بحث في المفرقات)، لينتهي إلى تصوُّر واضح عن الفروق بين الإستدلال الذيُ يمَثِّلُه الحجاج والإستدلال الصوري الذي يمثِّله المنطق بصرامته[3]، إضافة إلى كتابه (الحوار ومنهجية التفكير النقدي) أينَ تَطَرَّقَ إلى حجية الخطاب وتراثية حججه، وإلى مقاصد الحجاج، والروابط الحجاجية في التفكير النقدي، والحجاج بين الغلط والتغليط.

(عبد الله صولة) أيضًا تناولَ قضية الحجاج من خلال مقارنته بين البلاغة العربية والنظريات الجديدة للحجاج في كتابه (نظرية الحجاج)، وكذلك تناول الحجاج من عدة زوايا في القرآن الكريم، المعجمية والتركيبية والبلاغية في كتابه (الحجاج في القرآن الكريم، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية).

---

[1] يوسف نغزاوي: الوظائف التداولية وإستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ص 211.

[2] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 21.

[3] عبد الهادي بن طافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، 453.

كما يُمثِّل (الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه) من أهم المراجع العربية في العصر الحديث الذي يتناول الحجاج، بحيث تطرقتّ إلى مفهوم الحجاج وعلاقته بالتداولية واللغة والخطاب، أمَّا في الدِّراسات الغربية الحديثة فقد كانت أعمال كل من (برْلمان وتتيكا) عناية كبيرة للحجاج، من حيث تحديده وإبراز قضاياه، وأطره وأنواعه، فموضوع نظرية الحجاج عندهم هو ودرس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدِّي إلى التسليم بما يُعرَض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم[1].

وأيضًا (أوزفالدو، وأسكمبر) من خلال مؤلفهما المشترك (الحجاج في اللغة)، فنجد الحجاج عندهما كامن من حيث بنيته في اللغة ذاتها كما يدل على ذلك عنوان كتابهما، لا في ما يمكن أن ينطوي عليه الخطاب من بنى شبه منطقية أو شكلية أو رياضية كما هو الشأن عند (برلمان وتتيكا) فقد قالا: إنَّ الحجَاج يكون بتقديم المتكلم قولاً (ق1) أو مجموعة أقوال، يفضي إلى التسليم بقول آخر (ق2) أو مجموعة أقوال أخرى[2].

الإقناع هدف كل مخاطب، والحجاج مرحلة لابُدَّ من المرور بها قصد الوصول إلى الهدف، وفق إستراتيجية خطابية موظَّفة لتلك الغاية، مُدَعَّمَة بأساليب وآليات لغوية كثيرة ومتنوعة، للتأثير على المتلقي وإقناعه، والخطاب القرآني يتميَّز بهذا التنوُّع في الوسائل المستعملة لهدف إقناع مختلف الفئات في مختلف المواضيع، كفئة أهل الكتاب (اليهود والنصارَى)، التي تنوَّعت في خطابها آليات الحجاج والإقناع، لكن قبل حصر تلك الصور والإستراتيجيات يجب الوقوف أولا على أهم آليات وأساليب الإستراتيجية الإقناعية.

2- وسائل وآليات إستراتيجية الحجاج والإقناع:

الإقناع عملية إنسانية وحياتية ذات جانب إجتماعي ونفسي، لا تستقيم الحياة الإجتماعية وتكتمل إلا بها، فالإقناع له دور رئيسي مهم في الإتِّصال، باعتباره ميدانًا هامًّا فيه، كما أنَّه" عملية إحداث تغيير أو تعزيز لموقف أو لمعتقد أو لسلوك ما، فهو عبارة عن نتيجة تصل إليها من خلال تبني أسلوب إتِّصالي تستخدم فيه أدوات التأثير، وهو الجهد المنظم والمدروس الذي يستخدم وسائل مختلفة للتأثير على آراء الآخرين وأفكارهم بحيث يجعلهم يقبلون ويوافقون على وجهة النظر في موضوع معين،

[1] عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 27، نقلا عن:
Perlaman et Tyteca: traitè de l'argumentation, p 05.

[2] المرجع نفسه: ص33 نقلا عن:
J.c. Anscombre O.Ductrot: l'argumentation dans la langue, p 08.

وذلك من خلال المعرفة النفسية والإجتماعية لذلك الجمهور المستهدف[1]، فالإقناع يتَّضح عندما يستطيع التأثير على عقل وفكر الآخر، وقدرة المتكلم من دفع السامع إلى تقبل وجهة نظره، سواءًا كان فردًا أو جماعة.

يرتبط الإقناع بالحجاج ارتباطًا وثيقًا، من خلال تأثير المخاطِب على سلوك المخاطَب بطريقة من طُرق الحجاج، فالحجاج والإقناع جزأين من عملية واحدة، فنجد إقناع بمفهومه العام، وإقناع حجاجي بمفهومه الخاص، "فكل نص حجاجي نص إقناعي وليس كل نص إقناعي نصًا حجاجيا"[2]، لأنَّ النص أو الخطاب الحجاجي مبني على أدوات وآليات وأساليب لغوية وغير لغوية، منطقية وشبه منطقية خاصة، تجعله خطابًا أو نصًّا حجاجيًا بامتياز:

أ- الوسائل اللغوية في إستراتيجية الحجاج ودورها الإقناعي:

يستعمل المخاطِب في خطابه بعض الوسائل لإقناع الآخر، ليكون النص أو الخطاب حجاجيًا يهدف إلى التأثير على الآخر وإقناعه، فاللغة وسيلة من وسائل الإتِّصال والإقناع، تتولَّد من خلالها وظيفة إتصالية إقناعية، ووسيلة لفرض السلطة على الآخرين من خلال الأفعال اللغوية، لتوجيههم أو إستفهامهم، أو دعوتهم للتأثير فيهم وإقناعهم، وتختلف الأساليب اللغوية، بإختلاف السياق والهدف، ونوع الخطاب، والمخاطَب.

من بين الأساليب اللغوية التي لها دور في الإقناع نجد وسيلة التكرار، وألفاظ التعليل، والوصف وذكر بعض الألقاب، وتحصيل الحاصل، والأفعال اللغوية، والحجاج بالتبادل، والسلم الحجاجي وما لَهُ من وسائل لغوية: (كالروابط الحجاجية، والسمات الدلالية، وأفعال التفضيل وصيغ المبلغة....)

1- التكرار: للتكرار دور حجاجي كبير وفعَّال، وهو من الأساليب اللغوية الحجاجية البارزة في النصوص والخطابات على مواضيعها وأجناسها المتنوعة والمختلفة، يحمل وظيفة الإلحاح والإصرار، وإثبات الكلام وتأكيده، وإقناع المتلقي من خلاله، فالتكرار يقوم على التعبير عن الموضوع الواحد بأفكار مختلفة ويستعمل بطريقتين، إمَّا أن نكرر ببساطة الشيء نفسه، وإمَّا أنَّنَا نتكلم عن الشيء نفسه، والتكرار ليس مجرد تقنية أسلوبية، فهو طريقة في تقديم أطروحة تسمح بإنتاج تأثير

[1] إبن فريحة الجيلالي: المرسل بين فن الإلقاء وأساليب الإقناع، ص 20.

[2] حافظ إسماعيل علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2010م، ص 01.

البروز، ورؤية الفكرة الواحدة من زوايا عديدة، باختصار إنها طريقة لتأطير الأطروحة، هذه الحجة لها أيضًا بعد تربوي أساسي، لأنها تكرار المعنى نفسه بأشكال مختلفة، ويسمح هكذا بفهم جيد من دون أن يؤدِّي ذلك إلى الخمول، فالتكرار قلَّما يكون مفردًا، إنه يصلح غالبًا للربط بين حجج أخرى تسهم مجتمعة في حزمة، في إختلاف رؤية شاملة[1]، فالتكرار إمَّا أن يكون في اللفظة ومعناها، كما قد يكون في المعنى دُونَ اللفظ، كما قد يكون في بنية تركيبية قصد التأثير على المتلقي وإقناعه، وهي وسيلة لغوية حجاجية قوية تأثيرية وإقناعية.

التكرار لا يدرس ضمن الحجج أو البراهين، إنَّمَا يُعدُّ رافدًا أساسيا يرفد هذه الحجج أو البراهين التي يقدِّمُها المتكلم لفائدة أطروحة ما، بمعنى ان التكرار يوفِّر لها طاقة مضافة تحُدِثُ أثَرًا جليلا في المتلقي وتساعد على نحو فعَّال في إقناعه أو حمله على الإذعان ذلك أن التكرار يُساعد أوَّلاً على التبليغ والإفهام ويعين المتكلم ثانيا على ترسيخ الرأي أو الفكرة في الأذهان، فإذَا ردَّدَ المحتَجُّ لفكرة حجة ما أدركَت مراميها وبانت مقاصدها، ورسخت في ذهن المتلقي وإن ردَّدَ رَابطًا حجاجيًّا أقام تناغما بَيِّنًا بين أجزاء الخطاب وأكَّدَ الوحدة بين الأقسام أو أوهم المتلقِّي بها.[2]

في الخطاب القرآني بصفة عامة، خاصَّةً ما وُجِّهَ إلى أهل الكتاب نجد تكرار بعض مفرداته ومعانيها، وبعض تراكيبه الموجَّهة لبني إسرائيل تحديدًا، كالإيمان بالله، وطاعته، وذكر النِّعم لتثبيت فكرة الإيمان بالله وأنبيائهم وطاعته، وذكر النعم التي أَنعَمَهَا الله عليهم ....

التكرار اللفظي في الحجاج قادر على الإضطلاع بدور حجاجي هام متى إعتمد في سياقات محدَّدة وتوفَّرت فيه شروط معينة، فتكرار اللفظة ذاتها في أكثر من موضع يُعَدُّ من أفانين القول الرافد للحجاج المدَعِّمَة للطاقة الحجاجية في الدليل أو البرهان، لما له من وقع في القلوب[3].

فتكرار لفظة حجة لها أهمية كبيرة بالنسبة للمتكلم، وهدف يجب تكريسه وترسيخه في ذهن المتلقي، الذي بدوره ينبغي أن يستوعبه، ويأخذ به، ويتفاعل معه، لأنَّهُ هام وضروري، وهو نفسه بالنسبة لتكرار المعنى أو التركيب.

---

[1] فيليب بروطون: الحجاج في التواصل، ترم/ محمد مشبال، عبد الرحمن التهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2013م، ص 108.

[2] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، ص 168.

[3] المرجع نفسه، ص ن.

2- ألفاظ التعليل:

يستعمل المخاطِب في خطاباته بعض ألفاظ التعليل، لتركيب خطابه الحجاجي، وبناء حججه فيه، والتعليل قد يكون بـ: الحروف الأحادية أو الثنائية أو الثلاثية وأيضًا الرباعية، والتعليل بالأسماء والمفعول لأجله، والتعليل بوسائل أخرى كالتركيب الشرطي الظاهر والمضمر، وكلمة السبب، والوصل السببي ....

فالتعليل هو تبيين الغرض من إيقاع الفعل أو سبب وقوعه، وهو على قسمين: تعليل بالغرض وتعليل بالسبب، ففي الأول يعلّل الفعل بأن يذكر المراد من إيقاعه والباعث عليه، وفي الثاني يعلِّل المؤثِّر والمسبِّب له [1]، والتعليل في كتاب الله تعالى لا يشتمل إلا على العلتين: الفاعلية (وهي السبب عند المحدثين) والغائية (الغرض)[2]:

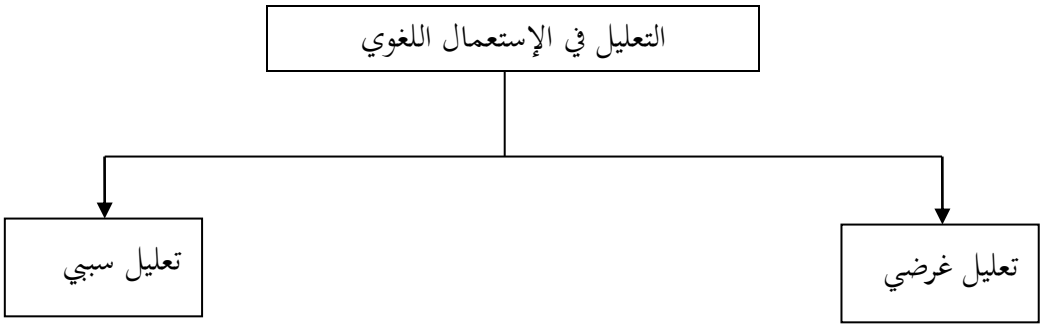

التعليل باللام: اللام من بين الحروف المفيدة للتعليل حيث تستعمل بالغرض والتعليل بالسبب، فتدخل في غرض الفاعل في فعله، فتفيد أنَّ ما بعدَها غرض وعلّة غائية لإحداث ما قبلها، وما قبل اللام سبب لوجود ما بعدَها، ومن ثَمَّ فإن الفعل قبل اللام يكون علّة من جهة، إذ هو ما يُسَبِّبُ حصول الغرض، ومعلولاً من جهة أخرى لأن الغرض في ذهن الفاعل هو الذي حمله على إيقاع ذلك الفعل فَسَبَّبَ إيجاده[3]، ومن أمثلة هذا النوع: قوله تعالى: «إِنَّا أَنزَلْنَا الكتاب بالحَقِّ لتحْكُمَ بينَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ»[4].

وللتفريق بين تعليل الغرض والسبب نبيِّن المثال التالي:

---

[1] أحمد خضير عباس: أسلوب التعليل في اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007م، ص 32.

[2] يونس عبد مرزوك الجنابي: أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم، دراسة نحوية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2004م، ص 21.

[3] أحمد خضير عباس، أسلوب التعليل في اللغة العربية، ص 36.

[4] سورة النساء: الآية 105.

لِمَ ضربت إبنك؟ – ← للتأديب ← الغرض من الضرب.
← لإساءته ← سبب الضرب.

اللام المعلّلة هي أم باب التعليل لها ميزات خاصة تتمثَّل في:

– أنَّها إختصَّت من بين الحروف المعللة الأخرى بشيوع استعمالها في التعليل بقسمية، التعليل بالغرض والتعليل بالسبب.

– كونها تدخل على الإسم الصريح والفعل المضارع، ومع الأول تفيد التعليل بالغرض والسبب، ومع الثاني تفيد التعليل بالغرض، وتدخل على الحروف كذلك نحو: (لكي).

– أنها تأتي ظاهرة مرة، وقد تكون مقدرة مضمرة مرة أخرى.

– تستعمل في التعليل الحقيق والتعليل المجازي.

– التعليل بالباء:

فالتعليل بالباء هو تعليل بذكر السبب، بحيث يكون ما بعدَها سَببًا وعلة فيما قبلها، نحو قوله تعالى:« وإذ قَالَ موسى لقومِهِ يا قومِ إنَّكُم ظَلَمْتُم أنْفُسَكُم باتِّخاذِكُم العِجْلَ»[1]، فالباء هنا داخلة على السبب، أي ظلمتم أنفسكم بسبب اتخاذكم العجل.

– التعليل بالفاء: الفاء مثل ما تدخل على المسبب ويسبقها السبب، تدخل أيضًا على السبب ويسبقها المسبب، وسماها هنا العلماء: فاء التعليل، وهي عندهم بمعنى لام التعليل.

وعند آخرين بمعنى: لأنَّهُ [2] نحو:

أ– إضْرِبْهُ فقد أسَاءَ إليك ← فالإساءة سبب للضرب ← إضربه لإساءته إليك.

ب– قوله تعالى:« قَالَ فَأَخْرُجْ مِنْهَا رَجِيمٌ»[3] ← فكونه رجيمًا سبب خروجه ← لأنَّك رجيم.

– التعليل بحرفي (الكاف) و(الواو): فقد تخرج الكاف من التشبيه إلى معنى التعليل، أي تكون بمعنى لام التعليل، ذهبت إلى ذلك طائفة من النحاة ومثَّلُوا لهَا بقوله تعالى:« وأذكرُوهُ كَمَا هَدَاكُم»[4]

---

[1] سورة البقرة: الآية 54.

[2] أحمد خضير عباس، أسلوب التعليل في اللغة العربية، ص 74.

[3] سورة الحجر: الآية 34.

[4] سورة البقرة: الآية 198.

أي: أذكروه لما هَداكم أو بسبب هدايته لكم، كما قد تأتي الواو بمعنى التعليل، لما نقل (عن الخارزنجي) فتخرج عندئذٍ عن إفادة مطلق الجمع، وحمل على هذا الواو الداخلة على الأفعال المنصوبة في قوله تعالى:« وياليتَنَا نُرَدُّ ولاَ نُكَذِّبُ بِآياتِ رَبِّنَا ولاَ نَكُونُ من المؤمِنينَ »[1]، أي ولنكون من المؤمنين، وعليه يكون التعليل بالواو تعليلاً بالغرض، فما بعدها يعد غرضا للفعل السابق لها.[2]

– **التعليل بالحروف الثنائية**: كما يرد التعليل بالحروف الثنائية نحو (إذ، أن، أو، عن، في، كي، من):

– تفيد(إذ) التعليل بدخولها على السبب، فيكون ما بعدها سببًا في ما قبلها[3]، قال تعالى:« وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ اليَوَم إِذْ ظَلَمْتُم أَنَّكُمْ في العَذَابِ مُشْتَرِكُونَ»[4]، فـ (إذ) هنا لتعليل ما قبلها، أي «إذ ظلمتم» هو تعليل لـ «لَنْ ينفعكم».

– (أو) التي ينتصب المضارع بعدها (عندما لا يكون معطوفًا على ما قبلَهَا وَلاَ مُشَارِكاً له في المعنى قد تأتي بمعنى (كي) فتفيد التعليل بالغرض، إذ أنَّ ما بعدها يكون غرضًا لمِاَ قبلها نحو: (لأرضينّ الله أو يغفر لي) أي أرضين الله كي يغفر لي، فما بعد (أو) وهو المغفرة غرض لما قبلها وهو (إرضاء الله).

– تفيد (عن) التعليل، على أن تكون داخلة على ما هو علة وسبب لما قبلها، ويحسن مكانها لفظة (بسبب)، نحو: لم أكن أسجد لله إلا عن إيمان به، أي بسبب إيماني به، ويبدو أن التعليل بـ (عن) تعليل بالسبب، فالسجود لله تعالى متسبب عن الإيمان والإعتقاد والتصديق بالله، وهذا كله سابق للسجود في الذهن والخارج.[5]

– تفيد (في) السببية والتعليل إذا دخلت على ما هو سبب وعلة لما قبله، إذ تقوم لفظة (بسبب) مكانها مؤدية المعنى[6]، نحو قوله تعالى:« يَا أَيُّهَا الذِّيَن آمنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ القِصَاصُ في القَتْلَى»[7]، (في) (في)

---

[1] سورة الأنعام: الآية 27.

[2] أحمد خضير عباس، أسلوب التعليل في اللغة العربية، ص 78.

[3] يونس عبد مرزوق الجنابي، أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم، دراسة نحوية، ص 136.

[4] سورة الزخرف: الآية 39.

[5] يونس عبد مرزوق الجنابي: أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم، دراسة نحوية، ص 147.

[6] المرجع نفسه، ص 150.

[7] سورة البقرة: الآية 178.

هنا للسببية أي بسبب القتلى، والمعنى : أيها المؤمنون وجب عليكم إستيفاء القصاص من القاتل وإيقاع العقوبة عليه بسبب قتل القتلى.

- (كي) حرف يفيد التعليل على جميع الأحوال التي يأتي فيها، إذ نجدها أينما وجدت كان ما بعدها علة لما قبلها، فهي تعني السببية، سواء لأفردت أم سبقت باللام، يدلل ذلك أنها لا تستعمل إلا في مقام التعليل[1].

- (من) تفيد التعليل بالسبب، ذلك: إنَّها تدخل على سبب سابق لما كان مسببا عنه كقوله تعالى « يَحْسِبُهُم الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَعَفُّفِ »[2]، (من) سببية أي: إنَّ الحامل على حسبانهم أغنياء هو ظهور سيماء العفة والإستعلاء والترفع عن المسألة، وعدم إظهار الحاجة لأحد، وإعتماد التوكل على الله تعالى، لأنّ عادة من كان غني مال أن يتعفف، ومن (التعفف) يجوز أن يتعلق بـ (يحسب) أي: بحسبهم من أجل التعفف، ولا يجوز أن يتعلق بمعنى (أغنياء) لأن المعنى يصير إلى ضد المقصود.[3]

- التعليل بالحروف الثلاثية والرباعية:

من بين الحروف التي تفيد التعليل، الحروف الثلاثية والرباعية نحو (إذن، إنّ، أنّ، على، كما)، وأيضًا (حتى، لأنّ، لعلّ):

- (إذن) من الحروف الثلاثية التي تفيد التعليل، وتعليلها يكون بذكر السبب، فجوابك لما قال أزورك: إذن أكرمك، فيه أن (إذن) تفيد أن الإكرام متسبب عن الزيارة، والزيارة سبب سابق للإكرام ذهنا وخارجا، وكذلك: لو قيل: كثر كلام فلان، فيجاب: إذن سيسأم سامعوه، فكثرة الكلام سبب سأم السامعين.[4]

-كما قد تأتي (على) لإفادة التعليل إذا كانت داخلة على ما هو سبب في وجود متعلقها[5]، نحو: شكرت المحسن على إحسانه وجازيته على صنيعه، فالإحسان سبب لشكر المحسن، والصنيع سبب المجازاة.

---

[1] يونس عبد مرزوق الجنابي: أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم، دراسة نحوية، ص 155.

[2] سورة البقرة: الآية 273.

[3] يونس عبد مرزوق الجنابي: أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم، دراسة نحوية، ص 163.

[4] أحمد خضير عباس، أسلوب التعليل في اللغة العربية، ص 106.

[5] يونس عبد مرزوق الجنابي: أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم، دراسة نحوية، ص 177.

– أما لفظة (كما) فإنها تدخل على الفعل المضارع، وتدخل على غيره، فعند دخولها على غيره كأن تدخل على جملة إسمية أو فعل ماض، فأصلها كاف التشبيه دخلت عليهما (ما)، أما إذا دخلت على الفعل المضارع، فإذا كانت منصوبا فإن أصلها (كيما) وتفيد هنا التعليل بالغرض، وإذا كانت مرفوعا إحتمل فيه ذلك فيكون أصلها (كي) مكفوفة بـ (ما)، وإحتمل هنا غيره وأصلها هنا كاف التشبيه مكفوفة بـ (ما) أيضًا.[1]

– لفظة (حتى) مع الفعل المضارع تفيد ثلاث معان، كإنتهاء الغاية بمعنى (إلى أن) أو الإستثناء بمعنى (إلاّ أنّ)، أو التعليل بمعنى (كي)[2] نحو: أطع الله حتى يدخلك الجنة، فيكون التعليل بـ (حتى) تعليلاً بالغرض، نحو قوله تعالى:« وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُم حَتَىَّ يَرُدُّوكُم عن دِينكُم إن استطاعُوا»[3]، أي (كي يردوكم)، وهنا غرض دوامهم على القتال وتعليل له.

– كَما تُعدُّ (لأنَّ) من ألفاظ التعليل، بل هي من أهمّها فقد يبدأ المرسل خطابه الحجاجي بها في أثناء تركيبه، وتستعمل لتبرير الفعل، كما تستعمل لتبرير عدمه[4]، نحو: نجحت لأنني مجتهد.

– ولفظة (لعلَّ) من الحروف الرباعية التي تفيد التعليل، وتكون فيه بمعنى (كي) نحو قوله تعالى: « فَأَتَّبِعُوهُ وَإِتَّقُوا لَعَلَّكُم تُرْحَمُونَ»[5]، أي كي ترحموا، وقوله تعالى:« وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُم بِكُم وَسُبُلاً لَعَلَّكُم تَهْتَدُونَ »[6] أَي كَيَ تَهْتَدُوا.

– **المفعول لأجله**: يعد المفعول لأجله من ألفاظ التعليل مهما كان وجه وروده في الخطاب بوصفه المصدر الذي يدل على سبب ما قبله (أي بيان علته) ويشارك عامله في وقته، وفاعله هو ثلاثة أقسام. قياسية: مجرد من أل، والإضافة، ومضاف، ومقترن بأل[7]، نحو: جاهد عميروش لتحقيق الحرية، فيكون المفعول لأجله كمبرر لتحقيق الجهاد.

---

[1] أحمد خضير عباس، أسلوب التعليل في اللغة العربية، ص 113.

[2] المرجع نفسه، 115، 116.

[3] سورة البقرة: الآية 217.

[4] عبد الهادي بن طافر الشهري،: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 478.

[5] سورة الأنعام: الآية 155.

[6] سورة النحل: الآية 15.

[7] عبد الهادي بن طافر الشهري،: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 478.

– التعليل السببي:

التعليل السببي قد يكون بكلمة السبب من خلال ذكرها تلفظا نحو: فشلت في الدراسة بسبب الكسل، بحيث تكون كلمة (بسبب) تعليل، والكسل سبب التعليل في الدراسة، كما قد يكون التعليل بالوصل السببي من خلال الربط بين أحداث متتابعة، مثل الربط بما يمكن أن يكون المقدمة والنتيجة، فتصبح النتيجة مقدمة لنتيجة أخرى[1].

وقد يَرِدُ التعليل السببي في التراكيب الشرطية الظاهرة أو المضمرة، يساهم في توليد حجة أو حجج لها علاقة بالحجة الأولى، فيتولّد ربطا بين المقدمة والنتيجة من خلال الإنتقال من حجة إلى أخرى بواسطة ادوات لغوية معينة، وهو ما يسميه (ببرلمان وزميله) بالحجة التداولية، وهي الحجة التي تمنح فرصة التقويم لعمل ما أو حدث، وذلك بالنظر إلى تتابعاتها المرغوبة أو غير المرغوبة، ولهذا فإن الحجة التداولية تضطلع بدور مهم في تثمين الأعمال، سواء في وضعها الحاضر أو في وضعها المستقبلي، ولا يقتصر دورها على ذلك، بل يتجاوز المرسل بها إلى توجيه السلوك والفعل المستقبلي[2].

فألفاظ التعليل على إختلافها تعد من الأدوات اللغوية التي يوظفها المخاطب لبناء خطابه الحجاجي، بصيغة أحادية أو متتالية، تلك الأدوات يتقدمها المفعول لأجله وكلمة السبب، و(لأن)، و(كي) الناصبة، والتراكيب الشرطية التي تندرج ضمن التعليل السببي، يستعملها المخاطب لتبرير أو تعليل فعل ما.

3- الأفعال اللغوية:

الأساليب الإنشائية وما تحمله من أفعال لغوية مباشرة وغير مباشرة لها علاقة وطيدة بالعملية الحجاجية، لأنها تهدف إلى إثارة عواطف وأحاسيس المتلقي من جهة، وتوجيهه إلى توجه معين، فالأساليب الإنشائية تثير المشاعر وتشحن من ثمة بطاقة حجاجية هامة لأن إثارة المشاعر ركيزة كثيرا ما يقوم عليها الخطاب الحجاجي[3]، فالأمر والنهي والإستفهام بطريقة غير مباشرة كلها حجج تساهم في في تغيير موقف المخاطب تجاه فعل أو تصرف معين.

---

[1] عبد الهادي بن طافر الشهري،: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 480.

[2] المرجع نفسه، ص 481.

[3] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، ص 139.

فالإستفهام مثلا يعد من أنجح أنواع الأفعال اللغوية حجاجا[1]، لأن السائل متى طرح سؤالا دعا المتلقي إلى لإتخاد قرار، ومن هنا ندرك أهمية المساءلة من الناحية الحجاجية إذ لما كان الكلام إثارة السؤال أو إستدعاء له فإنه يولد بالضرورة نقاشا ومن ثمة حجاجا فطرح الأسئلة في الخطاب هي وسيلة هامة من وسائل الإثارة ودفع الغير إلى إعلان موقفه إزاء مشكل مطروح، هذا الموقف يحدد المتكلم بقرائن ومواد إختبارية تحضر في السياق وتقود عملية الإستنتاج المتصلة بالسؤال المطروح[2] .

من الأفعال اللغوية الأخرى التي لها طاقة حجاجية هامة (الأمر والنهي)، وهي الأفعال التي وسمها (أوستين Austin) بـ: Actes perlocutionnaires أي الأقوال التي فيها إنجاز لأفعال معينة ولكنه إنجاز ضمني لأن صيغتي الأمر والنهي تحملان معنى الدعوة ومن ثمة تبدو وصلتهما بالحجاج وثيقة لأنهما يهدفان إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معين [3]، فالأمر والنهي نابضان بالإثارة قادران على تحريك الوجدان وإحداث ما ينشد المتكلم تحقيقه في المتلقي من إنفعال[4].

فالحجاج بالأفعال اللغوية هي قوة حجاجية يستعملها المخاطب لإثارة وإقناع وتوجيه المتلقي، بطريقة غير مباشرة تلميحية ظاهرة أو مضمرة، إستفهاما أو نهيا أو أمرا، كما يمكن أن يكون بإستعمال النفي[5].

4- الحجاج بالتبادل:

آلية حجاجية يحاول فيها المرسل أن يصف الحال نفسه في وضعين ينتميان إلى سياقين متقابلين، وذلك ببلورة علاقات متشابهة بين السياقات، كما يمكن أن تكون نقلا لوجهة النظر بين المرسل والمرسل إليه، وما يتميز به هذا النوع من الحجاج أنه دعوة المرسل للمرسل إليه إلى ترسيخ هذا المبدأ بينهما بالتساوي ولذلك يكثر إستعمال الحجاج بالتبادل في النصائح لإقناع المرسل بجدوى ما يذهب إليه مثل (الحقيقة مرة، كالدواء لكنها مفيدة)[6].

---

[1] عبد الهادي بن طافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوي تداولية، ص 482.

[2] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، ص 141.

[3] المرجع نفسه، ص 149.

[4] المرجع نفسه، ص 153.

[5] عبد الهادي بن طافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 485.

[6] المرجع نفسه: ص 486.

5- الوصف:

يشمل الوصف عددا من الأدوات اللغوية منها:

- الصفة: من الأدوات التي تمثل حجة للمرسل في خطابه، وذلك بإطلاقه لنعت معين في سبيل إقناع المرسل إليه.

- إسم الفاعل: من نماذج الوصف التي يدرجها المرسل في خطابه بوصفها حجة ليسوغ لنفسه إصدار الحكم الذي يريد، لتبنى عليها النتيجة التي يرومها.

- إسم المفعول: من الأوصاف الحجاجية المستعملة من طرف المرسل، من خلال وضع نفسه في وضعية معينة[1]

6) تحصيل الحاصل:

يمثل هذا الضرب بعض التنوعات الحجاجية والصور الخطابية، فمن التنوعات الحجاجية، التي تمثل هذا الضرب الخطابي ما يسمى بالتمثيل، ويتجسد من خلال تعدد التعاريف رغم وحدة المعرّف[2]، مثل إستعمال عدة أوصاف لموصوف واحد لهدف إقناع المرسل إليه، فنجده يستعمل عدة ألفاظ دالة، تنتمي إلى حقل معين، من أجل موصوف واحد.

ب- الآليات البلاغية:

للبلاغة أساليب وآليات لها دور ووظيفة حجاجية في الخطاب اللغوي، إضافة إلى دورها الجمالي والذي يؤثر إيجابا على إقناع المتلقي، فأهمية الوسائل البلاغية تكمن فيما توفره للقول من جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي والفعل فيه، فإذا انضافت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام وتصل بين أقسامه، أمكن للمتكلم تحقيق غايته من الخطاب أي قيادة المتلقي إلى فكرة أو رأي معين ومن ثم توجيه سلوكه الوجهة التي يريدها له"[3]، فإذا كان الحجاج آلة المتكلم في إقناع المتلقي، وفن من فنون الكلام، وتقنية لغوية، فإن الآليات البلاغية المستعملة بمثابة إضافة قوية لهذه الآلة والتقنية الحجاجية، فالأساليب البلاغية قد يتم عزلها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية إنشائية (كما هو مطلوب في سياق البلاغة) بل هي تؤدِّي وظيفة إقناعية إستدلالية

---

[1] عبد الهادي بن طافر الشهري،: إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، 486.

[2] المرجع نفسه: ص 489، 490.

[3] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه، ص 120.

(كما هو مطلوب في الحجاج)، ومن هنا تبين أن معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصة التحول لأداء أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية ولإفادة أبعاد تداولية، فمن مصلحة الخطاب الحجاجي أن يقوى طرحه الإعتماد على الأساليب البلاغية والبيانية التي تظهر المعنى بطريقة أحلى وأوقع في النفس"[1].

فالأساليب البلاغية التي يستعملها المخاطب في خطابه الحجاجي كثيرة ومتنوعة من بينها:

1- التفريع:

التفريع أو تقسيم الكل في الجزء" هي حجج تستهدف الإستدلال على وجود المجموع من خلال تعدد أجزائه"[2]، بحيث يذكر المخاطب حجته العامة أو الكلية، ثم تعداد أجزائها، ليكون مجموعة من الحجج تقوي وتدعم ما يدعيه، وتقوي الحجة الأولى العامة.

2- الإستعارة والتمثيل:

تأتي الإستعارة والتمثيل كأهم خاصيتين أسلوبيتين للخطاب الحجاجي والبلاغي عموما، تهدف إلى إحداث التغيير في الموقف الفكري والعاطفي للمتلقي، وتجتمع لتحقيق هذا الهدف:

- التوفر على الجدة والتعبير والدقة في التصويرات والتشابهات، والخروج باللغة عن مألوفها، أو ما يسمى بـ (الإنزياح اللساني).

- إعتبار السياق، كونه يمنح الإستعارة والتمثيل معا تداوليتها من خلال التأثير الذي يحدثانه في المتلقي[3].

فالإستعارة تعد من الوسائل اللغوية التي يشغلها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية، بل إنها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جدا، ما دمنا نسلم بالطابع المجازي للغة الطبيعية، وما دمنا نعتبر الإستعارة إحدى الخصائص الجوهرية للسان البشري، لذلك فهي من النوع الأكثر إنتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية والتواصلية[4]، فالإستعارة عند (عبد القادر الجرجاني) "هي أن يكون اللفظ أصل في الوضع اللغوي معروفا تدل الشواهد على أنه إختص به في حين وضع، ثم

[1] صابر الحباشة: التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، ص 51.

[2] عبد اللطيف عادل: بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1، 2013م، ص 93.

[3] هاجر مدقن: الخطاب الحجاجي، انواعه وخصائصه، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2013م، ص 120.

[4] أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 107 – 108.

يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية، وهي تنقسم إلى قسمين: أن لا يكون لنقله فائدة، وان يكون له فائدة"[1]، ويقول في مواقع التمثيل وتأثيره:" إعلم أنَّ مما إتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشَبَّ من نارها، وضَاعَفَ قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستشار لها من أقاص الأفئدة صباغة وكلفا، وقصر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا ... وإن كان حجاجا برهانه أنور، وسلطانه أقهر وبيانه أبهر"[2].

لِكُلٍّ من الإستعارة والتمثيل دور كبير في الخطاب الحجاجي، لما تتمتَّع به هذه الوسائل البلاغية من فائدة للمخاطب، وتأثير في المتلقي وإقناعه، وملئ فراغ الخطاب وجماليته، وبيان الصورة للآخر وتوضيحها، مما يجعل الإستعارة الحجاجية أكثر إنتشارا في الخطابات اليومية، والأدبية، والسياسية وغيرها.

3- الموازنة:

الموازنة تكون بين شخصين، أو قضيتين أو كلمتين، كالموازنة بين متاع الدنيا ومتاع الآخرة، أو نار الدنيا ونار جهنم، فتكون (متاع الآخرة، ونار جهنم) كدليل وحجة يقوي ما يقوله المخاطب عن متاع الدنيا، ونار الدنيا، فالموازنة بين الطرفين يقوي الخطاب الحجاجي، ويمنح للمتلقي فائدة أخرى موازية.

4- الكناية

الكناية من الوسائل الحجاجية التي يعتمد عليها أحيانا المخاطب في خطابه، أثناء خروجه من الحقيقة إلى المجاز، وانطلاقا من علاقة تجمعه بالمتلقي، ومن المقام الذي هو فيه، أو المناسبة التي تجمعهما.

الوظيفة الحجاجية للكناية تكمن فيما يقصده المتكلم من وراء الرمز اللغوي المستعمل، الذي يهدف إلى إقناع المتلقي عن طريق إعطاء صورة أخرى للصورة الحقيقية، وهي صورة مضمرة، يريد من خلالها إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ المذكور في الموضوع، فالدليل أو الحجة يظهر من خلال ما يضمره

[1] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح/ محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 1999م، ص 27.
[2] المرجع نفسه: ص 88.

أو يحيلنا عليه اللفظ، يقول عبد القاهر الجرجاني: "المراد بالكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، ويجعله دليلاً عليه"[1]

5- البديع:

تمنح البلاغية الخطاب الحجاجي ميزة الإشتمال على البعدين الإستدلالي والإمتاعي، أو الجمع بين البيان والبديع معًا، مَادامَت الحجة لا تُساق إلا في مظهر مجازي أو صوره بديعية، تفيد الإيصال الموفور بالمتعة إضافة إلى الإقناع الذي يأتي في الدرجة الأولى.[2]

من خلال المحسنات البديعية يسعى المخاطب إلى إقناع المتلقي، فيخرجها من دورها الجمالي إلى الإقناعي أيضا، يتجسد ذلك من خلال توظيف الإيجاز والإطناب، والسجع والطباق، في الخطاب لتزيده قوة حجاجية وإقناعية.

للإستراتيجية الحجاجية والإقناعية أساليب بلاغية كثيرة ومتنوعة تساعد على بناء خطاب حجاجي بما يتماشى مع السياق، وما يختاره المرسل منها، هو ما يراه يفي بالغرض والقصد، ويحقق هدفه الإقناعي.

ج- الآليات المنطقية:

الخطاب الحجاجي قائم على علاقات خطابية، وهي علاقة قائمة بدورها على علاقة الدعوى أو النتيجة، تكون مرتبطة بمحتوى المقدمات، ويعتبر القياس من الآليات المنطقية الذي يربط بين أركانه (المقدمة الكبرى والصغرى والنتيجة) فينتج من خلاله القياس المنطقي الكامل، أو مُضمرًا عند إضمار أحد أركانه، أو متدرجاً عند إتصال بعض مجموعات القياسات المنطقية ببعض، أو قياس بالخلف من خلال بيان تفيض أو ضد على ما هو مطلوب، فهذه آليات منطقية يسعى من خلالها المخاطب إلى إقناع المخاطب إنطلاقًا من القياس بين العلاقات والعناصر الخطابية، أي بين المقدمة الكبرى والصغرى والنتيجة، مِمَّا يولِّد ربطاً بين عناصر الخطاب من المتلقي والتفاعل معه، وهذه الآليات يستعملها المخاطب في خطابه اليومي، وفي خطابات أخرى كالخطاب الديني.

1- القياس المنطقي الكامل:

القياس المنطقي بنيته أساسية في كل خطاب حجاجي، وظيفته هي الإنتقال مما هو مسلم به عند المخاطب، أي المقدمة الكبرى- إلى ما هو مشكل أي النتيجة، متقدم، ولا يجب القياس إلا عن

[1] عبد القادر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 66.

[2] هاجر مدقن: الخطاب الحجاجي، أنواعه وخصائصه، ص 120.

قول متقدم، فيكون القياس نتيجة ذلك، فالقياس المنطقي من البنى المنطقية الدلالية المهمة في النص الحجاجي العربي، ولعل الأهم على الإطلاق، يفهم فهما أفضل في ضوء تأمل كيفية فهم عالم المنطق له، القياس المنطقي التقليدي هكذا:

- كل الناس فانون ← المقدمة المنطقية الكبرى Major premise
- سقراط إنسان ← المقدمة المنطقية الصغرى Minor premise
- سقراط فان ← النتيجة Conclusion[1]

2- القياس المضمر:

هو أحد أنواع القياس المنطقي، معيار القياس المضمر أنه قياس محذوف المقدمة، وهي عادة المقدمة الكبرى مثل: الوطن جدير بالولاء لأنه يساعد على تربية المرء.

سوف يستلزم القياس المنطقي الكلي القياس المضمر التالي:

- المقدمة الكبرى (مضمرة) : كل شيء يساعد على تربية المرء جدير بالولاء.
- المقدمة الصغرى (مذكورة): وطن المرء يساعد على تربيته.
- النتيجة وطن المرء جدير بالولاء.[2]

فالقياس المضمر قد تضمر فيه المقدمة الكبرى أو الصغرى أو النتيجة، وهي عادة تكون فيه المقدمة الكبرى محذوفة.

يختلف القياس المنطقي مع القياس المضمر في كون الأول مقدمته الكبرى مذكورة في جميع حالاته على عكس المضمر أين تكون مقدمته الكبرى مضمرة في أغلب الحالات أيضا، فهو قياس يقوم على التخمين وإبداء الرأي والإحتمال.

3- القياس المتدرج:

شأنه شأن القياس المنطقي، وهو شكل من أشكال تحديد العلاقات المنطقية الدلالية بين الأقوال وما نعبر عنه من قضايا، يعد القياس المتدرج إمتدادا معقدا للتعليل القائم على القياس المنطقي، وذلك بأن تتصل بعض مجموعات القياسات المنطقية ببعض، حتى تؤدي إلى نتيجة هي المقدمة الكبرى لنتيجة

[1] محمد العبد: النص والخطاب والإتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعيين، القاهرة، ط1، 2005م، ص 217-219.

[2] المرجع نفسه: ص 222.

أخرى لاحقة[1] مثل:

- كل مواطن جزائري يحب وطنه.
- كل من يحب وطنه وطني.
- كل وطني يخدم بلاده.
- كل من يخدم بلاده لا يحتاج إلى العناية.
- كل وطني يحتاج إلى العناية.

3- خطاب الله سبحانه وتعالى إلى بني إسرائيل:

بنو إسرائيل، من الألقاب التي أطلقها القرآن على اليهود، مركب من إسرا: وهي العبد، وإيل: إسم من أسماء الله تعالى، فكأنه عبد الله، وذلك باللسان العبراني، فيكون مثل: جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، قاله (إبن عباس)، وقيل: معنى إسرا: صفوة وإيل: الله تعالى، فمعناه: صفوة الله، روي ذلك عن إبن عباس وغيره.[2]

وبنو إسرائيل: ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمان، وكان يعقوب عليه السلام يدعى إسرائيل، وبهذا تغلغلت العصبية وجاءت دعاوي التحيَز لليهود المنحدرين من نسل سيدنا يعقوب عن غيرهم عبر قرون من الزمن، إذ أن بني إسرائيل قبيلة لم تتطور، عاشت في حالة العزلة الإجتماعية، وما يلازمها عند البدو من عزلة العصبية بالدم والسلالة.[3] وبنو إسرائيل من الألقاب التي يفضلها ويعتز بها الإسرائيليون كثيرا، لأنه اللقب الذي به يؤكدون، أو يبرزون به نسبهم إلى إبراهيم عليه السلام، وبه يبدأ التاريخ الحقيقي لبني إسرائيل.

في خطاب القرآن لبني إسرائيل على وجه الخصوص، وردت آيات عديدة لتذكيرهم بعبوديتهم لربهم، وأصل نبيهم الطاهر، وليتخذوا منه قدوة في عبادتهم ومعاملتهم، وقد ورد هذا اللقب ثلاثة وأربعين مرة، في مناسبات شتى، كالإيمان بالله عزَّوجل، وتذكيرهم بالنعم التي أنعمها عليهم، وتقوى الله، وعدم استبدال الحق بالباطل، والإيمان بالأنبياء والرسل، كما وردت هذه الخطابات بصورة حجاجية وإقناعية، للتأثير فيهم، ولفت انتباههم، إلى النعم التي تجلت في أكثر من خطاب، من ذلك قوله

[1] محمد العبد: النص والخطاب والإتصال، ص 226.

[2] أحمد خلف سليمان محمد الجبوري: خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم، ص: 22

[3] أحمد فرج: اليهود واليهودية، التاريخ والعقيدة والأخلاق، دار الوفاء، المنصورة، ط1، 1997م، ص 16.

تعالى:« يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ »[1]. إضافة إلى آيات أخرى تطرح عدة قضايا منها:

أ- خطاب بني إسرائيل:

- يقول الله عزَّوجل: « يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠)وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١)وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢)وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣)أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٤٤)وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥)الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٤٦) »[2].

« يا بني إسرائيل » نداء من الله عز وجل لبني إسرائيل، وهو من أفعال الكلام التأثيرية Acte perlocutoire الغرض منه مخاطبتهم ولفت انتباههم، والتأثير في أفكارهم، ليذكرهم بما أنعم الله سبحانه وتعالى عليهم « إذكُرُوا نعمتي التِي أنعمتُ عليكم »: فعل كلام غرض إنجازي Acte illocutoire، الغرض منه الأمر بذكر النعم، وتلميح تضمنه الخطاب يدل على نكرانهم للنعم التي أنعمها الله عليهم وعلى أسلافهم، وتذكير النعم يقتضي (présupposé) الشكر والطاعة لصاحب تلك النعم وهو الله عز وجل، والنعمة هنا تشمل جميع النعم التي أنعمها الله عليهم، فهو بمنزلة إذكُرُوا نعمي عليكم[3]، « التي أنعمت عليكم » وصف أشير به إلى وجوب شكر النعم، قال مجاهد: نعمة الله التي أنعم بها عليهم: فجر لهم الحجر، وأنزل عليهم المن والسلوى، وأنجاهم من عبودية آل فرعون، وقال أبو العالية: نعمته أن جعل منهم الأنبياء والرسل، وأنزل عليهم الكتب[4].

« وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم » فعل كلام غرضي Acte illocutoire، أمرهم الله عز وجل بالوفاء بالعهد، ووعدهم بالوفاء بوعدهم "أوف" فعل كلام غرضي أيضا Les promissitifs أستعمل العهد الأول في التكاليف، واستعمل العهد الثاني في العهد بالثواب والنصر، واستعمل الإيفاء مع كليهما

[1] سورة البقرة: الآية 40

[2] سورة البقرة: الآيات 40 – 46.

[3] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص451/1.

[4] أبي الفراء إسماعيل إبن كثير: تفسير القرآن العظيم،ص78/1.

في تحقيق ما التزم به كلا الجانبين مستعارا من ملائم المشبه به إلى ملائم المشبه، ومن لطائف القرآن في اختيار لفظ العهد للإستعارة هنا لتكليف الله تعالى إياهم أن ذلك خطاب لهم باللفظ المعروف عندهم في كتبهم[1].

وفي قوله تعالى: « وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم »، حجاج بالتبادل، فهي دعوة من المرسل إلى المرسل إليه إلى ترسيخ مبدأ الوفاء بالعهد بينهما بالتساوي، وهو حجاج يدخل ضمن باب النصيحة والإرشاد ووجوب الوفاء بالعهد، وهو في هذا الموضع: عهد الله ووصيته التي أخذ على بني إسرائيل في التوراة، أن يبينوا للناس أمر محمد صلى الله عليه وسلم أنه رسول، وأنهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة أنه نبي الله، وأن يؤمنوا به وبما جاء به من عند الله، « أوف بعهدكم » وعهدَهُ إياهم أنهم إذا فعلوا ذلك أدخلهم الجنة[2]، قال الضحاك عن إبن عباس « أوف بعهدكم » أرض عنكم وأدخلكم الجنة، «وإياي فارهبون » أي فَاخْشَونِ [3]:

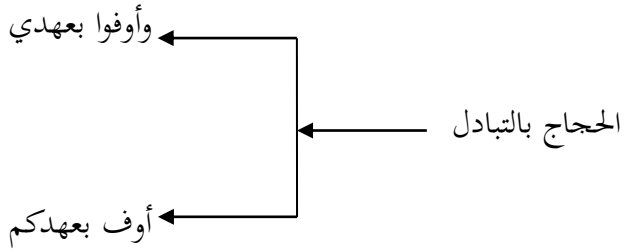

« وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ » فعل كلام غرضي Acte illocutoire، أمر، قوته الغرضية تكمن في دعوة بني إسرائيل إلى الإسلام وهدى القرآن، والإيمان بالكتاب المنزل من عند الله أو بكتب الله، وإن كانت من جملة ما شمله العهد المشار إليه بقوله « وأوفوا بعهدي » فالإيمان بما أنزل جزء من الكل أي الوفاء بالعهد، يقول الإمام (فخر الدين الرازي): إعلم أن المخاطبين بقوله « وأمنوا » هم بنوا إسرائيل ويدل عليه وجهان:

– الأول أنه معطوف على قوله « إذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم » كأنه قيل أذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي و آمنوا بما أنزلت.

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص 451/1.

[2] أحمد خلف سليمان محمد الجبوري: خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 2014م، ص 35.

[3] أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 78/1.

– الثاني: أن قوله تعالى« مصدقا لما معكم يدل على ذلك.[1]

أما قوله " بما أنزلت " ففيه قولان:

– الأقوى أنه القرآن وعليه دليلان: أحدهما أنه وصف بكونه منزلا وذلك هو القرآن لأنه تعالى قال" نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل ".

– والثاني: وصفه بكونه مصدقا لما معهم من الكتب وذلك هو القرآن، وقال قتادة: المراد " آمنوا بما أنزلت " من كتاب ورسول تجدونه مكتوبا في التوراة والإنجيل[2].

أما قوله " مصدقا لما معكم " ففيه تفسيران:

– أحدهما: أن في القرآن موسى وعيسى حق وأن التوراة والإنجيل حق، أن التوراة أنزلت على موسى والإنجيل على عيسى عليهما السلام فكان الإيمان بالقرآن مؤكدا للإيمان بالتوراة والإنجيل، فكأنه قيل لهم إن كنتم تريدون المبالغة في الإيمان بالتوراة والإنجيل فأمنوا بالقرآن فإن الإيمان به يؤكد الإيمان بالتوراة والإنجيل.

– والثاني: أنه حصلت البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم، وبالقرآن تصديقا للتوراة والإنجيل فكان الإيمان بمحمد وبالقرآن تصديقا للتوراة والإنجيل، وتكذيب محمد والقرآن تكذيبا للتوراة والإنجيل[3].

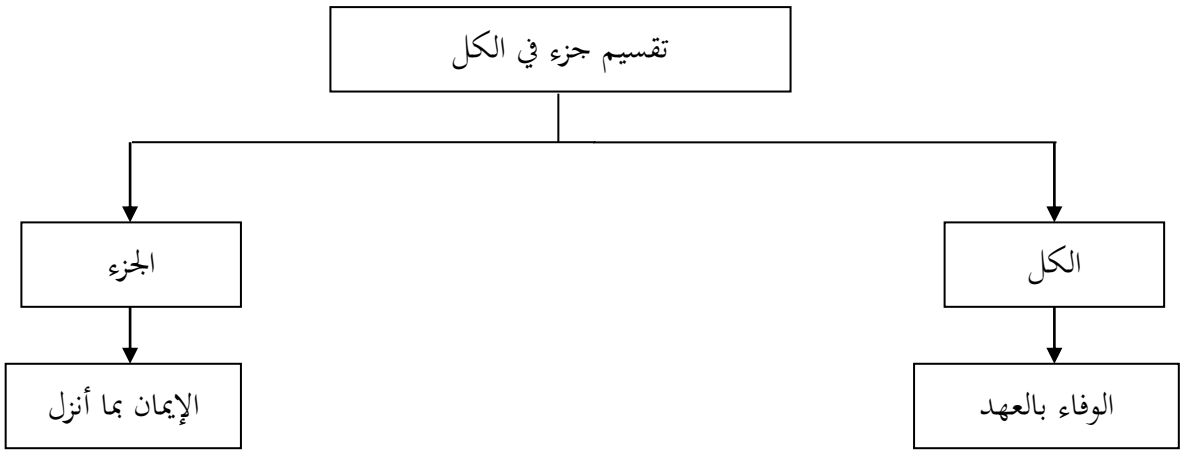

« ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون » من أفعال الكلام الغرضية Acte illocutoire، نهي، قوته الغرضية تتمثل في أن لا يكون أول من يكفر به من بني

[1] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص 42/3.

[2] المرجع نفسه: ص ن.

[3] المرجع نفسه: ص 43.42/3.

إسرائيل، لأن يهود المدينة أول بني إسرائيل خوطبوا بالقرآن، فكفرهم به يستلزم أنهم أول من كفر به من جنسهم[1]، وما تضمنته الآية « ولا تكونوا أول كافر به » أنهم تأخروا في إتباع دعوة الإسلام فتكون الآية تحمل معنى المبادرة إلى الإسلام، ومعنى التوبيخ المكنى عنه بالنهي، فيكون الكلام كناية اجتمع فيها الملزوم واللازم معاً[2]، « ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا » فعل الكلام غرضي Acte illocutoire نهي، قُوتُه تتمثَّل في عدم استبدال آيات الله، ولا تأخُذُوا طمعا قليلاً، ولا تكتُمُوا إسم الله لذلك الطمع وهو الثمن[3]، والإشتراء أستعير هنا لإستبدال شيء بآخر دون تبايع، وهو نهي موجَّه إلى علماء بني إسرائيل الذين يتظَاهَرُون بإنكار القرآن ليلتف حولهم عامة قومهم فتبقى رئاستهم عليهم[4]، « وإيَّايَ فاتَّقونِ» ، فعل كلام غرضي Acte illocutoire، أي خافوا الله في ذلك دون الغير:

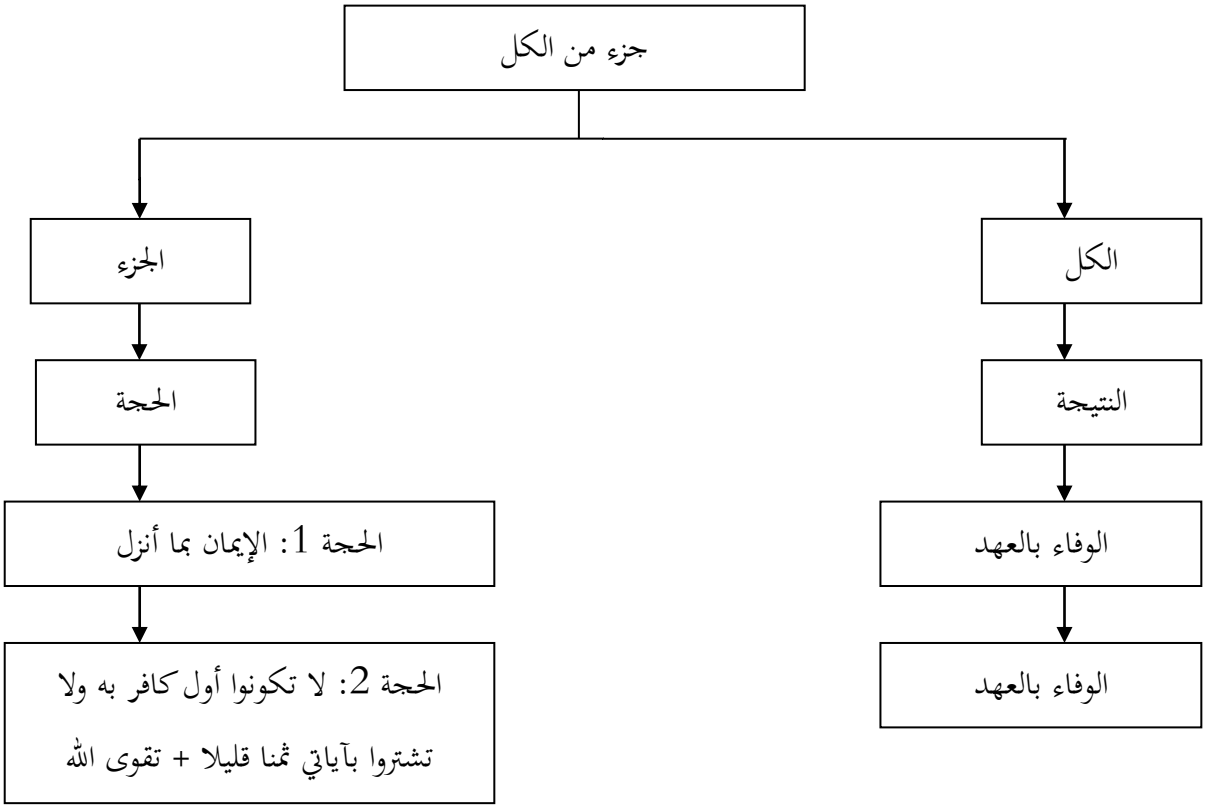

[1] أبي الفداء إسماعيل ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 79/1.
[2] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص460/1.
[3] أبي الفداء إسماعيل إبن كثير: تفسير القرآن العظيم ص 79/1.
[4] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص463/1.

« ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون » فعل كلام غرضي Acte illocutoire نهي، الغرض منه نهيهم عن خلطهم للحق الذي نزل عليهم بالباطل الذي يفترُونَهُ، وأن لا يكتموا الحق الذي جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، وهم يعلمون أنه حق[1].

يقول الإمام فخر الدين الرازي: إعلم أنّ قوله سبحانه : « وأمنوا بما أنزلت » أمر بترك الكفر والضلال، وقوله: «ولا تلبسوا الحق بالباطل» أمر بترك الإغواء والإضلال، وهو إشارة إلى تشويش الدلائل عليه: و« تكتموا الحق » إشارة إلى منعه من الوصول إليها، وهو جزء داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا أو منصوب بإضمار أن[2].

« وأقِيمُوا الصلاة وءَاتُوا الزَّكَاة وإرْكَعُوا معَ الرَّاكِعِينَ » أفعال غرضية Actes illocutoires ، الغرض منها عبادة الله عز وجل بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، يقول الإمام (فخر الدين الرازي): إعلم أن الله سبحانه وتعالى لما أمرهم بالإيمان أولا ثم نهاهم عن لبس الحق بالباطل وكتمان دلائل النبوة ثانيا، ذكر بعد ذلك بيان ما لزمهم من الشرائع وذكر من جملة الشرائع ما كان كالمقدم والأصل فيها وهو الصلاة التي هي أعظم العبادات البدنية والزكاة التي هي أعظم العبادات المالية[3].

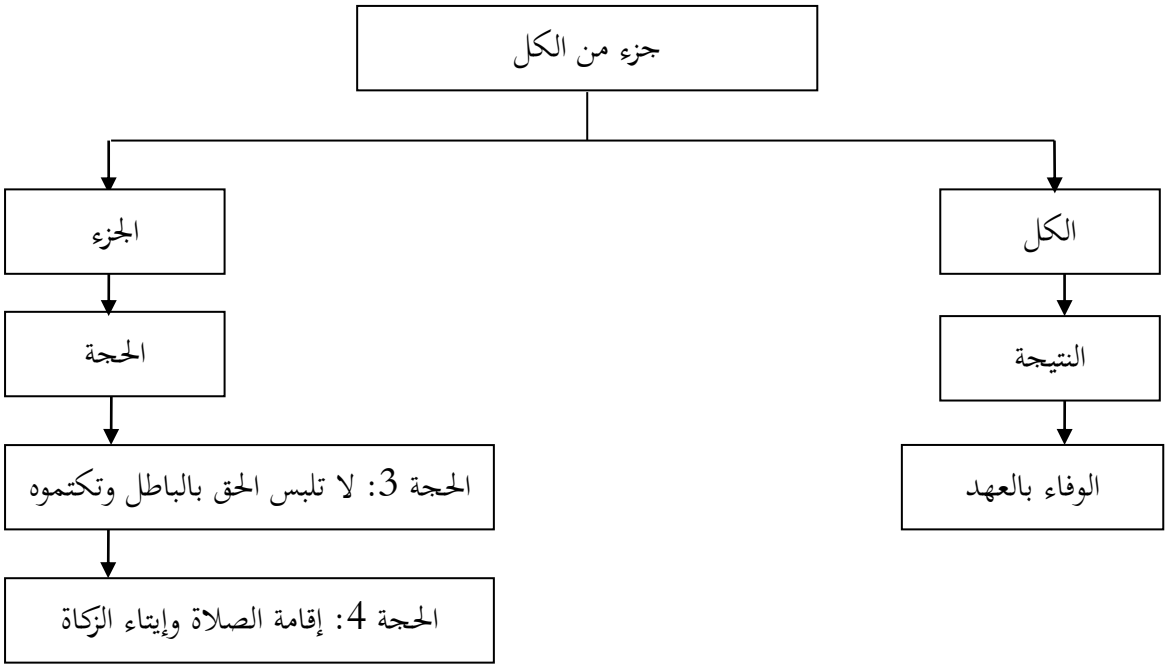

[1] جلال الدين محمد المحلي، جلال الدين السيوطي: تفسير الجلالين، ص 07.

[2] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص 45/3.

[3] المرجع نفسه: ص 46/3.

فقوله عزَّوجل " وأوفوا بعهدي " نتيجة لحجج متتالية تتمثل في الإيمان بما أنزل وأن لا يكونوا أول من كفر به، وأن لا يشتروا بآياته ثمنا قليلا، وأن لا يستبدلوا الحق بالباطل مع كتمانه وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يركعوا مع الراكعين، وهذه الحجج تتفاوت حسب ترتيبها في السلم الحجاجي التالي:

ن: الوفاء بالعهد.

هـ – ءامنوا بما أنزلت.

د – لا تكونوا أول كافر به.

ج – ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا.

ب – ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون.

أ – أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وإركعوا مع الراكعين.

« أتأمرونَ الناسَ بالبرِّ وتنسونَ أنفسَكُم وأنتُم تَتلُون الكِتَابَ أَفَلاَ تعقِلونَ »، فعل كلام غرضي Acte illocutoire، إستفهام، قوته الغرضية تتمثَّل في الإنكار والتوبيخ والتعجب، فالخطاب موجَّه لعموم بني إسرائيل أو لعلمائهم الذين يأمرون الناسَ بالخير وينسونَ أنفسهم، ويفعلون ما لم يأمرون به الناس، «وأنتم تتلُونَ الكتاب » جملة حالية قيد بها التوبيخ والتعجب[1].

« أفَلاَ تَعْقِلُون » فعل كلام غرضي Acte illocutoire، استفهام عن انتقاء تعقلهم استفهاما مستعملا في الإنكار والتوبيخ، نزلوا منزلة من إنتفى تعقله فأنكر عليهم ذلك، ووجه المشابهة بين حالهم وحال من لا يعقلون أن من يستمر به التغفل عن نفسه وإهمال التفكر في صلاحها مع مصاحبة شيئين يذكرانه، قارب أن يكون منفيا عنه التعقل[2].

« واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين » فعل كلام غرضي، أمر، قوته الغرضية تكمن في التمسك بالدين الإسلامي من خلال أهم ركائزه (الصبر والصلاة).

« إنها لكبيرة إلا على الخاشعين »، تأكيد وتقييد بعامل حجاجي « إلا » أي مقتصرة وكبيرة فقط على المؤمنين، الذين آمنوا بالله وبالكتاب وأنبيائه، « الذين يظنُّون أنَّهم ملاقوا ربِّهم وأنَّهم إليه راجعون»

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص 476/1.

[2] المرجع نفسه: مج 1، ص 477/1.

تفصيل لقوله « إلاَّ على الخاشعينَ »، أي الذين يعملون أنَّهم محشورون إليه يوم القيامة، معرضون عليه، وأنَّهم إليه راجعون[1]

المرسل	آليات وأساليب إستيراتيجية الحجاج والإقناع في الآيات	المرسل إليه
الله عزَّوجل	– فعل كلام تأثيري ⟵ (نداء) ⟵ يا بني إسرائيل. – أفعال كلام غرضية ⟵ (أمر) ⟵ إذكروا + أوفوا. – فعل كلام غرضي ⟵ (وعد) ⟵ أوف – حجاج بالتبادل ⟵ وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم. – فعل كلام غرضي ⟵ (أمر) ⟵ ... وءامنوا... – التفريع ⟵ (الكل: الوفاء بالعهد، الجزء: الإيمان بما أنزل) – فعل كلام غرضي ⟵ (نهي) ⟵ .. ولا تكونوا .. ولا تشتروا. – تفريع ⟵ الوفاء بالعهد: الإيمان بما أنزل+ لا تكونوا أول كافر به+ ولا تشتروا ..+ تقوى الله. – فعل كلام غرضي ⟵ أمر ⟵ أقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة وإركعوا مع الراكعين. – سلم حجاجي. – فعل كلام غرضي ⟵ إستفهام ⟵ إنكار وتوبيخ وتعجب.	بني إسرائيل

ب– فضل الله تعالى على بني إسرائيل:

– يقول الله عزَّوجل: « يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (47) وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ (48) وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (49) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (50) وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ (51) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » [2].

[1] أبي الفداء إسماعيل إبن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص1 /82.

[2] سورة البقرة: الآيات 47 ، 53.

« يا بَنِي إِسْرَائِيلَ » فعل كلام تأثيري Acte perlocutoire، نداء، أعيد خطاب بني إسرائيل مماثلا لما وقع في خطابهم الأول، لقصد التكرير والإهتمام بهذا الخطاب وما يترتب عليه[1]، ومخاطبتهم بهذا الإسم القصد الحجاجي منه هو كسب رضاهم للدخول إلى الإسلام.

فعل التلفظ Acte d'énonciation في قوله تعالى:« يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ» أعيد تكراره، كما تكرر في الآية (122) من نفس السورة، وفي الآية (20)من سورة المائدة، وأيضا في الآية (06) من سورة إبراهيم، مما يدل ويبين مدى الإصرار والإلحاح من الله عزَّوجل ومدى محاولة التأثير فيهم، حتى يذكروا النعم و العودة إليها مع العمل بها، يقول الإمام (فخر الدين الرازي): إعلم أنه تعالى إنما أعاد هذا الكلام مرة أخرى توكيدا للحجة عليم وتحذيرا من ترك إتباع محمد صلى الله عليه وسلم ثم قرنه بالوعيد[2].

« اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ» ، فعل كلام غرضي Acte illocutoire، أمر قوته تكمن في ما يحمله من معنى مضمر، وهو شكر الله عزَّوجل على النعم التي أنعمها عليهم وعلى أسلافهم، ومن المفسرين من فسر قوله: « لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً » بما يعم الأجزاء فجعل ما هو مذكور بعده من عطف الخاص على العام[3]:

الجزء على الكل ← لا تجزى نفس عن نفس شيئًا ← ولا يقبل منها شفاعة.
← ولا يؤخذ منها عقل.
← ولا هم ينصرون.

« وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ». «إِذْ » رابطا حجاجيا، ربط الحجة بالنتيجة «نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ » وهي من الوظائف الحجاجية، لأن النجاة من آل فرعون حجة من الحجج، ونعمة من النعم التي أنعمها الله عز وجل لبني إسرائيل:

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص 484/1.
[2] فخر الدين الرازي: تفسير القرآن العظيم، ص 55/3.
[3] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص 468/1.

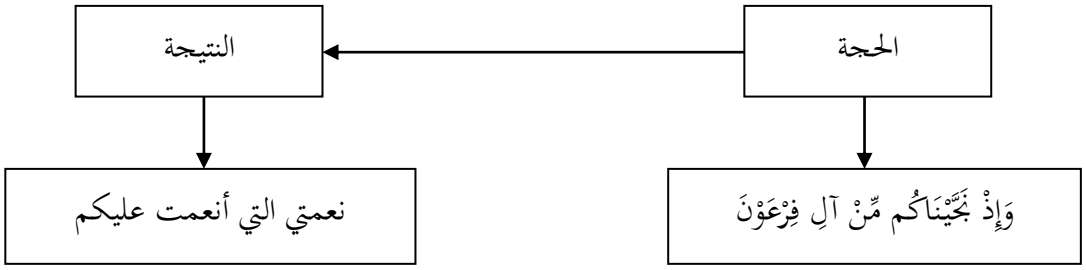

« يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ»، أي يذيقونكم سوء العذاب وأشده، والجملة حال من ضمير« نَجَّيْنَاكُم »، « يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ»، تفريع أو جزء من الكل لـ « سُوَءَ الْعَذَابِ » وفي سورة الأعراف « يقتلون أبناءكم » [1]، ف « يذبحون » حجة على بشاعة عذابهم، وهو العذاب الشديد الذي كان الإسرائيليين يلاقونه من معاملة القبط لهم[2]، «ويستحيون» أي يفتشون النساء في أرحامهن ليعرفوا هل بهن حمل، وقد حكت التوراة أن فرعون أوصى بقتل كل مولود ذكر، وجملة « يذبحون أولادكم ويستحيون نساءكم » بيان لجملة« يسومونكم سوء العذاب » ، فيكون المراد من« وأني فضلتكم على العالمين » ملفوظ تقريري، وهو عطف على« نعمتي » أي واذكروا تفضيلي إياكم على جميع الأمم الإنسانية، وهو جزء من العام، لأن تفضيلهم على العالمين جزء من مجموع النعم التي أنعمها عليهم:

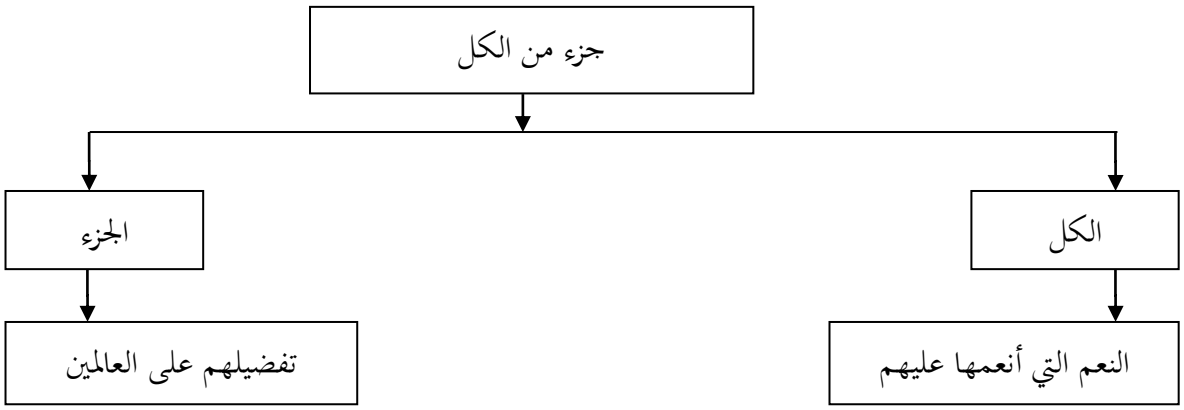

« وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ » أفعال كلام غرضية Les Acte illocutoires، وهو عطف التحذير على التذكير لأن الله عز وجل لما ذكرهم بالنعمة وخاصة تفضيلهم على العالمين في زمانهم، وكان ذلك منشأ غرورهم بأنه

[1] سورة الأعراف: الآية 114.

[2] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص 492/1.

تفضيل ذاتي، فتوهموا أن التقصير في العمل الصالح لا يضرهم فعقب بالتحذير من ذلك[1].

« إتقوا » فعل كلام غرضي، أمر، قوته الغرضية تكمن في الإيمان بيوم القيامة، يوم لا ينفع فيه لا مال ولا بنون، ويحاسب المرئ على أفعاله، ويعاقب عليها،« لا تجزى نفس عن نفس » وصف وتحذير لليوم بأشد الصفات وأعظمها تهويلا [2]، وهو يوم الآخرة الذي لا يغني فيه أحد عن أحد، « ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منه عدل » ملفوظ تقرير جاء تحذيرا لهم فالضميران عائدان للنفس الثانية المجرورة ب «عن » أي لا يقبل من نفس شفاعة تأتي بها ولا عدل تعتاض به[3]، « ولا يؤخذ منه عدل » ملفوظ تقريري معطوف، قال إبن عباس: بدل والبدل: الفدية[4]، القصد منه هو رفض الفدية،« ولا هم ينصرون » أي لا هم يمنعون من عذاب الله[5]، سوء العذاب هنا الجزء الأول خصوص التذبيح، وما عطف عليه في الجزء الثاني وهو يستحيون نساءكم[6]:

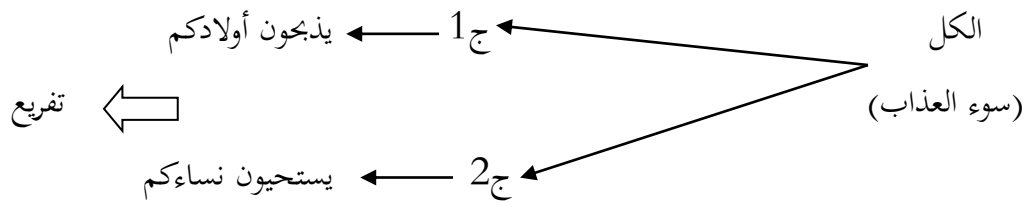

« وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم »، قال إبن جرير: وفي الذي فعلنا بكم من إنجائنا إياكم مما كنتم فيه من عذاب آل فرعون بلاء لكم من ربكم عظيم، أي: نعمة عظيمة عليكم في ذلك [7].

« وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون » (إذ)، رابط حجاجي، ربط أيضا الحجة بالنتيجة التي سبقتها « أذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم»، والحجة تتمثل في التفصيل بذكر نعمة أخرى عظيمة خارقة للعادة، بها كان تمام الإنجاء من آل فرعون وفيها بيان مقدار إكرام الله تعالى لهم ومعجزة الجلالة في فرقنا وأنجينا وأغرقنا مقيدة للعوامل الثلاثة على سبيل التنازع فيها، وإسناد النظر

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص 484/1.
[2] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص 57/3.
[3] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص 1/ 485.
[4] أبي الفداء إسماعيل إبن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 84/1.
[5] جلال الدين محمد المحلي، جلال الدين السيوطي: تفسير الجلالين، ص: 07.
[6] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص 493/1.
[7] أبي الفداء إسماعيل إبن كثير: ص85/1.

إليهم باعتبار أن أسلافهم كانوا ناظرين ذلك لأن النعمة على السلف نعمة على الأبناء لا محالة، فضمير الخطاب مجاز[1]:

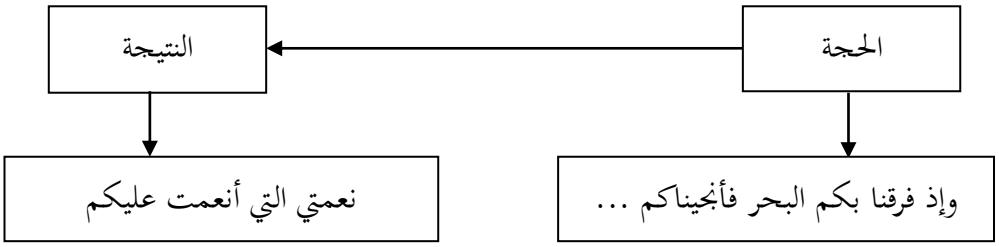

« وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم إتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون، ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون »،« وإذ» رابط حجاجي، ربط فيه أيضا الحجة « ثم عفونا عنكم »، وهي نعمة من الله، بالنتيجة التي سبقتها المتمثلة في تذكير النعم، يقول (الإمام فخر الدين الرازي): إعلم أن هذا هو الإنعام الثالث[2].

و« واعدنا» بألف ودونها موسى عليه السلام أربعين ليلة نعطيه عند إنقضائها التوراة لتعملوا بها، ثم اتخذتم العجل الذي صاغه لكم السامري إلها من بعده، أي بعد ذهابه إلى ميعادنا، وأنتم ظالمون بإتخاذه لوضعكم العبادة في غير محلها، ثم عفونا عنكم ومحونا ذنوبكم من بعد الإتخاذ [3].

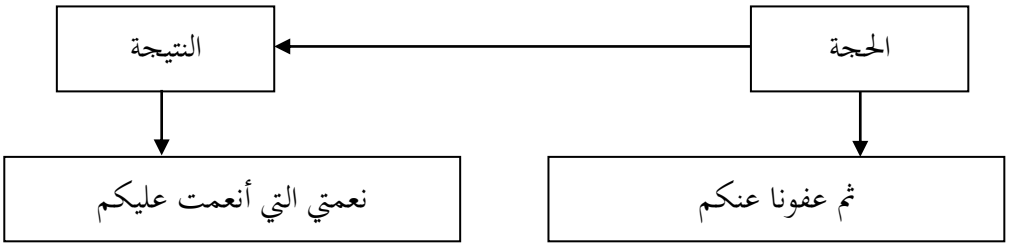

« لعلكم تشكرون»، لعل من معانيها التعليل، على رأي طائفة من النحاة، وتكون فيه بمعنى (كي)[4]، أي كي تشكروا الله على نعمته الأخيرة لهم، وهي العفو عنهم بعد إتخاذهم العجل إلها لهم.

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص 496/1.

[2] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص78/3.

[3] جلال الدين محمد المحلي، جلال الدين السيوطي: تفسير الجلالين، ص 08.

[4] أحمد خضير عباس: أسلوب التعليل في اللغة العربية، ص121.

« وإذ ءاتينا موسى الكتـاب والفرقـان لعلكم تهتدون » إذ، رابط حجاجي، يربـط الحجة وهي نعمة الكتاب (التوراة) والفرقان بين الباطل والحق، وأيضا الحلال والحرام، الذي جاء به موسى عليه السلام، بالنتيجة « أذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم»، و« لعلكم تهتدون » تعليل، أي لكي تهتدوا إلى ما هو خير من خلال هذه النعمة.

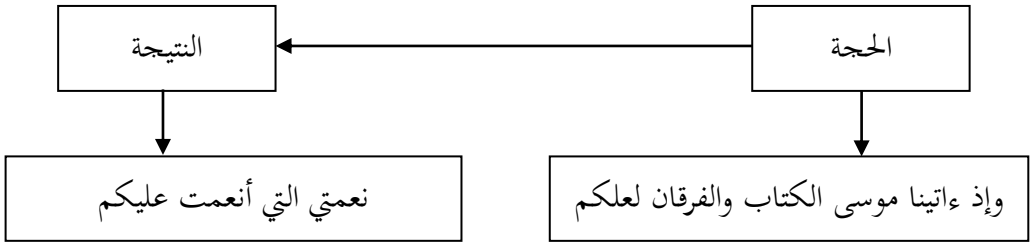

فالآيات عبارة عن حجج متتالية لنتيجة عامة تتمثل في النعم التي أنعمها الله عزَّوجل على بني إسرائيل، وهي تتفاوت حسب ترتيبها في السلم الحجاجي التالي:

ن – نعمتي التي أنعمت عليكم (النعم).

د – آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون .

ج – عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون.

ب – أنجيناكم وأغرقنا آل فرعون.

أ – نجيناكم من آل فرعون.

المرسل	آليات وأساليب إستيراتيجية الحجاج والإقناع في الآيات	المرسل إليه
الله عزَّوجل	- فعل كلام تأثيري ← (نداء) ← يا بني إسرائيل. - أفعال كلام غرضية ← (أمر) ← إذكروا + إتَّقُوا. - الجزء على الكل ← لا تجزى نفس عن نفس شيئًا: (لا يقبل منها شفاعة + ولا يؤخذ منها عدل + ولا هم ينصرون). - ربط الحجة بالنتيجة ← وإذا أنجيناكم ... - ربط الحجة بالنتيجة ← تفضيلهم على العالمين. - ربط الحجة بالنتيجة ← وإذ فرقنا بكم البحر ... - الجزء على الكل ← سوء العذاب: يذبحون أولادكم + يستحيونَ نساءَكُم. - ربط الحجة بالنتيجة ← ثم عفونا عنكم. - التعليل ← (لعلَّكم تشكرون + لعلَّكم تهتدون). - السلم حجاجي.	بني إسرائيل

ج- تفضيل بني إسرائيل على العالمين:

يقول الله تعالى:« يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى (٨٠)كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (٨١)وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى »[1].

« يا بني إسرائيل » فعل كلام تأثيري Acte perlocutoire، نداء، أُعيدَ تكرار خطاب اليهود بهذه الصيغة، في أكثر من موضع في القرآن الكريم، الغاية الحجاجية منه هو تنبيههم وتذكيرهم، وكسب رضاهم، قوته الغرضية تتمثَّل في النعمة التي أنعَمَها عليهم وهي (إنجائهم من البحر وإهلاك فرعون) «قد أنجيناكم»، يوحي إلى معنى مضمر، تمثَّل في أنَّ الخطاب جَاءَ بعد نجاتهم من البحر وآل فرعون، وهو ملفوظ تكرَّرَ في سورة البقرة « وإذ أنجيناكم من ءَالِ فِرْعَونَ » وأيضا « فأنجيناكُم وأغرقْنَا ءَالَ فرعون »، تكرار النعمة التي أنعمَهَا عليهم، وللتأثير فيهم، وتذكيرهم بها.

[1] سورة طه: الآيات 80 – 82.

« وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى »، نِعَم أُخرى أَنْعَمَهَا عليهم، يُذَكِّرُهُمْ بها، فالله تعالى واعد موسى عليه السلام وبني إسرائيل بعد هلاك فرعون إلى جانب الطور الأيمن، وهو الذي كلمه الله تعالى عليه، وسأل فيه الرؤية، وأعطاه التوراة هناك، وفي غضون ذلك عبد بنو إسرائيل العجل، وأما المن والسلوى، فالمن: حلوى كانت تنزل عليهم من السماء، والسلوى: طائر يسقط عليهم، فيأخذون قدر الحاجة إلى الغد، لطفا من الله ورحمة به، وإحسانا إليهم[1].

« كلوا من طيبات ما رزقناكم »، فعل كلام غرضي، Acte illocutoire، أمر، وهو ليس بأمر لإيجاب بل أمر إباحة، أي كلوا من هذا الرزق الذي رزقتكم، والمنعم عليكم، وهي نعمة أخرى تضاف إلى مجموع النعم التي أنعمها الله عليهم.

« ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هو »، فعل كلام غرضي Acte illocutoire، نهي، قوته الغرضية تمكن في النهي عن ترك شكر وقلة الإكتراث بعبادة المنعم، وتحذيرهم في ذلك، وحرف (في) الظرفية إستعارة تبعية، شبه ملابسة الطغيان للنعمة بحلول الطغيان فيها تشبيها للنعمة الكثيرة بالوعاء المحيط بالنعم عليه على طريقة المكنية، وحرف الظرف قرينتها[2]، والحلول: النزول والإقامة بالمكان، شبهت إصابة آثار الغضب إياهم بحلول الجيش ونحوه بديار قوم[3].

« ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى »، هوى أي سقط من علو، إستعير هنا للهلاك الذي لا نهوض بعده.

« وأني لغفار » تأكيد المغفرة، باستمرار، لمن تاب وءامن وعمل صالحا والهداية، فالمغفرة لهؤلاء تأتي نتيجة لحجج تراتبية متسلسلة، فالتوبة لا تتحقق إلا بعد الإيمان بالله عزَّوجل، والإيمان يقتضي العمل الصالح، والعمل بما أمر به ونهى عنه، والهداية هي الإستمرار على الهدى والثبات عليه، فالمغفرة تأتي بعد هذه المراحل الأربعة، أي (لمن): تاب، وءامن، وعمل صالحا، ثم اهتدى، فيكون السلم الحجاجي على الشكل التالي:

[1] أبي الفداء إسماعيل إبن كثير: ص 149/3.

[2] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج7، ص 275/16.

[3] المرجع نفسه: ص ن.

ن — المغفرة.

د — الهدى.

ج — العمل الصالح.

ب — الإيمان.

أ — التوبة.

فلكي تتحقق المغفرة يجب التوبة والإيمان بالله عزَّوجل، متبوعا بالعمل الصالح، لترسيم روح التوبة والإيمان، مع الإستمرار في الهداية وفعل الخير.

في الآيات تجلت الإستراتيجية الحجاجية، للتأثير على المتلقي (بني إسرائيل) وإقناعه، من خلال الآليات اللغوية والبلاغية، المستعملة والواردة فيها كما يبينه الجدول الآتي:

المرسل	آليات وأساليب إستيراتيجية الحجاج والإقناع في الآيات	المرسل إليه
الله عزَّوجل	- فعل كلام تأثيري ← يا بني إسرائيل ← تكرار. - الإضمار ← قد أنجيناكم. - فعل كلام غرضي ← أمر ← نعمة أخرى من الله عزَّوجل لهم. - فعل كلام غرضي ← نهي ← عن ترك شكر الله، وتحذيرهم في ذلك. - إستعارة ← فقد هوى ←أستعير للكلام الذي لا نهوض بعده. - حجج (التوبة، الإيمان، العمل الصالح، الهدى) ← النتيجة: المغفرة. - سلم حجاجي.	بني إسرائيل

-المبحث الثاني-

- الإستراتيجية الحجاجية ودورها الإقناعي في خطاب أهل الكتاب-

1- خطاب الأنبياء:

أ-خطاب موسى عليه السلام لقومه

ب- خطاب عيسى عليه السلام لنبي إسرائيل

2- خطاب أهل الكتاب:

أ-الخطاب المختص باليهود

ب-الخطاب المختص بالنصارى

ج- الخطاب المشترك بين اليهود والنصارى

الخطاب الخاص بأهل الكتاب في القرآن الكريم، منه ما هو مباشر من الله عزَّوجل إليهم، يرد بصيغته « يا أهل الكتاب » أو « الذين أوتوا الكتاب» قاصدًا العلماء والعارفين منهم، ومنه ما هو غير مباشر، يرَدُ على لسان أنبيائه (موسى وعيسى) عليهما السلام، يأتي الخطاب فيه بصيغته « يا قوم » قاصدا منه قوم موسى أو عيسى عليهما السلام.

فكل شكل من أشكال هذه الخطابات تحمل معها إستراتيجيات حجاجية وإقناعية، الغرض والغاية منها التأثير على اليهود والنصارى وإقناعهم، هذه الأشكال يختلف أحدهما عن الآخر باختلاف المواضيع التي تناولها أو أشار إليها كل شكل، أو إختلاف الأغراض والمقاصد، مما يظهر إستراتيجيات متفاوتة ومتباينة في الخطابات التي يختلف فيها السياق والقصد، والآليات المستعملة لتحقيق ذلك فالخطاب الخاص بالأنبياء لليهود والنصارى قصَدَ بصورة كبيرة قضية التذكير بالنعم، والإيمان بالله وأنبيائه، أو الشرك بالله، أمَّا ما وُجِّهة بشكل عام لأهل الكتاب، وبنفس الصيغة، فقد مَسَّ قضايا ونقاط عديدة ومختلفة.

1- خطاب الأنبياء:

خطاب الأنبياء هو خطاب يتزامن مع زمن البعثة والدعوة، يتميز بالحوار والتفاعل بين الأنبياء واليهود أو النصارى، كَثُرَت فيه أفعال الكلام التأثيرية خاصة ما يرد منها بالنداء نحو:« يا قوم » أو « يا موسى »، الأول للتأثير والإستحضار، والثاني للإستهانة والإستهزاء، مما يجعله خطاب حواري وتفاعلي بإمتياز، بحيث يحاول كل واحد منهما التأثير في الآخر وإقناعه، بوسائل وآليات متنوعة، وهذا التأثير والإقناع بصورة إيجابية من الأنبياء، وبصورة سلبية من اليهود والنصارى، كما كثرت فيه أيضا أفعال الكلام الغرضية، من أمر ونهي واستفهام ووعد وتحذير، سمح بأن يكون هذا الخطاب يحمل بصمة حجاجية وإقناعية بصورة تأثيرية وتوجيهية، كما أنه خطاب يتميز بالانسجام والاتساق بين مواضيعه ومحاوره وعناصره، وهذا ما تبينه كثرة الروابط الموجودة فيه، التي تسعى لأن تربط بين فكرة وفكرة، أو حجة بحجة، أو حجة بنتيجة أو العكس، كما يتميز أيضا بالتكرار وكثرة العودة إلى قضايا ومسائل سابقة، ولتوضيح ذلك يجب العودة إلى بعض الآيات في بعض السور من القرآن الكريم:

أ- خطاب موسى عليه السلام لقومه:

- يقول الله عزَّوجل في سورة البقرة:« وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١)إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣)ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٤)»[1].

الملفوظ في قوله تعالى : «وإذ قال موسى لقومه»، «إذ» رابط حجاجي له بعد تداولي حجاجي، بحيث يربط وحدتين دالتين أو أكثر، ففي الآية ربط بين هذه النعمة، والنعم التي سبق ذكرها في الآيات السابقة لها، فهذا الإنعام عبارة عن إنعام خامس[2]، جاء بعد نعمة نجاتهم من فرعون، والعفو عنهم، وبعث لهم الكتاب والفرقان لعلهم يهتدون، فهي حجة ربطها بالنتيجة التي سبقتها في قوله تعالى: « يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ»[3].

«يا قوم إنّكم ظلمتم أنفسكم باتِّخاذكم العجلَ »، فعل كلام تأثيري Acte perlocutoire نداء الغرض منه تأكيد ظلمهم لأنفسهم، بإتخاذهم العجلَ إلهاً لهم، وللمفسِّرين في الظلم قولان:

- أحدهما: أنكم نقصتم أنفسكم الثواب الواجب بالإقامة على عهد موسى عليه السلام.

- والثاني: أنَّ الظلم هو الإصرار الذي ليس بمستحق ولا فيه نفع ولا دفع مضرة، فلمَّا عبدوا العجل كانوا قد أظرُّوا بأنفسهم، لأنَّ ما يؤدِّي إلى ضرر الأبد من أعظم الظلم[4].

«بإتخاذكم العجل» حجة، نتيجتها « ظلمتم أنفسكم »، والملفوظ فيه حذف لأنَّهم لم يظلموا أنفسهم بهذا القدر لأنهم لو إتخذوه ولم يجعلوه إلها لم يكن فعلهم ظلما، فالمراد، باتخاذكم العجل إلها[5].

---

[1] سورة البقرة: 54- 61.

[2] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير بين، ص 84/3.

[3] سورة البقرة: الآية 47.

[4] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص 85/3.

[5] المرجع نفسه: ص ن.

« فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم» متتالية من الأفعال الغرضية les actes illocutoires، آمر، فتوبوا، فاقتلوا »، قوتها الغرضية تكمن في التوبة إلى الله عزوجل، وهو ما وضحه أكثر تكرار الملفوظ «بارئكم » تنبيها على عظم جرمهم أي: فتوبوا إلى الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره[1]، والقتل في الآية يدل على أنه كلفهم بقتل أنفسهم قتلا حقيقة، إما يقتل كل من عبد العجل نفسه فيكون المراد بالأنفس الأرواح في الأجسام، وإما بأن يقتل من لم يعبدوا العجل عابديه[2]، وقال السدي في قوله: « وأقتلوا أنفسكم »: فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف، فكان من قتل من الفريقين شهيدا، حتى كثر القتل، وكادوا أن يهلكوا، فقتل بينهم سبعون ألفا، حتى دعا موسى وهارون عليهما السلام: ربنا أهلكت بني إسرائيل، ربنا البقية، فأمرهم أن يضعوا السلاح وتاب عليهم، فكان من قتل منهم من الفريقين شهيدا، ومن بقي مُكَفِّرًا عنه، فذلك قوله: «عَلَيْكُم إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ »[3].

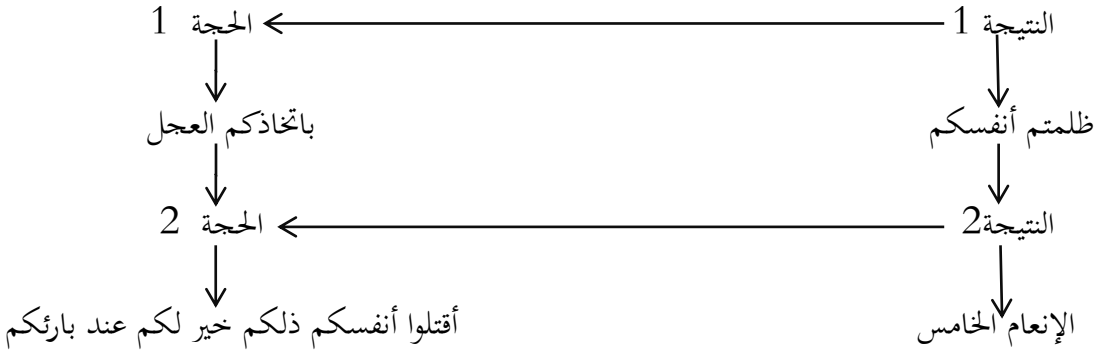

« وإِذْ قُلْتُم يَا مُوسَى لنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهرَةً فَأَخَذَتْكُم الصَّاعقَةُ وأنتُمْ تَنْظُرُونَ »، « إذ » رابط حجاجي ، فهذا القول وقع منهم بعد العفو عبادتهم العجل كما هو ظاهر ترتيب الآيات، روى ذلك البغوي عن السدي[4]، وهذه محاورة بني إسرائيل لموسى عليه السلام، وذلك بعد محاورته لهم في الآية قبل هذا، والضمير في قلتم قيل للسبعين المختارين، قاله إبن مسعود وقتادة، وقيل: الضمير لسائر بني إسرائيل إلاَّ من عصمه الله، قال إبن زيد، وقيل: الذين إنفردوا مع هارون ولم يعبدوا العجل[5]

[1] أبي الفذاء إسماعيل إبن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 86/1.
[2] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج 1، ص 503/1.
[3] أحمد خلف سليمان محمد الجبوري: خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم، ص 240.
[4] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص506/1.
[5] أحمد خلف سليمان محمد الجبوري: خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم، ص 247.

« ياموسى » فعل كلام تأثيري Act perlocutoire، الغرض منه الإستهزاء منه، والإستهانة به، فنداء بني إسرائيل لنبيهم بإسمه سوء آدب منهم معه، إذ لم يقولوا: يانبي الله، أو يا رسول الله، أو يا كليم الله، أو غير ذلك من الألفاظ التي تشعر بصفات التعظيم، وهي كانت عادتهم معه[1] « لَنْ نُؤْمنَ لَكَ »، يحتمل أنهم توقعوا الكفر إن لم يروا الله تعالى أي أنهم يرتدون في المستقبل عن إيمانهم الذي إتصفوا به من قبل، ويحتمل أنهم أرادوا الإيمان الكامل الذي دليله المشاهدة أي أن أحد هذين الإيمانين ينتفي إن لم يروا الله جهرة، لأن (لن) لنفي المستقبل قال (سيبويه): « لا لنفي يفعل ولن لنفي سيفعل » [2]، « حتى نرى الله جهرة » وظفت (حتى) في هذا الملفوظ كرابط حجاجي، الهدف منه تقديم الحجة والشرط، أي الإيمان بموسى عليه السلام مشروط برؤية الله عزَّوجل جهرة، فربطوا هذا بهذا، فأصْبَحَ ما بَعدَ (حتى) غاية لما قبلها :

الحجة ← الشرط ← النتيجة

الإيمان بموسى ↓ رابط حجاجي (حتى) ↓ رؤية الله جهرة ↓

« فَأَخَذَتْكُم الصاعِقَةُ وأنتُمْ تنظُرُونَ»، أي عقوبة لهم عَمَّا بَدَا منهم من العجرفة وقلة الإكتراث بالمعجزات، وهي نتيجة للذين قالوا: « لن نؤمن لك حتَّى نرَى الله جهرَةً»، وسبب آخذ الصاعقة، إذ لم يقولوا ذلك ويسألوا الرؤية إلا على سبيل التعنت، وقيل: سبب آخذ الصعقة إياهم هو غير هذا القول من كفرهم بموسى، أو تكذيبهم إياه لما جاءهم بالتوراة، أو عبادة العجل[3]، وسبب إستعظام الرؤية يحتمل وجوها:

- أن رؤية الله تعالى لا تحصل إلا في الآخرة فكان طلبها في الدنيا مستنكرا.
- أن حكم الله تعالى أن يزيل التكليف عن العبد حال ما يراه، فكان طلبها طلبا لإزالة التكليف.
- أو لأنه لما تمت الدلائل على صدق المدعي كان طلب الدلائل الزائدة تعنتا.
- ولأن في منع الرؤية في الدنيا ضربا من المصلحة المهمة للخلق، فلذلك إستنكر.[4]

---

[1] أحمد خلف سليمان محمد الجبوري: خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم، ص 247.

[2] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص1/ 506.

[3] أحمد خلف سليمان محمد الجبوري: خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم، ص 249.

[4] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص 61/3.

الحجة ← النتيجة

عدم الإيمان بموسى، ورؤية الله جهرة ← فَأَخَذَتكم الصاعقة وأنتم تنظرون

(عقاب)

« وأنتم تنظرون» جملة حالية، وفائدة التقييد بهذا الحال عند صاحب (الكشاف) الدلالة على أن الصاعقة التي أصابتهم نار الصاعقة لا صوتها الشديد، لأن الحال دلت على أن الذي أصابهم مما يرى، وفائدة الحال إظهار أن العقوبة أصابتهم في حين الإساءة والعجرفة إذ طمعوا فيما لم يكن لينال لهم [1].

« ثم بعثناكم من بَعْدِ موتكم لَعلَّكُم تشكرون» الملفوظ يتقدمه الرابط « ثم »، معطوف على قوله « فأخذتكم الصاعقة»، وهي هنا لترتيب الرتبي، بحيث دل العطف بـ « ثم » على أن بين آخذ الصاعقة والبعث زمانا تتصور فيه المهلة والتأخير، هو زمان ما نشأ عن الصاعقة من الموت أو الغشي والبعث هنا: الإحياء، ذكر أنهم لما ماتوا لم يزل موسى عليه السلام يناشد ربه في إحيائهم ويقول: يا رب إن بني إسرائيل يقولون قتلت خيارنا حتى أحياهم الله جميعا رجلا بعد رجل، ينظر بعظهم إلى بعض كيف يحيون [2]، « لعلكم تشكرون»، لعلَّ من معانيها التعليل على راي طائفة من النجاة، وتكون فيه بمعنى (كي)، وتحليلها تعليل بالغرض[3]، وهي من الآليات اللغوية الحجاجية والإقناعية، الغرض منها إقناع المخاطب، والغرض هنا في الآية إقناع بني إسرائيل على شكر الله كنتيجة لحجة سابقة تتمثل في « ثم بعثناكم من بعد موتكم »، المعنى لعلكم تشكرون نعمته بالإحياء بعد الموت، أو سائر نعمه التي أسداها إليهم.

الحجة ← النتيجة

بعثناكُم منْ بعْدِ موتِكُم ← لعلكم تشكرون

« وظَلَّلْنَا عليكُم الغَمَام وأَنْزَلْنَا عليكم المنَّ والسَّلوى كُلُوا من طَيِّبَات ما رزقْنَاكُم وَمَا ظلُمونَا ولَكن كانُوا أَنْفُسَهُم يَظْلِمونَ »، هذا هو الإنعام السابع الذي ذكره الله تعالى، وقد ذكر سبحانه هذه الآية بهذه

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص1/ 508.

[2] أحمد خلف سليمان محمد الجبوري: خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم، ص 250.

[3] أحمد خضير عباس: أسلوب التعليل في اللغة العربية، ص 121، 122.

الألفاظ في سورة الأعراف، وظاهر هذه الآية يدل على أن هذا الإطلال كان بعد أن بعثهم لأنه قال تعالى: «ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون، وظللنا عليكم الغمام» بعضه معطوف على بعض، وإن كان لا يمتنع خلاف ذلك لأن الغرض تعريف النعم التي خصهم الله تعالى بها[1].

« وظَلَّلْنَا عَلَيْكُم الغَمَامَ» حجة، ونعمة من الله لهم، قال الحسن وقتادة: كان هذا في البرية، ظلل عليهم الغمام من الشمس[2] ،« وأنْزَلْنَا عليكم المنَّ والسَّلوى» حجة أخرى على نعمه الكثيرة عليهم، فالمن مادة صمغية جوية ينزل على شجر البادية شبه الدقيق المبلول، فيه حلاوة إلى الحموضة ولونه إلى الصفرة، أماَّ السلوى فهي طائر بري لذيذ اللحم سهل الصيد[3].

« كُلُوا مِنْ طيِّبَات ما رزقناكُم » فعل كلام فرضي Acte illocutoire، أمر إباحة وإرشادة وإمتنان، « ومَا ظَلَمُونا ولكن كانُوا أَنْفُسَهُمُ يَظْلمُونَ»، نفي أنهم لم يقع منهم ظلم الله تعالى، وفي هذا دليل على أنه ليس من شرط نفي الشيئ إمكان وقوعه، لأن ظلم الإنسان لله تعالى لا يمكن وقوعه البتة[4]، «ولكن كَانُوا أَنفُسهُم يَظْلِمُونَ»، (لكن) من الروابط المدرجة للحجج، وَقَعَت بين النفي والإيجاب، أي بعد نفي ذلك الظلم أن يصل إلى الله تعالى، وقبل إثبات الظلم في أنفسهم، فهي ربط بين حجة متمثلة في النفي، وحجة متمثلة في الإثبات.

في الآيات حجج متتالية، تصبُّ حولَ النِّعم التِي أنعَمَها الله تبارك وتعالى على بني إسرائيل، وهي متفاوتة حسب ترتيبها في السلم الحجاجي التالي:

ن ↑ – نعم الله عزَّوجل عليكم المن والسلوى

د – وأنزلنا عليكم المن والسلوى

ج – وظللنا عليكم الغمام.

ب – بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون

أ – فتاب عليكم إنه التواب الرحيم

[1] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص 93/3

[2] أبي الفداء إسماعيل إبن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 88/1..

[3] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص 510.509/1.

[4] أحمد خلف سليمان محمد الجبوري: خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم، ص 253.

« وإذْ قُلْنَا إدْخُلُوا هذه القريَةَ فَكُلُوا مِنْها حَيثُ شئتُم رغْدًا وإدْخُلوا البَابَ سُجَّدًا وقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفرْ لَكمْ خَطايَاكُمْ وسَنَزيدُ المحْسنينَ »، (وإذ) رابط حجاجي، يربط هذه النعمة بالنعم التي سبقتها، يقول الإمام (فخر الدين الرازي): إعلم أن هذا هو الإنعام الثامن، وهذه الآية معطوفة على النعم المتقدمة، لأنه تعالى كما بين نعمه عليهم بأن ظللهم من الغمام، وأنزل عليهم من المن والسلوى، وهو من النعم العاجلة أتبعه بنعمه عليهم في باب الدين حيث أمرهم بما يمحو ذنوبهم وبين لهم طريق المخلص مما إستوجبوه من العقوبة [1].

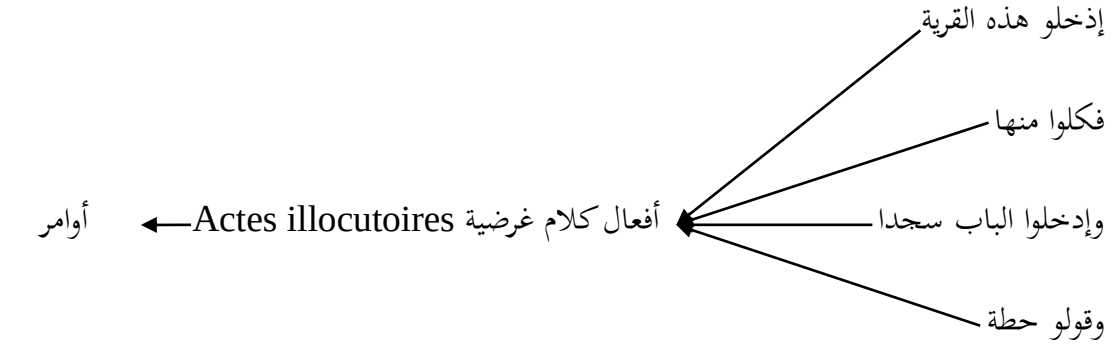

قوتها الغرضية تتمثل في التقيُّد بتوجيهات الله عزَّوجل، بحيث أمرهم أن يدخلوا القرية، وهي بيت المقدس أو أريحا، وأن يأكلوا منها حيث أرادوا رغدًا واسعًا لا حَجْرَ فيه، وأن يدخلوا بابها منحنين، سائلين الله أن تحط عنهم خطاياهُمْ[2].

" نَغْفرْ لَكُمْ خَطايَاكُمْ وسَنزيدُ المحسِنينَ " المغفرة تكون بعد إنجاز تلك الأفعال، فهي وعد promesse من الله تعالى لمن إستجاب وقام بإنجاز تلك الأوامر:

أفعال غرضية إنجازية Actes illocutoires ←——— وعد وجواب promesse

" وسنزيد المحسنين "، حجة على سعة نعم الله عز وجل، وهي هنا إما أن يكون المراد من المحسن من كان محسنا بالطاعة في هذا التكليف أو من كان محسنا بطاعات أخرى في سائر التكاليف[3]، وهو وعد أيضا منه بالزيادة لكل من كان محسنًا، والزيادة الموعودة يمكن أن تكون من منافع الدنيا وأن تكون من منافع الدين[4].

---

[1] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص 63/3.

[2] جلال الدين بن محمد المحلي، جلال الدين السيوطي: تفسير الجلالين، ص 08.

[3] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص 66/3.

[4] المرجع نفسه: ص ن.

فالأفعال(إدخُلوا، كُلُوا، وإدخُلُوا، وقُولُوا) قوة حجاجية متتالية، نتيجتها هي المغفرة من الله سبحانه وتعالى، وزيادة المحسنين، يوضحها السلم الحجاجي الآتي:

ن نغفر لكم خطاياكم، وسنزيد المحسنين.

د – وادخلوا الباب سجدا

ج – وقولوا حطة

ب – وكلوا منها

أ – إسكنوا هذه القرية

« فَبَدَّلَ الذينَ ظَلَمُوا قولاً غيرَ الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون »، حجاج بالمخالفة، بحيث أن النتيجة جاءت مخالفة للحجة، أي هذه الآية كانت مخالفة، لما عرض عليهم في الآية التي سبقتها، وهذا يدل على أنهم لم يفعلوا ما أمروا به، لا على أنهم أتوا له ببدل، والدليل عليه أن تبديل القول قد يستعمل في المخالفة، وتكرار «الذين ظلموا» زيادة في تقبيح أمرهم وإيذانا بأن إنزال الرجز عليهم لظلمهم[1].

الحجة ← النتيجة

الآية 58 ← الآية 59

(الأوامر + المغفرة) (مخالفة)

وعندما بدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم، أنزل عليهم رجزا من السماء بما كانوا يفسقون، فالتعريف حجة، نتيجتها العقاب:

فالحجة ← النتيجة

مخالفة ← العذاب

«بدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم » « أنزل عليهم رجزا من السماء»

[1] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص 97/3.

« وإذْ إستسقَى مُوسَى لقومهِ فَقلْنا إضْرب بِعصَاكَ الحجرَ فانْفجرتْ منه إثْنتا عَشرَ عينًا قَدْ عَلمَ كُلُّ أناسٍ مشْربَهُمْ كُلوا وأشْربُوا من رزقِ اللهِ ولاَ تعثَوا في الأرضِ مفسدينَ»، (إذ) رابط حجاجي، يربط هذه النعمة بالنعم التي سبقتها أيضا، يقول (الإمام فخر الدين الرازي): وإعلم أن هذا هو الإنعام التاسع من الإنعامات المعدودة على بني إسرائيل وهو جامع لنعم الدنيا والدين[1]، «لقومه» التقدير مع لام التعليل لأجل قومه، وما بعدها هو ما حمل موسى عليه السلام ليستسقي، والقوم لا يصلح كونهم غرضا ولا سببا، لذا وجب تقدير مضاف، كأن تقول: لإرواء قومه، إذا أردت التعليل بالغرض، أو تقول لعطش قومه، فيكون تعليلا بالسبب [2].

" إضرب" فعل كلام غرضي Acte illocutoire، أمر تنفيذ معجزة من معجزات الله، ونعمة من نعمه، " كلوا وأشربوا " أفعال كلامية غرضية، أمر، قوتها الغرضية تتمثل في إستباحة الرزق لهم، والقول فيه حذف، والمعنى فقلنا لهم أو قال لهم موسى كلوا وأشربوا، وإنما قال كلوا لوجهين:

– أحدهما: لما تقدم من ذكر المن والسلوى، فكأنه قال كلوا من المن والسلوى الذي رزقكم الله بلا تعب ولا نصب وإشربوا من هذا الماء.

– والثاني: أن الأغذية لا تكون إلا بالماء فلما أعطاهم الماء فكأنه تعالى أعطاهم المأكول والمشروب.[3]

« ولا تعثوا في الأرض مفسدين » فعل كلام غرضي Acte illocutoire، نهي، اي ولا تقابلوا النعم بالعصيان فتسلبوها[4]، ووجه النهي عنه أن النعمة قد تنسي العبد حاجته إلى الخالق فيهجر الشريعة فيقع في الفساد، فالقوة الحجاجية في هذه الآيات تكمن في الأمر الإباحي، والإستمتاع بخيرات الله ورزقه، ومن جهة أخرى نهاهم عن العصيان والفساد في الأرض.

« وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير إهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون»، (وإذْ) رابط حجاجي، فالآية معطوفة على

[1] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص 98/3.

[2] يونس عبد مرزوق الجنابي: أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم، دراسة نحوية، ص 44.

[3] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص 104/3.

[4] أبي الفداء إسماعيل إبن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 93/1.

الجمل قبلها بأسلوب واحد، وإسناد القول إلى ضمير المخاطبين جار على ما تقدم في نظائره وما تضمنته الجمل قبلها هو من تعداد النعم عليهم مخلوطة بسوء شكرهم[1] .

« يا مُوسَى» فعل كلام تأثيري Acte perlocutoire، قوته تتمثَّل في الإشارة إلى عدم الإيمان به كنبيّ لهم، فهم لا ينادونهُ بـ (يانبي الله) أو (يا كليم الله)، إستهزاءًا وإستهانَة بهِ، وأيضًا تأثيرًا عليه، « لن نصبر على طعام واحد»، نفي منهم على أن يصبروا على نفس الطعام، وإنما قالوا على طعام واحد وهم يأكلون المن والسلوى، لأنه لا يتبدل ولا يتغير كل يوم فهو كأكل واحد[2].

" فادْعُ لَنَا رَبَّكَ " فعل كلام غرضي Acte illocutoire، أمر ودعاء إلى الله، والدعاء من موسى عليه السلام، حرصًا منهم على إستجابة الله عز وجل للدعاء، " ربَّكَ " حجة من حجج تعنت القوم، وإستخفاف بنبوة موسى عليه السلام ودعوته، فكأن الله عزَّوجل هو رب موسى عليه السلام وحده، والمعنى المضمر على ذلك يبين كفرهم لله تبارك وتعالى ورب موسى.

فكان طلبهم أن يرزقهم الله عز وجل بمأكولات أخرى مما تنبت الأرض على غرار المن والسلوى، لأنهم لن يصبروا على طعام واحد، وقولهم ليس بمعصية لأن من أبيح له ضرب من الطعام يحسن منه أن يسأل غير ذلك إما بنفسه أو على لسان الرسول.[3]

« أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير »، فعل كلام غرضي Acte illocutoire، إستفهام هو من كلام موسى وقيل من كلام الله وهو توبيخ شديد لأنه جرده عن المقنعات وعن الزجر، وإقتصر على الإستفهام المقصود منه التعجب فالتوبيخ، وقوله «أتستبدلُونَ» السين والتاء فيه لتأكيد الحدث وليس للطلب، فهو كقولهم إستجاب بمعنى أجَابَ وإستكبر بمعنى تكبر[4]، « الذي هو أدنى بالذي هو خير» حجاج بالتبادل، أي كيف تستبدلون ما هو أخس بالذي هو أشرف[5]، فيه تقريع لهم وتوبيخ على ما سألوا من هذه الأطعمة الدنيّة مع ما هم فيه من العيش الرغيد، والطعام الهنئ الطيب النافع[6] .

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص 520/1.

[2] أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص94/1.

[3] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص 105/3.

[4] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص523/1.

[5] جلال الدين بن محمد المحلي، جلال الدين السيوطي: تفسير الجلالين، ص09.

[6] أبي الفداء إسماعيل إبن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 94/1.

« إهْبطُوا مِصْرًا فَإنَّ لكم ما سألْتُمْ» فعل كلام غرضي Acte illocutoire، قوته الغرضية توحي إلى أن الذي طلبتموه ليس بأمر عزيز بل هو كثير في اي بلد دخلتموه وجدتموه، فليس يساوي مع دناءته وكثرته في الأمصار أن أسأل الله فيه[1] .

«وضُرِبَت عليْهم الذِّلةُ والمسْكَنَةُ وبَاءُوا بِغَضَبٍ من اللهِ»، فقوله «ضربت عليْهم الذِّلةُ والمسْكَنَةُ» آلية من آليات الإستراتيجية الحجاجية والإقناعية، وهي عبارة عن إستعارة مكنية إذ شبهت الذلة والمسكنة في الإحاطة بهم واللزوم بالبيت أو القبة يضربها الساكن ليلزمها وذكر الضرب تخييل، لأنه ليس له شبيه في علائق المشبه، ويجوز أن يكون ضربت إستعارة تبعية وليس ثمة مكنية بأن شبه لزوم الذلة لهم ولصوقها بلصوق الطين بالحائط[2]، وضربت عليهم الذلة والمسكنة، أي جعلت عليهم الذل والهوان وأيضا الفقر والخزي[3]،" وباءوا بغضب، الله " قال الضحاك: إستحقوا الغضب من الله [4].

«ذلكَ بأنَّهم كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ويقتُلونَ النَّبيينَ بِغَيرِ الحَقِّ ذَلكَ بِمَا عَصَوا وكانُوا يَعْتَدونَ» حجج نتيجتها إشارة إلى ما تقدم من قوله: " وضُرِبَت عليْهم الذِّلةُ والمسْكَنَةُ وبَاءُوا بِغَضَبٍ من اللهِ "، والباء في قوله: " بأنهم كانوا يكفرون " سببية أي أن كفرهم وما معه كان سببا لعقابهم في الدنيا بالذلة والمسكنة، وفي الآخرة بغضب الله، وفي تحذير من الوقوع في مثل ما وقعوا فيه[5]، فالحجة الأولى في الخطاب إشارة إلى أنهم يكفرون بآيات الله، والحجة الثانية يقتلون النبيين بغير حق:

ح1 ⟵ الكفر بآيات الله

ح2 ⟵ قتل الأنبياء بغير حق.

« ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون»، يحتمل أن تكون الإشارة فيه إلى نفس المشار إليه بذلك الأولى فيكون تكريرا للإشارة لزيادة تمييز المشار عليه حرصا على معرفته، ويكون العصيان والإعتداء سببين آخرين لضرب الذلة والمسكنة ولغضب تعالى عليهم، والآية حينئذ من قبيل التكرير[6]، والتكرار آلية

[1] أحمد خلف سليمان محمد الجبوري: خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم، ص 278، 279.

[2] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص527/1.

[3] جلال الدين بن محمد المحلي، جلال الدين السيوطي: تفسير الجلالين، ص09

[4] أحمد خلف سليمان الجبوري: خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم، ص 279.

[5] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص 529/1.

[6] المرجع نفسه: مج1، ص530/1.

من آليات الإستراتيجية الحجاجية والإقناعية، يستعملها المخاطب لإقناع المخاطب.

الكفر بآيات الله هو عصيان لله تبارك وتعالى، وهو جزء من كل المعاصي التي يتميز بها بنوا إسرائيل، وقتل النبيين بغير حق جزء من كل الإعتداءات التي تعرض إليها الأنبياء وأتباعهم، أو الإعتداء على كتبهم بالتحريف وتنبيهم من الوقوع في ذلك محددا:

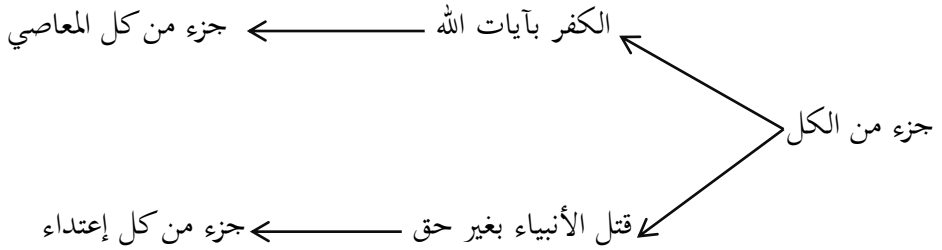

فقوله« ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله» جاء كنتيجة لقوله: « بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق»:

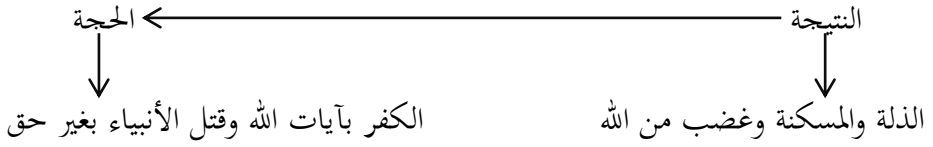

ويجوز أن يكون المشار إليه بذلك الثاني هو الكفر بآيات الله وقتلهم النبيين فيكون ذلك إشارة إلى سبب ضرب الذلة والمسكنة والغضب من الله، فما بعد كلمة ذلك هو سبب السبب تنبيهًا على أن إدمان العاصي يفضي إلى التغلغل فيها والتنقل من أصغرها إلى أكبرها[1] .

الآيات عبارة عن خطاب حواري تفاعلي بين مُوسَى عليه السلام وقومه، يختلف هدف كل واحدٌ منهما عن الآخر، فكان هدف موسى عليه السلام نبيل وشريف، يدخل في نطاق الإيمان بالله عزَّوجل وبنبيه، أما قومه فغايتهم التعنت والكفر والإستهانة بالله ونبيه، مما سمح لكل طرف بتوظيف مختلف الآليات والأساليب الحجاجية والإقناعية، لإقناع الآخر والتأثير عليه، كما يبينه ويوضحه الشكل التالي:

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص 529/1.

المرسل	آليات وأساليب الإستراتيجية الحجاجية والإقناعية في الآليات	المرسل إليه
موسى عليه السلام	-" إذْ " رابط حجاجي ← ربط الإنعام الخامس (فتاب عليكم) بباقي النعم الأخرى. - " يا قوم " ← فعل كلامي تأثيري - ربط النتيجة(1) بالحجة (1) ← ظلمتم أنفسكم ← باتخاذكم العجل - ربط النتيجة (2) بالحجة (2) ← الإنعام الخامس ← قتل أنفسهم خير لهم. - ربط الحجة بالنتيجة ← فتاب عليكم ← إذكروا نعمتي	قومه
قوم موسى	- " إذ " رابط حجاجي ← محاورة - " يا موسى " ← فعل كلام تأثيري ← سوء أدب منهم معه. - النفي ← " لن نؤمن لك " ← تعنت وكفر وجهل منهم. - " حتى " رابط حجاجي ← ما بعدها غاية لما قبلها ← ربط الحجة بالنتيجة.	موسى عليه السلام
الله عزَّوجل	- ربط الحجة بالنتيجة ← عدم الإيمان بموسى ورؤية الله جهرة (حجة) ← فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون (نتيجة). - (ثم) رابط حجاجي ← ربط الحجة " ثم بعثناكم من بعد موتكم " بالنتيجة " لعلكم تشكرون" - التعليل بـ " لَعَلَّ" ← لعلكم تشكرون ← أي كي تشكروا الله ← كنتيجة للحجة. - فعل كلام غرضي ← كلوا من طيبات ما رزقناكم ← أمر إباحة. - " لكن " رابط حجاجي ← وقعت بين النفي والإيجاب - السلم الحجاجي ← نعم الله على بني إسرائيل. - " إذ " رابط حجاجي ← يربط الإنعام الثامن بالنعم التي سبقتها. - أفعال كلام غرضية ← " إدخلوا، وإدخلوا، وقولوا" ← أمر - أفعال غرضية إنجازية ← "نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين" ← وعد - السلم الحجاجي ← " إسكنوا القرية، وكلوا منها، وقولوا حطة، وإدخلوا الباب سجدا" ← النتيجة هي المغفرة	قوم موسى عليه السلام

	– الحجاج بالمخالفة ← النتيجة مخالفة للحجة ← " فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم ". – ربط الحجة بالنتيجة ← " فبَدّلَ الذينَ ظلموا قولاً غير الذي قيلَ لهم (حجة) ←" فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون "(نتيجة). –" وإذ " رابط حجاجي ← ربط الإنعام التاسع بالنعم التي سبقته. – أفعال كلام غرضية ← " إضرب، كُلُوا،وإشربوا" ← أمر. – فعل كلام غرضي ← " لا تعثوا في الأرض مفسدين" ← نهي.	
قوم موسى عليه السلام	–" وإذْ" رابط حجاجي ← الآية معطوفة على ما قبلها – " ياموسى " ← فعل كلام تاثيري ← سوء أدب منهم معه. – فعل كلام غرضي ←" فادْعُ "← آمر ودعاء إلى الله من موسى عليه السلام. – ربَّك ← حجة من حجج تعنت القوم. – فعل كلام غرضي ← " أتستبدلون" تقريع وتوبيخ. –إستعارة تبعية ← " ضربت عليهم الذلة والمسكنة " –التفريع ←الكفر بيات الله جزء من مجموع المعاصي، وقتل الأنبياءبغير حق جزء من كل إعتداء –ربط النتيجة بالحجة ←" ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله " (نتيجة) ← " بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق " (حجة).	موسى عليه السلام

– يقول الله عزّوجل في سورة المائدة: « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٠)يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١)قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢)قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣)قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَا هُنَا (٢٤)قَالَ

رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥)قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦) »[1].

الواو في قوله تعالى: « وإذ قال موسى لقومه » واو عطف، و« إذْ» رابط حجاجي يربط هذه الحجة بالحجة التي سبقتها، وهو متصل بقوله « ولقد آخذ الله ميثاق نبي إسرائيل» كأنه قيل: آخذ عليهم الميثاق وذكرهم موسى نعم الله تعالى وأمرهم بمحاربة الجبارين فخالفوا في القول في الميثاق، وخالفوه في محاربة الجبارين[2].

" يا قوم إذكروا نعمة الله عليكم "، فعل كلام تأثيري Acte perlocutoire، نداء، الغرض منه لفت إنتباههم إلى محتوى الخطاب ومعانيه، والفعل «إذكروا» Acte illocutoire أمر، الغرض منه تذكيرهم بالنعم التي أنعمها عليهم.

« إذْ» رابط حجاجي يربط النتيجة (إذكروا نعمة الله) بالحجة أو الحجج (النعم التي أنعمها عليهم):

– النعمة الأولى: « جعل فيكم أنبياء » فالله عزَّوجل لم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء[3].

– النعمة الثانية: «جَعَلَكُمْ مُلُوكًا»، وهذا تشبيه بليغ، أي كالملوك في تصرفهم في أنفسهم وسلامتهم من العبودية التي كانت عليهم للقبط، وجعلهم سادة على الأمم التي مروا بها[4].

– النعمة الثالثة: وهي أكبر النعم والحجج وأقواها في قوله تعالى:« وآتاكم ما لم يؤت أحد من العالمين» وذلك لأنه تعالى خصصهم بأنواع عظيمة من الإكرام منها:

– أنه تعالى فلق البحر لهم.

– أنه أهلك عدوهم وأورثهم أموالهم.

– أنه أنزل عليهم المن والسلوى.

– أنه أخرج لهم المياه العذبة من الحجر.

– أنه تعالى أظل فوقهم الغمام.

---

[1] سورة المائدة: الآيات 20، 26.

[2] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص 200/11.

[3] المرجع نفسه: ص ن.

[4] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتدوير، مج3، ص 161/6.

- أنه لم يجتمع لقوم الملك والنبوة كما جمع لهم.

- أنهم في تلك الأيام كانوا هم العلماء بالله وهم أحباب الله وأنصار دينه[1].

فهذه النعم عبارة عن حجج جاءت لتربط بين النتيجة التي سبقتها، فكأنه قال: إذكروا النعم التي أنعمت عليكم، منها أنه جعل فيكم أنبياء، وجعلكم ملوكًا، كجزء من الكل في قوله تعالى: « وأتاكم ما لم يؤت أحد من العالمين »:

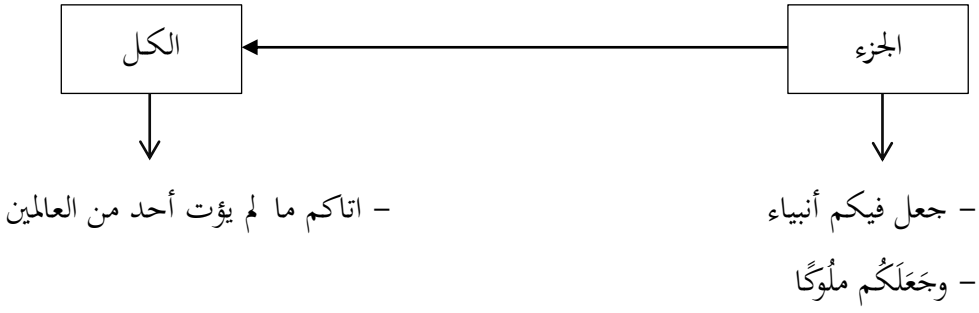

فهذه الحجج عبارة عن حجج متفاوتة، يوضحها السلم الحجاجي الآتي:

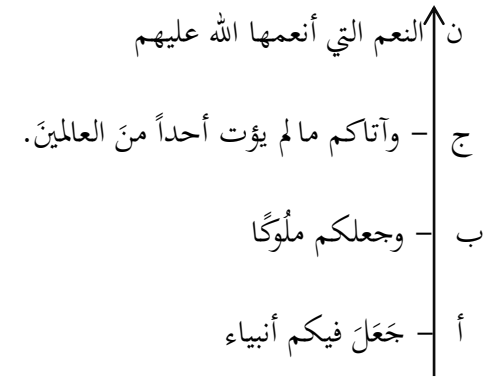

« يَا قوم إدْخُلُوا الأرْضَ المقَدَّسةَ التي كَتَبَ الله لكُم ولاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أدْبَارِكُمْ فتَنْقَلِبُوا خاسرِينَ »، « يا قوم » فعل كلام تأثيري Acte perlocutoire، تكرر هنا لزيادة التأثير فيهم، ولفت إنتباههم، « إدخلوا الأرض المقدسة » فعل كلام غرضي Acte illocutoire، أمر، قوته الغرضية تتمثل في الأمر بالسعي في أسباب الدّخول، والتهيئ له، والأرض المقدسة بمعنى المطهرة المباركة، وقوله: « يا قوم إدخلوا الأرض المقدسة » هو الغرض من الخطاب، فهو كالمقصد بعد المقدمة، ولذلك كرر اللفظ الذي إبتدأ به مقالته وهو النداء ب « ياقوم » لزيادة إستحضار أذهانهم [2]، « التي كتب الله لكم»،

[1] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير: ص201/29.

[2] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج3، ص 162/6.

وصف للأرض، والوصف آلية من آليات الإستراتيجية الحجاجية والإقناعية ، فوصف الأرض بالمقدسة، وبالتي كتبها الله لهم، هي بمثابة حجج لإقناع المتلقي بالدخول، ففي وصفها ب «التي كتب الله » تحريض على الإقدام لدخولها [1].

« ولاَ تَرتَدُّوا على أدْبَارِكُم فتنقَلبُوا خَاسِرينَ» فعل كلام غرضي Acte illocutoire، نهي، قوته الغرضية تكمن في التحذير مما يوجب الإنهزام[2]، " ولا ترتدوا على أدباركم " فيه وجهات:

– لا ترجعوا عن الدين الصحيح إلى الشك في نبوة موسى عليه السلام.

– لا ترجعوا عن الأرض التي أمرتم بدخولها إلى الأرض التي خرجتم عنها [3] « فتنقلبوا خاسرين »، الفاء عبارة عن رابط حجاجي ربط الحجة " لا ترتدوا على ادباركم " بالنتيجة " تنقلبوا خاسرين "، فجعل هذا سَبَبًا لهذا :

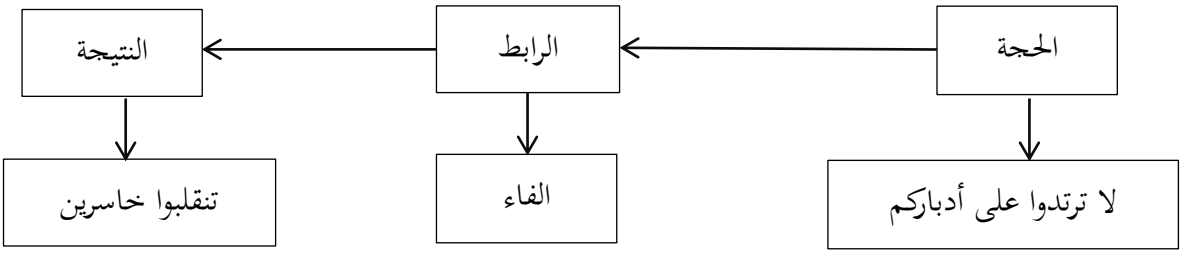

فسبب إنقلابهم خاسرين، قد يعود إلى كونهم تراجعوا عن الدين الصحيح، والشك في مُوسَى عليه السلام وفي نبوته، أو أنهم تراجعوا عن الأرض المباركة التي أمرهم بدخولها.

« قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ »، محاورة بين موسى وقومه، إذ قالوا «يا موسى» وهو فعل كلام تأثيري Acte perlocutoire، قوته تتمثل في نفي النبوة لموسى عليه السلام، وعدم التأدب معه، «إن» تأكيد منهم، و«فيها» يعود على الأرض المقدسة، « قوما جبارين» صفة للقوم الجبارين في الأرض المقدسة، بحيث أرادوا بهم سكانهم الكنعانيين، والعمالقة والحثيين، واليبوسيين والأموريين[4].

« وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا» تأكيد نفي الدخول إلى الأرض المقدسة، «حتى» رابط حجاجي، يربط الدخول إلى الأرض المقدسة بخروج القوم الجبارين منها، وقوله : " فإن يخرجوا منها فإنا

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج3، ص162/6.

[2] المرجع نفسه: ص ن.

[3] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير: ص202/29، 203.

[4] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج3، ص 163/6.

داخلون " تصريح بمفهوم الغاية في قوله " وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها " لقصد تأكيد الوعد بدخولها إذا خلت من الجبارين الذين فيها [1]:

تركيب شرطي

" وإنا لن ندخلها حتى يخرجو منها " ← تأكيد + نفي + ربط

" فإن يخرجوا منها فإنا داخلون " ← تأكيد الوعد

«قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ »، هذان الرجلان هما يوشع بن نون، وكالب بن يوفنا، وكانا من الذين يخافون الله، وأنعم الله عليهما بالهداية والثقة بعون الله تعالى والإعتماد على نصرة الله، قال القفال: ويجوز أن يكون التقدير: قال رجلان من الذين يخافهم بنو إسرائيل وهم الجبارون، وهما رجلان منهم أنعم الله عليهما بالإيمان فآمنا، وقالا هذا القول لقوم موسى تشجيعا لهم على قتالهم[2].

« إذخلوا عليهم الباب » فعل كلام غرضي Acte illocutoire، أمر، الغرض منه الإرشاد وتقديم النصيحة لهم، اي إذخلوا عليهم الباب ولا تخشوهم فإنهم أجساد بلا قلوب[3].

والباب يجوز أن يراد به مدخل الأرض المقدسة، اي المسالك التي يسلك منها إلى أرض كنعان، وهو الثغر والمضيق الذي يسلك منه إلى منزل القبيلة يكون بين جبلين وعرين[4].

« فإذا دخلتموه فإنكم غالبون »، تتحقق النتيجة وهي الغلبة، إذا تحققت الحجة وهي الدخول إلى الأرض المقدسة:

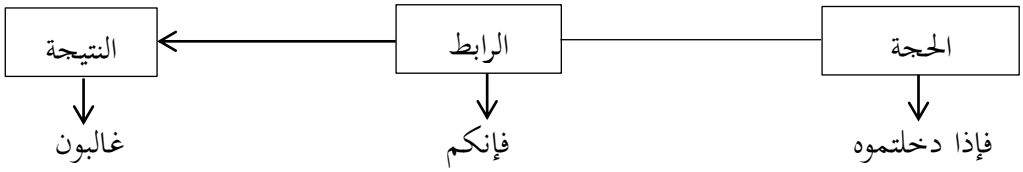

(رابط + تأكيد + وعد)

[1] المرجع السابق نفسه: ص ن.

[2] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص 204/11.

[3] جلال الدين بن محمد المحلي، جلال الدين السيوطي: تفسير الجلالين، ص 111.

[4] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج3، ص 165/6.

« وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ »، « فتوكّلُوا » فعل كلام غرضي Acte illocutoire، قوته الغرضية، هي بعث القوة فيهم بالإتكال على الله عز وجل، يعني لما وعدكم الله تعالى النصر فلا ينبغي أن تصيروا خائفين من شدة قوتهم وعظم أجسامهم، بل توكلوا على الله في حصول النصر لكم إن كنتم مؤمنين مقربين لوجود الإله القادر ومؤمنين بصحة نبوة موسى عليه السلام[1] .

« قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَا هُنَا »، محاورة أخرى منهم لموسى عليه السلام بصيغة « يا موسى » وهو فعل كلام تأثيري Acte illocutoire، إستهزاءا وإستهانة لنبيهم موسى عليه السلام، وقلة تأدبهم، ورد هذا الخطاب للتأكيد والإصرار أو الإلحاح، على عدم دخولهم الأرض المقدسة ما دام القوم الجبارين فيها، وهذا ما دل عليه الملفوظ « إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا » فعل كلام غرضي Acte illocutoire، قوته الغرضية تتمثل في التقليل من شأن الله عز وجل ونبيه الكريم، فالأمر عادة يأتي من الأعلى شأن إلى أدناه، وقوله «ربك » يحيلنا إلى معنى مضمر، هو كفر قوم موسى بربِّهم، وحصر الربوبية في نبيهم فقط، وكأن رب موسى ليس بربهم، وهذا يبين مدى كفرهم بالله وبنبيه، « فقاتلا إنا هاهنا قاعدون » فعل كلام غرضي، أمر، الغرض منه التأكيد أكثر والإصرار على عدم الخروج، والملفوظ «فقاتلا » يوحي إلى جهلهم وكفرهم وإستهانتهم بالله وبنبيِّه موسى عليه السلام.

« قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلا نفْسِي وَأَخِي فَافرُقْ بيننَا وَبيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ»، متوالية من الأفعال الغرضية Actes illocutoires، نداء، الغرض منه دعاء الله عزَّوجل، أي ليس لأحد يطيعني منهم فيتمثل أمر الله، ويجيب إلى ما دعوت إليه إلا أنا وأخي هارون [2]، « فَافرُقْ بيننَا وَبيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ »، أمر الغرض منه التوسل إلى الله بأن يقضي بينه وبين قومه.

« قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ »، جواب عن قول موسى« فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين »، وهو جواب جامع لجميع ما تضمنه كلام موسى[3]، فلما دعا عليهم موسى عليه السلام، حين نكلوا عن الجهاد حكم الله عليهم بتحريم دخولها قدرا مدة

[1] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص 204/11.

[2] أحمد خلف سليمان محمد الجبوري: خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم، ص 292.

[3] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج 3، ص 167/6.

أربعين سنة، فوقعوا في التيه يسيرون دائما لا يهتدون للخروج منه، وفيه كانت أمور عجيبة، وخوارق كثيرة، من تضليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى عليهم [1].

« فلا تأس على القوم الفاسقين » فعل كلام غرضي Acte illocutoire، نهي، تسلية لموسى عليه السلام عنهم، أي: لا تتأسف ولا تحزن عليهم، فمهما حكمت عليهم به فإنهم يستحقون ذلك [2].

الآيات أيضا عبارة عن خطاب حواري وتفاعلي بين موسى عليه وسلم وقومه، القصد منه التذكير بالنعم التي أنعمها الله عليهم، وبيان مدى تعنت بني إسرائيل واستهانتهم أو استهزائهم بالله عزَّوجل ونبيه، هذا القصد سمح لكل طرف من إستعمال وتوظيف آليات حجاجية وإقناعية للتأثير على الآخر وإقناعه، كما يبيّنه الجدول التالي:

المرسل	آليات وأساليب الإستراتيجية الحجاجية والإقناعية في الآيات	المرسل إليه
موسى عليه السلام	-" إذْ" رابط حجاجي ← يربط هذه الحجة بالحجة التي سبقتها. - فعل كلام تأثيري ← " يا قوم " ← نداء. - فعل كلام غرضي ← " إذكروا " ← أمر. - " إذْ" رابط حجاجي ← يربط النتيجة (التذكير بالنعم) بالحجة أو الحجج (النعم). - تشبيه بليغ ← جعلكمُ ملوكًا.	قومه
موسى عليه السلام	- فعل كلام تأثيري ← " يا قوم " ← تكرار - فعل كلام غرضي ← " إدخلوا " ← أمر - الوصف ← الأرض المقدسة + التي كتب الله لكم -فعل كلام غرضي ← " لا ترتدوا على أدباركم " ← نهي -(الفاء) ← رابط حجاجي ← ربط الحجة " لا ترتدوا على أدباركم " بالنتيجة " فتنقلبوا خاسرين "	قومه
قوم موسى	- فعل كلام تأثيري ← " يا موسى " ← نداء ← عدم التأدب مع النبي . - تركيب شرطي ← " إنا ندخلها حتى يخرجوا منها، فإن يخرجوا منها فإنا داخلون "	موسى عليه السلام

[1] أبي الفداء إسماعيل إبن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص38/2.

[2] المرجع نفسه: ص ن.

رجلان منهم	– فعل كلام غرضي ← " إدخلوا " أمر . – (اللقاء) ← رابط حجاجي ← ربط الحجة بالنتيجة ← " فإذا دخلتموه فإنكم غالبون " – فعل كلام غرضي ← " فتوكلوا " ← أمر.	قوم موسى عليه السلام
قوم موسى عليه السلام	– فعل كلام تأثيري ← " يا موسى " ← نداء ← إستهزاء وعدم التأدب معه. – فعل كلام غرضي ← " فاذهب " التقليل من شأن نبيهم . – فعل كلام غرضي ← " فقاتلا " ← إستهانة بالله وبنبيه موسى عليه السلام.	موسى عليه السلام
موسى عليه السلام	–فعل كلام غرضي ← " رب " نداء ودعاء	الله عزَّوجل
الله عزّوجل	– فعل كلام غرضي ← " لا تأس على القوم الفاسقينَ " ← نهي.	موسى عليه السلام

– يقول الله تبارك وتعالى:« وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ»[1].

موقع هذه الآية هنا خفي المناسبة، فيجوز أن تكون الجملة معترضة إستئنافًا إبتدائيًا إنتقل به من النهي عن عدم الوفاء بما وعدوا الله عليه إلى التعريض بقوم أذوا النبي صلى الله عليه وسلم بالقول أو بالعصيان أو نحو ذلك، وعلى هذا الوجه فهو إقتضاب نقل به الكلام من الغرض الذي قبله لتمامه إلى هذا الغرض، أن تكون مناسبة وقعه في هذا الموقع حدوث سبب إقتضى نزوله من أذى قد حدث لم يطلع عليه المفسرون ورواة الأخيار وأسباب النزول [2]. « وإذ » الواو على هذا الوجه عطف غرض على غرض، وهو المسمى بعطف قصة على قصة [3]، وهي الميزة التي يتميز بها القرآن الكريم، بحيث يربط آية بآية، أو قصة بقصة، أو موضوع معين ويعاد تكراره في سورة أو آية أخرى لغرض معين، «إذْ» رابط حجاجي، يربط قصة الرسول عليه الصلاة والسلام بقصة موسى عليه السلام، و «إذ» متعلقة بفعل

[1] سورة الصف: الآية 05.

[2] محمد الطاهر عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج11، ص 177/28.

[3] المرجع نفسه: ص ن.

محذوف تقديره: إذكر، وله نظائر كثيرة في القرآن، أي أذكر لهم أيضا وقت قول موسى عليه السلام لقومه أو إذكر لهم مع هذا النهي وقت قول موسى لقومه[1].

«يا قوم » فعل كلام تأثيري Acte illocutoire، نداء الغرض منه التأثير فيهم ولفت إنتباههم وإبتداء كلام موسى عليه السلام بـ «يا قوم » تعريض بأن شأن قوم الرسول أن يطيعوه ولا يؤذوه، ففي النداء بوصف " قوم " تمهيد للإنكار في قوله " لم تؤذونني " [2].

« لمَ تُؤذُونَني» فعل كلام غرضي Acte illocutoire، إستفهام، قوته الغرضية هي الإنكار، أي لم توصلون الأذى إلي وأنتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة[3]، « وقد تعلمون أني رسول الله» « قد » معناه التوكيد كأنه قال: وتعلمون علما يقينا لا شبهة لكلم فيه أني رسول الله[4]، وكما أمد علمهم بـ « قد » أكد حصول المعلوم بـ « أن » المفتوحة، فحصل تأكيدات للرسالة، والمعنى فكيف لا يجري أمركم على وفق هذا العلم [5].

« فلمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قلوبهمُ» ملفوظ تقريري وصفي، والزيغ الميل عن الحق، أي لما خالفوا ما أمرهم رسولهم جعل الله في قلوبهم زيغا، أي تمكن الزيغ من نفوسهم فلم ينفكوا عن الضلال[6] ، « فلمّا زاغوا» حجة نتيجتها أزاغَ الله قُلُوبهمْ »:

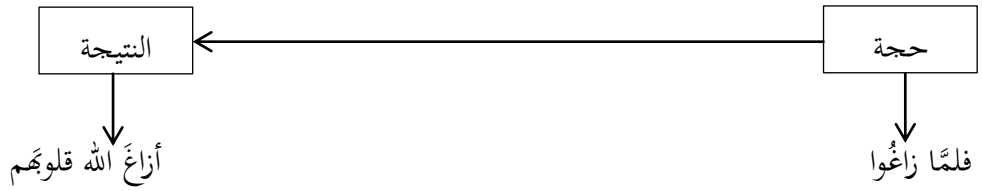

«الله لا يهدي القوم الفاسقينَ »، تذييل، ووصف آخر للقوم بالفاسقين، وتأكيد على بشاعة أمرهم، والله لا يهدي القوم الذي مال عن الحق والفاسق.

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص 177/28.

[2] المرجع نفسه: ص ن.

[3] أبي الفداء إسماعيل إبن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص4/ 329.

[4] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير: ص 313/29.

[5] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج11، ص 179/28.

[6] المرجع نفسه: ص ن.

المرسل	آليات وأساليب الإستراتيجية الحجاجية والإقناعية في الآية	المرسل إليه
موسى عليه السلام	- " إذْ " ← رابط حجاجي ← ربط بين قصة وقصة - فعل كلام غرضي ← " لم تؤذونني " إستفهام ← للإنكار - ربط الحجة بالنتيجة ← " فلمَّا زَاغُوا أزاغَ اللهُ قُلوبَهم ". - وصف ← " زاغواُ " الميل عن الحق + فاسقين . - تذييل + تأكيد + وصف ← حجة ← " والله لا يهدي القوم الفاسقينَ".	قومه

ب- خطاب عيسى عليه السلام لبني إسرائيل:

- يقول الله تبارك وتعالى:« لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢)لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣)أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»[1].

في هذه الآيات حكم من الله عز وجل بتكفير من الملكية واليعقوبية والنسطورية، ممن قال منهم بأن المسيح هو الله، تعالى عن قولهم وتنزه وتقدس علوا كبيرًا[2].«لقد كفرَ » نتيجة موصولة بالحجة «الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ »:

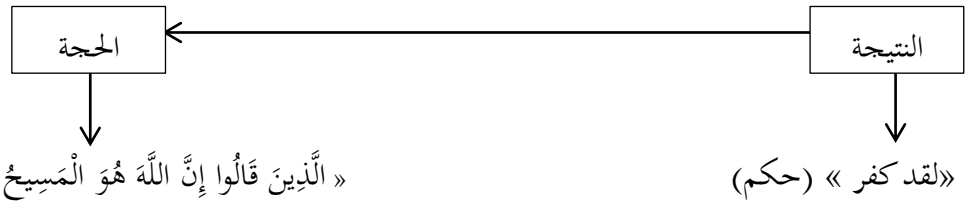

«يا بني إسرائيل» فعل كلام تأثيري Acte illocutoire، قوته تكمن في التأثير عليهم ولفت إنتباههم، «اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ » فعل كلام غرضي Acte illocutoire، أمر، قوته الغرضية هي الحث على عبادة الله وحده دون الشرك به أحد، فهو رب الناس جميعا، ورب عيسى عليه السلام وبني إسرائيل، «إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة»، يجوز أن تكون هذه الجملة حكاية لكلام صدر

[1] سورة المائدة: الآيات 72، 74.

[2] أبي الفداء إسماعيل إبن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 76/2.

عن عيسى عليه السلام فتكون تعليلا للأمر بعبادة الله، ووقوع «إنَّ » في مثل هذا المقام تغني غناء فاء التفريع وتفيد التعليل[1].

«إنَّهُ من يشرك بالله» حجة نتيجتها:« فقد حرم اللهُ عليه الجنة » وربط النتيجة بالتهديد والوعيد في قوله: « ومأواه النار وما للظالمين من أنصار » وتقييد الإمكانات الحجاجية ب « ما » في نصرتهم من الله عز وجل ومن عذاب جهنم .

« إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ » « فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ »

« لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ»، معنى قولهم «إن الله ثالث ثلاثة » أن ما يعرفه الناس أنه الله هو مجموع ثلاثة أشياء، وأن المستحق للإسم هو أحد تلك الثلاثة الأشياء، وهذه الثلاثة قد عبروا عنها بالأقانيم وهي أقنوم الوجود وهو الذات المسمى الله وسموه أيضاً الأب، وآقنوم العلم، وسموه أيضا الإبن، وهو الذي إتحد بعيسى وصار بذلك عيسى إلها، وأنوم الحياة وسموه الروح القدس، وصار جمهورهم، ومنهم الركوسية طائفة من نصارى العرب، يقولون: إنه لما إتحد بمريم حين حملها بالكلمة تألهت مريم أيضا، لذلك إختلفوا أهي أم الكلمة أم هي أم الله [2].

« لقد كفرَ » نتيجة موصولة بالحجة « الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ »:

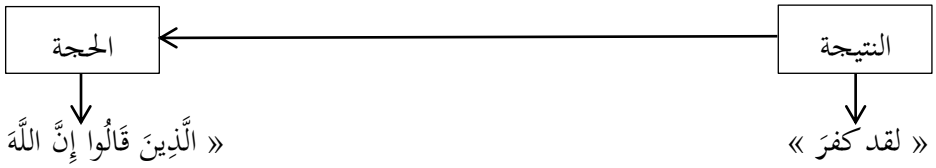

« لقد كفرَ » « الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ »

« وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِد» ملفوظ تقريري، إثبات Acte illocutoire يحتوي على عامل حجاجي Opérateur argumentatif « ما » و«إلا» بحيث حصر إمكاناته الحجاجية ونفى أن يكون إله آخر، ولا وجودَ لإله إلا إلهٌ واحد هو الله « وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » فعل خطاب مركب شرطي، فإنجاز فعل الكلام الغرضي الثاني (وعيد)

[1] محمد الطاهر عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج3، ص 280/6.

[2] المرجع نفسه: ص ن.

« لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » مشروط بإنجاز الفعل الغرضي الأول « وإن لم ينتهوا عما يقولون»، وهي حجة نتيجتها العذاب الأليم:

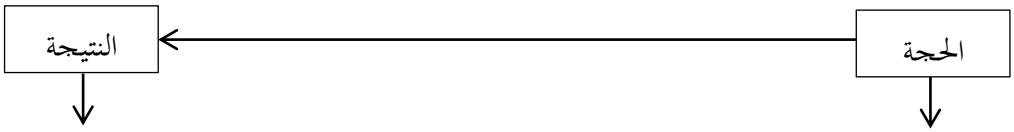

« وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ» «لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ».(وعيد)

« أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» فعل كلام غرضي Acte illocutoire قوته الغرضية تتمثل في دعوتهم إلى التوبة والمغفرة، فكل من تاب إليه تاب عليه، وهذا من كرمه تعالى وجوده ولطفه ورحمته بخلقه، مع هذا الذنب العظيم وهذا الإفتراء والكذب والإفك [1].

«مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ » ملفوظ تقريري، إثبات يحتوي على عامل حجاجي « ما» و« إلا »، فَحَصر الإمكانات الحجاجية، وبين أن المسيح إبن مريم كتقييد أول، وما هو إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل كتقييد ثانٍ، « وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ » صفة معطوفة على جملة « مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ » والقصد من وصفها صديقة نفي أن يكون لها وصف أعلى من ذلك، والصديقة صيغة مبالغة، فالمعنى المبالغة في وصفها بالصدق، أي صدق وعد ربها، وقوله: «كانا يأكلان الطعام» جملة واقعة موقع الإستدلال على مفهوم القصر الذي هو نفي إلهية المسيح وأمه، وقد إستدل على بشريتها بإثبات صفة من صفات البشر، وهي أكل الطعام[2].

«انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ» متتالية من الأفعال الغرضية Actes illocutoire أمر وإستفهام، ثم تكرار نفس صيغة الأمر والإستفهام، قوتها الغرضية، تكمن في التعجب من حال الذين إدعوا الإلهية لعيسى عليه السلام.

« الآيات» جمع آية وهي العلامة على وجود المطلوب، إستعيرت للحجة والبرهان، لشبهه بالمكان المطلوب على طريقة المكنية، وإثبات الآيات له تخييل، شبهت بآيات الطريق الدالة على المكان المطلوب، وقوله « انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ «ثم» فيه للترتيب الرتبي والمقصود أن التأمل في بيان الآيات يقتضي الإنتقال من العجب من وضوح البيان إلى أعجب منه وهو إنصرافهم عن الحق مع وضوحه[3]،

[1] أحمد خلف سليمان محمد الجبوري: خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم، ص 118.

[2] محمد الطاهر عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج3، ص286/6.

[3] المرجع نفسه: ص287/6.

فالعلاقة بين الحجة « أنظر كيف نبين لهم الآيات » بالنتيجة « ثم أنظر أنَّى يؤفكُونَ » هي علاقة عدم الإتفاق بين الحجة والنتيجة:

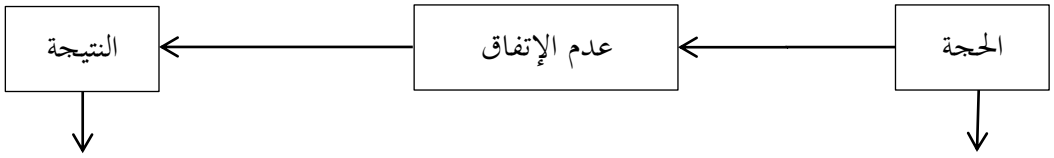

«انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ» « ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ»

« قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»، فعل كلام غرضي Acte illocutoire، أمر من أجل الإستفهام، قوته الغرضية هي التوبيخ، أي أتعبدون معبودا هو غير الله، وتشركون مع الله غيره في الإلهية، لا يحمل لكم ضرا ولا نفعاً، « وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » الواو واو الحال، وفي موقع هذه الجملة تحقيق لإبطال عبادتهم عيسى ومريم من ثلاثة طرق: طريق القصر وطريق ضمير الفصل وطريق جملة الحال باعتبار ما تنفيذه من مفهوم مخالفة [1].

في الآيات خطاب واضح وجلي من الله عزَّوجل ومن نبيه عيسى عليه السلام، لتنفيذ إدّعاءات بني إسرائيل في جعل لله إلها آخر غيره، خاطبهم بأسلوب حجاجي وإقناعي فيه ما فيه من الترغيب والتهديد، لترك أو التخلي عن معتقداتهم الخاطئة، هذا ما بينتها الآليات والأساليب الحجاجية والإقناعية المستعملة لتحقيق ذلك، كما هي في الجدول التالي:

المرسل	أساليب وآليات الإستراتيجية الحجاجية والإقناعية في الآيات	المرسل إليه
الله عزَّوجل	– ربط النتيجة " لقد كفر " بالحجة " الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ "	النصارى
عيسى عليه السلام	– فعل كلام تأثيري ← " يا بني إسرائيل " ← نداء ← التأثير فيهم ولفت إنتباههم – فعل كلام غرضي ← " إعبدوا الله " ← أمر. – التعليل بـ " إنَّ " ← " إنه من يشرك بالله " . – ربط الحجة بالنتيجة ← " إنه من يشرك بالله " ← فقد حرم الله عليه الجنة "	بني إسرائيل

[1] المرجع السابق نفسه: ص 289/6.

الله عزَّوجل	– ربط النتيجة بالحجة ⟵ " لقد كفر " نتيجة، " " الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ " حجة . – روابط حجاجية " ما " و " إلاّ " ⟵ " وما من إله إلا إله ⟵ وحصر الإمكانات الحجاجية – فعل خطاب مركب شرطي ⟵ " وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ" حجة، نتيجتها " لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " (وعيد).	بني إسرائيل
	– فعل كلام غرضي ⟵ " أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ " ⟵ إستفهام – روابط حجاجية " ما " و" إلا " ⟵ " مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ " ⟵ حصر الإمكانات الحجاجية . – الوصف ⟵ " وأمه صديقة " صيغة مبالغة. – الإستدلال ⟵ "كانا يأكلان الطعام " . – أفعال كلام غرضية ⟵ أمر وإستفهام ⟵ تكرار نفس الأمر والإستفهام ⟵ " أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر أنى يؤفكون " ⟵ التعجب. – علاقة عدم الإتفاق بين الحجة والنتيجة ⟵ " أنظر كيف نبين لهم الآيات " حجة بالنتيجة : " ثم أنظر أنى يؤفكون " . – فعل كلام غرضي ⟵ إستفهام ⟵ " أتعبدون من دون الله " ⟵إنكار وتوبيخ.	

2– خطاب أهل الكتاب:

من بين الفئات التي إهتم بها القرآن الكريم إهتماماً كبيرا، فئة أهل الكتاب، باعتبارهم الإمتداد الطبيعي لسيرة ورسالة الإسلام، والفريق الأولى بالدعوة والإستجابة قبل غيره، نظرًا للأصول المشتركة التي تجمع أهل الكتاب ودعوة الإسلام، مما جعل الخطاب القرآني مع أهل الكتاب يأخذ مساحة واسعة، بحيث بين فيها أهم صفات هذه الفئة في جوانب متعددة كالأخلاق والمعاملات، والتصورات الخاطئة، والمعتقدات الباطلة، ومواقفهم عبر التاريخ مع الله وأنبيائه، والكتب السماوية التي إستحفظوها ومع الرسول عليه الصلاة والسلام والمسلمين، يقرن كل ذلك بالأحداث والوقائع، ليثبت صدق ذلك الخطاب، ومنطقه المقنع بشمول وتحليل عظيمين، ولفظ (أهل الكتاب) يطلق على اليهود

والنصارى، ورد في إثنين وثلاثين موضعا، تناول الفئتين، أو إحداهما بهذا اللفظ، بدلالة السياق أو أسباب النزول.

1- الخطاب المختص باليهود:

- يقول الله تبارك وتعالى: « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠)يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١)وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢)وَلا تُؤْمِنُوا إِلا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣)يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ »[1] .

«يا أهل الكتاب » فعل كلام تأثيري Acte perlocutoire، نداء قوته تكمن في التلطف معهم للتأثير فيهم، لأن أهل الكتاب أدرى بآيات الله وبالله والنبوة، وبما في كتبهم، وصدق الرسول وبشارته، « لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ » فعل كلام غرضي Acte illocutoire، إستفهام، قوته الغرضية تتمثل في إنكار ما يفعلون من كفرهم لآيات الله، وهم يعلمون ويشاهدون ذلك، أي أنهم يكفرون بآيات الله رغم علمهم بصدقها، وهذا ما تضمنه الملفوظ الوصفي «وأنتم تشهدون» مما يدل على تعنتهم وعنادهم وإفترائهم على الله ورسوله.

« يا أهل الكتاب» إعادة ندائهم قصد التوبيخ وتسجيل باطلهم عليهم[2]، كما أعيد تكرار الفعل الكلامي التأثيري Acte perlocutoire، النداء للمرة الثانية في الخطاب لقصد التأثير فيهم ولفت إنتباههم، « لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ » فعل كلام غرضي Acte illocutoire، وإعادة الإستفهام بـ « لم » لإنكار ما يفعلون وتوبيخهم، بعدما إستبدلوا الحق بالباطل وكتمانه، وإستبدال دينهم لما فيه أكاذيب وخرافات وتأويلات باطلة، وكتمانهم لتصديق محمد عليه الصلاة والسلام، أو كتمانهم في التوراة من الأحكام التي أماتوها وعوضوها بأعمال أحبارهم وآثار تأويلاتهم، وهم يعلمونها ولا يعلمون بها [3].

[1] سورة آل عمران: الآيات 70- 74.

[2] محمد الطاهر عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج2، ص279/3.

[3] المرجع نفسه: ص ن.

«وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ »، عطف على «ودَّت طائفة من أهل الكتاب»، فالطائفة الأولى حاولت الإضلال بالمجاهرة، وهذه الطائفة حاولته بالمخادعة [1]، وفي الخطاب أفعال كلام غرضية Acte illocutoire، أمر «آمنوا» و«أكفُرُوا» القوة الغرضية منها هو خداع وتغليط المؤمنين، وبعث الشك في عقيدتهم ودينهم، والنفاق في نفوسهم من خلال قوله: « آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ »، أي الإيمان بما أُنزلَ ثم الكفر به، وأن يرتدُّوا بَعْدَ إيمانهم ، كحجة قدَّمتها تلك الطائفة من اليهود لتغليط الذين آمَنُوا منهم، وهي حجة بالمغالطة paralogisme، لأنّ المغالطة تتجلَّى في عدم وجود الصحة والظهور بمظهرها، كما هو حال اليهود، وقد كانَ الملفوظ « لَعلَّهُم يَرجعُونَ » تعليل بـ « لَعَلَّ » بمعنى «كي»، أي: كي يرجعون، وهي نتيجة منتظرة منهم من الحجة المتمثلة في الردَّة والنفاق، من الذين هم ضُعفَاء الإيمان، خاصَّةً الأميين منهم، الذينَ يعتقدونَ أنَّ أهل الكتاب وعلمائهم أكثر علماً ودرايةً منهم بالدِّيانات والكتب، هذا ما تبيِّنُهُ الدلالة التأثيرية perlocutoires بطريقة غير مباشرة على نفوسهم وعقولهم الضعيفة:

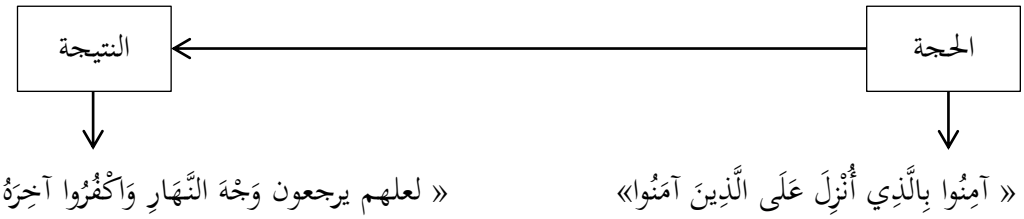

« وَلا تُؤْمِنُوا إِلا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ»، «لا تؤمنُوا » من أفعال الكلام الغرضية Acte illocutoire نهي، قُوته الغرضية النصيحة، وهو من كلام الطائفة من أهل الكتاب، قصدوا به الإحتراس ألا يظنوا من قولهم: " آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ " أنه إيمان حق، فالمعنى: " ولا تؤمنوا إيمانا حقًّا إلا لمن تبع دينكم، فأما محمد فلا تؤمنوا به لأنه لم يتبع دينكم فهذا تحليل للنهي [2]. " إِلا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ " " إلاَّ " عامل حجاجي Opérateur argumentatif، تقييد وحصر الإمكانات الحجاجية، فالإيمان مقيَّدًا فيمن تبعَ دينهم.

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج1، ص279/3.

[2] أحمد خلف سليمان محمد الجبوري: خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم، ص 136.

" قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ "، فعل كلام غرضي،وهو كلام معترض، أمر النبي عليه الصلاة والسلام أن يقوله لهم، كناية عن إستبعاد حصول إهتدائهم، وأن الله لم يهدهم، لأنّ هدى غيره أي محاولته هدى الناس لا يحصل منه المطلوب، إذا لم يقدّره الله، فالقصر حقيقي لأن ما لم يقدّره الله فهو صورة الهدى وليس بهُدى وهو مقابل قولهم: " آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ "، " وَلا تُؤْمِنُوا إِلا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ " إذْ أرادوا صورة الإيمان، وما هو بإيمان، وفي هذا الجواب إظهار الإستغناء عن متابعتهم[1].

« أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ » أشكل موقع هذه الآية بعد سابقتها وصفَ نظمها ومصرفَ معناها: إلى أي فريق، وقال القرطبي: إنها أشكل آية في هذه السورة، وذكر إبن عطية وجوهًا ثمانية، ترجع إلى إحتمالين أصليين: الإحتمال الأول أنها تكملة لمحاورة الطائفة من أهل الكتاب بعضهم بعضًا، وأن جملة " قل إنّ الهَدَى هُدَى الله " معترضة في اثناء ذلك الحوار، وعلى هذا الإحتمال تأتي وجوه تقتصر منها على وجهين: أحدهما أنهم أرادُوا تحليل قولهم" ولا تؤمنُوا إلاَّ لمنْ تبعَ دينَكُم "، وتقدير الكلام : لأنَّ لا يؤتي أحد مثل ما أوتيتم، فيكون القصد من هذا الكلام تثبيتُ أنفسهم على ملازمة دين اليهودية، لأن اليهود لا يجوزونَ نسخَ أحكام الله، ويتوهمون أنَّ النسخ يقتضي البداء، أمَّا الوجه الثاني أنَّهم أرادُوا إنكار أن يؤتي أحد بالنبوة كما أوتيها أنبياء بني إسرائيل، فيكون لا كلام إستفهاما إنكارياً حذفت منه آداة الإستفهام لدلالة لا السياق، ويؤيده قراءة إبن كثير قوله " أن يؤتى أحد " بهمزتين [2]، فيكون حسب القراءة التداولية فهل كلام غرضي Acte illocutoire، إستفهام الغرض منه الإنكار.

أما الاحتمال الثاني أن تكون الجملة مما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يقوله لهم بقيةً لقوله: « إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ »، والكلام على هذا ردٌّ على قولهم : " آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ " وقولهم " وَلا تُؤْمِنُوا إِلا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ" على طريقة اللّف والنشر المعكوس، فقوله : " أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ" إبطال قولهم : " وَلا تُؤْمِنُوا إِلا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ " أي قلتم ذلك حسدًا من أن يؤْتَى أحدُ مثل ما أوتيتم[3].

---

[1] أحمد خلف سليمان محمد الجبوري: خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم، ص 136.

[2] محمد الطاهر عاشور : تفسير التحرير والتنوير، مج2، ص281/3.

[3] المرجع نفسه: ص 282/3.

فقوله " أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجُّوكم عند ربِّكم " حجة نتيجتها قوله " ولاَ تؤْمنُوا إلاَّ لمن تَبعَ دينكم "، ففي الآيات آليات وأساليب حجاجية مستعملة لإقناع المخاطَب كالتعليل، والحجاج بالمثل، وربط الحجة بالنتيجة:

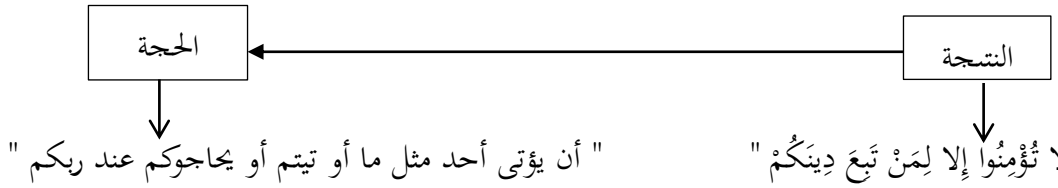

« إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » ملفوظ تقريري مؤكَّد بـ " إنَّ" جَاءَ للرد على من ينكر بأن الفضل بيد الله، أي الأمورُ كلها تحت تصريفه، وهو المعطى المانع، يمنّ على من يشاء بالإيمان والعلم والتصور التام، ويضل من يشاء ويعمى بصره وبصيرته، ويختم على سمعه وقلبه، ويجعل على بصره غشاوة، وله الحجة والحكمة [1].

« وَاسِعٌ عَلِيمٌ » إسم فاعل الموصوف بالسعة، و" عليم " صفة ثانية بقوة علمه أي كثرة متعلقات صفة علمه تعالى، وهذه الصفات بمثابة قوة حجاجية للذين يشككون في قدرة الله وقوته، وحتى يعلم اليهود أنه لا مجال للإستهانة به أو بالدّين ورسوله الكريم.

" يختص برحمته من يشاء " بدل يعض من كل لجملة " إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ" فإن رحمته مما هو فضله[2]:

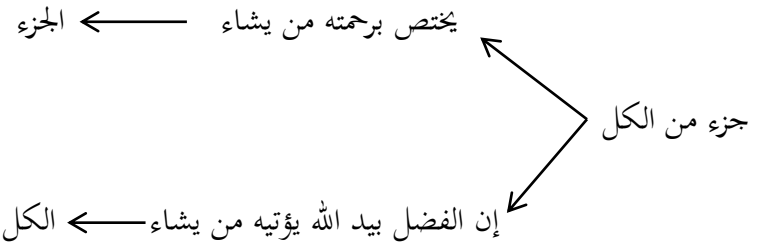

- يقول الله تبارك وتعالى لأهل الكتاب في آيات أخرى من سورة آل عمران: « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (٩٨)قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٩)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا

[1] أبي الفداء إسماعيل إبن كثير: تفسير القرآن العظيم ، ص 374/1.
[2] محمد الطاهر عاشور : تفسير التحرير والتنوير، مج2، ص 284/3.

مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »[1].

« قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ »، مقول القول بحيث إفتتح الله سبحانه وتعالى الخطاب بالفعل" قلْ" وهو فعل كلام غرضي Acte illocutoire قوته الغرضية أمر الرسول عليه الصلاة والسلام أن يستفهمهم وينكر ما يفعلون بآيات الله، " يا أهل الكتاب " فعل كلام تأثيري Acte perlocutoire، خصهم بهذا النداء دون غيرهم لأنهم إعترفوا بالله وبآيات الله وبنبوة رسوله الكريم، لكنهم لا ينفِّذون ما يعلمون وما يقولون، لذلك جاء هذا الخطاب للرد عليهم، وتنبيههم والتأثير فيهم، فناداهم بـ " يا أهل الكتاب " لينبههم على أنهم أهل الكتاب، فلا يناسب من يعتزي إلى كتاب الله أن يكفر بآياته، بل ينبغي طواعيته وإيمانه بها، إذ له مرجع من العلم يصير عليه إذا إعترته شبهة[2].

«لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ» فعل كلام غرضي Acte illocutoire، إستفهام، قوته الغرضية تتمثَّل في الإنكار والتوبيخ، أي إنكار كفرهم لله وآياته، " والله شهيد على ما تعلمون " جملة حالية فيها تهديد ووعيد، اي إنَّ من كان الله مطَّلعًا على أعماله مشاهداً لهُ في جميع أحواله لا يناسبه أن يكفر بآياته، وأتت صيغة " شهيد " لتدل على المبالغة بحسب المتعلق، وقوله " على ما تَعْملونَ " متعلق بقوله: شهيد، وما موصولة، وجوزوا أن تكون مصدرية، أي على عملكم[3].

وهذه الآية الحاملة للإستفهام والإنكار هي مكرّرّة في نفس السورة بنفس السياق في قوله تعالى: « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ »[4]، مما يدل ويحمل قوة حجاجية تتمثل في الإصرار والإلحاح على إنكار ما يقترفون، ففي هذه الآية يقول الله عزَّوجل " وأنتم تشهدون " وفي الآية 98 من آل عمران يقول: " وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ "، أي أنتم تعلمُون بأنّه كفْرٌ على الله وآياتِهِ، والله شهيدٌ على ذلك، فلماذا تكفُرونَ بها ؟، فالغاية الحجاجية من تكرار الخطاب، كآلية من آليات الإستراتيجية الحجاجية والإقناعية، هي إنكار كبيرة من الكبائر (الكفر بالله وبآياته)، أعيد الخطاب لتثبيته في نفوسهم وتنبيههم، وصدّهم عن ذلك:

---

[1] سورة آل عمران: الآيات 98- 101.

[2] أحمد خلف سليمان محمد الجبوري: خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم، ص 141.

[3] المرجع نفسه: ص 142.

[4] سورة آل عمران: الآية 70.

التكرار

يا أهل الكتاب لم تكفرون بئايات الله وأنتم تشهدون ← الآية 70 من سورة آل عمران

يا أهل الكتاب لم تكفرون بئايات الله والله شهيد على ما تعملون ← الآية 98 من السورة.

« قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ الل»، أعيد تكرار مقول القول، وفعل الأمر « قلْ » فعل كلام غرضي Acte illocutoire، الغرض منه طلب الإستفهام والإنكار، كما أُعيدَ أيضًا ندائهم بصيغة " يا أهل الكتاب " وهو فعل كلام تأثيري Acte perlocutoire للتأثير فيهم من خلال التلطف معهم والإشفاق عليهم من مصير ما يكفرون، «لم تصدُّونَ» فعل كلام غرضي Acte illocutoire، إستفهام الغرض منه هو الإنكار، فهو إنكار وتوبيخ ثانٍ على مجادلتهم لإضلالهم المؤمنين بعدَ أن أنكر ضلالهم في نفوسهم، وفصل بلا عطف للدلالة على إستقلاله بالقصد ولو عطف لصح العطف[1] .

« عن سبيل الله » مجازر في الأطوال والأدلة الموصلة إلى الدين الحق، والمراد بالصد على سبيل الله محاولة إرجاع المؤمنين إلى الكفر بإلقاء التشكيك عليهم [2]، " تبغونها عوجَا "، أي هذا السبيل تريدونَهُ معوجًّا وغير مستقيم، وهو سبيل الشرك، و" أنتم شهداء " أي وأنتم عالمين أنها سبيل الله، " وما الله بغافلٍ عمَّا تعملُونَ " هو وعيد وتهديد وتذكير لأنهم يعلمونَ أن الله يعلم ما تخفي الصدور.

ثم يُوَجّه الخطاب للذين آمنوا يحذرهم من الوقوع في فخ الذين أوتوا الكتاب، أي من علمائهم، وخشية من أن يردوهم من إيمانهم كافرين، وهو فعل كلام مركب، قوته تكمن في التحذير من الإيمان بهم، حتى لا يقعوا في الردة والكفر:

الحجة ← " إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ "

النتيجة ← "يَرُدُّوكُمْ بعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ"

[1] محمد الطاهر عاشور : تفسير التحرير والتنوير، مج 2، ص25/4.

[2] المرجع نفسه: ص ن.

" كيف تكفرون " فعل كلام غرضي Acte illocutoire، إستفهام، مستعمل في الإستبعاد إستبعادًا لكفرهم ونفي له[1]، وجملة " وأنتم تتلى عليكم آيات الله " حالية وهي محط الإستبعاد والنفي لأن من تلاوة آيات الله وإقامة الرسول عليه الصلاة والسلام فيهم، وازع لهم عن الكفر، وأي وازع، فالآيات هنا هي القرآن ومواعظه، وقوله " وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" أي من يتمسك بالدين فلا يخشى عليه الضلال، فالإعتصام هنا إستعارة للتمسك، وفي هذا إشارة إلى التمسك بكتاب الله ودينه لسائر المسلمين الذين لم يشهدوا حياة الرسول صلى الله عليه وسلم [2]، والملفوظ " من يعتصم بالله " حجة نتيجتها فقد هدي إلى صراط مستقيم":

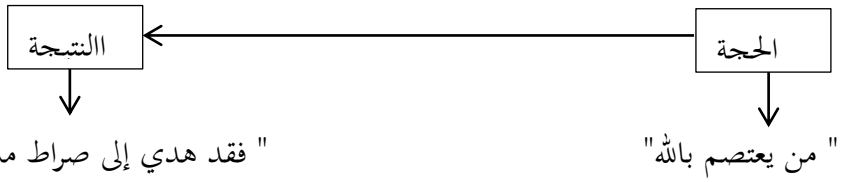

في الخطاب إصرار وتأكيد على إنكار ما أصاب أهل الكتاب من الكفر والشرك، ومحاولتهم تغليط المؤمنين، الذين حذَّرهم من أن يقعوا في الردة.

هذا الإصرار والتأكيد تبين من خلال تكرار الأفعال الغرضية والتأثيرية، من أمر ونداء وإستفهام: « يا أهل الكتاب»، «لم تكفرون »، « لم تلبسون »، « لم تصدون »، وتكرار نص الآية أو الخطاب بنفس السؤال مرتين أو ثلاث، كحجج متتابعة، إنكارا ونفيا من الله ورسوله لما يقترفون.

– يقول الله تبارك وتعالى: « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥)يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[3].

« يا أهل الكتاب » فعل كلام تأثيري Acte perlocutoire، نداء قوته التأثير فيهم ولفت إنتباههم، وإقامة الحجة عليهم بظهور صدق الرسول عليه الصلاة والسلام، " يبينُ لَكُم " ملفوظ وصفي، صفة للرسول عليه السلام يبين لهم كثيرا مما كانوا يخفون من الكتاب، " ويعفوا عن كثير"، ملفوظ وصفي آخر، اي لا يظهر كثيرا مما تكتمونه أنتم، وإنما لم يظهره لأنه لا حاجة إلى إظهاره في

[1] محمد الطاهر عاشور : تفسير التحرير والتنوير، مج 2، ص 28/4.
[2] المرجع نفسه: ص 29/4.
[3] سورة المائدة: الآيات 15-16.

الدين، والفائدة في ذكر ذلك أنهم يعلمون كون الرسول عالما بكل ما يخفونه، فيصير ذلك داعيا لهم إلى ترك الإخفاء لئلا يفتضحوا[1]، ويجوز أن يراد هنا معنى الصفح والمغفرة، أي ويصفح عن ذنوب كثيرة، ويبن لكم دينكم ويعفوا عن جهلكم[2].

" قد جَاءكمْ رسولنَا" حجة نتيجتها " يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير ":

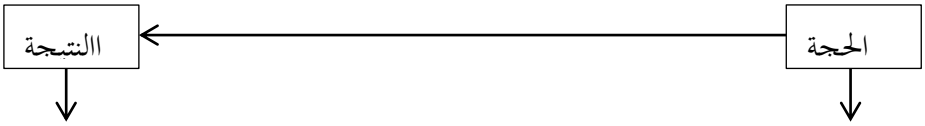

" قد جَاءكمْ رسولنَا" – يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب

– ويعفوا عن كثيرٍ.

" قد جاءكم من الله نور" بدل من جملة " قد جاءكم رسولنا " بدل إشتمال، لأن مجيئ الرسول عليه الصلاة والسلام إشتمل على مجيئ الهدى والقرآن [3]، النور والكتاب المبين فيه أقوال: – أن المراد بالنور محمد صلى الله عليه وسلم، وبالكتاب القرآن.

– أن المراد بالنور الإسلام، وبالكتاب القرآن

– أن النور والكتاب هو القرآن.[4]

فالله سبحانه وتعالى بعث الرسول عليه الصلاة والسلام كحجة ليبين لهم ما كانوا يخفون من الكتاب، ويغفر عن ذنوب كثيرة ، كما جاءهم من الله بنور وكتاب مبين، ليبين لهم الخير والشر ويظهره لهم .

" يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ "، " يهدي به " راجع إلى الرسول أو الكتاب المبين، من آمن بالله وإتبع رضوانه، " سبل السلام " أي طرق السلامة، فسبيل السلام إستعارة لطرق الحق، " يخرجهم من الظلمات إلى النور" إستعارة للضلال والهدى، و« الصراط المستقيم » مستعار للإيمان [5]، اي يهديهم إلى طريق الحق.

---

[1] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص 194/11.

[2] محمد الطاهر عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج 2، ص 150/6.

[3] المرجع نفسه: ص 151/6.

[4] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص 194/11.

[5] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج3، ص 151/6.

إن مجيء الرسول عليه الصلاة والسلام، ونور من الله والكتاب المبين عبارة عن نتيجة جاءت لتحقيق مقاصد وأهداف معينة هي بمثابة حجج متفاوتة كما بينها السلم الحجاجي التالي:

ن – مجيء الرسول (ص)، ونور من الله والكتاب المبين

ج – يهديهم إلى صراط مستقيم

ب – يخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه

أ – يهدي به الله من إتبع رضوانه سبل السلام

المرسل	آليات وأساليب الإستراتيجية الحجاجية والإقناعية في الخطاب المختص باليهود	المرسل إليه
الله عزَّوجل	– فعل كلام تأثيري ← " يا أهل الكتاب" نداء ← التلطف معهم والتأثير فيهم ولفت الإنتباه. – فعل كلام غرضي ← " لم تكفرون بآيات الله " ← إستفهام إنكار. – فعل كلام تأثيري ← " يا أهل الكتاب " ← التأثير ولفت الإنتباه. – التكرار ← " يا أهل الكتاب " ← التأثير والتوبيخ. – فعل كلام غرضي ← " لم تلبسون الحق " ← إستفهام إنكار وتوبيخ. – أفعال كلام غرضية ← " ...آمنوا ...وأكفروا..." ← خداع وتغليط. – حجة بالمغالطة ← " وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار وأكفروا آخره لعلهم يرجعون ". – التعليل بـ " لَعلَّ" ← " لعلهم يرجعون "كي يرجعون. – ربط بين الحجة والنتيجة ← " آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار وأكفروا آخره " (حجة)، نتيجتها " لعلهم يرجعون ". – فعل كلام غرضي ← " لا تؤمنوا" ← نهي ← النصيحة. – عامل حجاجي ← " إلاّ " ← " إلا لمن تبع دينكم "	أهل الكتاب (اليهود)

	تقييد وحصر الإمكانات الحجاجية ⟵ الإيمان مقيد بمن تبع دينهم . – فعل كلام غرضي ⟵ " قل إن الهدى هدى الله " ⟵ أمر. – كناية ⟵ " قل إنّ الهدى هدى الله " ⟵ كناية عن إستبعاد حصول إهتدائهم . – الحجاج بالمثل ⟵ " أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم " . – فعل كلام غرضي ⟵ " أن يؤتى أحدٌ " ⟵ إستفهام الإنكار – ربط الحجة بالنتيجة ⟵ ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم " (نتيجة)، " أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم " (حجة).	
الله عزَّوجل	– جزء من الكل ⟵ " يختص برحمته من يشاء " (الجزء)، " إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء (الكل). – فعل كلام تأثيري ⟵ " يا أهل الكتاب " التلطف والتأثير ولفت الإنتباه. – فعل كلام غرضي ⟵ " قلْ يا أهل الكتاب " ⟵ أمر – فعل كلام غرضي ⟵ " لم تكفرون " إستفهام ⟵ الإنكار والتوبيخ. – التكرار ⟵ الآية 70 من آل عمران، أعيد تكرارها في الآية 98 من نفس السورة ⟵ إنكار كبيرة من الكبائر (الكفر بالله وبآياته). – فعل كلام غرضي ⟵ " قل يا أهل الكتاب " أمر. – التكرار ⟵ " قل يا أهل الكتاب " ⟵ في الآية 99 من نفس السورة. – فعل كلام تأثيري ⟵ " يا أهل الكتاب " التلطف والتأثير ولفت الإنتباه. – فعل كلام غرضي ⟵ " لم تصدون " ⟵ إستفهام الإنكار والتوبيخ . – ربط الحجة بالنتيجة ⟵ " إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب " (حجة)، " يردوكم بعد إيمانكم كافرين " (النتيجة). – فعل كلام غرضي ⟵ " كيف تكفرونَ " إستفهام ⟵ إستبعاد كفرهم. – إستعارة ⟵ " ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم "	أهل الكتاب (اليهود)

	الإعتصام إستعارة للتمسك. – ربط الحجة بالنتيجة ⟵ " من يعتصم بالله " (حجة)، " فقد هدي إلى صراط مستقيم " (نتيجة). – فعل كلام تأثيري ⟵ " يا أهل الكتاب " ⟵ نداء التأثير فيهم ولفت إنتباههم. – ربط الحجة بالنتيجة ⟵ " قد جاءكم رسولنا " (حجة)، " يبين لكم كثيرًا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثيرٍ " (نتيجة). – السلم الحجاجي ⟵ مجيئ الرسول (ص)، ونور من الله والكتاب المبين (نتيجة)، يهدي به من إتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم (حجج).	

2- الخطاب المختص بالنصارى:

– يقول الله عزَّوجل:" يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا (١٧١)" [1].

" يا أهل الكتاب " فعل كلام تأثيري Acte perlocutoire، نداء القصد منه التلطف مع النصارى والتأثير فيهم ولفت إنتباههم، لأن الخطاب موجه إلى النصارى خاصة، وخوطبوا بعنوان أهل الكتاب تعريضا بأنهم خالفوا كتابهم[2]، " لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ " فعل كلام غرضي Acte illocutoire، نهي قوته الغرضية Force illocutoire التحذير من الغلو والإطراء في الدين، فالتقدير يا أهل الكتاب من النصارى لا تغلوا في دينكم أي لا تفرطوا في تعظيم المسيح، وذلك لأنه تعالى حكى عن اليهود أنهم يبالغون في الطعن في المسيح، وهؤلاء النصارى يبالغون في تعظيمه وكلا الطرفين قصدهم ذميم، فلهذا قال للنصارى " لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ " [3]، وصفة الغلو في الدين كثيرة في النصارى، بحيث نجدهم تجاوزا

[1] سورة النساء: الآية 171.

[2] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج3، ص 50/6.

[3] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص 117/01.

واحد التصديق بعيسى عليه السلام، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن إتخذوه إلها من دون الله يعبدونه، بل قد غوا في أتباعه وأشياعه، ممن زعم أنه على دينه، فادّعوا فيهم العصمة وإبتعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقا أو باطلا، أو ضلالا أو رشادا، أو صحيحاً أو كذبا [1].

" وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ " فعل كلام غرضي Acte illocutoire، نهي، قوته الغرضية تتمثل في إرشادهم إلى قول الحق على الله، ونهي النصارى من الإفتراء على الله وعيسى عليه السلام ويجعلوا له صاحبة وولداً، فهم طولبوا باتباع المسيح فتجاوزوا فيه الحد إلى دعوى إلهية أو كونه إبن الله، مع الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، " إلاّ " عامل حجاجي، يقيد ويحصر الإمكانات الحجاجية، أي حصر القول على الله عزَّوجل ونبيه عيسى عليه السلام في الحق وعدم الإفتراء عليهم.

" إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى وَرُوحٌ مِنْهُ "، " إنما المسيح عيسى إبن مريم " جملة مبينة، للحد الذي كان الغلوا عنده، فإنه مجمل، ومبينة للمراد من قول الحق، وقد أفادت الجملة قصر المسيح على صفات ثلاث:

- صفة الرسالة
- وصفة كونه كلمة الله ألقيت على مريم.
- صفة كونه روحًا من عند الله.
- فالقصر قصر موصوف على صفة، والقصد من هذا القصر إبطال ما أحدثه غلوهم[2].

فالقصر بهذه الصفات عبارة عن حجج لنتيجة تتمثل في " ولا تقولوا على الله إلا الحق:

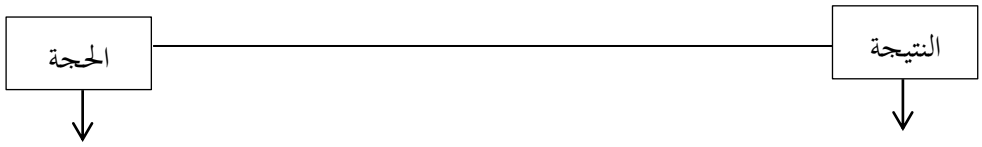

" ولا تقولوا على الله إلا الحق " " إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مريم وَرُوحٌ مِنْهُ " فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ" فعل كلام غرضي Acte illocutoire، أمر، قوته الغرضية تتمثل في تقديم النصيحة لهم وإرشادهم إلى الإيمان بالله ورسوله أحسن لهم ، " الفاء " للتفريع على جملة القصر

[1] أبي الفداء إسماعيل إبن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 1/ 548.
[2] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج3، ص 51/6.

وما بنيت عليه، اي إذا توضح كل ما بينه الله من وحدانيته، وتنزيهه، وصدق رسله، يتفرع أن آمركم بالإيمان بالله ورسوله [1]:

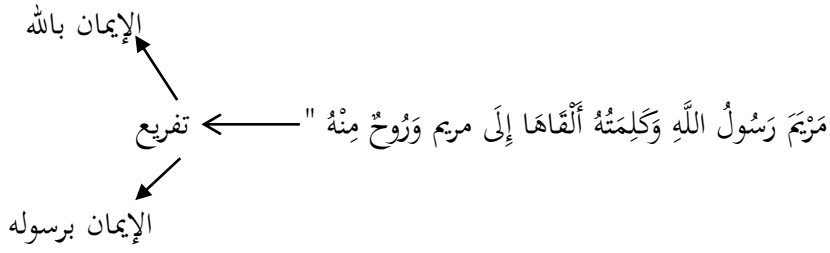

"وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ " فعل كلام غرضي Acte illocutoire، نهي، قوته الغرضية تتمثل في التحذير من النطق بهذه الكلمة " ثلاثة " دل عليه الملفوظ " انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ " وهو فعل كلام غرضي، أمر الغرض منه الإجتناب والتخلي عن النطق بهذه الكلمة والشرك بالله.

كلمة " ثلاثة " كانت شعارا للنصارى في دينهم ككلمة الشهادة عند المسلمين، ومن عوائدهم الإشارة إلى التثليث بالأصابع الثلاثة: الإبهام والخنصر والبنصر، فالمقصود من الآية النهي عن النطق بالمشتهر من مدلول هذه الكلمة وعن الإعتقاد، لأن أصل الكلام الصدق فلا ينطق أحد إلا عن إعتقاد، فالنهي هنا كناية بإرادة المعنى ولازمه، والمخاطب بقوله " ولا تقولو" خصوصا النصارى [2].

فالنهي عن الغلو في الدين، والنهي عن النطق بكلمة " ثلاثة " جزء من الكل للنهي في قوله تعالى: « ولا تقولوا على الله إلا الحق »:

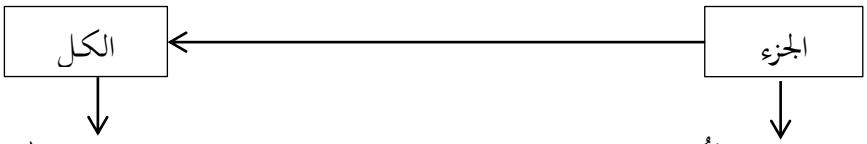

-" لا تغلوا في دينكُم ".

- " ولا تقولوا على الله إلا الحق "

- " وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ إِنْتَهُوا خَيرًا لَكم".

" إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ " ملفوظ وصفي إثباتي، قصر موصوف على صفة، جاء القصر بـ" إنما "، وهو هنا قصر إضافي، أي ليس الله بثلاثة، تأكيد على وحدانية الله وردا عليهم، ونفي في نفس الوقت لما يدعون، " سبحانه " تفيد قوته التنزيه لله تعالى على أن يكون له ولد، والدلالة على

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص 53/6.

[2] المرجع نفسه: ص 54/6.

غلط مثبتيه، فإن الإلهية تنافي الكون أبا وإتخاذ إبن، لإستحالة الفناء، والإحتياج والإنفصال، والمماثلة للمخلوقات عن الله تعالى[1].

" له ما في السموات وما في الأرض" تعليل وحجة لقوله: " سبحانه أن يكون له ولد " لأن الذي له ما في السماوات وما في الأرض قد إستغنى عن الولد، ولأن من يزعم أنه ولد له هو مما في السماوات والأرض كالملائكة أو المسيح، فالكل عبيده وليس الإبن بعبد [2]، " وكفى بالله وكيلا " أي فتوكلوا عليه دون غيره.

فالملفوظ " سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ " و" لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ " و" كفى بالله وكيلا " قوة حجاجية جاءت لتدعم وحدانية وربوبية الله عزَّوجل، ونفي الشرك به، لأن الذي يملك ما في السماوات والأرض يستحيل ان يكون له ولد، وبالتالي يجب التوكل عليه لا على غيره.

– يقول الله عزَّوجل عن النصارى في آية أخرى من سورة المائدة: « لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[3].

" لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ " حكم من الله عزَّوجل بتكفير من قال أن الله هو عيسى إبن مريم من النصارى، فالملفوظ" لقد كفر " نتيجة موصولة بالحجة " الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ":

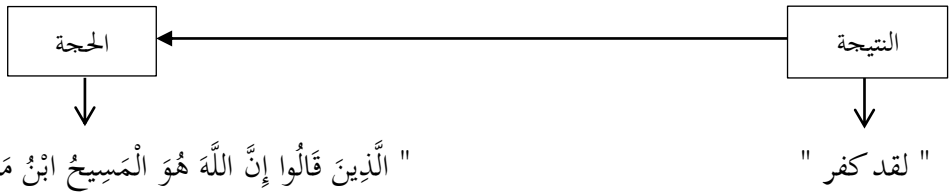

" قل " فعل كلام غرضي Acte illocutoire، أمر، الغرض منه بيان قدرة الله عزَّوجل على كل شيء، كحجة ورد على النصارى التي تدعي عكس ذلك، " فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا " في الجملة فعل كلام غرضي Acte illocutoire، إستفهام، الغرض منه الإنكار، فالفاء عاطفة للإستفهام الإنكاري على قولهم: إن الله

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص 58/6.

[2] المرجع نفسه: ص ن.

[3] سورة المائدة: الآية 17.

هو المسيح، للدلالة على أن الإنكار ترتب على هذا القول الشنيع[1]، وهذه جملة شرطية قدم فيها الجزاء على الشرط، والتقدير: إن أراد أن يهلك المسيح إبن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا، فمن الذي يقدر على أن يدفعه عن مراده ومقدوره، وقوله: " فمن يملك من الله شيئا " أي يملك من أفعال الله شيئا، والملك هو القدرة، يعني فمن الذي يقدر على دفع شيء من أفعال الله تعالى ومنع شيء من مراده[2].

«وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بينهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». حجة أخرى، ورَدٌّ أخر عليهم، بأنَّ الله ملك السموات والأرض، وما بينهما ويخلق ما يشاء، وهو على كل شيء قدير.

المرسل	آليات وأساليب الإستراتيجية الحجاجية والإقناعية في الخطاب المختص بالنصارى	المرسل إليه
الله عزَّوجل	– فعل كلام تأثيري ← " يا أهل الكتاب " نداء ← التلطف مع النصارى والتأثير فيهم ولفت إنتباههم. – فعل كلام غرضي ← " لا تغلوا في دينكم ← نهي ← التحذير من الغلو والإطراء في الدين – فعل كلام غرضي ← " ولا تقولوا على الله إلا الحق" ← نهي ← إرشادهم إلى قول الحق على الله، ونهي النصارى من الإفتراء على الله وعيسى عليه السلام. – عامل حجاجي ← " إلا " " ولا تقولوا على الله إلا الحق " ← حصر القول على الله عز وجل ونبيه عيسى عليه السلام في الحق وعدم الإفتراء عليهم. – ربط النتيجة بالحجة ← " ولا تقولوا على الله إلا الحق " (نتيجة)، " إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ " (حجة). – فعل كلام غرضي ← " فآمنوا بالله ورسوله " ← أمر ← توجيههم وتقديم النصيحة لهم وإرشادهم إلى الإيمان بالله ورسوله. – فعل كلام غرضي ← " وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ " ← نهي ← التحذير من النطق بالكلمة " ثلاثة ". – فعل كلام غرضي ← " إنتبهوا خيرا لكم " أمر ← الإجتناب والتخلي عن النطق بكلمة " ثلاثة " والشرك بالله.	أهل الكتاب (النصارى)

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج3، ص 153/6، 154.

[2] أحمد خلف سليمان: خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم، ص 170.

الله عزَّوجل	– الجزء من الكل ⟵ " لا تغلوا في دينكم "، " ولا تقولوا ثلاثة خير لكم " (الجزء)، " ولا تقولوا على الله إلا الحق " (الكل). – ربط النتيجة بالحجة ⟵ " لقد كفر" (نتيجة)، " الذين قالوا إن الله هو المسيح إبن مريم " (حجة). – فعل كلام غرضي ⟵أمر ⟵ بيان قدرة الله عز وجل على كل شيئ ، ايضا حجة ورد على النصارى التي تدعي عكس ذلك. – فعل كلام غرضي ⟵ إستفهام ⟵" فمن يملك من الله شيئًا ..." الإنكار.	أهل الكتاب (النصارى)

3- الخطاب المشترك بين اليهود والنصارى:

– يقول الله تبارك وتعالى: « قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٦٥)هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٦٦)مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧)إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ»[1]

" قُل " فعل كلام غرضي Acte illocutoire، أمر، الغرض منه مجادلة أهل الكتاب ومحاورتهم، ودعوتهم إلى الخير، والحرص على إيمانهم،" يَا أَهْلَ الْكِتَابِ" فعل كلام تأثيري Acte perlocutoire

نداء، الغرض منه التلطف معهم والتأثير فيهم ولفت إنتباههم، وقوله" أهل الكتاب " فيه ثلاثة أقوال:

– المراد نصارى نجران.

– المراد يهود المدينة.

– أنها نزلت في الفريقين[2].

" تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم " فعل كلام غرضي Acte illocutoire، فالمراد تعيين ما دعو إليه والتوجه إلى النظر فيه وإن لم يكن إنتقالا من مكان إلى مكان لأن أصل اللفظ مأخوذ من

[1] سورة آل عمران: الآيات 64، 68.

[2] فخر الدين الراي: التفسير الكبير، ص 64/8.

التعالي وهو الإرتفاع من موضع هابط إلى مكان عال، ثم كثر إستعماله حتىَّ صارَ دالاًّ على طلب التوجه إلى حيث يدعى إليه [1]، " إلى كلمة سواء بيننا وبينكم " فالمعنى هلموا إلى كلمة فيها إنصاف من بعضنا لبعض، لا ميل فيه لأحد على صاحبه ، والسواء هو العدل والإنصاف [2].

" ألا نعبد إلا الله " حصر وتقييد العبادة في الله عز وجل وحده، بالعامل الحجاجي "إلاَّ " ونفي أن يعبد إله غيره، " ولا نشرك به شيئاً " عطف على الجملة السابقة، أي لا وثنا ولا صنماً، ولا صليباً ولا طاغوتا، ولا نارا، ولا شيئاً، بل نفردُ العبادة لله وحده لاَ شريك له[3]، " وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ "كما إتخذتم الأحبار والرهبان [4].

فالدعوة إلى الإنصاف والعدل بين الرسول عليه الصلاة والسلام والمسلمين وأهل الكتاب (اليهود والنصارى) نتيجة، وقوله: " أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ "عبارة عن حجج متفاوتة جاءت لتدعم النتيجة، تحمل معاني مضمرة تتمثل في النهي عن عبادة غير الله، والنهي عن الشرك به، والنهي عن إتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله:

ن ↑ – كلمة سواء بيننا وبينكم

ج – ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله

ب – ولا نشرك به شيئا

أ – ألا نعبد إلا الله

« فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» أي فإن تولوا عن هذا النَّصف وهذه الدعوة فأشهدوهم أنتم على إستمراركم على الإسلام الذي شرعه الله لكم [5]، ومعنى هذا الإشهاد التسجيل عليهم لئلا يظهروا إعراض المسلمين عن الإسترسال في محاجتهم في صورة العجز والتسليم بأحقية ما

[1] فخر الدين الراي: التفسير الكبير، ص 64. 68.

[2] المرجع نفسه: ص 65/8.

[3] أبي الفداء إسماعيل إبن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 344/1.

[4] جلال الدين بن محمد المحلي، جلال الدين السيوطي: تفسير الجلالين، ص 58.

[5] أبي الفداء إسماعيل إبن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص 345/1.

عليه أهل الكتاب، فهذا معنى الإشهاد عليهم بأنا مسلمون [1]، قوله "فان تولَّو" عبارة عن شرط وحجة، نتيجتها " فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" :

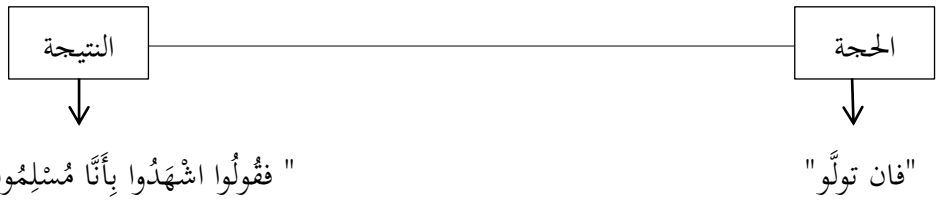

" يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلا مِنْ بعْدِهِ أَفَلا تعْقِلُون" " يَا أَهْلَ الْكِتَابِ " فعل كلام تأثيري Acte perlocutoire، كرر مخاطبتهم للتلطف معهم والتأثير فيهم ولفت إنتباههم إلى محتوى الخطاب، بحيث تنازعت اليهود ونصارى نجران بالمدينة، عند النبي عليه الصلاة والسلام، فادّعى كل فريق أنه على دين إبراهيم دون الآخر، فيكون الخطاب لأهل الكتاب كلهم من يهود ونصارى، ولعلَّ إختلاف المتخاطبين هو الداعي لتكرير الخطاب[2]، " لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبرَاهِيمَ " فعل كلام غرضي Acte illocutoire، إستفهام، قوته الغرضية هي إنكار عليهم محابتهم الباطلة للمسلمين في دين إبراهيم، وزعم كل فريق منهم أنهم على دينه [3]، أي كيف تدَّعون، أيها اليهود، أنه كان يهوديا، وقد كان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى، وكيف تدَّعون، ايها النصارى، أنه نصرانيا، وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر، ولهذا قال: " أَفَلا تعْقِلُونَ "[4]، وهو فعل كلام غرضي Acte illocutoire، إستفهام، قوته الإنكار، فيه توبيخ لليهود والنصارى.

" هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تعْلَمُونَ "، " الهاء " من قوله " ها أنت " تنبيه، وأصل الكلام أنتم حاججتم، وإنما جيئ مثل هذا التركيب في محل التعجب والتنكير والتنبيه ونحو ذلك، ولذلك يؤكد غالبا بإسم بإشارة بعده فيقال: ها أنا ذا، وها أنتم أولاء أو هؤلاء [5]، " فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ " فعل كلام غرضي Acte illocutoire، قوته الغرضية تتمثل في إنكار على من يحاج فيما لا علم له به، إلى عالم الغيب

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج2، ص 269/3.
[2] المرجع نفسه : ص 271/3.
[3] المرجع نفسه، ص 270/3.
[4] أبي الفداء إسماعيل إبن كثير : تفسير القرآن العظيم، ص 345/1.
[5] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج2، ص 274/3.

والشهادة، الذي يعلم الأمور على حقائقها، ولهذا قال: " والله يعلم وأنتم لا تعلمون " [1]، وهو تكميل للحجة، أي أن القرآن الذي هو من عند الله أثبت أنه ملة إبراهيم، وأنتم لم تهتدوا لذلك لأنكم لا تعلمون، وهذا كقوله في سورة البقرة " أم يقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله " [2].

" ما كانَ إبراهيمُ يهودياً ولاَ نصرانياً ولكن كانَ حنيفاً مسلماً وما كانَ من المشركينَ " نتيجة للإستدلال، ونفي لإدِّعاءات اليهود والنصارى، " لكن " من الروابط المدرجة للحجج، فقوله " ما كانَ إبراهيمُ يهودياً ولاَ نصرانياّ " حجة نتيجتها قوله " ولكن كانَ حنيفاً مسلماً وما كانَ من المشركينَ " أفاد الإستدراك بعد نفي الضد حصراً لحال فيما يوافق أصول الإسلام، لذلك بيَّن حنيفاً بقوله " مسلماً " لأنهم يعرفون معنى الحنيفية ولا يؤمنون بالإسلام، فأعلمهم أنَّ الإسلام هو الحنيفية، وقال " وما كان من المشركين " نفي عن إبراهيم موافقة المشركين بعد نفي موافقة اليهودية، وموافقة النصرانية، وإنه كان مسلمًا، فثبتت موافقة الإسلام[3]:

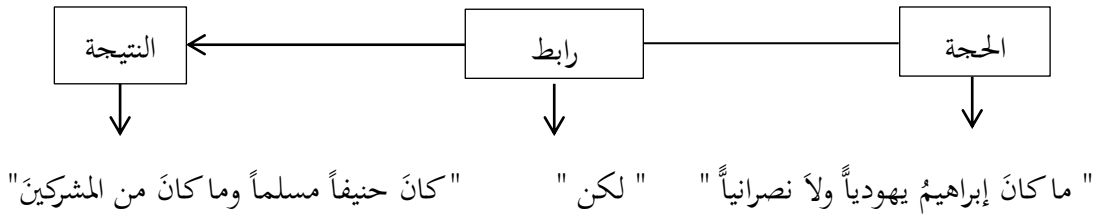

فنفي إدِّعاءات اليهود والنصارى، وحصر حال إبراهيم عليه السلام، ونفي موافقة المشركين، جاء كنتيجة لحجج سابقة متفاوتة القوة، كما في السلم الحجاجي الآتي:

ن – إبطال إدِّعاءات اليهود والنصارى، وحصر حال إبراهيم عليه السلام.

ج – والله يعلم وأنتم لا تعلمون

ب – فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم

أ – وما أنزلت التوراة والإنجيل إلاّ من بعده

[1] أبي الفداء إسماعيل إبن كثير : تفسير القرآن العظيم، ص 345/1- 346.

[2] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج2، ص 274/3.

[3] المرجع نفسه : ص 275/3.

«إنَّ أولى الناسِ بإبراهيمَ للذينَ إتَّبعُوهُ وهذا النبيُّ والذين ءامنوا والله وليُّ المؤمنينَ»، إستئناف ناشئ عن نفي إبراهيم، فليس اليهود ولا النصارى ولا المشركون بأولى الناس به، وهذا يدل على أنهم كانوا يقولون: نحن أولى بدينكم[1]، فالحجة وهي تأكيد « إنَّ أولى الناسِ بإبراهيمَ » موصولة بالنتيجة « للَّذين إتَّبعوهُ وهذا النبي والذينَ ءَامنُوا »:

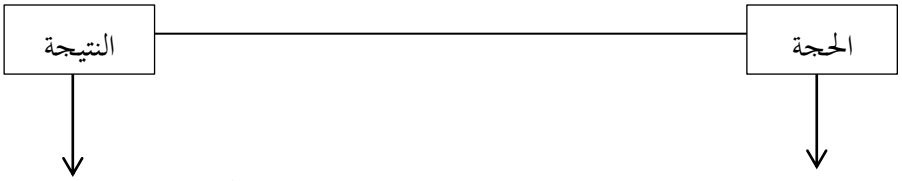

« إنَّ أولى الناسِ بإبراهيمَ » «للَّذين إتَّبعوهُ وهذا النبي والذينَ ءَامنُوا»

« والله ولي المؤمنين » تذييل وتأكيد وتكملة، أي هؤلاء هم أولى الناس بإبراهيم، والله ولي إبراهيم، والذين إتبعوه وهذا النبي، والذين آمنوا.

– يقول الله تبارك وتعالى فيهم أيضا:" يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "،[2] " يا أهل الكتاب " فعل كلام تأثيري، Acte perlocutoire ناداهم بهذه الصيغة للفت إنتباههم والتأثير فيهم، فكرر الله موعظتهم بعد أن بين لهم فساد عقائدهم وغرور أنفسهم بياناً لا يدع للمنصف متمسكا بتلك الضلالات، كما وعظهم ودعاهم آنفا بمثل هذا عقب بيان نقضهم المواثيق، فموقع هذه الآية تكرير لموقع قوله تعالى: " يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مماً كنتم تخفون من الكتاب " [3].

" قدْ جاءكُم رسولُنَا يبين لكم على فترة من الرُّسل "، ملفوظ تقريري إثباتي، بحيث يقول الله عز وجل مخاطبا أهل الكتاب من اليهود والنصارى: إنه قد أرسل إليكم رسوله محمدا خاتم النبيين، الذي لا نبي بعده ولا رسول، بل هو المعقب لجميعهم، ولهذا قال: " على فترة من الرُّسل " أي : بعد مدة متطاولة ما بين إرساله وعيسى إبن مريم، و" على " للإستعلاء المجازي بمعنى " بعد " لأنّ المستعلي يستقر بعد إستقرار ما يستعلي هو فوقه، فشبه إستقراره بعده باستعلائه عليه، فاستعير له الحرف الدال

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج2، ص 278/3.

[2] سورة المائدة: الآية 19.

[3] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج3، ص157/6.

على الإستعلاء[1]، والاستعارة آلية من الآليات البلاغية التي يستعملها المرسل لإقناع المخاطب، بحيث يستعير لفظ ويضعه في غيره موضعه الأصلي، مثل كلمة " المجيئ " مستعار لأمر الرسول بتبليغ الدين، فكما سمي رسولاً سمي تبليغه مجيئاً تشبيهاً بمجيئ المرسل من أحد إلى آخر [2].

" أن تقُولُوا ما جَاءنَا بشيرٍ ولا نذيرٍ "، " أن تقولوا " تعليل لقوله " قد جَاءكُم "، أي تعليلاً لمجيئ الرسول عليه الصلاة والسلام إليهم، ومتعلِّقا بفعل " ما جاءنا "، ووجب تقرير لام التعليل قبل " أن " وهو تقدير يقتضيه المعنى [3].

" فقد جاءَكم بشيرٌ ونذيرٌ"، الفاء فيه للفصيحة، وقد ظهر موقعها بما قررت به معنى التعليل، أي لأن قلتم ذلك قولكم إذ جاءكم بشير ونذير [4]، والفاء الفصيحة هي الداخلة على جملة مسببة عن جملة غير مذكورة، " فقد جاءكم " متعلق بمحذوف (نهي)، أي : لا تعتذروا بـ " ما جَاءَنَا " فقد جاءكُم [5].

فقوله: " أن تقولوا ما جاءنا من بشيرٍ ولا نذيرٍ " حجة، نتيجتها قوله: " فقد جاءكُم بشيرٌ ونذيرٌ ":

" أن تقُولُوا ما جَاءنَا بشيرٍ ولا نذيرٍ " " فقد جاءَكم بشيرٌ ونذيرٌ"

«والله على كل شيء قدير » حجة أخرى وتأكيد على قوة الله وعظمته، فالمعنى إنِّي قادر على عقاب من عصاني، وثواب من أطاعني[6].

– يقول الله تبارك وتعالى في آية أخرى من سورة المائدة: " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص 158/6.
[2] المرجع نفسه: ص ن.
[3] المرجع نفسه: ص 159/6.
[4] المرجع نفسه: ص 160/6.
[5] يونس عبد مرزوق الجنابي: أسوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم، ص 124، 125.
[6] أبي الفداء إسماعيل إبن كثير: تفسير القرآن العظيم، ص35/2.

فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨)[1]، «قل » فعل كلام غرضي Acte illocutoire، قوته الغرضية تنبيه أهل الكتاب على ما هم عليه، " يا أهل الكتاب " فعل كلام تأثيري Acte perlocutoire، نداء، الغرض منه التلطف معهم والتأثير فيهم وتنبيههم، هذا الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوله لأهل الكتاب هو من جملة ما ثبته الله على تبليغه بقوله" بلغ ما أنزل إليك من ربك " فقد كان رسول الله يحب تألف أهل الكتاب وربما كان يثقل عليه أن يجابههم بمثل هذا ولكن الله يقول الحق، فيجوز أن تكون جملة " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَاب" هذا مذكور فيما قبل في نفس السورة، والتكرير للتأكيد بيانا لجملة " بلغ ما أنزل إليك من ربك "، ويجوز أن تكون إستئنافا إبتدائيا بمناسبة قوله " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك " والمقصود بأهل الكتاب اليهود والنصارى جميعاً [2].

" لستم على شيء، أي نفي أن يكون لكم شيء مماَّ تدَّعون أنكم عليه ممَّ جاءكُم به مُوسَى عليه السلام، معشر اليهود، ولا ممَّا جاءكُم به عيسى عليه السلام، معشر النصارى [3]، فوقع هنا حذف صفة " شيء " يدل عليها المقام، على نحو ما [4]، " حتى " إستعملت كرابط حجاجي، حيث ربط النفي بأن يكون على شيئ من الدين، وهي حجة، بالنتيجة " حتّى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربِّكُم "، فالتدين مشروط بأن تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزلة من الله على الأنبياء، وتعملوا بما فيها، ومما فيها الأمر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم والإيمان بمبعثه، والإقتداء بشريعته[5]:

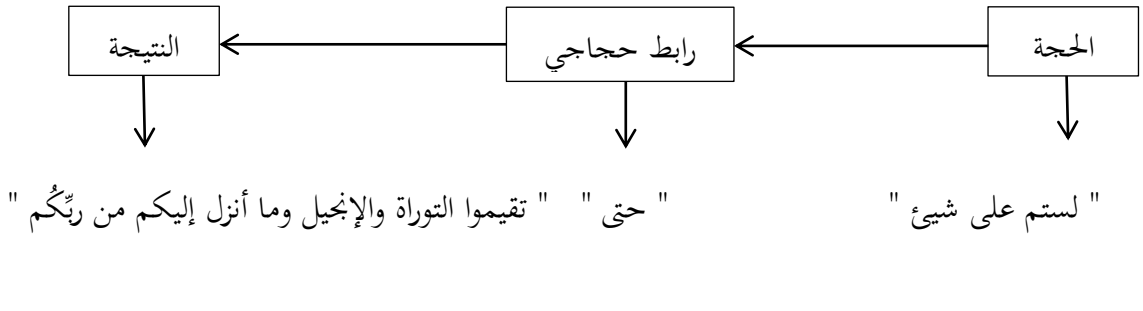

[1] سورة المائدة: الآية 68.

[2] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج3، ص264/6، 265.

[3] أحمد خلف سليمان: خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم، ص 230.

[4] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج3، ص265/6.

[5] أبي الفداء إسماعيل إبن كثير : تفسير القرآن العظيم، ص75/2.

" وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا " هذا مذكور فيما قبل في نفس السورة، والتكرير للتأكيد[1]، في قوله تعالى: " وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤)[2]، المراد بالكثير علماء اليهود، يعني إزدادوا عند نزول إليك من ربك من القرآن والحجج شدة في الكفر وغلوًّا في الإنكار[3]، أي وأقسم: ليزيدن كثيرا من هؤلاء اليهود والنصارى الذين قص قصصهم في هذه الآيات، الكتاب الذي أنزلته إليك، يا محمد طغيانا، يقول: تجاوزاً وغلوًّا في التكذيب لك، على ما كانُوا عليه لك من ذلك قبل نزول الفرقان، وكفراً يقول: وجحودا لنبوتك[4] ، فالملفوظ تقريري وإثبات لحالهم، ونكرهم لمحمد ودينه.

" فلاَ تأسَ عَلىَ القومِ الكافرينَ " فعل كلام غرضي Acte illocutoire، نهي قوته الغرضية هي تقديم النصيحة للرسول عليه الصلاة والسلام، أي لا تحزن يا محمد على تكذيب هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى من بني إسرائيل لك، فإن مثل ذلك منهم عادة وخلق في أنبيائهم، فكيف فيك؟ [5].

– يقول الله عزَّوجل :« قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧)لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨)كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠)وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ»[6].

" قُل" فعل كلام غرضي Acte illocutoire، أمر، الغرض منه توجيه الخطاب لأهل الكتاب قصد نهيهم وتقديم النصيحة لهم، فمرسل الخطاب هو الله عزَّوجل، والمرسل إليه هو الرسول عليه الصلاة

[1] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص54/12.
[2] سورة المائدة: الآية 64.
[3] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص47/12.
[4] أحمد خلف سليمان: خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم، ص231.
[5] المرجع نفسه: ص 131، 132.
[6] سورة المائدة: الآيات 77، 81.

والسلام، " يا أهل الكتاب " فعل كلام تأثيري Acte perlocutoire، نداء، الغرض منه التأثير ولفت الإنتباه، والخطاب لعموم أهل الكتاب من اليهود والنصارى[1].

" لا تغلوا في دينكم غير الحق " فعل كلام غرضي Acte illocutoire، نهي ، قوته الغرضية النصح عن الزيادة في الدين، ونهيهم عن ذلك.

" وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ " فعل كلام غرضي Acte illocutoire، نهي، الغرض منه التحذير من إتباع أهواء السابقين منهم، عطف على النهي عن الغلو، وهو عطف عام من وجه على خاص من وجه، فإتباع أهواء السابقين أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ، جزء من الكل " لا تغلوا في دينكم "، وهو النهي الذي تكرر في سورة النساء: " يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق "[2]، لغاية حجاجية تتمثل في ضرورة التخلي عن هذه الآفة وهي الزيادة في الدين، فالغلو الزيادة في عمل على المتعارف منه بحسب العقل أو العادة أو الشرع[3]:

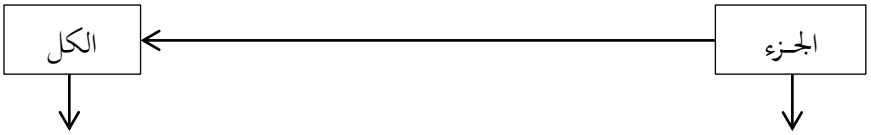

" لا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ..." " لا تغلوا في دينكم غير الحق "

وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ " فيه مسألتان:

- الأهواء ههنا المذاهب التي تدعو إليها الشهوة دون الحجة.
- أنه تعالى وصفهم بثلاث درجات في الضلال، فبين أنهم كانوا ضالين من قبل ثم ذكر أنهم كانوا مضلين لغيرهم، ثم ذكر أنهم إستمروا على تلك الحالة حتى أنهم الآن ضالون كما كانوا[4].

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج3، ص290/6

[2] سورة النساء: الآية 171.

[3] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج3، ص290/6.

[4] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص67/12.

« ضلوا عن سواء السبيل » مقابل لقوله « قد ضلوا من قبل» فهذا ضلال آخر، فتعين أن سواء السبيل الذي ضلوا عنه هو الإسلام، والسواء المستقيم، قد أستعير للحق الواضح، أي ضلوا في دينهم من قبل مجيء الإسلام وضلوا بعد ذلك عن الإسلام [1].

« لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ » قال أكثر المفسرين: يعني أصحاب السبت، وأصحاب المائدة، أما أصحاب السبت فهو أن قوم داود، وهم أهل «إيلة » لما إعتدوا في السبت بأخذ الحيتان على ما ذكر الله تعالى هذه القصة في سورة الأعراف قال داود: اللهم إلعنهم وإجعلهم آية فمسخوا قردة، وأمَّا أصحاب المائدة فإنهم لما أكلوا من المائدة ولم يؤمنوا قال عيسى: اللهم إلعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير، فالملفوظ " لُعنَ " نتيجة، حجتها موصولة بـ" الذينَ كَفَروا من بني إسرائيل ":

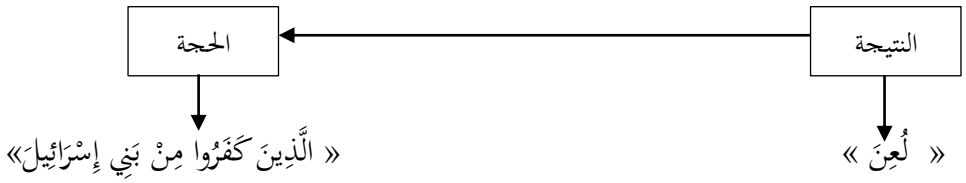

« على لسان داوود وعيسى إبن مريم »، «على " للإستعلاء المجازي المستعمل في تمكن الملابسة، فهي إستعارة تبعية لمعنى باء الملابسة، قصد منها المبالغة في الملابسة، أي لعنوا بلسان داوود، أي بكلامه الملابس للسانه [2]، «ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون» إشارة إلى اللعن المأخوذ، وقد أفاد إسم الإشارة مع باء السببيّة ومع وقوعه في جواب سؤال مقدر أفاد مجموع ذلك مفاد القصر، أي ليس لعنهم إلا بسبب عصيانهم، فيكون العصيان حجة سببية لنتيجة سبقتها تتمثل في اللعن:

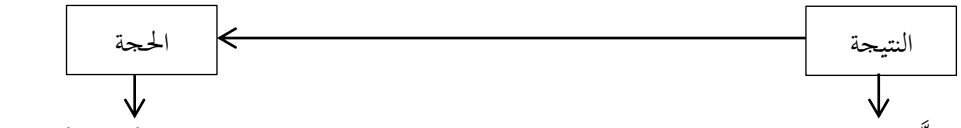

«كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ»، التناهي ههنا معنيان:

- أي كانوا لا ينهي بعضهم بعضاً

[1] محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مج3، ص291/6.

[2] المرجع نفسه: ص292/6.

– أنه بمعنى الإنتهاء، يقال إنتهى عن الأمر، وتناهى عنه إذا كف عنه[1].

" لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ "، اللام في " لبئس " لام القسم، ذمهم على ذلك ليبذر أن يرتكب مثل الذي إرتكبوا.

" تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ "، قال مجاهد: يعني بذلك المنافقين، وقوله" مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ " يعني بذلك موالاتهم للكافرين، وتركهم موالاة المؤمنين، التي، أعقبتهم نفاقا في قلوبهم، وأسخط الله عليهم سخطا مستمرا إلى يوم معادهم، ولهذا قال " أن سخط الله عليهم " فسر بذلك ما ذمهم به، ثم أخيرا أنهم " وفي العذاب هم خالدون " يعني يوم القيامة [2].

« وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» ملفوظ مركب شرطي، أي وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وموسى وما أنزل إليه في التوراة كما يدعون ما إتخذوا المشركين أولياء[3]، « لكن» من الروابط المدرجة للحجج، «كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ » أي كافرون:

" لَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ " " مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ "

بحيث ربط بالرابط الحجاجي " لكن " بين الحجة (الشرط وجوابه)، بالنتيجة "كثيرا منهم فاسقون:

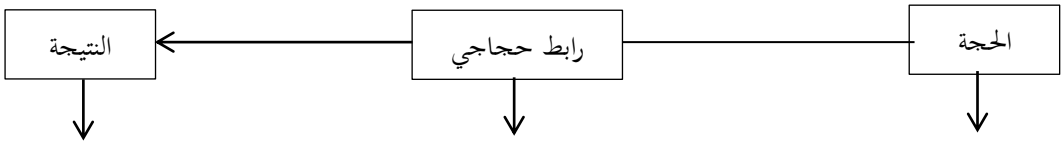

" لَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ " " لكن " "كثيرا منهم فاسقون "

وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أولياء"

[1] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، ص69/12.

[2] أحمد خلف سليمان محمد الجبوري: خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم ، ص 192.

[3] فخر الدين الرازي: التفسير الكبير: ص 12 /69.

المرسل	أساليب وآليات الإستراتيجية الحجاجية والإقناعية في الخطاب المشترك بين اليهود والنصارى	المرسل إليه
الله عزَّوجل	- فعل كلام غرضي ← " قل " ← الغرض منه مجادلة أهل الكتاب ومحاورتهم ودعوتهم إلى ما هو خير لهم. - فعل كلام تأثيري ← " يا أهل الكتاب " ← نداء ← التلطف معهم والتأثير فيهم ولفت إنتباههم. - فعل كلام غرضي ← " تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم " ← العدل والانصاف. -العامل الحجاجي ← " إلا " ← حصر وتقييد العبادة في الله عزَّوجل. - السلم الحجاجي ← " ألا نعبد إلا الله " و" لا نشرك به شيئا " و " و لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله " (حجج متفاوتة)، " كلمة سواء بيننا وبينكم " (نتيجة). - فعل كلام تأثيري ← " يا أهل الكتاب " ← للتأثير ولفت الإنتباه. - فعل كلام غرضي ← " لم تحاجون في إبراهيم " ← إستفهام الإنكار - فعل كلام غرضي ← " أفلا تعقلون " ← إستفهام ← إنكار وتوبيخ. - فعل كلام غرضي ← " فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم " ← إستفهام الإنكار - رابط حجاجي ← " لكن " ← " ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين " - ربط الحجة بالنتيجة ← " ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا " (حجة)، " ولكن كان حنيفا مسلما " (نتيجة) . - السلم الحجاجي ← " وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده "، " فلم تحاجون فيم ليس لكم به علم "، " والله يعلم وأنتم لا تعلمون " (حجج)، إبطال إدعاءات اليهود والنصارى، وحصر حال إبراهيم عليه السلام (نتيجة). - ربط الحجة بالنتيجة ← إن أولى الناس بإبراهيم (حجة)، " للذين إتبعوه وهذا النبي والذينَ ءامنُوا " (نتيجة). - فعل كلام تأثيري ← " يا أهل الكتاب " ← لفت إنتباههم والتأثير فيهم. - تعليل ← " أن تقولوا " تعليل لقوله " قد جاءكم "	أهل الكتاب (اليهود والنصارى)

الله عزَّوجل	– ربط الحجة بالنتيجة ← " أن تقولوا مَا جَاءَنَا بشيرٍ ولا نذيرٍ " (حجة)، " فقد جاءكم بشيرٌ ونذيرٌ " (نتيجة). – فعل كلام غرضي ← " قل " ← لنتيجة أهل الكتاب على ما هم عليه – فعل كلام تأثيري ← " يا أهل الكتاب " التلطف معهم والتأثير فيهم ولفت إنتباههم – رابط حجاجي ←" حتى " ← لستم على شيئ حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم ". – ربط الحجة بالنتيجة ← " لستم على شيئ " (حجة)، " حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم " (نتيجة). – تكرار اللفظ والمعنى← الآية 64 من سورة المائدة، تكررت في الآية 68 من نفس السورة ← للتأكيد. – فعل كلام غرضي ← " فلا تأس على القوم الكافرين " ← نهي تقديم النصيحة وطمأنته. – فعل كلام غرضي ← " قل" ← أمر ← غرضه توجيه الخطاب لأهل الكتاب، قصد نهيهم وتقديم النصيحة لهم . – فعل كلام تأثيري← " يا أهل الكتاب "← نداء ← للتأثير ولفت إنتباههم – فعل كلام غرضي← " لا تتبع أهواء قومٍ قد ظلمو من قبل ...." (الجزء)، " لاَ تغلوا في دينكم غير الحق " (الكل). – ربط النتيجة بالحجة ← " لُعنَ " (نتيجة)، " الذين كفروا من بني إسرائيل" (حجة) – ربط النتيجة بالحجة ← " لعن الذين كفروا من بني إسرائيل ..." (نتيجة)، " ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون " (حجة). – الرابط الحجاجي← " لكن " ← " وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ". – ربط الحجة بالنتيجة ← " لو كانوا يؤمنون بالله وبالنبي وما أنزل إليه " (حجة) " ما إتخذوهم أولياء " (نتيجة). – ربط الحجة بالنتيجة ← " وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ" (حجة)، " لَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ " (نتيجة).	أهل الكتاب اليهود والنصارى

خاتمة

خاتمة

القرآن الكريم خطاب نزل في فترة زمانية معنية، موجه بصفة مباشرة أو غير مباشرة إلى الناس جميعاً على إختلاف فئاتهم وصفاتهم، فهو خطاب شفوي وآني يساير فترة النزول والوقائع والأحداث، وتواصلي بفعل تواصله مع فئات مختلفة، تحمل فكر أو معتقد متبوعة بأعراف وعادات معينة، كما يعتبر خطاب مقامي، لأن لكل مقال ومقامه الخاص، فوردت أغلب آياته حسب وقائع وأحداث ومناسبات معينة، وهذا ما تبينه أسباب نزولها في أغلب كتب التفسير المختلفة.

الدراسة التداولية تهتم بالخطاب كما تهتم بالنص، إلا أن الإهتمام بما في الخطاب أبين، لأن الخطاب كما يرى (جون ميشال آدم) يساوي النص زائد ظروف إنتاجه، فهو ينتج بصفة شفوية ومباشرة وفق ظروف سياقية معينة.

موضوع الدراسة التداولية لخطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم، شمل على الخطاب المختص والمحصور بأبناء يعقوب عليه السلام بصيغة " يا بني إسرائيل "، وخطاب أهل الكتاب اليهود والنصارى بصفة عامة، رغم أن أهل الكتاب يشمل كل الأقوام الذين أرسل إليهم نبيّ بكتاب كالزبور والتوراة والإنجيل وغير ذلك من الكتب السماوية والله أعلم، غير أن الفئة التي إهتمت بها هذه الدراسة إنحصرت على اليهود والنصارى.

القرآن الكريم كتاب دعوة وتبليغ، غرضه ومقصده العام هو ترسيخ العقيدة في النفس البشرية، وتحقيق المنفعة للإنسان، وتكريس روح الوعي بصفة فنية وإبداعية لذى المتلقي، بطريقة وإستراتيجية تلميحية وتوجيهية وحجاجية وإقناعية، فهو يمزج بين الجانب الفكري العقائدي، والجانب الفني الإبداعي تسمح للمتلقي بالغوص في أعماقه، وعدم الإكتفاء بالجانب السطحي، ليرصد الحقائق الإعجازية، وكل ما يحمله من أبعاد إبداعية وإقناعية.

إن إحتكاك الأنبياء عليهم السلام، والرسول عليه الصلاة والسلام بأهل الكتاب جعل القرآن الكريم يهتم بهم إهتماما كبيرا، باعتبارهم إمتداد طبيعي لرسالة الإسلام، وهي الفئة الأولى المعنية بالدعوة قبل غيرها، نظرا للأصول المشتركة التي تجمع أهل الكتاب ودعوة الإسلام، فالرسول عليه الصلاة والسلام إحتك في حياته ودعوته بطوائف اليهود والنصارى، كما إحتك معهم الأنبياء من قبله، مما جعل الخطاب القرآني مع أهل الكتاب يأخذ مساحة واسعة، يبرز مسار الأنبياء والرسل مع تلك

الفئة، ويبين فيها أهم جزئياتهم وصفاتها، فيما يتعلق بجوانب متعددة تخصهم، كما جعل الخطاب ينفرد ببعض المميزات يتمثل البعض منها في:

- الخطاب القرآني الموجه لأهل الكتاب تميز بالبساطة في تناول القضايا، وتفصيلها تفصيلا دقيقًا، وإعتمد على الجانب المحسوس لإبراز الأمور وتوضيحها، خلافاً لخطاب غيرهم من الفئات الأخرى، مما يدل على أن المخاطبين من أهل الكتاب ذو ثقافة وفهم وفكر، وعلى أن القرآن وضع المخاطب في الموضع الائق، وخاطبه بما يتناسب معه.

- الخطاب يتميز بالتماسك في مواضيعه ومحاوره، سواءا على مستوى النص الواحد، أو على مستوى النصوص المتفرقة المكونة للخطاب، بحيث نجد نص يفسر نصاً آخر، أو أية تفسر أية أخرى، وأو ربط فكرة بفكرة، وهذا ما تبينه تعدد وسائل الربط والإرتباط في الخطاب وكثرة الإحالات فيه.

- وسائل الخطاب القرآني لأهل الكتاب تعددت بحسب الحال والمقام، فرغبهم ورهبهم، وأحالهم إلى كتبهم وتاريخهم، وحاورهم وأثنى على المحسن منهم، وراعى الزمان والمكان، وبَاشرهم بالخطاب تارة وغيبهم أخرى، ودعم مخاطبتهم بالحجة والمنطق.

- الخطاب القرآني المخصص لفئة أهل الكتاب إشتمل على قضايا وأحكام، لا تستقيم حياتهم إلا بها، كما إشتمل على الإجابة والرد على المعاندين والمتنكرين بالحجة والبيان.

- أسلوب القرآن الكريم مع أهل الكتاب أسلوب فريد في الرد والإجابة، بحيث لم يتخذ أسلوبا واحدا، بل نوع فيه بطرق تشهد له بالبيان والإعجاز والحجاج.

- إعتمد على قوة الحجة وصدق الكلمة، وحسن إختيار الأسلوب الأمثل للإستدلال والجدل والحوار.

- أسلوبه أسلوب إقناعي، يقود المتلقي إلى اليقين، مع إشباعه بأدلة وحجج تحقق ذلك.

- خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم خطاب للعقل والقلب، وخير دليل على ذلك مخاطبته لعلمائهم، وإعتماده على الجانب المحسوس، من خلال التلطف معهم، ولفت إنتباههم والتأثير فيهم وإقناعهم.

- إن تعدد قضايا الخطاب ومواضيعه، وتعدد أو تنوع أطراف الخطاب المشاركة فيه، سمحت بأن تتعدد أيضا أوجه الإستراتيجية الخطابية، وبالتالي أساليب وأدواتها اللغوية والبلاغية، قصد تحقيق الغاية والمقاصد تعود بفائدة أو منفعة على المرسل إليه.

- تمحور الخطاب التوجيهي المباشر لأهل الكتاب على محاور وقضايا كبرى، بحيث إهتم على العقيدة والإيمان، وحسن التصرف والمعاملة والصدق....، وهي المحاور التي طالما كافح الأنبياء والرسل من أجل تحقيقها، وتثبيتها في عقول اليهود والنصارى، إلا أنهم صودموا بموقف متصلب ومتحجر منهم، بحيث أبدى نية مسبقة على كرههم لهذا الدين وكرههم لهذه الأمة أن تهتدي.

تميز الخطاب التوجيهي الموجه لأهل الكتاب بأساليب إنشائية، وأفعال كلامية كثيرة ومتعددة تتناسب مع مقام الخطاب ومقتضياته، كما تعكس الغاية التي جاء من أجلها الدين الإسلامي، فمن بين أهم القضايا التي أثارها الخطاب التوجيهي المباشر لأهل الكتاب في القرآن الكريم، والتي كانت تحمل أغراض ومقاصد هادفة نجد:

- التذكير بالنعم التي أنعمها على اليهود.
- محاولة ردهم إلى طريق الصواب من خلال الإيمان بالله وأنبيائه، وعدم الشرك أو الكفر بآياته.
- إنكار وتوبيخهم فيما يفعلون أو يفترون: من أمرهم للناس بالبر دون فعل ذلك، وإيمانهم ببعض الكتاب والكفر ببعضه، وقتله بالأنبياء، ومخالفتهم للعهد، وإنكار محاجتهم الباطلة، وكفرهم لآيات الله، واستبدال الحق بالباطل....
- التعجب من أمرهم: في عبادة العجل، واستبدال عبادة الله بعبادة العجل، والتعجب من حالهم في الإتباع الباطل.

أما الخطاب التلميحي لأهل الكتاب فقد أخذ هو الآخر نصيبا وفيرا في القرآن الكريم، بحيث ورد التلميح بآليات ووسائل لغوية وبلاغية، الغرض منها بيان صفات أهل الكتاب وبيان حالهم مع أنبيائهم والرسول عليه الصلاة والسلام والله عزَّوجل، فالتلميح نجده يشمل بعض المواضيع نذكر منها: التلميح إلى:

- عدد الآيات السابقة التي كفروا بها.
- العصيان بدل الطاعة.
- الشر واللعنة من الله نتيجة كفرهم وعنادهم.
- عدم الإيمان بالله ورسوله والكفر بآياته.
- عدم علمهم بما في كتبهم على حقيقتها وما أنزل من ربهم، وإلى عدم نهيهم للناس وإلى دورهم في نهي الناس وعدم القيام بذلك.

- كراهية الكافرين والمشركين من ظهور نور الله ودين الحق.
- الفئة الكثيرة الغير المؤمنة من أهل الكتاب، وأن الخير لا يأتي إلا بالإيمان.
- أن عيسى عليه السلام ليس بإبن الله، وأن الله عزَّوجل لا شريك له، وعيسى عليه السلام نبيه.
- التلميح إلى الإعتدار الدائم لبني إسرائيل وإفترائهم.
- عجرفة قوم موسى وشركهم وعنادهم.
- المشركين وأهل الكتاب لم يتفرقوا قبل مجيئ البينة، وأن بعد مجيئها إزدادوا كفرا.
- التلميح إلى عدم الوفاء بالعهد.
- أن اليهود والنصارى ترضى على من إتبع ملتهم.
- كرههم عبادة الله عز وجل وحبهم عبادة العجل.

الإستراتيجية الحجاجية والإقناعية من الإستراتيجيات التي أخذت حصة الأسد في الخطاب الخاص بأهل الكتاب في القرآن الكريم، كونها إستراتيجية شاملة للإستراتيجيات السابقة، كما أنها تحمل صور كثيرة للحجاج والإقناع تحمله قوة حجاجية لإقناع أهل الكتاب في مختلف الآليات والأساليب اللغوية والحجاجية، في مواضيع كان غرض أغلبها :

- الإيمان بالله وما أنزل وتقوى الله، وعدم الشرك به، والوفاء بالعهد، وعدم إستبدال الحق بالباطل، والإشارة إلى تعنت اليهود وعدم إيمانهم بالله ونبيهم، وإدعائهم للجهل.
- تحذير النصارى من الغلو في الدين، والإفتراء والشرك بالله، وأمرهم بقول الحق، والإيمان بالله ورسوله.

الغرض من هذه الإستراتيجيات الخطابية، كان لقصد توجيههم، وإنكار أو توبيخهم في بعض الأمور، مع التعجب على بعض أقوالهم وصفاتهم، وتحذيرهم في أكثر من موضع، وبيان عاقبتهم.

في الأخير لم يبقى سوى القول أن الكمال صفة من صفات الله تعالى وحده، والتعامل مع الخطاب القرآني ليس بالأمر السهل، لذلك أعتذر مسبقا على أي نقص أو زيادة في حق القرآن الكريم، كما أسئل الله تعالى المغفرة والتوفيق لي ولقارئ هذا البحث، ويسدد خطانا ويجعلنا في خدمة الصالح العام.

قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

2- إدريس مقبول، الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سبويه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2006م.

3- أبو الحسن إسحاق إبن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح/ جنفي محمد شرق، مطبعة الرسالة، مصر، د ط، د ت.

4- أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2001م.

5- أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1993م.

6- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تح/ السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط3، د ت.

7- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، الأحمدية للنشر، المغرب، ط1، 2007م.

8- ـــــــــــــــ:اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان ،د ط، 2009م.

9- أبو الفضل جمال الدين إبن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دط، دت.

10- أبو الفضل شهاب الدين محمد الالوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، قراءة وتصحيح: محمد حسين العرب، دار الفكر، بيروت، د ط، دت.

11- أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح/ عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط5، 2014م

12- أبو محمد علي بن حزم الأندلسي، الأحكام في أصول الأحكام، تح/ أحمد محمد شاكر، مطبعة العاصمة، القاهرة، ط2، دت.

13- أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار الفكر العربي، ط2، 1975م.

14- أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، الصاحبي، تح/ السيد صقر، مطبعة عيسى البابي، القاهرة، دط، دت.

15- ـــــــــــــــ: مقاييس اللغة، تح/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دط، 1979م.

16- أبي الفداء إسماعيل إبن كثير، تفسير القران العظيم، دار الغد الجديد للنشر والتوزيع، القاهرة، المنصورة، ط1، 2007م.

17- أبي الفتح عثمان إبن جني، الخصائص، تح/ محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1986م.

18- أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، راجعه وقدم له: وائل أحمد عبد الرحمن، دار التوفيقية للطباعة، ط3، 2013م.

19- أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، الصناعتين، تح/ مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1981م.

20- ـــــــــــ:الفروق اللغوية،/ تع/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2005م.

21- أبي يعقوب يوسف إبن أبي بكر محمد علي السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وعلق عليه:نعيم زوزو، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987.

22- أحمد المتوكل، الوظيفة بين الكلية والنمطية، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 2003م.

23- أحمد خيضر عباسي، أسلوب التعليل في اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.

24- أحمد خلف سليمان محمد الجبوري، خطاب أهل الكتاب في القرآن الكريم، عالم الكتب، بيروت ، لبنان، ط1، 2014م.

25- أحمد عبد الستار الجواري، نحو الفعل في الدراسات النحوية، المؤسسة العربية للدراسات والتوزيع والنشر، بيروت،لبنان، ط1، 2006م.

26- أحمد فرج، اليهود واليهودية، التاريخ والعقيدة والأخلاق، دار الوفاء، المنصورة، ط1، 1997م.

27- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 2005م.

28- أن ريبول، جاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر/سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

29- بالمر، علم الدلالة، إطار جديد، تر/صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، دط، 1995م.

30- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، دت.

31- برنارتوسان، ماهي السيميولوجيا، تر/ محمد نظيف، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000م.

32- بهاء الدين عبد الله إبن عقيل، شرح إبن عقيل على ألفية بن مالك، تح/ح، الفاخوري، دار الجيل، بيروت، دط، 2003م.

33- تودوروف تزيتان، المبدأ، دراسة في فكر ميخائيل باختين، تر/فخري صالح، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1992م.

34- جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، تح/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت،ط2، 2010م.

35- ـــــــــــ:الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح/ إسحاق محمد يحيى العجبري، دار إبن حزم، بيروت، ط1، 2005م.

36- جاك موشلار أن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر/مجموعة من الأساتذة والباحثين، دار سيناترا، تونس، ط2، 2010م.

37- ج ب بروان، جورج بول، تحليل الخطاب ، تر/محمد لطفي ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، الرياض، دط، 1997م.

38- جمعان عبد الكريم، إشكالات النص، النادي الأدبي بالرياض والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2009م.

39- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، أسرار ترتيب القرآن ، تح/ عبد القادر أحمد عطا، دار الإعتصام، القاهرة، ط1، دت.

40- ـــــــــــ، الإتقان في علوم القرآن، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1990م.

41- ج، ل، أوستين، القول من حيث هو فعل (نظرية أفعال الكلام)، تر/ محد يحياتن، عالم الكتب، الجزائر، ط1، 2006م.

42- جورج يول، التداولية، تر/قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010.

43- جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر/ عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، ط2، 2008م.

44- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر/ محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1992م.

45- حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد ، الأردن، ط1، 2010م.

46- ـــــــــــ:التداوليات، علم إستعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011م.

47- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب إبن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، ط1، 1966م.

48- حمود بن عبد الله المطر، موقف أهل الكتاب من الرسول (ص) في العصر النبوي والعصر الحديث، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2009م.

49- حسن عبد الجليل يوسف، أساليب الإستفهام في الشعر الجاهلي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2001م.

50- حسين بن أبي العز الهمداني، الفريد في إعراب القرآن المجيد، تح/فهمي حسن النمر وفؤاد علي مخيمر، دار الثقافة، الدوحة، ط1، 1991م.

51- حسين البشر علي العلو، أثر القراءات والتأويل العقيدي في القرآن الكريم، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2011م.

52- خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، مثل من سورة البقرة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن،ط1، 2008م.

53- خليفة الميساوي، الوصائل في تحليل المحادثة، دراسة في إستراتيجيات الخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد ، الأردن، ط1، 2012م.

54- خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، ب ط، 2000م.

55- خير الدين هني، المفيد في النحو والصرف والإعراب، دار الحضارة، المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد، بوزريعة، الجزائر، ط2، 1995.

56- دومينيك مانقونو، المصطلحات المفاهيم لتحليل الخطاب، تر/محمد بحياتن، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2008م.

57- ذهبية حمو الحاج: تداولية الخطاب ولسانيات التلفظ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2005م.

58- روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، تر/ تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998م.

59- زكريا بن محمد الأنصاري، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تح/ مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1991م.

60- زكريا شعبان شعبان، اللغة الوظيفة والإتصال، عالم الكتب الحديث، إربد،ط1 2011م.

61- الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة والفنون، الكويت، د ط، 2000م.

62- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2، 2011م.

63- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ط 12 ،1986م.

64- شاهر الحسن، علم الدلالة السيماتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، دار الفكر، عمان، ط1، 2001م.

65- صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 2008م.

66- صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ط1، 1993م.

67- صلاح عبد الفتاح، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، تاريخ وسمات ومصير، دار القلم، دمشق، ط1، 1998م.

68- طه عبد الرحمن، الدلاليات والتداوليات، أشكال الحدود، سلسلة ندوات ومناضرات، مطبعة، النجاح الجديدة، الرباط، ط1، 1984م.

69- ـــــــــــــ: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998م.

70- ـــــــــــــ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2010م.

71- عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط11، دت.

72- عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية،دار الحامد للتوزيع والنشر، ج2، ط1، 2004م.

73- عبد الحميد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1ط ،2000م.

74- عبد الرحمن إبن خلدون، المقدمة، تح/عبد السلام الشدادي، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، ط1، 2005م.

ـــــــــــــــــــــ،المقدمة، دار الجيل، بيروت، دط، دت.

75- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2006م.

76- عبد العزيز بنعيش، نظرية الفعل الكلامي، مقاربة فلسفية تداولية، مطبعة أنفو، فاس، المغرب، ط1، 2013م.

77- ـــــــــــــ، التواصل اللساني بين الإقتضاء والإستلزام، مطبعة أنفوبرانت، فاس، ط1، 2013م.

78- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح/محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، ط3، 1992م.

79- ـــــــــــــ، أسرار البلاغة، تح/محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 1999م.

80- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1، 2013م.

81- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي، بيروت، لبنان، ط2، 2007م.

82- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

83- عبد الواسع لحميري، ما الخطاب وكيف نحلله، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، مجد، بيروت، لبنان، ط1، 2009م.

84- عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2003م.

85- عمرو بن بحر المعروف بأبي عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تح/عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1960م.

86- العياشي أدراوي، الإلتزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2011م.

87- عيد بلبع، التداولية، البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، بلنسيه للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2009م.

88- فان دايك، النص والسياق، إستقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، تر/عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2000م.

89- ـــــــــــــ، علم النص، مدخل متداخل الإختصاصات، تر/ محمد سعيد البحري، القاهرة، مصر، ط1، 2001م.

90- فحر الدين الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط1، 1981م.

91- فرانسوازأرمينكو، المقاربة التداولية، تر/سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، دط، دت.

92- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر/صابر الحباشر، دار الحوار اللاذقية، سوريا، ط1، 2007م.

93- فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، تر/محمد مشبال، عبد الواحد التهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2013م.

94- محمد العبد، النص والخطاب والإتصال، الآكاديمية الحديثة للكتاب الجامعيين، القاهرة، ط1، 2005م.

95- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت، لبنان، ط2، 2000م.

ـــــــــــــــــــ، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، دط، دت.

96- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل أي القرآن، تح/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.

97- محمد بن الله العبيدي، دلالة السياق في القصص القرآني، إصدارات وزارة الثقافة، صنعاء، ط1، 2004م.

98- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.

99- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1984م.

100- محمد عناني، المصطلحات الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لو نجمان، ط3، 2003م.

101- محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ، لبنان، ط1، 2004م.

102- ـــــــــــــ، المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط2، 2007م.

103- محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح/ علي هلالي، مطبعة حكومة الكويت، دط، 1996م.

104- محمد ولد سالم الأمين، حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة، منشورات المركز العالمي للدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، طرابلس، الجماهيرية العظمى، ط1، 2004م.

105- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 2002م.

106- محمود حسن عبد العزيز، علم اللغة الحديث، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2011م.

107- محمود طلحة، تداوليات السردي، دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2012م.

108- محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2013م.

109- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة " الأفعال الكلامية " في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م.

110- مفتاح محمد، النص من القراءة إلى التنظير، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2000م.

111- ميشال فوكو، حفريات المعرفة، تر/ سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1968م.

112- نصر حامد أبو زيد، النص السلطة الحقيقة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1997م.

113- هاجر مدقن، الخطاب الحجاجي، أنواعه وخصائصه، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2013م.

114- يوسف تغزاوي، الوظائف التداولية وإستراتيجيات التوصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2014م.

115- يونس عبد مرزوك الجنابي، أسلوب التعليل وطرائقه في القرآن الكريم، دراسة نحوية، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2004م.

المراجع باللغة الأجنبية:

116-André martinet , eléments de l’inguistique ,générale, Armand colin, paris,1970.

117-Catherine kerbrat. Orechioni, l’implicite, l’inguistique, armand colin, paris, 1986.

118-ch.perlman, L.Olibrechts tyteca, traité de l’argumentatiom, La nouvelle rhétorique, éditions de l’Université de Bruxelle, 5éme édition, 1992.

119-Dominique Maingueneau, les termes clé de l'analyse du discours, seuil, paris,1996.

120- _____, pragmatique pour le discours littéraire, nathan, paris, 2001.

121-_____, analyser les texte de communication, armand colin, paris, 2005.

122-Emile Benveniste, problème de l'inguistique générale, édition: Gallimard, paris,1974.

123-Ferdinand de Saussure, cours de l'inguistique générale, édition :préparé par Tullio de Mauro, éditeur : payot,1993.

124-Jacques Moschler, Argumentation et conversation éléments pour une analyse pragmatique du discours, Hatier. Gredif, paris, 1985.

125-Jean Dubois, Dictionnaire de l'inguistique, l'arousse, paris, 1er édition,1973.
-_____, Dictionnaire de l'nguistique, l'arousse, paris, 2eme édition,1989.

126- Jean français jeandillou, l'analyse textuelle, arman colin, paris,1997.

127-Jean Michel Adam, eléments de l'inguistique textuelle, théorie et pratique de l'analyse textuelle, édition : Mardaga,1990.

128-J.L. Austin, Quand dire c'est faire, introduction, traduction et commentaire par : Gilles lane, édition du seuil, paris,1970.

129-John. Searle, sens et expression, études de théorie des actes de langage, traduction : Joëlle Proust, les éditions de minuit, paris,1982.

130- Julia Kristeva, le langage cet inconnu, une initiation à la l'inguistique, édition du seuil.1981.

131-Louis Hjelmslev, essais l'inguistiques, les éditions de minuit paris, 1971.

132-Oswald Ducrot, dire et ne pas dire, principes de sémantique l'inguistique, Herman, 1er édition, paris, 1972.

133-_____, le dire et le dit, édition de minuit, paris, 1984.

134-_____, les échelles argumentatives, les édition de minuit, paris, 1984.

135-Patrick chraudeau, Dominique Maingueneau, Dictionnaire D'analyse du Discours, Seuil, paris, 2002.

136-Roman Jakobson, essais de l'inguistique générale, traduction: Nicolas Ruwet, édition de minuit, 1963.

المجلات:

137- مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، العدد 100، 1993م.

138- مجلة الكلمة، دلتا للطباعة والنشر، بيروت، العدد 75، 2012م.

139- مجلة سياقات، بلنسيه للنشر والتوزيع، القاهرة، العدد 01، 2008م.

140- مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، العدد 17، 1994م.

141- مجلة مخبر الدراسات النحوية واللغوية بين التراث والحداثة، كلية الآداب واللغات، جامعة إبن خلدون، تيارت، الجزائر، العدد 3، 2012م.

الرسائل الجامعية:

142- معالم لدراسة تداولية وحجاجية للخطاب الصحافي الجزائري، رسالة دكتوراه، إعداد: عمر بلخير، إشراف خولة طالب الإبراهيمي، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2005م – 2006م.

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	01
تمهيد	06
الفصل الأول: الخطاب: (العناصر، الإستراتيجيات، والمقاصد)	
المبحث الأول: الخطاب واستراتيجياته	
1- مفهوم الخطاب	14
2- عناصر الخطاب.	21
3- بين الخطاب والنص	27
4- الإستراتيجية الخطابية	31
المبحث الثاني: السياق والتفاعل الخطابي ومقاصده	
1- السياق الخطابي	42
2- التفاعل الخطابي	49
3- القصد والخطاب القرآني	53
4- متلقي الخطاب بين التفسير والتأويل	60
الفصل الثاني: قضايا التداولية وخطاب أهل الكتاب	
المبحث الأول: التداولية مفهومها وأهم قضاياها:	
1- مفهوم التداولية	66
2- مهام التداولية.	70
3- أهم قضاياها: 1- أفعال الكلام	72
2- نظرية التلفظ	78
3- قوانين الخطاب	83
4- متضمنات القول	89
5- الحجاج	95
المبحث الثاني: خطاب أهل الكتاب (مميزاته)	
1- أهل الكتاب	115
2- الخطاب القرآني(المكي والمدني) لأهل الكتاب	117
3- الخطاب القرآني المباشر وغير المباشر لأهل الكتاب	121

4- خصوصية الخطاب القرآني الموجه لأهل الكتاب	124
5- موقف أهل الكتاب من الخطاب الموجه إليهم	127
الفصل الثالث: الإستراتيجية التوجيهية والتلميحية في خطاب أهل الكتاب	
المبحث الأول: الإستراتيجية التوجيهية في خطاب أهل الكتاب	
1- الإستراتيجية التوجيهية	135
2- الأساليب اللغوية في الإستراتيجية التوجيهية	142
3- الإستراتيجية التوجيهية في خطاب أهل الكتاب	151
المبحث الثاني: الإستراتيجية التلميحية في خطاب أهل الكتاب	
1- الإستراتيجية التلميحية	175
2- وسائل وآليات الإستراتيجية التلميحية	183
3- الإستراتيجية التلميحية في خطاب أهل الكتاب	190
الفصل الرابع: الإستراتيجية الحجاجية ودورها الإقناعي في خطاب أهل الكتاب	
المبحث الأول: الإستراتيجية الحجاجية ودورها الإقناعي في خطاب بني إسرائيل	
1- الإستراتيجية الحجاجية والإقناعية	236
2- وسائل وآليات إستراتيجية الحجاج والإقناع	243
3- خطاب الله سبحانه وتعالى إلى بني إسرائيل	258
أ- خطاب بني إسرائيل	259
ب- فضل الله تعالى على بني إسرائيل	265
ج- تفضيل بني إسرائيل على العالمين	271
المبحث الثاني: الإستراتيجية الحجاجية ودورها الإقناعي في خطاب أهل الكتاب	
1- خطاب الأنبياء: أ- خطاب موسى عليه السلام لقومه	274
ب- خطاب عيسى عليه السلام لبني إسرائيل	296
2- خطاب أهل الكتاب: أ- الخطاب المختص باليهود	301
ب- الخطاب المختص بالنصارى	311
ج- الخطاب المشترك بين اليهود والنصارى	316
الخاتمة	329
قائمة المصادر والمراجع	333
فهرس المحتويات	344

ملحق

(ملخص الأطروحة باللغة الإنجليزية)

ABSTRACT :

TITLE : «Discourse strategies of the AHEL EL KITAB in coran, pragmatic study ».

The pragmatic rsearch is among modern l'inguistic researches, it deals whith functional part of language starting from its levels and the contextual external parts of the discourse it is a study which begins from different data in relation with history of Islam, biography of the prophet, reasons to get off sayings of the prophet, God bless them and sayings of the prophet upon him priere and peace.

looking to AHEL EL KITAB in coran is not out of interpretation of the different AYAT WA SOWAR of coran, it is a study which deals about important strategies of discours in AHEL el kitab's discours.

Thus, it aims influence and convince them with pragmatic ideas and to find important periorbital language styles, among them : Rhetorical used to obtain Quranic objectives discourse.

This study is new an important (cancial) based on description and analysis researchs to discover the discourse, and periorbital influencial an convensing.

The study provides four chapters previoused by a introduction an followed by a conclusion.

In The introduction There is the importance of the research an the reasons of shoosing it, the previous works about it, definition of each chapter and section, also in the introduction there the subject of language, its important and secondary functionals and the steps of modern l'inguistics studies.

In the first theoritical chapter , ther is difinition of the discourse and its components, its relation with a text and difinition of discours strategy also its categorizing it and the subject of contextual discourse and quranic discours objectives and the relation between the audience and the discourse.

In the second chapter there is a definition of pragmatics its philosophical history, its important issues and the definition of AHEL EL KITAB and charcetrristics of their discourse and comparaison

between the two discourse (MEKKI an Madani) also the direct and inderect discourse finally their position about the discourse which is addressed to them.

The third chapter is pradical of the different strategies of AHEL EL KITAB, first defimion of strategeans and their language and Rhetorical and logical tools (ways) used by them, and description of important strategies existed and analysing them.

In the forth chapter which is also pratical, there is a treatment of an important strategy of the discourse periorbital and convincing strategy in the discourse of AHEL EL KITAB, this after limitation of the different tools used to make influence and convince.

In the conclusion, there is a summary of important results of the resarch, recommendation, the results show the way is used the language in order to arrive to some objectives, the purpose of this is to state bliefs with the cod and prophets in AHEL EL KITAB heart's also to respond to the false beliefs and attack them, of course by using different methods and styles to arrive to the objective of the discourse.